أوضاع الأقليات والجاليات الإسلامية في العالم

(قبل وبعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م)



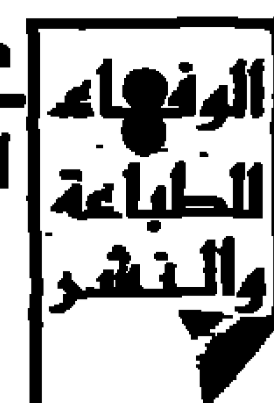
الدكتور / مجدي الداغر

دار الوفاء


الهدى للتجليد الفني

أوضاع
الأقليات والجاليات الإسلامية
في العالم

الطبعة الأولى
١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٦م



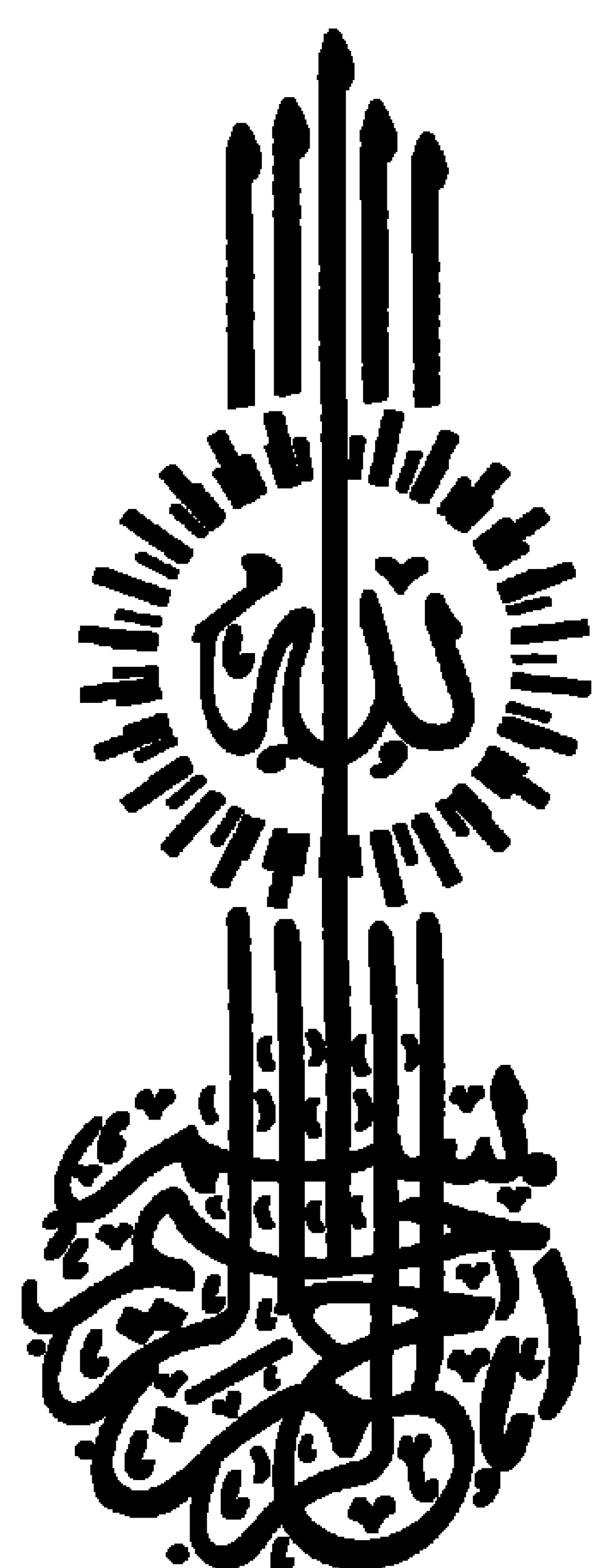
دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع-ج.م.ع-المنصورة
الإدارة: ش.الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب ص ب: ٢٣٠
ت/٢٢٥٦٢٣٠٠ فاكس ٢٢٦٠٩٧٤/٠٥٠ محمول ٠١٠/١٧٠٥٦٥٨
E-MAIL:darelwafa@HOT MAIL:COM
WWW.EL-WAFAA.COM

أوضاع الأقليات والجاليات الإسلامية في العالم

(قبل وبعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١)

الدكتور/ مجدي الداغر

دار الوفاء



بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى :﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّـٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [الأحزاب] .

وقال رسول الله ﷺ :

" من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم " .

وقال : " مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعت له سائر الأعضاء بالسهر والحمى " .

الإهـــداء

إلى أستاذى الذى أدين له بالفضل كله :

الدكتور فوزى عبد الغنى خلاف ، أستاذ الإعلام والصحافة ورئيس قسم الإعلام بكليتى الآداب بقنا وسوهاج، والمستشار الإعلامى لجامعة جنوب الوادى .

بكل الحب والوفاء والأبوة الجميلة ، أهدى أول إنتاجى على طريق التأليف والإبداع .

مجدى الداغر

مقدمة

أصبحت قضايا ومشكلات الأقليات – منذ أعوام قليلة – وتحديدا منذ عقد التسعينيات من القرن العشرين وإطلالة القرن الحادي والعشرين واحدة من المسائل المهمة التي تطرح نفسها بقوة،أو يطرحها أصحابها أو مؤيدو حقوقها أمام الهيئات والمنظمات والمحافل الدولية، أملا في إيجاد صيغ سياسية أو قانونية تحميها من الاضطهاد والعنف الذي تتعرض له في بلدان عديدة من العالم، وخاصة في أعقاب أحداث الحادي عشر من سبتمبر (٢٠٠١م) .

وقضايا الأقليات لم تعد متعلقة في الأذهان – كما كان سائدا في الماضي – في رغبة ومحاولة الأقلية في الانفصال وتكوين كيان خاص بها فقط، بل هناك عدد من الأقليات لا ترغب في الانفصال أو الاستقلال عن الدولة الكبرى، وإنما تريد فقط الحفاظ على هويتها الثقافية، وممارسة شعائرها الدينية والتعبدية دون اضطهاد أوعنف.

وقد يظن البعض بأن ما يحدث للأقليات الإسلامية في عالم اليوم من طرد وإبادة واضطهاد ديني أوعرقي مثل ما يحدث لمسلمي العالم الآن – أغلبيات وأقليات – بعيدا عن تخوم الأمة العربية، ومن ثم فهي بعيدة عن التماس بمصالحنا القومية على اعتبار أن القومية ليست مذهبا فكريا أو أيديولوجيا، وإنما دائرة من دوائر الانتماء يفرضها الواقع، إلا أن العرب بحكم تكوينهم الديني شعوب ذات أغلبية مسلمة ، وبالتالي فإن مناصرة المسلمين في أية مكان في العالم أقليات كانت أم أغلبيات من صميم الإيمان بالإسلام.

وبالتالي فقد يصبح من النادر أن توجد دولة في عالم اليوم دون أن تضم على أرضها جماعة إسلامية، بغض النظر عن عددها، وذلك نظرا لتزايد ظاهرة انتقال الأفراد عامة من بلدانهم إلى بلاد أخرى، إما بهدف الاستيطان، وإما بقصد الإقامة الدائمة أو شبه الدائمة أو سعيا وراء الرزق أو بحثا عن الحرية، أو فيما يعرف اليوم بتجانس الشعوب، حيث يضم الشعب الواحد أكثر من أقلية يكون لكل منها خصائصها وسماتها الحضارية التي تميزها عن غيرها [(١)] .

فكلما وجدت أغلبيات يشترك أبناؤها في ميراث تاريخي وثقافي واحد، توجد في المقابل جماعات أخرى أصغر يطلق عليها أقليات لكل منها سماقا وتمايزها الثقافى عن الأغلبية ، وقد أدى هذا التباين في كثير من الحالات – إلى عدم الاستقرار السياسي في العديد من الدول كما في أوربا وأمريكا،وجمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق ، وبورما ، وتايلاند ، والصين ، والفلبين ، وأبخازيا وأذربيجان ومنطقة البلقان والقرن الإفريقي – مثلا – عندما تصر بعض الدول الكبرى على انتهاك حقوق جماعات معينة من أبنائها أو من غير أبنائها بسبب الاختلاف في الدين أو اللغة أو العرق، قد تصل في بعض الأحيان إلى حدوث أزمات تستوجب تدخل الهيئات والمنظمات الدولية والدول ذات النفوذ السياسي الكبير في مناطق الصراع .

وتأسيسا على ما سبق ، فإن الأقليات الإسلامية باتت تمثل اليوم أعــدادا مهولــة، تزايد حشودها عاما بعد عام، كما هو الحال في منطقة البلقان وفي آســيا الوســطى وبلاد ما وراء النهر، وقد تعاظم شأن هذه الأقليات بفعل تنــامى ظــاهرة العولمــة، وسقوط الاتحاد السوفيتي السابق، وبفعل الاهتمام المتزايد بمكانة الإســلام في النظــام الدولي الجديد، فقد أدت العولمة إلى انفتاح الحدود على مصراعيها وأدخلت الأقليــات المسلمة في لب العالم الإسلامي بل والعالم كله، وكانت النتيجة أن صــار ألم دولــة واحدة – أو مجموعة أقليات في دولة ما – يسمع في باقي الدول، فمــا تتعــرض لــه الأقليات المسلمة في الفلبين أوفي شبة جزيرة البلقان أو في منطقة التركســتان لم يعــد معزولا عن الأمة الإسلامية، بل أصبح من محور الصراعات التي يشهدها العالم في الفترة الأخيرة ، وكان من عواقبها أن سهلت العولمة انتقال العنف من منطقــة إلى منــاطق أخرى بسهولة، بل إن الغرب نفسه صار راعيا لتلك الأقليات المسلمة المؤيدة للعنف والراديكالية، فالذين قاموا باعتداءات الحادي عشر من سبتمبر (٢٠٠١م) جمــيعهم من العرب المقيمين في أوربا والولايات المتحدة، وتقع منظماقم أساسا في العالم الغربي، والظن بأن تكون بعض هذة المخططات قد تمت على أيدى بعض الأفراد من الأقليات المسلمة التي تعيش في الخارج، ولكن ليست كل الأقليات تحمــل نفــس الشــعارات المعادية للغرب وحضارته.

وكانت الأقليات الإسلامية في الغرب هي التي عليها أن تستقبل الصدمة الأولى، وأن يكون تفريغ الخوف والحقد الصليبي الدفين فيها أولاً قبل غيرها، فالتهديد بالإبادة والإخراج كما حدث للأتراك وغيرهم في ألمانيا والجمهوريات الإسلامية الروسية، وتعقيد سبل الحياة والإقامة والجنسية والهجرة كما حدث للجاليات الإسلامية في فرنسا وبريطانيا، وبداية المضايقات والتهديد بالفشل كما يحدث الآن للمغتربين والأقليات الإسلامية في أمريكا وكندا واستراليا، وحرب الطرد والتشريد والإبادة كما هو قائم الآن في منطقة البلقان، وشبة القارة الهندية، ومنطقة القفقاس وبلاد ما وراء النهر، ومحاولة امتداد ما يسمونه بالتطهير العرقي ليشمل جميع دول جنوب شرق آسيا، وامتداد الحملات التبشيرية لتشمل معظم الدول الإفريقية بما في ذلك الدول ذات الأغلبية المسلمة، كل هذا كانت بدايات فقط للصيحة التي أطلقها اليهود ورددها العالم أجمع بعد سقوط الشيوعية من أن الإسلام هو الخطر القادم،وأنه بعد سقوط الشيوعية لا عدو للبشرية غير الإسلام، وضرورة خروج الإسلام إلى خارج أراضيه عبر ما يعرف بالأقليات المسلمة والمهاجرة إلى بلاد الغرب.

ومن هذا المنطلق فإن قضايا الأقليات عامة، وقضايا ومشكلات الأقليات الدينية خاصة من الدراسات التي يعتبرها الباحثون في مجال العلوم الاجتماعية والسياسية من الموضوعات القديمة — والجديدة _ في ذات الوقت، إذ يعتبروها قديمة قدم التميز بين النحن والغير، وهى كذلك جديدة نظرا لإلحاحها الشديد بل والمستمر على آليات الصراع السياسي ، وخاصة في آخر حقب القرن العشرين وفى أعقاب القرن الحادي والعشرين، ثم أحداث سبتمبر (٢٠٠١ م) ، فبعد حرب باردة، انفجرت النزاعات العرقية والدينية في مناطق البحيرات الكبرى، وفي البوسنة والهرسك وفى كشمير والشيشان وكوسوفو وأريتريا، وبورما، والفلبين، وأذربيجان وداغستان وتركستان الشرقية وأبخازيا ، وأراكان ، والأكراد، وتم توجيه الاتهامات إلى عدد من الدول والمنظمات والجماعات بممارسة التطهير العرقي، وكان ذلك أسوء استهداف للبشر بسبب انتماءاتهم الإثنية أو الطائفية أو المذهبية.

مع أن الصراعات الطائفية ليست جديدة كظاهرة التفاعلات السياسية عبر العالم، ولكن مظاهر العنف التي تتخذها حدة الصراعات في الفترة المعاصرة وتحديدا منذ عشر سنوات هى الظاهرة اللافتة للنظر ومحل اهتمام صناع القرارات في العالم، وبالتالي فإن

ما يـدور وما يحـدث من صراعـات عرقية أو دينية بلا شك يؤثر على صانعي القرارات السياسيـة في الدول القومية التي تضم أقليات مختلفة، وتفتح الثغرات أمام التدخل الخارجي مثل ما حدث في منطقة البلقان وشمال القفقاس، وربما كانت هذه التطورات ناتجة عن انحسار موجه نحو التحديات الأيديولوجية بين الليبرالية والشيوعية التي شغلت اهتمامات القيادات والشعوب في العالم إبان عقود الخمسينيات حتى مطلع التسعينيات من القرن العشرين، ومن ثم أتاحت الفرصة للتعبيرات المعاصرة عن تفاقم قضايا ومشكلات الأقليات الإسلامية في العالم ورغبتها في التعبير عن هويتها، وممارسة شعائرها والحصول على حقوقها مثل الأقليات الأخرى- غير المسلمـة — بل إن الغريب والمثير للدهشـة أنه وبمجرد وقوع أحـداث ١١ أيلول سبتمبر (٢٠٠١م) احتل العرب والمسلمون النصيب الأكبر من الاتهامات في هذا الحادث، وربما في غيره من الحوادث الأخرى التي أعقبته، فانتماء الفرد إلى هذه المجموعة (الأقلية) يجعله تلقائياً عرضة للاشتباه والشكوك حتى يثبت حسن نواياه، وسلوكه، فالأصل عند الغرب الريبة والاتهام إلى أن يظهر العكس، فبجانب القبض على آلاف العرب والمسلمين في الولايات المتحدة الأمريكية بعد أحداث التفجيرات بنيويـورك وواشنطن، قامت ألمانيا هي الأخـرى بالقبض على أكثر من خمسة آلاف عربي مسلم بتهمة الانتماء لتنظيم القاعدة الذي يتزعمة السعودي أسامـة بن لادن، وخضعوا لتحقيقات بمعرفة الشرطة والمخابرات المركزية والنظر في احتمال تورطهم في أعمال إرهابية أخرى داخل أو خارج ألمانيا.

أما وزير الخارجية الصيني فقد سارع بالقول : " إننا نأمل أن تكون معركتنا ضد قوات تركستان الشرقية- إقليم صيني ذات أغلبية مسلمة - جزءاً من الحملة العالمية لمكافحة الإرهاب في العالم، مشيرا إلى إن مطالبة مسلمي الصين بحقوقهم يعد عملاً إرهابياً وتصرفات لا يمارسها إلا مشعوذون بل إن الأفضل لهم أن يخضعوا للعلاج في المصحات العلاجية والنفسية، ولتأمين ذلك وقعت الصين مع روسيا وكازاخستان وطاجيكستان وقيرغيزستان معاهدة (شنغهاي) والتي تضمنت تأمين الحدود بينهم من الإرهاب الإسلامى المتنامي في المنطقة بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، والضغط على الأقليات من الإيغور المسلمين في دول آسيا الوسطي لكي لا يقدموا أية تسهيلات للإيغور الثائرين

في الصين ضد الحكومة المركزية في بكين، وكان الهدف من المعاهدة محاربة الأصولية الإسلامية ومحاربة النفوذ الأمريكي في المنطقة معا[٢] .

وقبل أحداث الحادي عشر من سبتمبر لم تكن الولايات المتحدة تقبل بمجرد القبول فقط أن يعذب إنسان، أو مجموعة ما في أي مكان بسبب انتمائها الديني، أو العرقي أو حتى المذهبي من منطلق أن هذا يتناقض مع الديمقراطية وحرية الرأي والتعبير وحقوق الإنسان، إلا أن النظرة – كما هو واضح الآن – تغيرت تماماً بعد الأحداث،حيث خضع الآلاف من المسلمين لمكتب التحقيقات الفيدرالي ، وتم استخدام وسائل تعذيب حديثة لم تكن قد استخدمت من قبل ، بل كانت تعد من المحرمات في القاموس الأمريكي، بجانب ترحيل من يشتبه فيهم إلى أماكن بعيدة تماماً عن العمران لنزع الاعترافات منهم بالقوة، أوللتوصل إلى معرفة مكان " أسامة بن لادن "، بل تم تقسيم العالم إلى دول صديقة تؤيد السياسة الأمريكية، ودول معادية ترعى الإرهاب وتعمل ضد المصالح الأمريكية، وكانت قائمة محور الشر التي شملت أفغانستان، والعراق، وإيران، وكوريا الشمالية، وكانت البداية بأفغانستان (٢٠٠٢م) والقضاء على حكومة طالبان المتطرفة وبعض أعضاء تنظيم القاعدة، ثم بالعراق، والتخلص من نظام صدام حسين البعثى، وإن كانت التهديدات الأمريكية لإيران لا تنقطع وخاصة بعد المظاهرات الطلابية التي تنادى بالإصلاح السياسي داخل إيران، والتي تتصاعد حدقما بين الحين والآخر، مما يشير إلى احتمالات تعرض إيران لحملة عسكرية أمريكية قبل نهاية (٢٠٠٥م) .

الأمر الذي يعكس بوضوح ما أشار إليه " صامويل هنتنجتون " في أطروحته (صدام الحضارات) من وجود فراغ استراتيجي عميق خلقته نهاية الحرب الباردة، واكتشف العديد من الاستراتيجيين الغربيين العدو الجديد للغرب – في الإسلام – وقد لاقت الرؤية المستقبلية عن صدام الحضارات آنذاك استحسانا كبيرا خاصة في عصر التبعية العالمية للأفراد والأفكار والتمويل، وقد ذابت فيه الحدود المكانية لحضارة العنف بين الشرق والغرب، ومما يؤكد ذلك أن كثيرا من التيارات الإسلامية في الشرق تتلقى التمويل المادي والفكري من الدول الغربية التي تتخذها نقطة انطلاق لفعاليتها، وهكذا يتحول الشرق والغرب إلى أنماط خلافية مكررة تستعمل في النقاش حول المجتمع العالمي .

وعلى هذا الأساس تكمن الحاجة في نظر العديد من المفكرين في أوربا وأمريكا إلى بناء وتحصين السدود لمواجهة المد الإسلامي وإيقافه وتحجيمه، وقد ساعد على ذلك ما شهدته فترة التسعينات من تطورات وتغيرات مهمة في النظام العالمي الجديد، منها انهيار الاتحاد السوفيتي، وازدياد حدة العنف والصراع بين حركات الإسلام السياسي وحلفاء الغرب في الدولة العربية وقدرة الأولى على تهديد المصالح الغربية وخاصة مصادر النفط في الخليج وأمن واستقرار إسرائيل؛ وحدوث بعض الحوادث الإرهابية في الولايات المتحدة التي زرعت بذور الخوف والرعب في قلوب المواطنين الأمريكيين الذين لم يعتادوا على مثل هذه الظاهرة الخطيرة والتي صورت على أنها مستوردة من العالم الإسلامي مع كل ما تحمله من رموز ودلالات حضارية وثقافية معادية؛ واستغلال ظاهرة الإرهاب والخطر الأخضر القادم من الشرق من قبل دعاة المواجهة وأصدقاء إسرائيل لصياغة سياسة أمريكية جديدة تأخذ بعين الاعتبار المعطيات الدولية والإقليمية بعد تقهقر الخطر الشيوعي ، حيث أدت كل هذه العوامل مجتمعة إلى التركيز على التيارات الدينية في العالمين العربي والإسلامي والدعوة إلى مواجهتها وردعها.

ومن هنا يعتبر الربط بين الإسلام والتطرف والعنف إحدى النتائج الخطيرة لتلك الأنماط التقليدية الشائعة في الغرب [٣] ، ليس لأن الغرب يتجاهل قتل المسلمين وكأنه قتل وحرق السحرة ، والذي ألفه التاريخ الأوربي في العصر الوسيط ، بل لأن الغرب يتجاهل كم يسقط من المسلمين أنفسهم ضحايا لهذا العنف ليس في البوسنة والهند وكشمير وفقط بل في بلدان الشرق الأوسط أيضاً، فالنقطة المحورية الموجهة لمجمل أفكار هنتنجتون بخصوص أطروحته حول الصدام الحضاري تكمن في اعتباره أن الغرب أصبح مهدداً في موقعه القيادي والكوني بفعل انبعاث الحضارات الأخرى وانتعاشها، إذ أكدت أصوات كثيرة في العالم الإسلامي أشهرها تنظيم القاعدة الذي يتزعمه "أسامة بن لادن"، والجهاد الإسلامي الذي يتزعمة الدكتور عمر عبد الرحمن ، أن العالم الإسلامي في حالة حرب مع الغرب، أو أن عليه أن يعلن تلك الحرب إن كان قد نسيها، فيما ينتشر القلق في الغرب من العلاقات مع الدول العربية والإسلامية مع التركيز من هذا الطرف أو ذاك على أن هناك حربا صليبية مستمرة بين العالمين.

كما يبدو أن ثمة صورة بدأت تتشكل في الغرب حول الإسلام باعتباره التهديد المقبل والعدو القادم ، والخطر الأخضر ، وإمبراطورية الشر الجديدة ، وكأنه يرتدى مع بعض الروتوشات البسيطة ذلك اللباس الذي فصل على مقاس الاتحاد السوفيتي في السابق، ولكن في المواجهة مع الكتلة الشرقية كان التحامل يتم على الدول الشيوعية بينما يتم الإعلاء من شأن الشعوب التي تتعرض للاضطهاد، أما اليوم فالعكس عندما يتم التنديد "بالخطر الأخضر" توجه أصابع الاتهام إلى العالم الإسلامى .

في أحيان كثيرة ترتبط مقولة الأساس التاريخي الخفي هذه بمقولة أخرى عن نهاية الحرب الباردة ، ويمكن تسمية هذه نظرية الفراغ التي ترى أن الغرب بعدما زال عدوه الرئيسي بانهيار الاتحاد السوفيتي القديم، انطلق مسرعا لخلق عدو جديد وهو العالم الإسلامى – العدو القديم الجديد – مع أن غالبية دول العالم العربي والإسلامى قد لا ترغب في مواجهة شاملة مع الغرب ، فالتحدي الذي شكله الاتحاد السوفيتي قديما تلك القوة بأسلحتها النووية والبيولوجية للكثيرين في المجتمعات الغربية لا يقاس بما يمثله تنظيم القاعدة والتنظيمات الإسلامية التي تتخذ من طابع العنف منهجا لها ، في الوقت الذي يعاني فيه العالم الإسلامى من وضع اقتصادي بالغ التردي بما يمنع توجيه أي تحدٍّ حقيقي للغرب، وحتى إذا أخذنا الدول المنتجة للنفط نجد أنها تودع أموالها وكل ما تملكه في البنوك الغربية وتستورد منه غالبية ما تحتاج إليه من سلع وخدمات، أما الدول التي استطاعت أن تنتج الأسلحة النووية مثل باكستان فهي تعد من الدول الحليفة مع الولايات المتحدة وخاصة بعد التسهيلات التي قدمتها باكستان للولايات المتحدة وقوى التحالف في الحرب ضد أفغانستان وتنظيم القاعدة، وكذلك الدول التي ورثت تلك الأسلحة مثل كازاخستان والتي تربطها علاقات وثيقة مع الولايات المتحدة بعد أن أعلنت استقلالها عن الاتحاد السوفيتي القديم في بداية التسعينيات من القرن العشرين، أما الدول التي تسعى إلى تطوير برنامجها النووي مثل إيران فهي في الواقع من الدول المهددة بتدمير منشآتها النووية إن لم توافق على التفتيش على أسلحة الدمار الشامل التي تمتلكها من قبل هيئة الطاقة الذرية.

فالتحذير من التهديدات القادمة من الجنوب أصبح يتجسد عبر استحضار صـــورة العالم الإسلامى باضطراباته المتعددة، وامتداده الجغرافي الشاسع، وتضخمة الســـكاني الكبير، وعداء شعوبه المستمر لهيمنة الغرب على المنطقة العربية والشعوب الإســـلامية،

حيث تشير القراءة المتأنية لأفكار هانتجتون إلى القلق الغربي من الفراغ الاستراتيجي الذي خلفه انهيار الاتحاد السوفيتي وتصاعد تيار الإسلاموفوبيا لدى العديد من الدوائر الفكرية والاستراتيجية في الغرب، والواضح أن هانتجتون لا يخفى قلقه وخوفه من الفراغ الذي حدث بعد نهاية الحرب الباردة والتي حرمت الغرب من العدو الشامل الذي كان بمثابة المرآة التي تعكس قوته ووحدته وهويته، وبحسب تعبيره " في الوقت الذي تكون فيه الحروب عامل انقسام في مجتمع ما، فإن وجود عدو مشترك من شأنه أن يساعد دوما على ترسيخ الهوية والانسجام بين الشعوب " (٤) .

ومن هنا فإن محاور العلاقة بين الحضارتين الإسلامية والغربية تشتمل على أبعاد مهمة، ترصد في مجملها عمليات الصعود والهبوط في تلك العلاقات التي تصل إلى ذروتها عند اتهام مجموعة من المسلمين بأنهم وراء قلق واضطراب أصاب الغرب في أمنه واستقراره، الأمر الذي ينعكس بدوره على سوء فهم للإسلام من جانب المثقفين وصناع القرار ورجالات السياسة، ويحملون الإسلام كدين خطأ فرد أو مجموعة من الأفراد ويتم تعميم السلوك الفردى إلى سلوك عام، ويحاول المسلمون من خلاله إثبات براءتهم ولكن دون جدوى، فالبعد الديني والاقتصادى والسياسي والثقافي هي نقاط الالتقاء والخلاف بين المسلمين والغرب، وعلى أسس هذه الأبعاد تكون حالة الأقليات المسلمة في المجتمعات الأوربية غير المسلمة، وتظل العلاقة بين الإسلام والغرب هي محور اهتمامات المفكرين في العالم لفترات زمنية قد تطول، وإثارة وضع الأقليات المسلمة في الغرب، وما هى الأقلية المسلمة وما هو الفرق بين المسلم العربي والمسلم القادم من إحدى الدول الإسلامية والمواطن الأوربى الذي أعلن اعتناقه للإسلام، بل يأتي على هامش المناقشات مفهوم الدولة الإسلامية، وما هو الإسلام الذي تريده الدول الإسلامية والتنظيمات الإسلامية التي تنادى بالجهاد ضد الغرب – الكافر – بل ما هو الإسلام الذي يرضى الغرب والنظام العالمي الجديد ، والسؤال إذن من أين تأتى العداوة بين الغرب والإسلام ؟

قد يري البعض أن الدولة الإسلامية هي الدولة التي تضم أغلبية مسلمة، بصرف النظر عن النظام السياسي والاجتماعي السائد فيها، وهناك من يرى أن الدولة الإسلامية هي التي يعترف النظام الحاكم فيها بانتمائه للعالم الإسلامي، بصرف النظر عن نسبة المسلمين

داخل الدولة،بيد أن رأيا ثالثا يقول : إن الدولة تكون إسلامية إذا توافر فيها شرطان أساسيان ها[٥] : أن تضم أغلبية مسلمة ، وأن يعترف النظام الحاكم في الدولة بانتمائه للعالم الإسلامي .

على الجانب الآخر تضم الدول غير الإسلامية أقليات أو أغلبيات مسلمة ، حيث لا تدخل بالفعل في إطار مجتمع الدول، الذي يتألف منه العالم الإسلامي أو تحظى باهتمام خاص لدى دراسة الأمة الإسلامية دراسة كلية، إذ ينبغي إدراك أن هذه التجمعات ما تزال تتعرض للاضطهاد والإبادة الذي يفرضه التحدي سواء كان شيوعيا ملحدا ينكر كل العقائد والأديان، أو كان أوربيا متعنتا يحقد على الإسلام ويجاهد من أجل إيقافه والحيلولة دون انتشاره، ومن ثم يتعين دعمها ومساندة صمودها لكيلا يهزمها التحدي بكل الباطل .

وانطلاقا من ذلك كله يمكن أن نحدد أبعاد العالم الاسلامي الذي يضم الدول الإسلامية على الصعيد الإفريقى والآسيوى، وأن نحدد أبعاد الإطار الأوسع الذي يحتوى الأقليات الإسلامية التي تضمها الدول الإسلامية على الصعيد الإفريقي والآسيوي والأوربي والأمريكي ويكاد يطوق العالم الإسلامي ومجتمع الدول فيه.

ومن ذلك نستطيع القول : إن مجتمع الدول في العالم الإسلامي يأتلف حول القلب النابض بالإسلام في الوطن العربي الكبير ويضم (٣٨) دولة وعلى امتداد الجناح الشرقي على الصعيد الآسيوي تقوم (٢٤) دولة إسلامية، وعلى امتداد الجناح الغربي على الصعيد الإفريقي تقوم (١٥) دولة إسلامية، ومن شأن كل دولة من هذه الدول – بصرف النظر عن عدد سكانها، أو مساحتها، أو النظام الحاكم فيها ، الانتماء إلى مجتمع الدول في العالم الإسلامي بجانب أن هناك ما يزيد عن (٥٠٠) مليون مسلم يعيشون كأقليات مسلمة في معظم دول العالم[٦] .

وبالتالى فإن تعبير العالم الإسلامي قد يترادف مع تعبير الوطن الإسلامي فليس الأول منصرفا إلى الإنسان والآخر إلى الأرض كما يتبادر إلى الأذهان ، ولكن كلا التعبيرين يدلان على الآخر ، فالعالم الإسلامي هو وطن للمسلمين أيضا ، وكيفما وجدوا، بغض النظر عن عددهم ، ويمكن كذلك أن نميز بين شكلين للوجود الإسلامي في عالم اليوم :

الأول: مسلمون ينتظمون في كيانات سياسية (دول) يكون للإسلام دور ما في تنظيمها سواء أكان ذلك معلنا أم غير معلن.

الثاني: مسلمون يعيشون كأقليات في مجتمعات غير إسلامية بحيث لا يؤثر إسلامهم ولا ينعكس على الكيان السياسي للدول التي يتبعونها، وقد يكون في بعض الحالات التأثير ضعيفا أو يتعرضون للاضطهاد والعنف للقضاء على تواجدهم في تلك الدول، وقد تجد حكومات البلاد المضيفة نفسها مضطرة إلى الخضوع لبعض مطالب الأقليات والجاليات الإسلامية إما بسبب دستوري أو قانوني، أو لتحول دون بروز إشكالات أمنية أونزولا عن ضغط دول ينتمي إليها أبناء الأقليات، أو بسبب رغبة تلك الدول الظهور بمظهر الحرية الشاملة أمام العالم مما يستهوى الألوف الأخرى من المهاجرين الجدد.

إلا أن الوضع وبعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر قد تغير تماما حيث حملات العنف والاضطهاد ضد المسلمين عامة، كانت أشد هذه الحملات تلك التي شنتها العديد من الدول الأوربية والآسيوية ضد الأقلية المسلمة على أرضها، بما في ذلك بعض الدول العربية والإسلامية المتحالفة مع الولايات المتحدة من تعقب الجماعات الإسلامية التي تتخذ من العنف منهجا لها في الدعوة الإسلامية.

وفي السابق كانت بعض الدول مثل الولايات المتحدة الأمريكية واستراليا وكندا تتمتع بقدرة متميزة على امتصاص اللاجئين إليها بمنحهم جنسياتها، وبقدر ما تكون الأقلية منظمة ومدعومة من الخارج بقدر ما تستطيع تحقيق مكاسب على صعيد وجودها، مثل أجازة الزواج على الطريقة الإسلامية، أو السماح بالذبح الحلال، أو الترخيص بالدفن على الطريقة الإسلامية، أو إقامة مدارس وجامعات إسلامية، أو إصدار صحف ومجلات أو بث تليفزيوني وإذاعي خاص بالمسلمين، وقد تكون هناك العديد من الصعوبات التي تواجه الأقليات الإسلامية في العالم في تحقيق المطالب السابق الإشارة إليها ، مقابل فرض العديد من القيود على الأنشطة المختلفة التي تقوم بها الأقلية المسلمة في الغرب، مع أن الفكر الإسلامي ومنذ بدايته وهو يعترف بالملل والنحل أي الأقليات والطوائف الدينية والعرقيات التي كانت موجودة عند ظهور الإسلام وحتى الآن وبمشروعية اختلافها مع الأغلبية المسلمة في شؤون عقيدتها، وأفرد لهذه القضية الكثير من الأحكام التي تنظم العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين في دار الإسلام، فمعظم المجتمعات

الأوربية التي تضم طوائف دينية وعرقية متعددة يندر أن نجد تجانسا دينيا تاما بينهم ، فعادة ما توجد جماعة دينية رئيسية ينتمي أفرادها إلى نفس الدين أو المذهب السائد في الدولة الأم ، إلى جانبها جماعة أو أكثر تنتمي إلى ديانات أخرى، أو مذاهب أخرى، بيد أن تعايش الأديان والمذاهب في نفس المجتمع يعني أن هناك حدا من التسامح بين الطوائف المختلفة .

وبالتالي فإن انتقاء الإسلام عدوا استراتيجيا للغرب مجازفة تهدد السلام العالمي بعدم الأمن والأمان، وهو ما يجعل معظم أوربا تتردد في الإعلان عن ذلك، وتعترض على التصريحات المنحازة التي يقوم بها السياسيون حول ذلك ، وتسعى لاستخدام مفردات كالإرهاب، والتطرف، والعنف، والدموية، والهلال، والأصولية، وعليه فإن إقحام الدين في السياسة يعد انتهاكا لأهم مبادئ الأيديولوجيات العلمانية التي تتمسك بها الدول الغربية، وتحريضا لكثير من المسلمين المنسجمين مع الفكرة العلمانية على التراجع والعودة إلى الفكرة الدينية، واستفزازا لأكثر من مليار وثلثمائة مليون مسلم موزعون على معظم دول العالم، أغلبيات وأقليات مسلمة، هذا بجانب أن مثل هذه التصريحات قد تكون أحد العوامل المؤثرة على العلاقات السياسية والاقتصادية بين الدول الإسلامية ودول الغرب(٧) .

فالغرب يسخر كل إنجازاته العلمية وقدراته الاقتصادية وإمكانياته الإعلاميـــة بـــل وقوته العسكرية أيضا إذا اقتضى الأمر، ليفرض رؤيته الخاصة، ويحاول أن يضفي على تصوراته هذه طابعا إنسانيا وربما شرعيا، ويرفض أي نوع من الاختلاف حولها، وهذا ما نلاحظه بوضوح من خلال السياسة التي تمارسها الولايات المتحدة وبريطانيا في عالم ما بعد سبتمبر ٢٠٠١.

وتبدو صورة العالم الغربي الآن وبعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر عن ذي قبل، فمع أنه يعلن عن علمانيته حينا، وديانته المسيحية في أحيان أخرى، إلا أننا نستطيع القول ومن خلال ما سبق من مقدمات ودلالات بأن العالم الغربي ملحدا لا يؤمن بدين، وعاملا ماديا لا يعرف للروح معنى، فالولايات المتحدة الأمريكية التي تعبد البترول والحديد والذهـــب، قد غطت الأرض بمبشـــرين يزعمون أنهم يدعون إلى حياة روحية وسلام ديني (٨) ، وإن كان الرئيس الحالي جورج دبليو بوش عند إعلانه الحرب على الإرهاب قالها دون أن يشعـــر ظاهرا ما بداخله من حقد على الإسلام والمسلمين بأن أمريكا

ستقـــوم - بحرب صليبية – على الدول التي تدعم وتساند الجماعات الإسلاميـــة المتطرفة ، كما كان مصرا على أن يقلده منصبه أحد القساوسة الأمريكان ، بينما فرنسا كدولة علمانية تحمي رجال الدين في الخارج ، فاليسوعيون المطرودون من فرنسا هم خصومها في الداخل ، وأصدقاؤها الحميمون في مستعمراتها ، وكذلك إيطاليا التي ناصبت الكنيسة العداء ، وحجزت البابا في الفاتيكان كانت تبنى سياستها الاستعمارية على جهود الرهبان والقساوســـة والمنصرين ، حتى روسيا التي تدعو فـــي بلادها إلى محاربـــة الأديان تظاهرت – بعد الحرب العالمية الثانية حينما أرادت أن تحقق لنفوذها توسعا إقليميا وسيـــاسيا – تظاهرت بالعطف على رجال الدين ودعت إلى مجمع مسكوني في موسكـــو، وحملت إليه المؤتمرين في طائراتها وكان في استقبالهم ستالين نفسه .

كما كان الرجال العسكريون من الإنجليز حريصين على نشر المنصرين في العالم، حتى أنهم فكروا في أن يرسلوا مبشرين إلى مكة والمدينة المنورة (٩) . ولعب التعصب المسيحي بين الإسلام والمسيحية، الدور الأكبر فى تأزم العلاقة، ثم كانت للسياسة الاستعمارية على العالم الإسلامى والتنافس على السيادة بين الكنيستين (الشرقية في بيزنطة، والغربية في روما) دورهما الفعال فى سوء العلاقة بين الشرق والغرب، فضلا عن الهوس الديني الذي أثاره أفراد مثل (ولتر المفلس، وبطرس الناسك، والراهب الألماني هوذسكال، صامويل هنتجتون،وفريدمان)من حث الغرب على كراهية المسلمين،وتعقب وجودهم في المجتمعات غير الإسلامية باعتبارهم خطرا على المسيحية،بل والغرب أيضا.

وكان الدين في الغرب المسيحي أداة لتبرير الاعتـــداء علـــى الشـــعوب الضـــعيفة واسترقاقها ، وتبارك ذلك الكنيسة بكل الحب والتأييد وكان لصكوك الغفـــران مـــن القوة ما يغفر أعتى الجرائم ويفتح أبواب الجنة أمام مرتكبيها، وهذا ما حدا بـــالبعض لأن يصور الوضع الذي عليه العالم الآن بعهود العصور الوسطي وسيطرة الكنيسة على قرارات الحكام، فالولايات المتحدة تلعب دور باباوات الكنيسة وتفـــرض صـــكوك الغفران، أما شعوب العالم فهم فئة العبيد الذين يفرض عليهم الـــولاء والطاعـــة دون جدال أو نقاش لمن هو أقوى أومن بيده القرار.

بيد أن الأقليات الإسلامية في أكثر بلدان العالم هي الأكثرية الحقيقية، لكن الزيف وحرب الإحصاءات غير الدقيقة يتعمدان دائماً تقليل عدد المسلمين وإظهارهم على أنهم أقلية وذلك لخدمة أهداف سياسية معروفة، فإذا تم العدوان عليهم وإهدار حقوقهم فإنه يصورون إعلامياً وسياسياً على أنهم أقلية متمردة يجب تأديبها ، وتمضي قضية اضطهادهم دون ضجيج على أنها شأن خاص أو مسألة داخلية لا يجوز التدخل فيها أو الاعتراض عليها، أخذت هذه الصورة تزداد قتامة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر (٢٠٠١م) فى محاولة لتأديب العالم الإسلامى أغلبيات وأقليات ، وتحملهم بالتالي تبعات ما تقوم به الولايات المتحدة من إجراءات ضد مرتكبي التفجيرات وكذلك الدول التي ينتمون إليها والدول التي ترعى خلايا التطرف والإرهاب في العالم، ومما يؤكد ظهور البعد الديني في محاور الأحداث .

وعلى هذا فإن مسألة الأقليات بكل عناوينها ومسمياتها، من المسائل الحساسة في مجال الدراسات والبحوث الميدانية، وتحتاج إلى قراءة ودراسة عميقة لواقعها وصولا إلى بلورة رؤية حضارية متكاملة في طريقة التعامل معها، وكيفية اندماجها الطوعي والاختياري مع النسيج الوطني والمجتمعي، ولعلنا لا نعدو الصواب حين القول : إن الكثير من النكبات الاجتماعية والانفجارات السياسية، كان من جراء عدم التصدي الجاد لعلاج هذه المسألة في الواقعين العربي والعالمي.

فما يعانى منه العالم الإسلامى الآن أقليات وأغلبيات من عنف واضطهاد وإهدار للحقوق والقبض العشوائي على العديد منهم، هو من جراء ما قام به تنظيم القاعدة الذي يتزعمه الثرى السعودي " أسامة بن لادن " ، والطبيب المصري أيمن الظواهري، ورفض الغرب الاقتناع بأن ما قام به تنظيم القاعدة هو سلوك فردى أو نهج جماعة صغيرة من المسلمين وليس كل المسلمين مؤيدين لما قام به هذا التنظيم من أعمال تخريب وتدمير وترويع الآمنين بهذه الصورة التي يرفضها الإسلام والغالبية من المسلمين في الشرق والغرب على حد سواء .

والسؤال الذي يطرح نفسه بقوة في هذه الحقبة من الزمان تحديدا هو : ماذا عن العلاقة بين الشرق والغرب أو بين الإسلام والمسيحية حتى أدت إلى عدم الثقة التي

نلاحظها الآن بين الطرفين بعيدا عما يعرف بالحوار بين الأديان، أو التوفيق بين الديانات السماوية ؟

ويتناول الكتاب في مجمله أوضاع الأقليات المسلمة في العالم قبل وبعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر (٢٠٠١م) في أربعة عشر فصلا يتم فيها التعرف على وضع الأقلية المسلمة في العالم ورصد المتغيرات التي أعقبت الحادث ، ثم التناول التفصيلي لوضع الأقليات الإسلامية في القارة السوداء (قارة إفريقية المسلمة) وكيف أن المسلمين على الرغم من أنهم يمثلون الأغلبية في العديد من الدول الإفريقية إلا أنهم في تعداد الأقلية حيث إن مقاليد الإدارة والحكم والسيادة في أيدي غيرهم من أبناء المعتقدات الأخرى (أقلية) ، وهذا قد يرجع بطبيعة الحال إلى الاستعمار الذي ظل في إفريقيا لسنوات طويلة ولم يخرج منها إلا بعد أن سلم كل أمور الحكم لأبناء عقيدته أو من تربطه به مصالح اقتصادية وسياسية على المدى القريب أو البعيد .

أما في آسيا فالوضع يكاد يختلف حيث يلجأ المسلمون إلى المناطق الجنوبية والتجمع بعيدا عن الحكم والإدارة، ونظرا لتزايد أعدادهم فإنهم طالبوا بحقهم في الانفصال عن الدولة الأم باعتبارها كيانا له سمات وخصائص يتميز بها عن الغالبية التي تدين بعقيدة أخرى ، مثل الأقلية المسلمة في الفلبين وتايلاند وسرى لانكا وبورما وسنغافورة وكذلك دول تطالب بحقها في الاستقلال مثل الشيشان وأنجوشيا فى روسيا، وجامو وكشمير بالهند ، وتركستان الشرقية بالصين .

ونفس الحال في أوربا حيث تطالب البوسنة والهرسك بحقها لأن تصبح دولة ذات سيادة بحكم أنها تمثل الأغلبية في البلقان، وعليه فيطالب إقليم كوسوفا هو الآخر بحقه في الانفصال عن صربيا أسوة بإقليم تيمور الشرقية الذي انفصل عن إندونيسيا لكون الأغلبية فيه تدين بالعقيدة المسيحية.

بيد أن وضع الأقلية المسلمة في أوربا يكاد يكون بالغ الصعوبة نظرا للعداء القديم الذي تكنه أوربا للمسلمين زمن الحروب الصليبية والغزو العثماني لدول أوربية عديدة حتى كادت فرنسا تقع كلها في أيدى المسلمين ، هذا فضلا عن أن منفذي أحداث سبتمبر عاشوا وسط الأقليات المسلمة في أوربا، أما في الولايات المتحدة فالأمر مختلف تماما حيث إنها الأرض التي وقعت عليها أحداث سبتمبر .

ومن هنا كان على الأقلية المسلمة أن تدفع الضريبة وحدها دون غيرها من عنـــف وتعذيب واضطهاد وتحقيقات ومصادرة أموال وتدمير مساجد ومراكز إسلامية بصورة لم تكن موجودة قبل الحادى عشر من سبتمبر (٢٠٠١ م) .

هوامش المقدمة

(١) أحمد الرشيدى : منظمة المؤتمر الإسلامى (القاهرة: مركز البحوث والدراسات السياسية، جامعة القاهرة ١٩٩٧م) ص ١٤٥ .

(٢) جميل مطر : تداعيات أحداث ١١ سبتمبر على النظام العالمي (القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية، جامعة الدول العربية، عدد أكتوبر ٢٠٠٠م) ص٩٩- ١٠١ .

(٣) كاى حافظ : الإسلام والغرب (القاهرة: وزارة الثقافة،إصدارات المجلس الأعلى للثقافة ، ٢٠٠٢م) ص ٨٣ .

(٤) صامويل هنتنجتون : صدام الحضارات: ترجمة طلعت الشايب (القاهرة: مكتبة مدبولى للطبع والنشر، ٢٠٠٠م) ص ٣١ .

(٥) عادل طه : العالم الإسلامى اليوم (القاهرة: دار ابن سينا للنشر، ١٩٨٧م) ص ٦٣، ٦٤ .

(٦) أحمد صدقي الدجاني : حاضر العالم الإسلامى (القاهرة: مجلة الهلال، عدد مارس ١٩٩٢!) ص ٩٠، ٩١ .

(٧) إسماعيل الشطي : تحديات استراتيجية بعد أحداث سبتمبر (بيروت: مجلة المستقبل العربي، العدد (٢٨٣) سبتمبر ٢٠٠٢م) ص ٣٥ .

(٨) محمد سعدي : الجنوب في التفكير الاستراتيجي الأمريكي (بيروت: مجلة المستقبل العربي، عدد أكتوبر ١٩٩٨م) ص ٥٢، ٥٣ .

(٩) محمد بحر العلوم : مسؤولية المرجعية والمراكز الإسلامية نحو مسلمي أوربا وآسيا (القاهرة: مجلة الفكر الجديد، العدد (٥) مارس ١٩٩٣م) ص ٢٧ .

الفصل الأول

الأقليات، والأقليات الإسلامية ، ما هي ؟

الفصل الأول

الأقليات الإسلامية ، ما هى ؟

مـــدخل

يعاني العالم اليوم من مشاكل عديدة وحادة تهدد كيانه وتعصف باستقراره وأمنه، لعل على قمة هذه المشكلات مسألة الأقليات والتمييز العنصري والنزاع الديني والعرقي في دول كثيرة من العالم [١] ، وسوء العلاقة الحالية بين الشرق والغرب التي أعقبت تفجيرات الحادي عشر من سبتمبر (٢٠٠١م) بالولايات المتحدة، الأمر الذي أدى بدوره إلى تفاقم الصراع ونشوء بؤر توتر كثيرة كان سببها سوء علاقة الأغلبية بالأقلية، والصورة السلبية التي يأخذها الغرب عن الإسلام، إذ لا تنشأ مشكلة الأقليات إلا عندما تكون هناك مشكلة أغلبية [٢] ، وبالتالي لم تعد مسألة حقوق الإنسان وحرياته الأساسية من الأمور التي تندرج – فقط – ضمن الاختصاص الداخلي للدول فرادى، حيث أضحى المجتمع الدولي طرفاً فاعلاً في كل ما يتعلق بهذه القضية، وأصبح يقف إزاءها على قدم المساواة مع الدول التي تنتهك فيها هذه الحقوق على مجموعات بشرية أقلية كانت أم أغلبية.

فالثـــابت أن الأنظمة الحاكمة سواء أكانت جمهورية أم ملكية تسعى إلى أن يسود نظامها الاستقــرار لضمان استمراريتها في الحكم والسيادة [٣] . وتؤكد المنظومة السياسية قاعدة مهمة مؤداها أنه لا يسود حكم، أو نظام سلطوي دون استقرار، ولتحقيق هذا الهدف كان المطلب هو الحل السريع من جانب الأغلبية، فمنح الأقلية حقوقها السياسية والاجتماعية والاقتصادية أساس عملية الاستقرار السياسي داخل المجتمعات ، إذ أصبحت قضايا ومشكلات الأقليات نقطة ارتكاز لصناع القرار السياسي يستندون إلى نتائجها في الصراع الخفي بين الطوائف داخل المجتمع الواحد أو بين عدة مجتمعات .

وفى هذا الصدد يلاحظ أن العالم اليوم يواجه في هذه الحقبة من القرن الحادي والعشرين وبعد انهيار الاتحاد السوفيتي السابق، وانفكاك القبضة الشيوعية عن أوربا

الشرقية، وتداعيات التفجيرات الأمريكية الأخيرة، وانكفاء ثورة التطلعات والآمال التي تعصف الآن بمناطق كثيرة من العالم تحديات عديدة تركز كلها على الإسلام والمسلمين أقليات وأغلبيات في محاولات جادة نحو معاقبة العالم والمسلمين خاصة لما قام به " أسامة ابن لادن " وتنظيم القاعدة في واشنطن ونيويورك (٢٠٠١م)[٤] .

فالمجتمعات المجزأة إلى أقليات هي في واقع الحال جماعات فاقدة لحريتها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية في كثير من الأحيان،وهى دائماً ما تكون في وضع حرج وقلق، فهي ليست متمتعة بكافة الحقوق التي تتمتع بها الأكثرية،وخاصة عندما تكون لهذه الأقلية عقيدة أو أيديولوجية تخالف عقيدة أو أيديولوجية مجتمع الأكثرية[٥] .

كما يلاحظ أن مجرد الحديث عن أقلية من الأقليات (دينية – عرقية – لغوية) ، فإن المسألة سوف تبدو ثانوية أو فرعية على أساس أن الأقلية جزء صغير من سكان الدولة، إذ يبدو أن في هذه الكلمة (الأقلية) يتبلور مفهوم كامل للجماعة، وأن تحديد الأقلية يعني الوصول لمفهوم الأغلبية، إذ أن استقرار الأقليات هو استقرار للمجتمع ككل، فمنذ مطلع التسعينيات من القرن العشرين والعالم يشهد العديد من الصراعات المسلحة، معظمها – إن لم يكن أغلبها – صراعات عرقية، إثنية، ملل، أعراق، أقليات[٦] ظهرت بشكل واضح بسقوط الاتحاد السوفيتي والمنظومة الشيوعية وسقوط حائط برلين وتفكك الاتحاد اليوغوسلافي ، كما يمثل الصراع في العالم الآن – بعد أحداث سبتمبر – في منطقة البلقان والقفقاس وشبه القارة الهندية الحالة الدرامية والمعبرة أو التي تتسم بها هذه الحقبة التاريخية الهامة في ظل نظام القطب الواحد، ومن هنا أصبحت يقظة الأقليات في أوربا في الجزء الأخير من القرن العشرين بصفة أساسية نهضة ثقافية وتحولاً من مشاعر الإحساس بالنقص إلى الاعتزاز بذاتيتها وبهويتها الإسلامية ، أما في حالة كبت التمايز الثقافي، فإن الأقلية تتجه إلى الرغبة في الانفصال عن الأغلبية[٧] .

ويتناول هذا الفصل محورين مهمين هما :

المحور الأول: طبيعة مشكلات الأقليات وموقف الأكثرية منها.

المحور الثاني: تصنيف الأقليات الإسلامية في الفكر المعاصر .

أولاً: طبيعة مشكلة الأقليات في العالم اليوم

استقبل الفكر السياسي الحديث، أو النظام العالمي الجديد في مطلع التسعينيات من القرن العشرين صحوة الأقليات " ورغم أن الشكل الدرامي لهذه الصحوة يتجلى منذ عشر سنوات تقريبا في كل من الاتحاد السوفيتي السابق ومنطقة البلقان وشبه القارة الهندية [٨] إلا أن اهتمام الباحثين بهذه النوعية من الدراسات كان مشوباً بالحساسية المفرطة من ناحيتين ، سواء للباحث داخل مجتمع الأقلية ، أو الذي ينتمي إلى المجموعة الأكبر أو مجتمع الأغلبية ، حيث إن مثل هذه القضايا مشوبة بالحذر عند تناولها، فمن استقراء التاريخ يتضح أن عوامل الصراع من فتن واضطرابات واضطهاد وعصبيات ونعرات، عوامل ليست جديدة على المجتمع المعاصر وليست ثابتة في الوقت ذاته، بل هي قديمة قدم المجتمع الإنساني نفسه، حيث نشبت حروب عديدة اتخذت عبر التاريخ ألواناً مختلفة من التعصب (القبلي ، والطائفي ، والديني ، والمهني ، والسياسي) ، ولكن عند مقارنتها بالصراع الحالي بعد التفجيرات الأخيرة بالولايات المتحدة قد لا يساوى شيئا [٩] .

فمشكلة الأقليات ليست عابرة، ولكنها بمجرد أن يدور الحديث حولها تتحول إلى محرمات ومحظورات يمنع تناول قضاياها ومشكلاتها أو الحديث عنها، وبالتالي فقد كبتت في اللاشعور القومي كي لا تخرج إلى الوعي، إلا من خلال مرآة أخرى ليست لها علاقة مباشرة بالتمايز الفكري والثقافي، وهذه المرآة هي الصراع السياسي الذي صاحب ما يعرف بالنظام العالمي الجديد [١٠] .

كما تلعب الأغلبية أكثر من دور في هذا الشأن حتى تتميز عن الأقلية داخل الدولة القومية الواحدة وذلك لإيجاد نوع من التفرقة العنصرية بينها وبين غيرها، ففي كل مجتمع تقريباً قيم تجنح إلى التقليل من قدر بعض الفئات الاجتماعية (دينية، عرقية، لغوية) حتى المجتمعات التي تعتنق وتنادى بالمساواة والحرية والإخاء وحقوق الإنسان، تكون لها استراتيجيتها في التعامل مع حقوق الأقليات على أرضها بعكس القوانين والنصوص التي ترددها، أو التي تضمها دساتيرها.

كما لعبت القوميات دوراً مهماً في تاريخ الإنسانية وكانت طرفاً مباشراً في معظم الصراعات التي عرفتها البشرية في العشر سنوات الأخيرة، وقد تصل درجة الإيمان بالقومية والاعتزاز بها إلى مرتبة التمايز العنصري [١١] .

فالهجرة من بلاد الإسلام إلى أوروبا وأمريكا منذ مطلع القرن العشرين، كانت أهدافها دنيوية، وقليل منها كان بسبب الاضطهاد من الحكومات الثورية والأحكام الاستبدادية.

وعلى كل حال، فالهجرة - كما يشير إلى ذلك الشيخ عبد العزيز بن باز مفتي المملكة العربية السعودية - إما أن تكون واجبة كالفرار بالدين من البلد الذي يضطهد فيه المسلم، فيفر إلى بلد آخر يأمن فيه على نفسه، ودينه، وإما أن تكون مستحبة كالهجرة لطلب العلم الشرعي، ونصرة الدين، وإما أن تكون مباحة وهي الهجرة لطلب الدنيا، والسفر من أجل الرزق، وإما أن تكون حراماً إذا كانت إلى بلد لا يستطيع فيها المسلم أن يقيم شرع الله، وإما أن تكون ردة وكفراً إذا التحق المسلم بالكفار وترك دينه وعقيدته، وباع دينه بالدنيا. ولا شك أنه يوجد من المسلمين في بلاد الغرب من هجرته واجبة، ومن هجرته مباحة، ومن هجرته إثم وحرام، ومن هجرته ردة وكفر.

وفي هذا الصدد تبرز مسألة الاضطهاد العنصري للأقليات الإسلامية في أمريكا وفرنسا وبريطانيا وألمانيا بصورة لم تكن متوقعة بعد أحداث سبتمبر (٢٠٠١ م) ، وبالتالي تأتى حساسية الموضوع ذاته - كما أشرنا إلى ذلك سابقاً - حيث أدت هذه الحساسية إلى قلة عدد الباحثين في شؤون وقضايا الأقليات بشكل عام، والأقليات الإسلامية خصوصاً .

لذلك كان من الصعوبة تعريف الأقلية ، وذلك لأسباب منها :

- إن الأقليات تختلف تبعاً لاختلاف المفاهيم التي تحكم إقصائها أو عزلتها وعلاقتها بالأغلبية التي تعيش معها في إطار مجتمع واحد، أو إطار يجمع عدداً من القوميات المختلفة.
- إن العلاقة بين الأكثرية والأقلية تتأثر بعدد من المتغيرات أهمها:

– اختلاف الوضع الذي توجد فيه أقلية واحدة ، عن الوضع الذي توجد فيه أقليات متعددة في مجتمع واحد، فبينما تواجه الأقلية الواحدة ضغوطاً من جانب الأكثرية ، يصبح المجتمع والذي يضم أقليات عديدة بعيداً عن ذلك،إذ عليه – فقط – مراقبة الصراع الدائر بين الأقليات المختلفة ، وقد تكون الأغلبية هي سبب الصراع القائم بين الأقليات في مجتمعها، عندما تحرم عليها ممارسة حقوقها أياً كانت هذه الحقوق .

– اختلاف درجة الثقافة بين المفكرين والباحثين أدت إلى اضطراب تعريف الأقليات نظراً للعرق، أو السلالة، أو الديانة، حيث أدى الخلاف في تحديد المفهوم إلى إصابة المصطلح بالجمود وعدم المرونة لتقبل أية إضافات عليه .

- إن الاهتمام بتحليل التفاعل بين الأكثرية والأقلية يؤدى بالتبعية إلى مزيد من درجة الاهتمام بالآثار المختلفة لأنواع البنيان الاجتماعي كالهجرة والمجتمعات القائمة على التنافس بين الأقليات، أو بين الأقلية والأكثرية.
- قد تؤدى حداثة تناول موضوع الأقليات في مجال البحث العلمي إلى عدم الوقوف على وضع تعريف محدد له، أو الوصول به إلى مفهوم يتفق عليه معظم الباحثين حيث تميل بعض الأقليات إلى العزلة عن الأغلبية، إما لرغبتها في ذلك، أو للهجرة والعزلة الجبرية المفروضة عليها من جانب الأغلبية.
- اختلاط المفهوم الخاص بالأقليات بالعديد من المفاهيم الأخرى كالإثنية، والعرقية والطائفية، والعنصرية، الأمر الذي دفع ببعض الباحثين إلى الخلط بين الأقلية وبعض المفاهيم المقاربة له كالإثنية أو الطائفية.
- إن مشكلة الأقليات تعتبر بالدرجة الأولى هى مشكلة الأغلبية وبالتالي مشكلة المجتمع ذاته(١٢) ، فى الوقت الذى نجد أن بعض الأقليات فى العالم لا تكاد تحتفظ إلا بفكرة مشتتة عن تراثها المشترك (١٣) .

ومما سبق نستطيع القول : إنه إذا سلمنا بأن هناك جماعات صغيرة يصدق عليها وصف أقليات – وهذا واقع – حيث إن داخل الجماعة الكبرى جماعات صغيرة لها تقاليد وعادات متميزة نسبياً عن مجتمع الأكثرية، فإنه وفق القانون الدولي لا يجوز للدولة ذات الأغلبية أن تجبر الأقليات التي في داخل نسيجها بالتخلي عن عقيدتها

أو تقاليدها أو حتى هويتها ، حيث قد تنجح الأكثرية في امتصاص الأقلية التي تشاركها نسيجها القومى ، والعمل على منحها بعض حقوقها وتمايزها الثقافي، بحيث لا يؤثر ذلك على الأكثرية ، فالتجانس الثقافي والتوافق بين ثقافة الأغلبية والأقلية يساعدان على الاستقرار السياسي داخل المجتمع حيث تبدأ عادةً المشكلة الحقيقية بين الأقلية والأكثرية ، عندما يصبح لهذا التمايز الثقافي وجود سياسي مميز ، ورغبة الأقلية في أن تحظى بنصيب في عملية صنع القرار داخل المجتمع الذي تعيش فيه ، وقد تقوم الأقلية بتكوين تنظيم سياسي تعبر به عن موقفها إزاء بعض القضايا الاجتماعية أو السياسية في المجتمع ، عندئذ يحدث التصادم بين الجانبين ، ويعتبر الوضع السياسي والاجتماعي في منطقة البلقان وكشمير ودول الاتحاد السوفيتي السابق وأوربا وأمريكا الآن دليلا حيًا على هذا الوصف.

فوجود الأقليات داخل المجتمعات، ظاهرة طبيعية، إذ من غير الطبيعي أن يحظى مجتمع كامل بخصائص وتمايز ثقافي واحد، ولا يشذ عن هذه القاعدة مجموعة من الناس، ففي كل مجتمع توجد أقلية، أو أقليات، وقد تصبح هذه الظاهرة – الأقليات – ظاهرة مرضية إذا عجزت الأكثرية عن تلبية حاجات الأقلية، أو كانت مطالب الأقلية تتعارض مع وحدة الدولة كالاستقلال أو الانفصال عن الاتحاد ، ويشتركان معاً في اتحاد كونفدرالى واحد، وقد يسبق عملية المطالبة بالاستقلال والمطالبة بالمساواة ومزيد من الحقوق السياسية داخل المجتمع صراعات وأعمال عنف عديدة بين الأكثرية والأقلية (١٤) . وبالتالي فإن ظاهرة التمايز الثقافي كثيراً ما كانت تبقى أحياناً موضوع رفض وعدم الاعتراف بشرعية هذه الأقليات مع مجموعة من السكان تزيد نسبتها أو تنقص داخل الكيان السياسي للمجتمع سواء شاءت الدولة ذات الأكثرية أم أبت، والأقليات تمثل تبعاً لذلك ظاهرة اجتماعية أو بشرية (١٥) تبحث عن المساواة في الحقوق مع الأكثرية ومزيداً من الاستقلال نظراً لصعوبة التجانس الثقافي بين الفئتين(١٦) .

وعلى هذا فإن الإيمان بالدين – أي دين – لا يمكن أن يتأتى بالإكراه والضغط للإيمان به، حيث إن الإيمان بالشىء – أي شيء – يعنى التصديق بالقلب، ويبلغ في الوقت ذاته مرتبة اليقين، فاليهود مثلا اتخذوا لأنفسهم ملكاً غريباً، عندما تحولوا إلى

"جيتو " يعكفون على ديانتهم، ولا يدعون لها، ولا يبشرون بها، بـــل لا يرغبـــون في نشرها بين الناس .

أما المسيحية ، فإن تاريخها مليء بالاضطهاد والإكراه لأهل المعتقدات الأخـــرى والأمثلة على ذلك عديدة منها ما قام بة شارلمان (٧٤٢- ٨١٤) الذي فرض المسيحية على السكسونيين بحد السيف ، وفي بروسيا فرضت جماعة إخوان السيف المســيحية على الآخرين بالنار والسيف ، بينما في جنوب النرويج فقــد ذبــح الملــك "أولاق ترايجفيسون" كل من رفض اعتناق المسيحية ، وفى روسيا فــرض " فلاديمــير" عــام (٩٨٨ميلادية) المسيحية على كل الروس دون تمييز فى اللون أو الجنس، أو العقيدة التى كان يؤمن بها ، أما في الجبل الأسود فقد قام الأسقف الحاكم "دانيــال بيتــروفيتش" بذبح غير المسيحيين احتفالاً بعيد الميلاد عام (١٧٠٣م) وكانوا من المســلمين، وفى المجر أرغم الملك " شارل روبرت" غيــر المسيحيين على اعتناق المسيحيــة وخيرهـــم بين الإيمان بها أو الطرد خارج البلاد عـــام (١٣٤٠م) ، وفي أسبانيــا وقبل الفـــتح الإسلامـــى لها كان المجمع السادس في (طليطلـــة) يحـــرم الإيمـــان بغـــير المـــذهب الكاثوليكي، ونفذ ملوك أسبانيا هذا القانون بالقوة حتى علـــى المـــذاهب المســـيحية الأخرى[١٧] .

كما أن صربيا بجانب ما قامت به من عنف واضطهاد ضد المسلمين في البلقان كانت تنفذ نصوصاً دينية وعقائدية من وجهه نظرها ، منذ أن كان الأتراك المسلمون حكاما لهذه المنطقة ، ونظراً لسماحة الإسلام مع غيره من الأديان التي كانت سائدة في هذه المنطقة آنذاك دخل المئات بل الآلاف في الإسلام دون عنف واضطهاد يدفعهم إلى اعتناق الإسلام بالقوة .

في الوقت الذي يعتقد اليهود أن ما يقومون به هو تنفيذ لوعد الله في القدس، وكذلك ما يقوم به الهندوس في الهند وكشمير، والصراع المسيحي - الإسلامي في الفلبين، وجنوب تايلاند وسرىلانكا ، وإثيوبيا وأريتريا ، وما تقوم به روسيا ذاتها في الشيشان قائم على أساس ديني ، إذ لا ترغب في أن يكون وسط دولها دولة إسلامية تطبق قوانين وشرائع تتمايز فيها عن الأغلبية المسيحية .

مفهوم الأقليات في الفكر الإنساني المعاصر :

تناولت العديد من الدراسات والبحوث مفهوم الأقلية من زوايا مختلفة، حيث إن لكل اتجاه ما يبرره، وإن كانت معظمها قد اتفقت على أن الأقلية هي الجماعة القليلة العدد أو الصغيرة داخل كيان الدولة السياسي، بغض النظر عن الوزن السياسي الذي تمثله داخل المجتمع.

ويطرح في البداية "صابر طعيمة" تعريفا سياسيا للأقلية ويقول : إن الأقلية "مصطلح سياسي جرى في العرف الدولي يقصد به مجموعة أو فئات من رعايا دولة من الـــدول تنتمي من حيث الجنس أو اللغة أو الدين إلى غير ما تنتمي إليه أغلبية رعاياها " (١٨). أما سعد الدين إبراهيم فيقول : إن الأقليـــة " مجموعة بشرية تختلف عن الأغلبية في واحدة أو أكثر من المتغيرات التالية : الدين، أو اللغة، أو الثقافة أو السلالة" (١٩).

بينما يطرح "وليم قلادة" مفهوم الأقلية والأغلبية، على أنهما مختلطان ببعضهما البعض "فقد يفهم مصطلح الأقلية بمعنى سياسي أو اقتصادي ، فيقال : أحزاب الأقلية، أو الأقلية المستأثرة بالجزء الأكبر من الدخل القومي"(٢٠).

و "وليم قلادة " بمفهومه هذا يكون قد أوضح ما أشار إليه سابقه، إلا أنه زاد من التعريف تعقيدا ، فابتعد عن ماهيـــة الأقلية وأكـــد على الخلـــط بين المفهومين (الأقلية والأغلبية) وإن كان أضاف تميزا جديدا للمفهوم وهو العامل الاقتصادي، كأحد عوامل التمايز الثقافي بين الفئتين.

ويرى " لويس ويرث" أن الأقلية "جماعة من الناس تنفصل عن بقية أفراد المجتمع بصورة ما، نتيجة خصائص عضوية أو ثقافية تعيش في مجتمعها في ظل معاملة مختلفة غير متساوية مع بقية فئات المجتمع"(٢١). ويقول لويس : إن الأقلية لا ترغب في التجانس الثقافي مع الأكثرية، حيث إن وضعها كأقلية يترتب عليه شعورها بالدونية والحقوق المسلوبة منها، من جانب الأكثرية، وأن الأكثرية هي دائما المسيطرة على مقدرات الأقليات التي تحت يديها.

أما " لورانت وآني شابرى" فيؤكدان أن الأقلية — كمفهوم – يجب أن يحدد مفهومها كما ليتم التعرف عليـــه، فقد تصبح الأغلبية، أقلية إذا ما قورنت بالوزن السياسي

للأقلية، فتكون بذلك : "جماعات اجتماعية رسخت بشعور مشترك من الانتماء بهوية مشتركة (دينية ، أصل عرقي واحد ، أو لغوى) أقل عددا بالنسبة لأكثرية أي سكان معينين ، فهي وفى آن واحد كثيرة ولكنها غير كافية"(٢٢).

ويتبين من تعريف" لورانت وآني شابرى" تركيزهما على كون الأقلية، دائما قليلة العدد بالنسبة للأكثرية، وقد تصبح الأقلية كبيرة العدد مثل الأقليات الإسلامية في الهند الذين يصل تعدادهم حسب آخر الإحصائيات ١٩٩٨؛ (٢٠٠) مليون مسلم، ومع ذلك لا يشكلون أغلبية أما عدد سكان الهند فقد يزيد على المليار ونصف المليار نسمة(٢٣). ويشذ عن هذه القاعدة الوزن السياسي للأقلية اليهودية في الولايات المتحدة التي رغم أنها أقلية (٦,٥) مليون يهودي تقريبا (٢٤)إلا أنها تتحكم في عملية صنع القرار الأمريكي بل والدولي أيضا.

ويتفق الباحث " تيد روبرت جار" مع لورانت وآني شابرى في أن الأقلية مجموعة أقل عددا من الأغلبية. فيقول : إنها " مجموعة من الأشخاص مختلفين عن باقي السكان اختلافا واضحا من حيث العرق، والعقيدة، والخصائص اللغوية، والروابط والصلات الثقافية ويكونون في وضع متدن" . و "تيدروبرت جار" وإن كان يتفق مع الكثيرين في أن الأقلية : هي جماعة صغيرة عددا وتحديدا مع لورانت وآني شابرى (٢٥) ، إلا أنه اتفق أيضا مع السابقين في عنصر التمايز بين الأقلية والأغلبية في الخصائص اللغوية أو الدينية، أو العرقية.

وينحى " عبد الله عامر " بعيدا في تعريفه للأقلية مشيرا إلى أنها " المجموعة التي ينظر إليها، أو تنظر هي لنفسها، بأنها في وضعية أدنى في مقابل الأغلبية التي فرض عليها الاستغلال والتمييز الاقتصادي والسياسي والتحامل الاجتماعي(٢٦) . ويفترض عبد الله عامر في تعريفه أنه طالما أن الأغلبية مسيطرة إذن هناك بالتالي أقليات مضطهدة، على أساس أن الأغلبية دائما ما تستغل الأقلية ، وتفرض عليها العديد من القيود التي تحد من نشاطها وفعالياتها داخل المجتمع وكذلك من تمايزها الثقافي وبالتالي تشعر دائما بالدونية.

ويضيف "عبد السلام البغدادي " بعداً جديداً في تعريفه للأقلية مخلطاً بينه وبين المفهوم القريب منه وهو مفهوم (الإثنية) ويقول بأنها: " تلك الجماعة التي تتسم بسمات طبيعية إثنية أو ثقافية كاللغة أو الدين أو القومية أو العرق أو القبلية وتفرعاتها (٢٧) .

في الوقت الذي يشير فيه "محمد عمارة" إلى أن مفهوم الأقلية من حيث كونها أقلية لا تستطيع بمفردها أن تكون دولة ولا أن تقرر مصيرها، فيقول : إن الأقلية هي "الجماعات التي لا تُكوّن أمة، لعدم استكمالها خصائص الأمة، ولا تسير في اتجاه استكمال هذه الخصائص"(٢٨) . ويتبين من تعريف محمد عمارة أنه خلط هو الآخر بين مفهومي الأمة والدولة، ولعله كان يقصد الدولة وليس مفهوم الأمة بمعناه الواسع، فالأمة تضم دولاً عديدة تشترك مع بعضها البعض في العقيدة أو من ناحية الظروف الطبيعية ، كالأمة الإسلامية مثلا ، أو الأمة العربية إذا ما تم تناولها بمعيار القومية.

أما "برهان غليون" فيؤكد — عند تناوله لمفهوم الأقلية – بأنها ترادف الطائفية ويرى أن " الأقلية لا تظهر إلا في المجتمع العصبوى، الذى لا يستطيع أن ينشئ علاقة سياسية أعلى من العلاقة الأيديولوجية، وقائمة فوقها أى رابطة قومية حقيقية تقابل التمايز بالوحدة والانغلاق بالانفتاح دون أن تلغيهما " (٢٩) . ويوضح برهان غليون تعريفه للأقلية فيقول : إن الأقلية "جماعات متعددة ومتميزة الواحدة عن الأخرى سواء أكانت هذه الجماعات اجتماعية أم مهنية أم جغرافية أم أقوامية، وهذه الجماعات ليست دائماً على المستوى ذاته من القوة أو من النفوذ إلى السلطة ولا على المستوى ذاته من التطور الاجتماعي" .

وفي معجم الدبلوماسية : هي " مجموعة من رعايا دولة ما، تنتمي من حيث الجنس، أو اللغة أو الدين إلى غير ما تنتمي إليه أغلبية السكان " (٣٠).

ويكاد يتفق" أحمد عطية" في القاموس السياسي مع معجم الدبلوماسية في تحديده لمفهوم الأقلية فيقول : إن الأقلية "فئات من رعايا دولة من الدول تنتمي من حيث الجنس أو اللغة أو الدين، إلى غير ما تنتمي إليه أغلبية رعاياها"(٣١) . بينما يرى عاطف غيث – في معجم العلوم الاجتماعية– أن الأقلية هي "جماعة عنصرية أو دينية أو إثنية معترف بها في مجتمع معين، تعانى من تفرقة مترتبة على تحقير أو تمييز " (٣٢) .

ويقول قاموس "ويبستر الأمريكي" : إن الأقلية " جماعة من السكان، تختلف عن المجموع، أو الجماعــة الأكبر عدداً في عامــل أو مجموعة عوامل كاللغة والدين، والثقافة" (٣٣) . أما أحمد سويلم – في معجم العلوم السياسية الميسرة – فيرى أن الأقلية هي "جماعة من شعب معين، عددهم أقل من بقية السكان لهم ثقافتهم ولغتهم ودينهم، ويطالبون بالمحافظة على شخصيتهم وثقافتهم على أساس نظام معين" (٣٤) .

وفى موسوعة السياسة يقول "عبد الوهاب الكيالى" : إن الأقلية " مجموعة من سكان قطر، أو إقليم أو دولة ما، تخالف الأغلبية في الانتماء العرقي أواللغوي أوالديني، دون أن يعنى ذلك بالضرورة موقفاً سياسياً المفهومين وطبقياً متميزاً " (٣٥) .

وفى تعريفه للأقلية يرى "محمد شفيق غربال" في الموسوعة العربية الميسرة، أنه قد لا يشترط أن تكون الأقلية دائماً من خارج الدولة ، ولكن قد تكون من داخلها فيقول عن الأقلية : "غالبا ما يكون بين رعايا الدولة فئات تنتمي بجنسها أو بلغتها أو بدينها إلى غير ما ينتمي إليه غالبية الرعايا" (٣٦) .

أما "الموسوعة الأمريكية" فقد تناولت مفهوم الأقلية من المنظور الاجتماعي الضيق وأكدت على أنها "جماعات تحتل وضعاً اجتماعياً أدنى من الآخرين الأكثرية ضمن المجتمع نفسه، كما أنها تفتقر إلى السلطة أو الوزن السياسي وتتمتع بحقوق أقل، قياساً بالجماعات ذات الأغلبية في المجتمع" (٣٧) . كما وضعت منظمة المؤتمر الإسلامي تعريفاً للأقلية المسلمة مؤداه أنها " كل جماعة يعتنق أفرادها الإسلام ويعيشون في دولة ليست عضواً في منظمة المؤتمر الإسلامى " (٣٨).

والملاحظ أن الأقلية ليست كما ترى الموسوعة الأمريكية بأنها تحتل وضعاً متدنيا عن الأغلبية ، فالتاريخ المعاصر يثبت – بما لا يدع مجالاً للشك– أن الأقلية اليهودية رغم قلتهما العددية في المجتمع الأمريكي، إلا أن وزنها السياسي أقوى بكثير من الأكثريات المسيحية والإسلامية هناك، كما أن السلطة الحاكمة في معظم البلدان الإفريقية – ذات الأغلبية المسلمة – أقلية نصرانية، وبعض حكام الجمهوريات الإسلامية الروسية لا يزالون من أنصار الحزب الشيوعي السابق ومع ذلك فهم يتقلدون مهام الرئاسة والحكومة وإن كانت الأغلبية مسلمة .

ومع التباين الواضح فى التعريفات في تحديد مفهوم الأقلية أووضع تعريف جامع لها ، إلا أنها ركزت على بعض الجوانب المهمة في تشخيص الأقلية وهى:

- أن الأقلية هي مجموعة أقل عدداً بالنسبة للأكثرية داخل المجتمع أو على مستوى القوميات الأخرى ، وإن كانت الطائفة اليهودية بأمريكا تشذ عن هذه القاعدة.
- أن الأقلية تتمتع بتمايز ثقافي تختلف فيه عن الأكثرية داخل المجتمع وتختلف في واحدة أو أكثر عن الأغلبية ؛ إذ إن الاتفاق قد يكون في نطاق ضيق جداً وقد لا يستمر طويلاً، حيث يكون نتيجة هذا التمايز مزيداً من الحقوق المسلوبة من الأقلية .
- قد تكون الأقلية مجموعات " وافدة "على المجتمع وليست من أصوله السلالية وقــد يأتي ذلك نتيجة الحروب أو الهجرة العادية ويمثلون في هذه الحالة مجتمع (اللاجئين).
- أن الأقلية لا تتمتع بأي وزن سياسي أو اقتصادي داخل المجتمع وتصبح الأمــور كلها في أيدي الأغلبية وقد لا تعترف الدولة بوجود أقليات على أرضها.
- أن الأقلية تحتل وضعاً متدنياً في المجتمع بالمقارنة ببقية السكان، وقد تحرم من الوظائف العليا أو من المناصب الحساسة بالدولة ، وإن كانوا منتمين للدولة ذاتها.
- أن الأقلية ظاهرة " طبيعية " حيث لا يوجد مجتمع في العالم ليس به أقليات وغالباً ما تعاني هذه الأقليات من بطش الأغلبية وسيطرتها على كافة الأمور.
- أن الأقلية – لكونها قليلة العدد – تتعرض للاضطهاد والتعسف من جانب المجموعة الأكثرية بهدف تصفيتها وعدم قبولها من الآخر.
- أن الأقلية قد تعد أجزاءً تابعة داخل مجتمع الدولة التي تنطوي تحت لوائها وليست منفصلة عنه، فقد تكون من نفس أصول الدولة ولكن نظراً لتمايزهم الثقافي عن الأغلبية فهم أقلية وهذا ما ينطبق كلية على الوضع في البلقان والقوقاز.

- أن الأقلية جماعة لا تستطيع أن تكـون أمـة ؛ لأنها تفتقـد إلى هذه الخاصية أو مقومات الدولة وبالتالي تظل كما هي أقلية ، ولو أصبحت في يوم ما أغلبية فالوزن السياسي لا يرتبط بعدد سكان معين.
- أن الأقلية قد تكون أكثرية في العدد ومع ذلك فهي تعامل معاملة الأقلية كما في بعض بلدان إفريقيا لفقدانها الوزن السياسي، حيث إن السلطة وإدارات الحكم والسيطرة في إفريقيا في أيدي الأقلية المسيحية أو الأقلية الوثنية.
- أن الأقلية تسعى دائماً إلى الحصول على حقوقها وقد لا تفكر في الاستقلال أو الانفصال أو تحاول تغيير الوضع القائم وهذا نادراً ما يكون، إلا عند المساس بعقيدتها وهويتها.

وعلى هذا ، فإن القول بأن الأقلية هي :" الجماعة الصغيرة من الناس التي تعيش وسط جماعة أكبر" فيه تبسيط شديد لسببين هامين [٣٩] :

أولهما: أنه يمكن لشعوب ذات أجناس وقوميات وأديان ولغات مختلفة أن تعيش بين أجناس وقوميات وأديان أخرى لعدة أجيال دون أن تقوم بتحديد ذاتها كجماعات متمايزة في خاصية أو عدة خصائص.

ثانيهما: أن الأعداد والأرقام داخل جماعة الأقلية وخارجها لا تحدد أهمية هذه الجماعة، فالمسلمون في الهند يبلغ تعدادهم حوالي (٢٠٠) مليون مسلم ومع ذلك يعدون أقلية وسط الأغلبية البوذية، وخمسة ملايين مسلم في جمهورية البوسنة والهرسك يمثلون أغلبية وسط أقلية صربية وكرواتية حاكمة [٤٠] .

وعلى هذا ، فإن لفظ "أكثرية" لا يعادل الجماعة المسيطرة بمعنى القوة أو النفوذ، كما أن لفظ "أقلية" لا يعني جماعة "تابعة" بصفة مطلقة، إلا أن هذا لا ينفي بالضرورة الدور الذي يلعبه المعيار العددي في الصراع للحصول على السلطة بين الجماعات الإثنية، ومن هنا فليس من المستبعد أن تكون الجماعات الأصغر عدداً في معظم المجتمعات أقليات من الناحية النفسية ، وأن تكون الجماعات الأكبر من الناحية العددية هي الجماعات المسيطرة، مع الوضع في الاعتبار أن السلطة الاجتماعية متغيرة وليست لها صفة الثبات والديمومة[٤١] ؛ إذ إنها لا تعتمد على متغير الكم وحده، كما أشرنا سالفاً، وإنما هناك متغيرات كثيرة أخرى قد يكون منها الموارد الاقتصادية، والتعليم، ودرجة الثقافة، والزعامة والسلطة، والقوة العسكرية، والمهارة التنظيمية ...). فهذه العناصر مجتمعة

وغيرها يمكنها أن تغير من وزن القوة العددية بحيث تصبح الأغلبية العددية أقلية من الناحية النفسية، أو أن تصبح الأقلية العددية أغلبية وهذه ليست قاعدة ثابتة غالباً.

ونخلص من هذا التضارب في المفاهيم إلى أن المفكرين والباحثين بل والموسوعات العلمية والقواميس والمعاجم لم يتمكنوا من وضع تعريف محدد للأقلية،بل إن بعضهم – مثل برهان غليون – وضع تعريفين للأقلية، ولم يصل من خلالهما للمفهوم الأكثر صلاحية لتحديد المعنى، وقد يرجع ذلك التباين في التعريف إلى تعدد اتجاهات واختصاصات الذين تناولوا مفهوم الأقلية ، بالإضافة إلى اختلاف درجة الثقافة بين الباحثين، وكذلك تنوع البيئات التي خرج منها المفهوم، فمفهوم الأقلية في الوطن العربي يختلف عنه في أوربا أو أمريكا، أو حتى في إفريقيا، الأمر الذي دفع الكاتب لأن يضع تصورا لمفهوم الأقلية ، حيث يرى الكاتب أن الأقلية هي: المجموعة من سكان الدولة (أقلية – أكثرية) والتي تتمتع بخصائص ثقافية أو دينية، أو عرقية، أو لغوية تختلف بها عن باقي السكان .

وأرى أن الأقلية قد تصبح أغلبية وزناً، وقد تكون الأكثرية كماً مُهملاً، لا وزن له، وهذا هو المعيار الذي يتناوله الكاتب ، حيث لا ينظر إلى الأقلية كونها مجموعة متناهية في الصغر داخل الدولة فحسب، وإنما من منظور الدور الذي تلعبه الجماعة عموماً داخل الدولة، وعلاقة الأقلية بالأغلبية، وأثر ذلك على عملية الاستقرار السياسي داخل المجتمع وتحديداً الأقليات الإسلامية داخل المجتمعات غير الإسلامية، إلا أن هناك محاولة من بعض الباحثين لتجاوز هذه الصعوبات التي تحول دون التوصل إلى تعريف محدد للأقلية وقد اجتهد الباحثون في محاولة استخلاص بعض المعايير العامة التي تسمح بوضع تصنيف واضح لمفهوم الأقليات.

ثانياً: تصنيف الأقليات الإسلامية في العالم المعاصر

الملاحظ أن تحديد معنى الأقلية قد لا يتطابق كاصطلاح أو مفهوم في كل مكان، وعلى مر العصور، فهو يستلهم الظرف التاريخي السياسي الذي قد يكمن في المطالبة بالمساواة أو الدعوة إلى الاستقلال والانفصال عن الدولة الكبرى، وفي إطار ذلك يمكن تحديد بعض المعايير، التي يمكن من خلالها الوصول إلى المفهوم الأقرب للصواب لماهية الأقليات الإسلامية . وهذه المعايير تتمثل في:

أولا: المعيار العددى:

ويعتبر البعض من المفكرين معيار العدد هو الأساس في تحديد وضع الجماعة داخل إطار الدولة، حيث إن الأقلية تشير من معناها أنها أقل عدداً داخل الدولة، مع أن الدولة قد تضم أكثر من أقلية، وقد تضم الدولة الواحدة أقليتين متكافئتين عدداً من جماعات الأغلبية مثل بلجيكا التي تضم الفالون، والفلاندز.

فمعيار العدد الذي يعنى الحجم النسبي للأقلية داخل المجتمع مع أهميته في تحديد المصطلح، إلا أن الجماعة عندما تكون أقلية داخل المجتمع فإن هذا لا يعنى أنها أقلية بصورة مطلقة، وإنما هي أقلية وفق وضعها السياسي والاجتماعي داخل الدولة ومن هنا تأتى نسبية المفهوم، فالصوماليون مثلا، يعدون أقلية في كل من كينيا وإثيوبيا، في الوقت الذي يمثلون فيه الأكثرية في بلادهم، كما يعتبر البعض أن الدولة التي تزيد نسبة المسلمين فيها عن (٥٠%) من مجموع سكانها تعتبر دولة إسلامية بصرف النظر عن كون دستورها ينص على أن الإسلام دين الدولة الرسمي أم لا ينص[٤٢] ، أما إذا لم يصل عدد المسلمين إلى النصف فيعد المسلمون في هذه الحالة أقلية حتى لو تراوح عددهم (٢٠٠) مليون مسلم كما الحال في الهند[٤٣] .

فمنذ زمن طويل ، والباحثون يتصورون أن مفهوم الأقلية ينصرف أساساً إلى كونه جماعة متناهية في الصغر، أو قليلة العدد تعيش وسط أغلبية تكون السلطة والسيادة من شأنها دون غيرها، إذ إن الأقلية تكون في وضع اجتماعي وسياسي متدني عن وضع الأغلبية المسيطرة دائماً وبالتالي ينبغي أن يكون عدد أفرادها أقل بالمقارنة ببقية السكان الذين يمثلون الأغلبية من بين أفراد المجتمع[٤٤] .

وقد ينتقل الوضع كما هو على الأغلبية في (البانو) الذين يمثلون الأغلبية العددية في جنوب إفريقيا بنسبة (٨٠%) ومع هذا يعدون أقلية، وذلك لتدني وضعهم السياسي والاجتماعي وسوء حالتهم الاقتصادية(٤٥)، وإزاء هذه المتناقضات كان البحث عن معيار آخر نظراً لقصور المعيار العددي في تأصيل مفهوم الأقلية والعيوب التي نسبت إليه والتي تمثلت في:

- إهماله للتفاعلات السياسية بين الجماعات بعضها البعض، وتركيزه على الحجم النسبي للجماعة فقط، دون اهتمام يذكر بالوزن السياسي داخل المجتمع .
- التركيز على إعلاء قيمة العدد في الصراع على السلطة لتحقيق مكاسب ونفوذ عن الطرف الآخر، في الوقت الذي قد تحصل فيه الأقلية على نفس المزايا التي حصلت عليها الأغلبية في مكان آخر، فهذه القاعدة نسبية وليس لها صفة الثبات.

ثانيا:معيار الوزن السياسي:

لا ينظر مؤيدو هذا المعيار إلى الأقلية من منظور أنها الأقل عدداً بقدر ما يضعون في الاعتبار الوزن السياسي والاجتماعي والاقتصادي للأقلية داخل المجتمع، وإن كانت في واقع الأمر قليلة العدد إذا ما قورنت إحصائياً بالأكثرية، ومن هذا المعيار يتبين أن الأقلية تجمع بين واقعها العددي كأقلية وواقعها الذي حصلت عليه داخل المجتمع من الفاعلية السياسية وقدرتها على أن تحتل مكاناً متميزاً في السلطة، والمشاركة في عملية صنع القرار، دون التركيز على كونها الأقل عدداً (٤٦)، فالأقلية قد تتمتع بالمستوى فوق المتوسط مثل اليهود في الولايات المتحدة والصينيين في تايلاند، والصرب في البوسنة والهرسك، والهندوس في كشمير وهم فى ذلك قد لا يكونوا أغلبية عددية .

كما يظهر هذا النموذج بوضوح في إفريقيا، حيث تقوم الطوائف المسيحية الأقلية بالسيطرة سياسياً واجتماعياً واقتصادياً على الأغلبية المسلمة والتي سلبت حقوقها رغم كثرتها العددية، ومع أن معيار الأهمية الاستراتيجية أو السوسيولوجية قد نادى به كثير من الباحثين لكونه يقوم بمعالجة القصور الذي ظهر في المعيار العددي السابق، إلا أن المعيار الكيفي أو الأهمية تعرض هو الأخر للنقد، إذ إن تمييز الأقلية وحصولها على كافة حقوقها السياسية والاقتصادية والاجتماعية ليس قاعدة في دول كثيرة فالأقلية في الكثير

من دول العالم تعاني من الوضع المتدني والتضييق عليها وحرمانها من كافة حقوقها بإستثناء بعض الأقليات كاليهودية والمسيحية في دول عديدة من العالم.

ثالثاً : معيار التكتل الجغرافي :

وتعتبر الأقلية وفق هذا المعيار، جماعة اجتماعية تجمع بين بعضها البعض، مصالح مشتركة، تربط بين من ينتمون إليها، مما يجعلهم في وضع متميز عن بقية أفراد المجتمع ، حيث إن طابع المصلحة هو الذي يتحكم في عملية المشاركة من عدمه [٤٧]، مثل جبهة (مورو) في جنوب الفلبين، وتركز أكثر من (١٠) ملايين مسلم جنوب تايلاند في "فطاني " وقد يستند هذا التمايز إلى اعتبارات خاصة بالدين أو بالعرق أو باللغة.

رابعا : معيار الهوية المشتركة :

ويركز هذا المعيار على الهوية التي تجمع بين فئات أكثر من جماعة بحيث تضمن لهم هذه الهوية التمايز عن باقي سكان الدولة إما باللغة، أو بالدين، أو بالعرق[٤٨] . ويظهر هذا المعيار بوضوح عند تعرض الجماعة لأزمة من الأزمات أو عند وجود خطر يهدد كيانها الاجتماعي أو السياسي داخل الدولة أو حتى خارجها.

فالأقليات الإسلامية في فرنسا تحركت عندما قامت إحدى المدارس بطرد التلميذات المحتجبات تحت زعم أن هذا الزى يخالف المبادئ العلمانية التي تؤمن بها الأغلبية الفرنسية، وتوحدت كل التنظيمات والتيارات والمذاهب الإسلامية للوقوف صفاً واحداً أمام قرار منع التلميذات المحتجبات من دخول المدارس في فرنسا، فالشعور بالهوية الدينية ألغى من الأذهان العصبيات والمذاهب التي يعتنقها البعض من المسلمين هناك، و لم يظهر إلا شعور واحد فقط، ألا وهو رفض فرض الزى الفرنسي بالقوة على التلميذات المسلمات، وأن هذا القرار لا يمس جماعة بذاتها ولكن العقيدة الإسلامية بشكل مباشر[٤٩]. وقد لا يكون لمعيار الهوية أي أهمية إلا في مجتمع الأقليات القومية، أو الأقليات ذات الحجم النسبي الكبير.

خامساً: المعيار الدستورى:

ويقصد به الإعـــلان رسمياً عن أن الدولة إسلامية أو أن دينها الرسمي هـــو الإسلام، أو الاشتراطات في بعض الأحيان بأن يكون رئيس الدولة مسلماً أو يتضمن النص في الدستور على أن الشريعة الإسلامية مصدر أساسي للتشريع في الدولة[٥٠].

وقد تعرض هذا المعيار للنقد أيضاً ، وذلك نظراً لكون قارة مثل إفريقيا تضم دول ذات أغلبية مسلمة ومع ذلك فالحاكم إما أن يكون مسيحيا أو وثنياً أو علمانيا ، وهذا ما ستتعرض له عند تناولنا للوضع السياسي والاجتماعي للأقليات الإسلامية في قـارة إفريقيا، كما أن مسألة أن يكون الدستور نابعاً من الشريعة الإسلامية غير وارد وغـير مطبق هذا البند حتى في الدول الإسلامية ذاتها والتي يحكمها والٍ مسلم وذات أغلبيـة مسلمة.

سادساً: المعيار التنظيمي :

ويقصد به انتماء دولة أو مجموعة من الدول إلى منظمة تحمل أيديولوجية معينة[٥١] مثل منظمة المؤتمر الإسلامي، وقد لا يعنى ذلك أن الدول المنتمية للمنظمة دول إسلامية وعداها مجتمع أقليات مسلمة في دول غير إسلامية، فالمنظمة ما تزال في حالة اضطراب تنظيمي من هذه الناحية حيث توجد دول إفريقية يزيد عددها على الـ (٥٠%) خارج المنظمة ودول أخرى أقل من هذه النسبة الـ (٥٠%) داخل المنظمة وتشارك في فعالية ندواتها ومؤتمراتها، ومثال ذلك تنزانيا يمثل المسلمون فيها (٦٠%) وإثيوبيا (٦٥%) وساحل العاج (٥٥%) وألبانيا (٩٥%)، ومع هذه الكثافة المسلمة الضخمة إلا أن هذه الدول ليست أعضاء في المنظمة.

سابعاً: معيار الانتماء الوطني:

ويقوم هذا المعيار على أن الجماعة الصغيرة المتمايزة والتي ينطبق عليها وصف الأقلية أياً كان تصنيفها بين طوائف الأقليات يشترط فيها أن يكون أفرادها منتمين بالجنسية إلى الدولة التي يعيشون فيها على سبيل الاستقرار والدوام[٥٢] . ومن هنا فإن الأجانب الذين يقيمون على أرض الدولة، ولا ينتمون لها برابطة الجنسية لا يصدق عليهم وصف الأقلية أياً كان عددهم .

والواقع أنه واستناداً إلى هذه المعايير السابق الإشارة إليها خلصت اللجنة الفرعيـة لحقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة إلى وضع تعريف للأقلية وهو " أن الأقلية هـي تلك الجماعات التي لها أصل عرقي ثابت، وتقاليد دينية ولغوية وصفات تختلف بصفة واضحة عن بقية الشعب التي تعيش فيه " ويجب أن يكون عدد هذه الأقليـة كافيـاً

للحفاظ على تقاليدها وخصائصها كما يجب أن تدين بالولاء للدولـة الـتي تتمتـع بجنسيتها " (٥٣) .

ويبدو أنه وعلى الرغم من أهمية المعايير العامة لتصنيف الأقلية، إلا أن هذه المعايير بدون استثناء قد تعرضت للنقد، حيث لا يوجد معيار واحد تم الاتفاق عليه ليكون هو المعيار الذي يؤخذ به دون غيره في تصنيف الأقليات عموما والأقليات الإسلامية على وجه الخصوص ، ويرجع ذلك إلى تباين طرق معالجة قضايا الأقليات ومن ثم تباين الحلول التي توصلوا إليها، إلا أن هناك بعض المحددات التى يجب وضعها في الاعتبار عند تصنيف الأقليات الإسلامية وهى :

- أن يكون عدد الأقلية كافياً نسبياً، فلا يكفى أن توجد مجموعة صغيرة من الأسر أو الجماعات قد تفتقد فيما بينها إلى روح التعاون والمشاركة، وقد لا تشكل فيما بينها أيضاً مجموعة بشرية متميزة.
- يلزم أن يكون بين هؤلاء الأفراد الذين يمثلون (مجتمع الأقلية) روابط مشتركة تجمع بينهم في إطار واحد وتجعل منهم فئة مختلفة عن باقي السكان في خاصية أو في عدة خصائص متعددة.
- وعى الأقلية بدورها في المجتمع والروابط القائمة بين أفرادها وأن يرغبوا في الإبقاء والمحافظة عليها، والشعور الواحد بهويتهم.

ووفق هذه الأطر يتضح أن موضوع الأقليات الإسلامية من الدراسات الجديدة والمهمة، والتي تعد من الأهمية بمكان في ظل المتغيرات الدولية التى أعقبت أحداث الحادي عشر من سبتمبر وسقوط الشيوعية وولادة النظام العالمي الجديد ، والفوران التي تشهده أماكن عديدة من العالم، والمعروف بـــ "يقظة الأقليات".

فالمسلمون في مناطق عديدة من العالم مع أنهم أكثرية إلا أنهم – ما يزالون — يعاملون معاملة الأقلية، بفعل الاتحاد القسرى أو بفعل سيطرة الحزب أو الجيش أو أيديولوجية معينة على زمام الحكم ، وأصبح واقع الأغلبية هو نفسه وضع الأقلية، أما الفكر الإسلامي ومنذ بدايته ، وهو يتعامل مع الأقلية والأغلبية برؤية خاصة ، فقد اعترف الإسلام بوجود "الملل والنحل" داخل المجتمع الإسلامي أي الأقليات والطوائف الدينية

المختلفة وبمشروعية اختلافها مع الأغلبية المسلمة، وأن التطابق فيما بينهما يكاد يكون من المستحيل لاختلاف الدين أو للتمايز بينهم .

وبالتالي لم يقف الإسلام عامة والفكر الإسلامي خاصة عند الاعتراف بوجود الأقليات الدينية غير الإسلامية على أرضه وفقط،بل أفرد لها الكثير من الأحكام والقوانين التي تنظم العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين في المجتمع الإسلامي، هذا على العكس تماماً لما يحدث للمسلمين (الأقلية) في العالم الآن، لذلك فالإسلام هو الدين الوحيد الذي اعترف بالديانات السابقة عليه وأعطى لغير المسلمين حقوقهم الكاملة كما أوصت بذلك الشريعة الإسلامية في نصوصها.

فإذا كانت محنة الأقليات الإسلامية في عالمنا المعاصر واقعاً مريراً ، لا سبيل إلى تجاهله – فضلا عن الجهل به – فإن عدم إحساس المسلمين في المنطقة العربية بل وخارجها بهذا الواقع لا يعنى عدم وجودها [٥٤] ، فالأوضاع الدينية للأقليات يحكمها المبدأ القرآني العام "لا إكراه في الدين" أما الأوضاع المدنية والأحوال الشخصية فتحكمها الشريعة الإسلامية إن هم تحاكموا إليها [٥٥] .

فالإدارة الأمريكية – مثلاً – ومنذ عشر سنوات تحديداً وهى تضع الصراعات الدينية والحروب الأهلية في الدول الإسلامية ضمن أولويات اهتمامها وخاصة في هذه الحقبة من الزمن ، وخصصت لذلك أقساماً علمية وبحثية بالجامعات الأمريكية لدراسة الظاهرة الإسلامية ومدى خطورتها على النظام العالمي الجديد، بعد أن أكدت دراسة " صامويل هنتنجتون " أن الإسلام بل والحضارة الإسلامية هى التحدي الحقيقي للولايات المتحدة في القرن الواحد والعشرين.

وقد زادت حدة الغضب الأمريكي على الإسلام بل وأوربا أيضا من جراء ما قام به "أسامة بن لادن " وتنظيم القاعدة وحكومة طالبان الأفغانية من التفجيرات المروعة التي شهدتها نيويورك وواشنطن في الحادى عشر من سبتمبر (٢٠٠١م) .

ومن هنا نستطيع أن نضع أيدينا على وضع تصور لمفهوم الأقلية المسلمة، وتصبح الأقليات الإسلامية هى: " كل جماعة من المسلمين (أقلية كانت أم أغلبية) مغلوبة على أمرها فهي أقلية ، وإن كانت تشكل في الواقع أكثرية عددية".

وبالتالي يصبح من الخطأ الخلط بين الإسلام والمسلمين، لمجرد اعتداء مجموعة من المسلمين على الولايات المتحدة، حيث يمثل الإسلام العقيدة والشريعة والقانون الخلقي، والمسلمون هم مظهر تطبيق هذا كله على واقع حياة البشر(٥٦) .

وعلى هذا ، فالإسلام ليس مجرد دين، كما أنه ليس دين أسرة، أو عشيرة، أو قبيلة أو حتى شعب من الشعوب، بل دين الناس كافة، وحرص منذ ظهوره على الحفاظ على حقوق الأقليات غير الإسلامية محافظته على عقيدته وشريعته(٥٧) ، فليست كل الشعوب لها أنماط متجانسة وإنما التنوع الثقافي هو القاعدة بحكم الاختلافات بين النظم والعادات والتقاليد التي تسود هذه المجتمعات (٥٨) .

وقد يكون من المؤشرات الدالة على احترام الإسلام لهذا التنوع، احتفاظ الأمم الأخرى غير العربية وغير الإسلامية بلسانها القومي وبثقافتها وعاداتها وتقاليدها وموروثها الحضاري ، وعدم المساس بحقوق أهل الذمة والمعتقدات الأخرى ، حيث ترك الإسلام لهذه الفئات تنظيم أمورهم الداخلية فهم كيان مستقل داخل كيان الأمة الواسع، الذي يجمع تحت لوائه كل الملل والنحل والطوائف غير المسلمة ، واعتبرهم الإسلام جزءاً من نسيجه الديني والقومي .

واستناداً لما سبق نستطيع القول : إن الأقلية تعرف على أنها الجماعة قليلة العدد، وأن لكل قاعدة شواذاً ، فإنه قد تظهر أغلبية في حكم الأقلية والعكس، وإن كان هذا لا يمنع أن تكون للأقلية ما يميزها ويمنحها خصائص وسمات تختلف عن أخرياتها، وأن الأقليات الإسلامية قد تكون ضمن هذه التصنيفات ، وقد تشترك الأقلية المسلمة الواحدة في أكثر من تصنيف . وهذه الأقليات وفقا لنوعها هي :

١- الأقليات اللغوية :

حيث تعد اللغة عماد الأمة، ودرعها الواقي من الغزو، وقد تنتج هذه الأقلية نتيجة عملية المد والجزر التي تعرضت لها دول عديدة من العالم، والتي تؤدى إلى عدم تطابق حدودها الطبيعية وحدود لغاتها الموجودة (٥٩)، ولعل أبرز الأمثلة الدالة على هذه الأقلية " البربر " في بلاد المغرب العربي .

٢- الأقليات العرقية:

لقد كان من ثمار الفكر الأوربي وعصر النهضة الأوربية، أن ظهر بعض المفكرين يقسمون البشر إلى ثلاثة أجناس هي (القوقازية، والمغولية، والزنجية) استناداً إلى عدد من المعايير، أبرزها الوجه والجمجمة، ولون البشرة وشكل الشعر، ومثال ذلك يتطابق مع وضع قبيلة التوتسي في رواندا وبورندى [٦٠] .

٣- أقليات قومية:

حيث أدى التطور الذي طرأ على حدود الدول إلى تواجدها، إما بضم أراض وأقاليم إضافية لها، تسكنها شعوب تنتمي إلى قوميات أخرى، أو بالقوة عن طريق اقتطاع أجزاء من الدولة وعادة ما تخضع هذه الأقليات بالضغط العنيف في الوقت الذي ترفض فيه الأقلية الذوبان في الدولة القومية الأكبر، حيث إن الأقلية القومية تعد ذاتها دولة داخل دولة، لها حقوقها مثل غيرها وكذلك الحق في تقرير مصيرها ، وتتجسد هذه النوعية من الأقليات في إفريقيا، وخاصة في إثيوبيا وأريتريا، والصوماليين في كينيا، والمسلمين الألبان في كوسوفا ، والجمهوريات الإسلامية الروسية وبلاد ما وراء النهر.

٤- أقليات مهاجرة:

وهى تلك الأقلية التي لعبت الهجرة دوراً مهماً في وجودها وإبرازها، حيث قد تأتى هذه الأقلية إما بحثاً عن المال أو البحث عن الثقافة والعلوم المختلفة، أو بحثاً عن الديمقراطية والحريات[٦١] ، وهذه الأقليات الوافدة على الجماعة الأصلية تقوم في البداية بتأكيد هويتها وتعمل على استقرار وضعها، حيث نادراً ما يعود أعضاء هذه الأقلية إلى بلدانهم مرة أخرى، مثال ذلك الآسيويون في إفريقيا، والمسلمون في الولايات المتحدة وأستراليا وكندا، وبلجيكا .

٥- الأقليات الدينية :

وهى تلك الأقليات التي يكون أساس تواجدها الدين، حيث تعتبر الأقليات الدينية واحدة من أقدم الظواهر التي عرفتها البشرية والتي تزامنت مع الديانات السماوية مثل (الإسلام – المسيحية – اليهودية) وكذلك المذاهب والأفكار البشرية مثل البوذية والهندوسية..)، حيث تنصب دراستنا على هذه النوعية من الأقليات وتحديداً الأقليات

الإسلامية، التي يلعب الدين الإسلامي دوراً في جودها ويؤكد على هويتها وانتمائها، في الدول غير الإسلامية.

وتأتى الأقليات الإسلامية اليوم على النحو التالى :

- أقليات إسلامية عاشت تاريخياً بين قوم من الأقوام وظلت أقلية كما هي لأسباب معينة، ويمثل هذا النمط وضع الأقلية المسلمة في (الصين، والهند، وتايلاند).
- تحول الأكثريات إلى أقليات بفعل الاستعمار أو الاتحاد المشروط كجمهوريات آسيا الوسطي ومنطقة البلقان والقوقاز، مقابل تمسك الكثيرين منهم بهويتهم الإسلامية.
- أكثريات إسلامية تحكمها أقليات غير مسلمة (حزب – طائفة) مثل الوضع في أريتريا وإثيوبيا وأوغندا ، فالمسلمون مع أنهم أكثرية عدداً إلا أنهم أقلية وزناً .
- أقليات وافدة لا تحاول الاندماج مع القومية الموجودة، وتلعب دوراً في الحفاظ على هويتها الإسلامية، مثل وضع الأقليات الإسلامية في أستراليا وكندا، وهولندة والسويد حيث تميل هذه الأقليات إلى تأصيل تواجدها في هذه المناطق وترفض الاندماج مع الأقليات الأخرى أو فى الإطار القومى .
- قوميات كانت أكثرية في زمن ما ولكن بالطرد والتشريد والإبادة، تحولت الأغلبية المسلمة إلى أقلية مثل وضع المسلمين في (قبرص– بلغاريا – بورما).

ويلاحظ أن قضايا ومشكلات الأقليات الإسلامية مطروحة بإلحاح شديد فى هذه المرحلة التاريخية تحديدا ، وخاصة فى أعتاب أحداث سبتمبر (٢٠٠١م) وتأثير ذلك على الإسلام والمسلمين فى مختلف دول العالم ، وبالتالى فإن دراسة قضايا ومشكلات الأقليات الإسلامية تحتاج إلى العديد من الدراسات الميدانية ؛ نظراً لأن طبيعة هذه المشكلات ليست واحد فى كل الدول التى تضم أقليات إسلامية بداخلها ، كما تختلف هذه المشكلات من دولة إلى أخرى أو من قارة إلى غيرها ، وهذا ما سنحاول الوقوف عنده التعرض لأوضاع الأقليات المسلمة فى العالم .

هوامش الفصل الأول

(١) عبد الله عامر : التوتر الاجتماعي واضطهاد الأقليات (طرابلس: المركز العالمي لدراسات الكتاب الأخضر، ١٩٨٧م) ص ٩ .

(٢) برهان غليون : المسألة الطائفية ومشكلة الأقليات (القاهرة :دار سينا ١٩٨٨ م) ص ٢٥ .

(٣) نايف عبيد : العولمة والعرب (بيروت: مجلة المستقبل العربي، عدد ٢٢١ يوليو ١٩٩٧م) ص ٣٣ .

(٤) محمد حسنين هيكل : المقالات اليابانية (القاهرة : دار الشروق ، ١٩٩٧ م) ص ٥٣ .

(٥) عبد الله عامر : التوتر الاجتماعي، مرجع سابق، ص ١٢ .

(٦) سعد الدين إبراهيم : الملل والنحل والأعراق (القاهرة : دار سعاد الصباح ، ومركز ابن خلدون للدراسات الإنمائية ، ١٩٩٤م) ص ١٧ .

(٧) سميرة بحر : مدخل لدراسة الأقليات (القاهرة: الأنجلو المصرية ١٩٨٢م) ص٤٦ .

(٨) سعد الدين إبراهيم : تأملات في مسأله الأقليات (القاهرة : مركز ابن خلدون للدراسات الإنمائية، ١٩٩٢م) ص ٧ .

(٩) عبد الرحمن خليفة : أيديولوجية الصراع (الإسكندرية: منشأة المعارف، ٢٠٠١م) ص١٧٠.

(١٠) سميرة بحر : المدخل لدراسة الأقليات، مرجع سابق، ص ٣٧ .

(١١) مصطفى الفقى : تجديد الفكر القومي (القاهرة : دار الشروق ١٩٩٨م) ص٧ .

(١٢) لورانت شابرى : الأقليات فى الشرق الأدنى (القاهرة : مكتبة مدبولى ١٩٩٢م) ص ٧ .

(١٣) برهان غليون : المسألة الطائفية ومشكلة الأقليات، مرجع سابق ، ص ٥ .

(١٤) عبد السلام البغدادي: الوحدة الوطنية ومشكلات الأقليات في إفريقيا (بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٩٣م) ص ٩٣ .

(١٥) لورانت شابرى : سياسة وأقليات في الشرق الأدنى، مرجع سابق، ص ٩ .

(١٦) نصر مهنا وجلال يحيى : مشكلات الأقليات في الوطن العربي (القاهرة : دار المعارف ١٩٨٠م) ص ٦ .

(١٧) محمد عمارة : الغزو الفكري (القاهرة : دار الشروق ١٩٩٧م) ص ١٤٣ .

(١٨) صابر طعيمة : محنة الأقليات الإسلامية والواجب نحوها (بيروت : دار الجيل، ١٩٨٨م) ص ٩ .

(١٩) سعد الدين إبراهيم : تأملات في المسالة الأقليات، مرجع سابق ، ص ١٨ .

(٢٠) وليم قلادة : الأقليات(القاهرة: السياسة الدولية ، عدد ٩٢ أبريل ١٩٩٨م) ص ٢٨١ .

(21) LINTON Ralph. The science of man in the world crisis: Colombia 1995 p – 347.

(٢٢) لورانت شابرى : سياسة وأقليات في الشرق الأدنى، مرجع سابق ، ص ٦ .

(٢٣) مجدى الداغر : مقابلة غير منشورة مع الدكتور أحمد العسال نائب رئيس الجامعة الإسلامية بباكستان بمنزله بحى المعادى في ١٩/٥/١٩٩٨م) .

(٢٤) ريور. يسوف : السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط (سوريا: دار دمشق للطباعة ١٩٩٥م) ص ٤٩ .

(٢٥) تيد روبرت جار : أقليات في خطر (القاهرة : مكتبة مدبولى، ١٩٩٥م) ص ٤٤٨ .

(٢٦) عبد الله عامر : التوتر الاجتماعي واضطهاد الأقليات، مرجع سابق ، ص ١٤.

(٢٧) عبد السلام البغدادي : الوحدة الوطنية ومشكلة الأقليات، مرجع سابق ، ص ٧٧ .

(٢٨) محمد عمارة : العرب يستيقظون (القاهرة : دار الوحدة، ١٩٨١م) ص١ .

(٢٩) برهان غليون : المسألة الطائفية ومشكلة الأقليات، مرجع سابق ، ص ٢١ .

(٣٠) سموحى فوق العادة : معجم الدبلوماسية (بيروت: دار الجيل ١٩٦٨م) ص ٢٦٧ .

(٣١) أحمـــد عطية : القامـــوس السياسي (القاهرة : دار النهضة العربية، ١٩٦٨م) ص ٩٦ .

(٣٢) عاطف غيث : قاموس علم الاجتماع (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧م) ص ٢٩٠ .

(33) Webstar. Third Einternational Ictionary Of The English Longuge Spring – Field .Mass.G And C.merrion 1996 Vol.LL P.440.

(٣٤) أحمد سويلم العمرى : معجم العلوم السياسية الميسرة (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥م) ص ٢١٥ .

(٣٥) عبد الوهاب الكيال : موسوعة السياسة (بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٧٩م) ص ٢٤٤ .

(٣٦) شفيق غربال : الموسوعة العربية الميسرة (القـــاهرة : دار الشـــعبين للطباعـــة ١٩٧٢م) ص ١٨٥ .

(37) Encyclopedia America . VOL 2 (New York Corporation . 1979, P 207 .

(٣٨) محمـــد السيد سليم : منظمة المؤتمر الإسلامى، السياسة الدولية، مرجع سابق، ص ٣١ .

(٣٩) سميرة بحر : مدخل لدراسة الأقليات، مرجع سابق ، ص ١٣، ١٤ .

(٤٠) محمـــد على ضناوى: الأقليات الإسلامية في العالم الإسلامى، مرجع ســـابق ، ص٣ .

(٤١) عبـــد السلام البغدادي : الوحدة الوطنية ومشكلات الأقليات، مرجع سابق ، ص ٨٢ .

(٤٢) عـــادل يونس : العالم الإسلامى اليـــوم (القاهرة : دار ابن ســـينا، ١٩٩٠م) ص ١٢ .

(٤٣) أحمد الرشيدى : منظمة المؤتمر الإسـلامى (مركـز البحـوث والدراسـات السياسية، جامعة القاهرة، ١٩٩٧) ص ١٣٩ .

(44) David Sillsed : Interntional Encyclopedia Of The Social Scince. VOL 17 New York Macmillon 1968. P. 365 .

(٤٥) عبد السلام البغدادى : الوحدة الوطنية ومشكلات الأقليات، مرجع سابق ، ص ٩٣ .

(٤٦) س . لويد : إفريقيا في عصر التحول الاجتماعي (الكويت: عالم المعرفة، عـدد (٢٨) ١٩٩٠) ص ٣٤٥ .

(47)The New Encyclopedia , Op . Cit . P, 261.

(٤٨) عبد السلام البغدادى : الوحدة الوطنية ومشكلات الأقليات ، مرجع سـابق ، ص ٨٨ .

(٤٩) محمد على ضناوى : الأقليات الإسلامية فى العالم ،مرجع سابق ، ص ٧٨ .

(٥٠) عادل يونس : العالم الإسلامى اليوم ، مرجع سابق ، ص ١٦ .

(٥١) نيفين مسعد : الأقليات والاستقرار السياسي، مرجع سابق ، ص ٧٥ .

(٥٢) أحمد الرشيدى : منظمة المؤتمر الإسلامى، مرجع سابق ص ١٤٠ .

(٥٣) عبد السلام البغـدادي : الوحدة الوطنية ومشكلات الأقليات، مرجع سابق ، ص ٩١ .

(٥٤) محمد عبد الله السمان : محنة الأقليات المسلمة في العالم (القاهرة : دار الاعتصام ١٩٨٩م) ، ص ١٥ .

(٥٥) محمد الغـزالي : حقوق الإنسان في الإسلام (القاهرة : دار الدعوة ١٩٩٢م) ، ص ٢٥١ .

(٥٦) حسين مؤنس : عالم الإسلام (القاهرة : دار الزهراء للإعلام العربي ١٩٨٩م) ، ص ٩٥ .

(٥٧) صبري البياتى : العروبة بين الخطابين القومي والديني (بيروت : المستقبل العربي عدد (٣٣٣) ١٩٩٨م) ، ص ٤٦ .

(٥٨) إبراهيم مدكور : معجم العلوم الاجتماعية (الهيئة المصرية للكتاب ١٩٧٥م) ، ص ١٨٨ .

(٥٩) عبد السلام البغدادي : الوحدة الوطنية ومشكلات الأقليات، مرجع سابق ، ص ٩٦ .

(٦٠) رياض عـــزيز : المشكلات السياسية في العالم الثالث (العـــراق: مطبوعـــات جامعة بغداد ١٩٨٩م) ، ص ٤٢٩ .

(٦١) سعد الدين إبراهيم : تأملات في مسألة الأقليات، مرجع سابق ، ص ٤٤ .

الفصل الثانى

أحوال الأقليات والجاليات الإسلامية فى قارة إفريقيا

قبل وبعد أحداث ١١ سبتمبر (٢٠٠١م)

الفصل الثانى

أحوال الأقليات والجاليات الإسلامية فى قارة إفريقيا

قبل وبعد أحداث ١١ سبتمبر (٢٠٠١م)

مدخل

على الرغم من الاهتمام الإعلامي المتزايد مؤخراً بقضايا ومشكلات الأقليات الإسلامية في مناطق عديدة من العالم عن فترة ما قبل التسعينيات وتحديداً بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر بالولايات المتحدة ؛ فإن الواقع يشير إلى عدم وجود إحصائية مؤكدة عن تعداد الأقليات في أي دولة (إسلامية أو غير إسلامية) ربما نظراً لحساسية المسألة الدينية عند الطرفين (أغلبية وأقلية) وقد يرجع ذلك إلى أسباب ظاهرية منها [1]:

- اختلاف الباحثين في تحديد مفهوم الأقلية، وهل تصنيف الدولة الإسلامية يقوم على أساس دستورها ، أو على أساس القانون المعمول به داخـــل الدولة، أو من خلال الحكومة القائمة على شؤونها، أو بعدد السكان، فإذا كان أغلبيتهم من المسلمين أصبحت دولة إسلامية ، وإن كانوا أقل من النصف فهم أقليـــة، بل السؤال الذي يطرح نفسه : كم تمثل نسبة الأغلبية وكذلك الأقلية ؟
- رفض الكثير من الدول الأوربية والإفريقية أيضاً إجراء أي إحصاء على سكانها يقوم على أساس ديني، في الوقت الذي لا توجد أية محظورات على إجراء نفس عمليات الإحصاء على أساس عرقي أو قبائلي أو مهني .
- الشك في تقدير الدول الأوربية بالنسبة لعدد الأقليات المسلمة ، فمنهم من يبالغون في تضخيم عددهم ليكونوا هدفاً للجماعات الدينية المنافسة ، أو من جانب الأغلبية التي عادة ما تعتنق ديناً يخالف دين الأقلية ، ويظهر التمايز فيما بينهم، كما أن هناك من بعض الدول الأوربية ، الأخرى من تميل إلى التقليل من عددهم حتى لا تشعر الأقلية المسلمة بحقيقة عددهم ، وبالتالي لا يطالبون بمزيد من الحقوق وخاصة الدينية والسياسية منها.

- لجوء كثير من المسلمين في العديد من الدول الإفريقية والأوربية إلى تبديل أسمائهم بأخرى مسيحية طمعا في الحصول على فرصة عمل أو الحصول على مزيد من الحقوق الاجتماعية والسياسية التي قد يفقدها بانتمائه للإسلام ، ومن هنا يصعب تحديد عدد المسلمين من هذه الناحية ، كما أن بعض الذين يعتنقون الإسلام حديثا لا يحبذون تغيير أسمائهم التى ظلوا عليها اعتزازا بالقديم منه ، وإن كان المسمى يهوديا أو مسيحيا.
- اختلاف وتباين تقارير المراكز الإسلامية عند تقدير عدد سكان الأقليات المسلمة في العالم نظرا لحرص كل جماعة أو طائفة دينية على إحصاء من ينتمون إليها فقط، أما المسلمون الآخرون فهم خارج عمليات التقدير السكاني، ويظهر ذلك بوضوح بين الشيعة – والسنة (٢) .
- أن أكثر الجماعات والأقليات المسلمة توجد في دول لا تكاد تهتم أصلا بإعداد إحصاءات دقيقة عن هذه الفئات وخاصة فيما يتعلق بعدد السكان وتصنيفاتهم الدينية والعرقية (٣) .

وإزاء هذه الاختلافات والتباينات في عدم الوصول إلى التقدير الحقيقي لحجم الأقليات الإسلامية في الخارج،سيقوم الكتاب باستخدام بعض المحاور المساعدة حتى يمكن من خلالها الوقوف على طبيعة قضايا الأقليات المسلمة ومشكلاتهم في العالم وتقديراتهم النسبية وهي :

- **البعد الجغرافي** : ويشتمل على خصائص البيئة التي تعيش فيها الأقلية المسلمة، وموقعها والمناخ السائد فيها ، ودرجة الحرية التي تحظى بها في المجتمع.
- **البعد التاريخي**: ويضم الإطار الزمني للأقلية، متمثلا في بدايات دخول الإسلام وظروف تكوين مجتمع الأقلية داخل النسيج القومي للدولة، ووضع الدين داخل الدولة.
- **البعد السكاني**: ويعنى حجم السكان وتوزيعهم ، وهجراتهم المختلفة ، والأسباب التي دعت إلى هذه الهجرة، والمشكلات التي قد تنجم عن نزوح اللاجئين من دولة لأخرى.

- **البعد الاقتصادي:** ويمثل مدى مساهمة الأقلية في استغلال الموارد،وفرص الاستثمار ونوعية المهن، والأنشطة الاقتصادية والتجارية المختلفة.
- **البعد السياسي:** ويمثل توزيع السلطة في الأقلية المسلمة والوزن السياسي وسط مجتمع الأغلبية ومدى الحرية الممنوحة لتكوين الأحزاب،والتنظيمات السياسية.
- **البعد الاجتماعي:** ويشتمل على عنصرين أساسين هما: الثقافة وتضم اللغة والعادات ، والتقاليد التي تتميز بها الأقلية عن الأغلبية، والسمات المميزة لكل أقلية، والمؤسسات: وهى التي يتجسد فيها الموروث الثقافي الذي يتكون على مدار سنوات طويلة عند الإقامة في الدول غير الإسلامية، من جمعيات ومنظمات وهيئات ونواد وغيرها.
- **البعد النفسي:** ويطلقون عليه البعد الهوياتى (أي الهوية الدينية) للأقلية ويضم الإدراك، والدوافع والسلوك تجاه الأديان والمعتقدات الأخرى.
- **البعد الديني:** وهو يتضمن الدور الذي يلعبه الدين داخل الدولة القومية مقارنة بالأديان والمعتقدات الأخرى، من طقوس تعبدية وسلوكيات وتطبيق عملي لآليات هذا الدين.
- **البعد الإحصائي:** ويعنى أماكن تواجد الأقليات والعدد الإحصائي لهم وما يمثلون عدديا داخل الدولة مقارنة بالقوميات والأقليات الأخرى.
- **البعد الإعلامي:** ويضم عدد الصحف المسموح بها، وحرية التعبير الممنوحة للأنشطة الإعلامية الأخرى التي تقوم بها الأقليات المسلمة مقارنة بالأنشطة التي يقوم بها أصحاب المعتقدات الأخرى.

ومن تلك المحاور السابق ذكرها يتضح أن دراسة قضايا الأقليات ومشكلاتهم مسألة تضم في جنباتها الكثير من الصعوبات، وتحديدا عند تناول الوضع السياسي والاجتماعي للأقليات الإسلامية في العالم بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر بالولايات المتحدة الأمريكية، والافتقار إلى أطر مرجعية تعكس حجمها الحقيقي، وتساعدها على تحقيق أهدافها، سواء ما تعلق منها بتحسين شروط الاندماج في المجتمعات الأوروبية أو في الدفاع عن شخصيتها وتمايزها الثقافي والديني خاصة

وأن المجتمع الغربي ما يزال حتى الآن ينظر إلى الأديان من منظور أنها ظاهرة اجتماعية ومرحلة وسطى بين مرحلتين، فهي تلت مرحلة الوثنية ثم جاءت مرحلة العلم .

وعلى هذا فإن الشعوب لكي تتقدم – من وجهة نظر الغرب – يجب أن تتخلى عن الدين، أو أقلها إبعاده عن المسائل والشؤون السياسية للدول ، وأن تدين دول العالم بالمذهب العلماني مع أن غالبية دول العالم تعاني من مشكلات الأقليات والتي يتفرع منها مشكلات عديدة منها : عدم احترام حقوق الإنسان والمواطنة، والتوزيع غير العادل للثروات والتمييز في المناصب السياسية والإدارية واحتكارها لقومية واحدة أو عرق واحد، الأمر الذي يلقى بظلاله ليس فقط على مستوى القرارات التي تصدرها المنظمات الدولية وإنما على مستوى العلاقات الثنائية والجماعية بين الدول بعضها البعض وإن شئنا الدقة بين الأقلية والأغلبية.

ومن هنا يأتي موضوع تناول الوضع السياسي والاجتماعي للأقليات الإسلامية في العالم من الأهمية بمكان ، للوقوف عند أهم القضايا والمشكلات التي تتعرض لها هذه الفئة من المسلمين، مع الإشارة إلى نماذج حية عن الوضع الحقيقي لهذه الأقليات، هذا بجانب إضفاء مزيد من التفصيل حول بعض القضايا الساخنة التي ما تزال مشتعلة إلى الآن، وخاصة في منطقة البلقان، وشمال القوقاز ، وآسيا الوسطى ، وإقليم كشمير، قبرص، إرتيريا، إثيوبيا).

كما يستهدف هذا الجزء تحديدا الوقوف على حصر الأقليات الإسلامية من حيث أماكن تواجدها، وعددها (التقريبي) ،وكذلك دراسة الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية لهؤلاء المسلمين ومدى تمتعهم بكامل الحقوق المدنية باعتبارهم امتدادا طبيعيا للأمة الإسلامية في الغرب ، وعلى هذا تنقسم الأقليات الإسلامية في بلدان العالم اليوم إلى:

- **أقليات إسلامية كبيرة:** ويعيشون – على الرغم من كثرتهم – مثل الأقلية، وذلك واضح في النموذج الذى ستشير إليه الدراسة عند تناولها للوضع السياسي والاجتماعي للأقليات المسلمة في معظم دول إفريقيا وبعض دول آسيا وأوربا.

- **أقليات إسلاميـــة في مجتمع أكثر عدداً** : وهى التي تزيد نسبة المسلمين بها عن الـــ (٢٥%) أي ربع السكان الذين يعيشون في الدولة، والنماذج عديدة في قارة أوربا وآسيا.
- **أقليات إسلامية صغيرة**: وهى التي تقل فى تقديرنا عن الـــ (٢٥%) أي أقل من ربع سكان الدولة وقد تصل إلى (٠,٠١%) أي عشر في المائة من عدد السكان، وقد تقل عن ذلك في بعض الأحيان والنماذج على هذه النوعية تكاد تظهر بوضوح في بعض دول الأمريكتين والقارة الأوربية وجنوب إفريقيا.

وتأسيساً على ذلك يتم تناول الوضع السياسى والاجتماعى للأقليات الإسلامية فى العالم قبل وبعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر (٢٠٠١م) ، مع التركيز على النماذج الصارخة والتى تعانى فيها الأقليات المسلمة من العنف والاضطهاد والتضييق على ممارسة حقوقهم المشروعة - كأقلية تعيش داخل النسيج القومى للدولة - ويشمل هذا الجزء من الكتاب قضايا ومشكلات المسلمين فى العالم.

أوضاع الأقليات الإسلامية فى إفريقيا
قبل وبعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر(٢٠٠١ م)

تتعرض القارة الإسلامية السوداء لغزو رهيب يستهدف اقتلاع واستئصال الإسلام منها، ابتداء من حزب العقيدة، وحرب الفكر ، وأخيراً إلى حرب التشريد والطرد والإبادة، فقد استغل المبشرون فرصة ما تتعرض له إفريقيا من جفاف بعد أن توقفت الأمطار عن الهطول سنوات متتالية، مع زحف كثبان الرمال لتغطى الأراضي المستصلحة للزراعة، انتهزوا هذا وذلك ليقدموا المساعدات والأطعمة المقرونة بالدعوة إلى اعتناق المسيحية، على اعتبار أنه دين إغاثة الملهوف، وإطعام الجائع، وتجاوزوا ذلك إلى إقامة المدارس والجامعات والمستشفيات، في الوقت الذي تقاعست فيه الحكومات العربية والإسلامية عن مناصرة إخوانهم في الدين والعقيدة على المستوى السياسي من ناحية، والمستوى الإعلامي من ناحية أخرى، فلا يكاد يعرف المسلم عن إفريقيا غير أخبار المجاعة والجوع الذي يعصف بالملايين من المسلمين، أما وضع الأقليات الإسلامية في القارة المسلمة فلا يكاد الإعلام العربي يذكرها في خطاباته اليومية ، حتى تحولت الأغلبية المسلمة في القارة الإفريقية إلى أقلية ، من حيث قلة النفوذ وضياع السلطة وتهميش الوزن السياسي، رغم أنها تعد قارة مسلمة نظراً لكون غالبيتها من المسلمين، ولكن هذا العدد الضخم يمثل أقلية وذلك نظراً لوجود مصالح بلدان القارة في أيدي الأقلية غير المسلمة من حكام وحكومات ، ونفوذ وإصدار قرارات.

الموقع وعدد السكان :

قارة إفريقيا هي ثاني قارات العالم مساحة، إذ تبلغ مساحتها نحو (٢٩) مليون كم٢ وتضم (٢٥) دولة إسلامية يسكنها (٣١١,٥) مليون مسلم، كما تضم (٢٥) دولة غير إسلامية ويبلغ عدد سكانها المسلمين نحو (١٨٠) مليونا، وهؤلاء المسلمون جميعاً، أغلبيات وأقليات مسلمة يمثلون نحو (٣٥,١%) من مجموع المسلمين في العالم حسب إحصائية منظمة المؤتمر الإسلامي (لعام ٢٠٠٠م) .

وتمتاز قارة إفريقيا بموقعها الإستراتيجي المهم، فهي تربط بين قارات العالم القديم، آسيا وإفريقيا وأوربا كما تشرف على المحيطين الأطلنطي والهندي، والبحر الأحمر والمتوسط، وبالتالي فهي تسيطر على طرق التجارة العالمية، هذا بجانب ما تتمتع به من ثروات طبيعية ومعدنية كبيرة (٤) .

الواضح أنه كان لدخول الإسلام قارة إفريقيا أثره الكبير في بناء تاريخها ذلك أن العرب المسلمين هم الذين حملوا مشاعل الإسلام وطبقوا تعاليمه السمحة من نبذ نظرية تفوق بعض الأجناس والأعراق على البعض الآخر ، حيث أشار القرآن الكريم في آياته فقال :﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [الحجرات:١٢] واختلطت الأنساب بين المسلمين (عرباً وأفارقة) واختلطت الأنساب بينهم وتزاوجوا ، فضلا عن ارتحال العديد من القبائل العربية إلى الصحراء الكبرى ، وربطت بين الأفارقة في شمال القارة، ووسطها ، وشرقها ، وغربها ، حتى أصبح تعداد المسلمين في القارة الإفريقية يوازى ثلث سكان القارة (٥) حسب بعض الإحصائيات الأوربية .

إن إفريقيا عدديا هي القارة المسلمة التي لو اهتمت دول العالم الإسلامي الكبرى بنشر الإسلام في ربوعها، لتحول (٩٠%) من سكانها إلى الدين الإسلامي، وتوقف نشاط الهيئات والجمعيات والمنظمات التبشيرية المسيحية – التي ما تزال تعمل بكل طاقاتها المادية – والدعوية لتحويل القارة إلى قارة تدين أغلبيتها بالمسيحية وألوهية المسيح عليه السلام (٦) .

ومع أن هذه المميزات جميعها تتناقض مع الوضع السياسي والاجتماعي الحالي للقارة ، إلا أن الثابت أن حملات التنصير تنشط بصورة واضحة وسط التجمعات الإسلامية في ظل ما يعيشه المسلمون الأفارقة من فقر، ومجاعة، وطرد، وإبادة، وصراعات قبلية لا تتوقف.

وقد أشارت العديد من المنظمات الإسلامية إلى أن المسلمين في إفريقيا – وتحديداً في معظم البلدان ذات الأغلبية المسلمة – يموتون من العطش، نظراً لنقص المياه ، والموتى لا يجدون من يدفنهم، فتترك أجسادهم وأشلاؤهم في العراء لتلتهمها الطيور الجارحة، حتى أن لجان الإغاثة الدولية من منظمة الصليب الأحمر عندما وصلت إلى تلك المناطق النائية بإفريقيا، قال المسنون من المسلمين الأفارقة لرجال الإغاثة : " نحن

نعلم أنكم لن تقدموا لنا ما نعيش به لفترة طويلة وكل ما نطلبه منكم أن تحفروا لنا قبوراً قبل أن تغادروا بلادنا " .

وأحدثت هذه العبارة دوياً كبيراً في أوساط المنظمات التبشيرية الأوربية، وأسرعت لتقدم لهذه التجمعات الطعام والشراب وما يحتاجون إليه من ملابس وأغطية مع منحهم نسخة هدية من الإنجيل المقدس ، باسم يسوع المسيح (٧) ، مما دفع الكثير من المسلمين فى تلك المناطق إلى اعتناق المسيحية التى وفرت لهم كل ما يحتاجون إليه من أمور الدنيا من مأكل ومشرب وكساء وأموال .

الإسلام يقتحم القارة السوداء :

يذكر التاريخ أن العرب أقاموا مع الأفارقة علاقات تجارية قبل ظهور الإسلام وخاصة بين سكان الساحل الجنوبي لشبه الجزيرة العربية،وبين الساحل الشرقي لإفريقيا، وقد واكب هذا النشاط،والرواج التجاري توطيد العلاقات بين القبائل العربية والحبشة ودول القرن الإفريقي،وساحل المحيط الهندي لذلك جاء انتشار الإسلام في شرق إفريقيا أسرع من معدلات انتشاره في أي مكان آخر في القارة.

والملاحظ أن الإسلام انتشر في إفريقيا بتأثير الفتح العربي الإسلامي الذي امتد من مصر إلى المغرب، ومنها إلى بقية أجزاء القارة – وبخاصة شرقها – وعلى امتداد المنطقة الساحلية من الصومال حتى جنوب إفريقيا، ثم إلى قلب القارة ومناطقها الداخلية، نتيجة لجهود التجار المسلمين، وانتشر الإسلام بنفس الطريقة تقريباً في غرب إفريقيا حيث عبر التجار المسلمون من شمال إفريقيا إلى تونس والمغرب سالكين طرق القوافل الصحراوية إلى إقليم السودان الغربي من نيجيريا والكاميرون في الشرق حتى السنغال في الغرب، وأسس المسلمون في هذه الأجزاء كثيراً من الممالك والإمارات التي ازدهرت في العصر الوسيط، ويشكل المسلمون العرب في إفريقيا نحو (٤٨%) من جملة المسلمين في القارة الإفريقية، بينما لا تزيد نسبة المسلمين العرب عن (٩%) من جملة المسلمين في آسيا بما يعني أن القارة الإفريقية تضم من العرب المسلمين نسبة أكبر مما تضم القارة الآسيوية (٨).

ويشكل المسلمون في إفريقيا السوداء، أو بين الشعوب التي تنتمي إلى السلالة الزنجية نسبة كبيرة من سكان هذه الشعوب، وقد أصبحت بعض اللغات التي يتحدث بها السكان في كثير من هذه الأقطار متأثرة باللغة العربية بشكل كبير مثل اللغة السواحلية في شرق إفريقيا والهوسا والفولاني في غربها، هذا فضلاً عن لغات الطوارق في الصحراء الكبرى، وقد أخذت كثيراً من هذه اللغات أبجديتها عن الحروف العربية، وأن نسبة كبيرة من مفردات هذه اللغات ترجع إلى أصول عربية.

وحاول الاستعمار الأوربي الذي استوطن دول القارة لسنوات طويلة كثيراً أثناء محاربته للإسلام أن يقضي على اللغة التي يتحدث بها المسلمون هناك، واستطاع في كثير من البلدان الإفريقية أن يغير من حروف الكتابة العربية إلى اللاتينية، كما حدث في تركيا بمجرد سقوط الخلافة الإسلامية وظهور كمال الدين أتاتورك، ولعبت الطرق الصوفية دوراً مهماً وريادياً في نشر الإسلام في القارة الإفريقية، وتصحيح العقيدة بعد أن مارس السكان المسلمون بعض العادات الوثنية التي اختلطت بالمثل والقيم الإسلامية بجانب ثوراتهم المتعددة ضد الاستعمار، والغزو الأوربي الذي سعى جاهداً للاستيلاء على ثروات البلدان الإفريقية، والقضاء على رموز الحضارة الإسلامية هناك، من مساجد، وكتاتيب، ومعاهد ومدارس إسلامية.

كما كان للأزهر الشريف في مصر دورٌ مهم هو الآخر في نشر الإسلام في القارة الإفريقية، وقام بدعم المراكز الإسلامية في الصومال، والسودان، وجيبوتي، والسنغال وجزر القمر، وتشاد، وليبيا، وإريتريا، ونيجيريا، وغانا، ومناطق الأقليات الإسلامية في القارة، ولكن على ما يبدو أن توزيع المسلمين في القارة الإفريقية جاء على نسب متفاوتة، حيث إن المسلمين في شرق القارة ليسوا كمن سواهم في غربها، وأن مسلمي إفريقيا في الشمال ليسوا في عاداتهم ولا تعدادهم كمن يقطنون جنوب القارة ويمكن تقسيم هذه المجموعات على النحو التالي:

- دول ترتفع نسبة المسلمين فيها إلى أكثر من (٨٠%) من مجموع السكان وتضم في المعتاد الدول العربية في شمال إفريقيا وشرقها ، وكذلك جمهورية مالي والسنغال والنيجر، وجيبوتي، وجمبيا.

- دول تزيد نسبة المسلمين فيها على (٧٥%) من مجموع السكان وهي دول الاستبس الصحراوية مثل تشاد، ونيجيريا، وغينيا.
- دول تضم أقليات إسلامية كبيرة تتراوح ما بين (٥٠%- ٦٠%) من مجموع السكان مثل : ليبيريا ، ومالاوي، وتترانيا، وإثيوبيا وساحل العاج، والكاميرون، وجزر موريشيوس .
- دول بها أقليات إسلامية قليلة تصل (١٥%) من مجموع سكان الدولة مثل : رواندا، وبتسوانا، وجنوب إفريقيا ، وليسوتو، وسوازيلند ، والكونغو ، وزائير(٩) .

أما الوثنيون فيبلغ تعدادهم في قارة إفريقيا نحو (١١٨) مليوناً، ورغم هذا العدد الضخم من غير المسلمين، أو حتى من المؤمنين بالأديان الأخرى، إلا أن القارة ما يزال يطلق عليها القارة الإسلامية، بجانب أن (٨٥,٥%) مليون مسلم يعيشون كأقليات مسلمة في (٣٤) دولة وجزيرة في إفريقيا.

وحسب ما تشير إليه المنظمات الإسلامية في إفريقيا، يبلغ إجمالي عدد المسلمين في القارة حوالي (٤١٩,٥) مليون مسلم من مجموع سكان القارة البالغ (٦٩٢) مليونا أي أن نسبة (٦٠%) من سكان القارة من المسلمين(١٠) .

وعلى هذا فإن الجماعة الإسلامية والتي تمثل أغلبية في دولها قد تصبح في وضع الأقلية المستضعفة وذلك نظراً لامتلاك بعض المنصرين والمبشرين زمام الحكم والسلطة في هذه البلدان مع أن سكانها يمثلون أغلبية مسلمة، وهذا بالطبع قد يخالف القاعدة التي أجمع عليها السياسيون والخبراء من أن المشاركة السياسية هي الوسيلة الوحيدة للاستقرار السياسي داخل الدول، ولكن الواضح للعيان، أن لكل قاعدة شواذ ، وأن وضع الأغلبية المسلمة قد يصبح أقلية من حيث الوزن السياسي وامتلاك السلطة بهذه القارة كما أشرنا سابقاً .

التوسع الإسلامي في إفريقيا :

بدأ الإسلام في الانتشار والتوسع في مصر، وفى شمال إفريقيا في القرن السابع الميلادي، ثم امتد الإسلام إلى الجنوب فانتشر في السودان في غضون القرنين (١٤،١٣) الميلاديين ، كما انتشر الإسلام في غرب إفريقيا نحو الجنوب موازياً لساحل المحيط الأطلسي ثم متجهاً إلى الشرق جنوب الصحراء الكبرى الإفريقية إلى شمال إقليم السافانا حتى تقابل مع المحور

النيلي في منطقة (بانجى) قرب بحيرة " تشاد " في القرن الـــ (١٣) مكونا دائرة كبرى تضم الدول الإسلامية الحالية، وفى خلال القرن الرابع عشـــر، بدأ انتشـــاره في إقليمي السافانا، والغابات المدارية، حتى أن الإسلام في إفريقيا المدارية يطلق عليه البعض "المسلمين السود " أو المسلمين البانتو أو الإسلام المدارى.

أما الساحل الشرقي لإفريقيا أو ساحل الزنج، فقد انتشر فيه الإسلام منذ القرن العاشر الميلادي وأخذ يتسع غربا حتى القرن الـــ (١٤) الميلادي وبعد ذلك كان التوسع في انتشار الإسلام بطيئا ولكنه لم يتوقف حتى الآن ، ولعبت الجامعات الهندية دورا مهما في نشر الإسلام في جنوب القارة ، أما انتشار الإسلام في غرب إفريقيا فكان نتيجة العلاقات التجارية وطرق القوافل بين الساحل الإفريقي للبحر المتوسط، وبين إقليم السافانا قريبا من خليج غينيا نحو الجنوب.

والجدول التالي يوضح تعداد الأقليات الإسلامية في القارة الإفريقية ، وفق آخر الإحصائيات عام (٢٠٠٠م) [١١] .

الأقليات الإسلامية في الدول الإفريقية

الدولة	عدد الأقليات المسلمة	النسبة المئوية
ليبيريا	٢,٠٠٠,٠٠٠	%٣٥
غانا	٥,٢٢٥,٥٠٠	%٣٠
غينيا الاستوائية	٣٠٥,٠٠٠	%٣٥
ساحل العاج	٣,٨٨٥,٠٠٠	%٢٥
توجو	٦٥٣,٠٠٠	%١٧
بوروندى	٧٥,٠٠٠	%٧
رواندا	٧٦٠,٠٠٠	%١١
زائير	٤,٤٠٠,٠٠٠	%١٥
الكونغو	٧٥,٠٠٠	%٩
إفريقيا الوسطى	٨٥٠,٠٠٠	%١٥
زامبيا	٣,٠٠٠,٠٠٠	%٣٠
زيمبابوى	٩٨,٦٩٠	%٦
سوازيلند	٥٠,٠٠٠	%٨
ليسوتو	١٨٠,٩٠٠	%١١
بتسوانا	٩٢,٠٠٠	%٨
أنجولا	١٧٧,٠٠٠	%١٨
ناميبيا	٩٦,٢٥٠	%٦
جنوب إفريقيا	٢,٠٠٠,٠٠٠	%٦
جزر أزور	٢٠,٥٠٠	%٩
ماديرا	٥٠,٠٠٠	%١١
جزر الكناري	٢٠٠,٠٠٠	%١٠
الرأس الأخضر	٦٠,٠٠٠	%١

الدولة	عدد الأقليات المسلمة	النسبة المئوية
ساتومي ويزنسيب	٢٩,٥٠٠	%٢٠
القديسة هيلانة	٨,٠٠٠	%١
ريونيون	٢٧,٠٠٠	%٤
موريشيوس	٣٠٥,٠٠٠	%١٨
سيشل	٣,٥٠٠	%٢
إثيوبيا	٢٥,٥٠٠,٠٠٠	%٥٥
إريتريا	٤,٤٠٠,٠٠٠	%٨٠
كينيا	٩,٥٣٠,٠٠٠	%٣٥
تنزانيا	١٨,٠٠٠,٠٠٠	%٦٣
مالاوي	٣,٢٩٩,٠٠٠	%٢٥
مدغشقر	٩٩٦,٠٠٠	%٨
موزمبيق	٣,٩٢٢,٠٠٠	%٢٠
بوركينا فاسو	٥,٨٧٨,٠٠٠	%٥٠
بنين	٩٥٠,٠٠٠	%٢٠
الجابون	٥٧٠,٠٠٠	%٤٥
أوغندا	٢,٤٣١,٠٠٠	%١٠
سيراليون	٢,٨١٥,٠٠٠	%٤٥
غينيابيساو	٦٥٠,٠٠٠	%٤٢
الكاميرون	٤,٠٠٠,٠٠٠	%٢٥
غانا	٣,٥٠٠,٠٠٠	%٣٢

مناطق الأقليات الإسلامية في إفريقيا :

تنتشر الأقليات الإسلامية في دول إفريقيا غير الإسلامية، وعددها خمس وعشرون دولة تضم عشر دول أقليات إسلامية كبيرة، تبرز منها ثلاث دول تضم أقليات كبيرة هي إثيوبيا وبها ما يزيد عن (٢٥) مليون مسلم ويكونون (٥٥%) من السكان، مع أن هناك إحصائيات حديثة تقول بأكثر من ذلك (٧٥%) وجمهورية تنزانيا وبها (١٨) مليون مسلم يمثلون (٦٣%) من السكان وجمهورية ليبيريا وبها (٢) مليون مسلم ويمثلون (٣٠%) من السكان.

أما ساحل العاج والكاميرون فيضمان عدداً كبيراً من المسلمين إلا أن النسبة تراجعت نظراً لتزايد حركات التنصير بين المسلمين هناك لتصل لـ (٢٥%) من مجموع الدولتين، وتبلغ نسبة المسلمين في موريشيوس (١٧%) من إجمالي سكانها وفى غانا (٥) مليون مسلم تصل نسبتهم (٣٠%)، أما في توجو فتصل نسبتهم (١٧%)، وفى كينيا (٩%) ، وإفريقيا الوسطى ٢٥٠ ألفاً فقط بما يعادل (١٥%) من الإجمالي، أما في ملاجاشيا فيصل المسلمون لـ (٥%).وزامبيا وأنجولا(١١٧) ألف مسلم [١٢] .

ومن المؤشرات السابقة يلاحظ أن الاستعمار لعب دوراً كبيراً في الوضع المتردى لهذه الأقليات فى إفريقيا ومحاصرتها بالمنصرين الذين وفدوا من بلدان الشرق والغرب، فقد قامت سياسة فرنسا الاستعمارية في إفريقيا الغربية على مقاومة الدين الإسلامي بشتى الطرق ؛ ذلك لأن المسلمين قد قابلوا فرنسا بأعنف أنواع المقاومة، بل كانوا سداً منيعاً أمام الأطماع الفرنسية فى إفريقيا واتخذت هذه السياسة أشكالاً عديدة منها؛ إشاعة الفرقة بين المسلمين، والعبث بمبادئ الدين، كأن تجعل من زيارة قبور المشايخ فرضاً يغنى عن حج بيت الله الحرام بمكة المكرمة، كما حرَّمت إذاعة القرآن، وحرمان المساجد من المياه حتى لا يمارس المسلمون شعائرهم، ومنع تداول المصحف، أو طبعه، كما كان يحرم على المسلمين الالتحاق بالوظائف العليا، وليس أدل على السياسة الفرنسية الاستعمارية تجاه الإسلام مما قاله أحد الضباط وهو " فيليب فونداسى " صاحب كتاب الاستعمار الفرنسي في إفريقيا السوداء : " إن الإسلام يهدد الثقافة المسيحية بالفناء التام في إفريقيا السوداء".

ومن ناحية أخرى تلقى الإسلام في بعض الحالات أيضا هجوماً عنيفاً من الاستعمار الإنجليزي لتحجيم الظاهرة الإسلامية التى كانت تتنامى بسرعة مذهلة فى القارة السوداء، ففي نيجيريا قامت بريطانيا بمساعدة المبشرين على تغذية عقول الناشئة من أبناء المسلمين بأفكار خاطئة عن الإسلام والرسول محمد ﷺ وقالت : إن الإسلام والوثنية كليهما وجهان لعملة واحدة،ومن يؤمن بالإسلام كمن آمن بالوثنية ، وأن الدين الوحيد الذى ضمن لمن يعتنقه فى الدنيا والآخرة هو - المسيحية فقط- وعلى هذا كانت كبريات الدول فى العالم أول من آمنت بهذا الدين ، بل وتقوم بدعم ومساندة من يقوم على نشره من أفراد وهيئات ومنظمات ودول ، مـــع أن المسيحية والاستعمار - مبدئياً - ضدان لا يلتقيان ، ومع ذلك فإن المؤشرات المطروحة تدل على أن انتشار المسيحية في إفريقيا تزامن مع دخول الاستعمار، وأنشأ المستعمرون نقاطاً عسكرية على السواحل الإفريقية في أول الأمر كانت في الوقت نفسه مراكز تبشير ينطلق منها جيش الاستعمار وجيش التبشير فى آن واحد.

وكان البرتغاليون أول من قاموا بالتبشير في ساحل الذهب (غانا) والكونغو في القرن الخامس عشر، ثم دخل الإسبان في الدهومى وغينيا، وتسابق المبشرون الفرنسيون في السنغال وساحل العاج على تحقيق النفوذ الأكبر لمذهبهم الديني، (وفى ١٨١٥) أصبحت سيراليون مركزاً للبعثات التبشيرية، بينما عملت البعثات التبشيرية الألمانية في الكاميرون والكونغو،ونشطت الإرساليات الإنجليزية في جنوب نيجيريا وفى ساحل الذهب، ويسود المذهب الكاثوليكي في غرب إفريقيا والملاحظ أن الأمم المسيحية في أوربا اشتركت في عمليات التبشير ونقلت مذاهبها إلى هناك، فالمذهب الكاثوليكي يسود في المستعمرات الفرنسية والبلجيكية والإسبانية والبرتغالية.

أما المذهب البروتستانتي فهو سائد في المستعمرات الإنجليزية والألمانية وهناك تأثير أنجليكانى - أمريكى في ليبيريا ، وقد تنافست هذه المذاهب جميعها في الحصول على المزيد من الوثنيين ، حيث حملت إلى إفريقيا السوداء العداء القديم المستحكم، وقد حدث أن جرت بعض الصراعات بين رجال الدين أصحاب المذاهب المسيحية المختلفة حتى أن بعضها كاد يتسبب في حروب بين الدول الاستعمارية الكبرى(١٣).

وحتى يمكننا الوقوف على الوضع الحقيقي للأقليات الإسلامية في القارة الإفريقية سنقوم بطرح العديد من النماذج الحية للأقليات التي تعاني من الاضطهاد والعنف على الرغم من أننا أشرنا في السابق إلى أن القارة الإفريقية قارة مسلمة وغالبية سكانها من المسلمين، بيد أن الأقلية هنا ليست أقلية في العدد السكاني ، وإنما أقلية من حيث النفوذ والوزن السياسي والأهمية النسبية ، فمعظم الدول الإفريقية ذات الغالبية المسلمة يتولى رئاسة دولها وحكوماتها غير المسلمين ؛ أومن المسلمين الذين لا علاقة لهم بالدين إلا من خلال الأسماء والأوراق الرسمية.

أولاً : أوضاع الأقليات الإسلامية في إثيوبيا
قبل وبعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر(٢٠٠١م)

إثيوبيا هي إحدى دول حوض النيل ، وهى لفظاً كلمة يونانية تعنى : " ذوى البشرة المحروقة " وقد أطلق عليها العرب اسم الحبشة وذلك نسبة إلى قبيلة " حبشت " التي عبرت البحر الأحمر من جنوب اليمن واستقرت في إفريقيا بين القرنين السابع والعاشر قبل الميلاد.

وتقع إثيوبيا في الشرق الإفريقي ويحدها من الشرق جيبوتي والبحر الأحمر والصومال، ومن الشمال والغرب السودان ومن الجنوب كينيا، وتمتد إثيوبيا بين خطى عرض ١٥:٣٠ درجة شمالاً وبين خطى طول ٣٣: ٤٨ شرقاً ، وهذا يجعلها تقع في معظمها في الإقليم المدارى ، حيث الأمطار الصيفية والجفاف في أشهر الشتاء، أما أجزاؤها الجنوبية فتنتمي إلى الإقليم الاستوائي حيث الأمطار أغلب فترات السنة بما يسمح بنمو الغابات الاستوائية [١٤] .

وساعد هذا التنوع في المناخ على التنوع في حاصلاتها وثرواتها واتساع مساحات المراعى الطبيعية ، وبالتالي قيام حرفة الرعي، وتبلغ مساحة إثيوبيا ١,٢٢٣,٦٠٠ كيلو متر مربع يغلب عليها الطابع الهضبي والصحراوي ويصل ارتفاع هضبتها في بعض الأجزاء إلى ١٥,١٥٨ قدماً كما في " راسي داشان " .

أما عن السكان فالأحباش ينسبون إلى " حام بن نوح " ويبلغ عددهم وفق إحصاء عام٢٠٠٠ حوالي ٦٥ مليون نسمة ، ويتوزع السكان بين عدد من القبائل تنقسم على النحو التالي [١٥] .

- **قبائل الأمهرا والتيجرى:** وتسكن أعلى الهضبة ومعظم السكان يدينون بالمسيحية ولغتهم الأمهرية.
- **قبائل الشأوا والجالا والدناقلة والصوماليين:** ويسكنون في معظم أجزاء الهضبة ومعظمهم من المسلمين.
- **أقلية صغيرة من اليهود:** يقيمون في إقليم سيدامو جنوب إثيوبيا ويطلق عليها " الفلاشا " وتعنى : "الأغراب" .

وعلى الرغم من التعدد في الأجناس الذى تشهده إثيوبيا يقابله تعدداً في اللغـات، فهناك حوالي "٨٠" لغة ، أما اللغة الرسمية فهي اللغة الأمهرية، ومن اللغات المنتشـرة بصورة كبيرة هناك اللغة العربية وخاصة فى بعض المناطق في إريتريا والواقعـة تحـت السيطرة الإثيوبية والعفر وأرومو بجانب الإيطالية والإنجليزية ، وتشهد إثيوبيا تعـدداً كذلك في الأديـان والمعتقـدات ولكن الأغلبية تدين بالإسلام بنسبة (٥٥%) مـن السكان ونحو (٣٠%) يدينون بالمسيحية ، والنسبة الباقية تتوزع بين الوثنية القديمـة واللادينية، وأهم المدن في إثيوبيا مدينة أديس أبابا وهى العاصمة الرسمية للبلاد وتعـنى الزهرة الجديدة .

أما الاقتصاد فيقوم في إثيوبيا على الزراعة بصفة أساسية حيث يعمل بها (٨٠%) من السكان، ومن أهم المحاصيل : الشعير والذرة وقصب السكر والبقول والبن، كمـا تتمتع إثيوبيا بثروة كبيرة من الحيوانات تقـدر بـ (٤٥) مليون رأس مـن الأغنـام والماشية ؛ ولكـن قيمتها الاقتصـادية ضعيفة بسبب تدهور الرعاية الصـحية مـن جهة، وأن أغلب السكان يتخذون من الثروة الحيوانية مصدراً للفخر والثراء من جهة أخرى .

وبجانب الزراعة والرعي تقوم بعض الصناعات ولكنها لا تغطي سوى (٦%) من الاحتياجات المحلية وهي في أغلبها بدائية وتقتصر علـى المنسـوجات والصـناعات الغذائية، وتشبه إثيوبيا الجزيرة العربية في مناخها وحيواناتها ونباتاتها أكثر مما تشـبه أي جزء في إفريقيا، أما عملة إثيوبيا فهي " البير " وقد بدأ استخدامها منـذ (١٩٧٦م) بدلاً من الدولار، وفى عام (١٩٧٧م) كان الدولار الأمريكي يعادل (٢,٠٨) بـيراً إثيوبيّا .

دخول الإسلام إثيوبيا :

كانت الوثنية القديمة تسيطر على إثيوبيا لفترات زمنية طويلة ، ثم تسـربت إليهـا المسيحية في وقت مبكرعن طريق العلاقات بينها وبين بيزنطة في مصر، وعلى هـذا تم تأسيس الكنيسة الحبشية على يد "فرومنوس" الذي أوفـده " أثناسـيوس" بطريـرك الإسكندرية ، ونجح في إقناع " عزانة " ملك الحبشة باعتناق المسيحية ، والتى جعلـها الدين الرسمي للدولة بعد ذلك عام ٣٥٠ ميلادية[١٦] .

أما علاقتها مع العرب فتأخذ منحىً آخر نظراً لموقع إثيوبيا الجغرافي الذى ارتبط بالجزيرة العربية بالعديد من صور التفاعل المشترك كان أعنفها وأقواها وأبقاها أثراً عندما قام الأحباش بغزو بلاد العرب واحتلال اليمن ، وعرف التاريخ حاكمها "أبرهة الأشرم " الذى اعتلى السلطة بعد أن قتل منافسه " أرياط " ثم خلفه – بعد تدميره في "حادثة الفيل الشهيرة " والتي ورد ذكرها في القرآن الكريم ابنه " يكسوم " ثم "مسروق" والذى في عهده قامت ثورة وطنية في اليمن بزعامة " ذى يزن " ثم ابنه "سيف بن ذي يزن " ، والذي نجح بمساعدة الفرس في طرد الأحباش من اليمن في عام ٥٩٠ ميلادية.

وكانت الحبشة (إثيوبيا) من أولى الدول التي عرفت الإسلام مع بزوغ فجره في شبه الجزيرة العربية ، وتعرض المسلمون للعديد من صور الاضطهاد من كفار مكة وشعابها فنزل أمر الله على نبيه بالهجرة فاختار الرسول " الحبشة " لتكون إليها أول هجرة في الإسلام ، وذلك لما عرف عن حاكمها من عدل وتسامح عام ٦١٥م ، وكان من بين المهاجرين (٨٣ رجلاً و١٧ امرأة غير الصبيان) وكان من المهاجرين إليها عثمان بن عفان وزوجته رقية بنت الرسول ﷺ ، وعبد الرحمن بن عوف ، ومصعب بن عمير ، وعثمان بن مظعون ، وقد عاد بعض المهاجرين إلى المدينة بعد الهجرة إليها واستقر بعضهم الآخر بالحبشة لنشر الإسلام بها ، وفى عام (٦هـ – ٦٢٨م) أرسل الرسول ﷺ كتاباً إلى النجاشي " ملك الحبشة " يدعوه فيه إلى الإسلام واستمرت الرسائل بينهما حتى وفاة النجاشي ونعاه الرسول ﷺ في اليوم الذي مات فيه وصلى عليه صلاة الغائب في مسجده بالمدينة.

ومن الأمور التي يعتز بها المسلمون الأحباش حتى اليوم :

- أن ملكهم النجاشي أول رئيس دولة أسلم في التاريخ الإنسانى وقد وكله الرسول ﷺ ليعقد له على أم سلمة إحدى زوجاته ﷺ .
- أن الحبشة كانت أول أرض يهاجر إليها المسلمون خارج الجزيرة العربية.
- أن بلال بن رباح مؤذن الرسول وأحد المقربين إليه ومن المبشرين بالجنة كان حبشياً.

- أن آيات كثيرة من القرآن الكريم في سورتي الحشر والمائدة قد نزلت في وفد الحبشة على الرسول عليه الصلاة والسلام.

أما دخول الإسلام إثيوبيا ، فكان عبر منفذين هما :

الأول : مصر، ويلاحظ أنه كما كانت مصر مصدراً لنشر المسيحية في القرن الرابع الميلادي في إثيوبيا كانت كذلك مصدراً لنشر الإسلام فيها في القرن السابع والثامن الميلاديين حيث قامت " بنو عامر " وهى قبائل استقرت في شمال الحبشة حتى حدود مصر بالوساطة في المبادلات التجارية بين مصر والحبشة . ومع انتشار الإسلام بين قبائل " الدناكل أو الدناقل " كان لها دور بارز في نشره بالحبشة.

الثاني : من خلال الهجرات العربية الإسلامية إلى السواحل الإفريقية ومنها امتد إلى الحبشة ومختلف الدول الإفريقية وكان للدعوة الإسلامية والنشاط التجاري الدور الكبير في ذلك.

ومن ذلك ينقسم التاريخ الإسلامي في إثيوبيا إلى فترتين : الأولى يمكن اعتبارها فترة ازدهار إبان قوة المسلمين، والثانية فترة المحنة والمأساة والتي تبدأ مع الضعف الإسلامي في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين والتدخل الأجنبي بصوره العديدة لمحاربة الإسلام في معاقله.

ازدهار الإسلام وانتشاره فى إثيوبيا [١٧] :

تبدأ هذه المرحلة مع عصر الفتوحات الإسلامية، وتحديداً في عهد " عبد الملك بن مروان " حيث كان نشاط القراصنة الأحباش على سواحل الجزيرة العربية ، فأرسل إليهم حملة استطاعت القضاء عليهم وفتحت جزر" وهلك " قرب مصوع وكانت هذه الجزر بمثابة المدخل الرئيسى لدخول الإسلام الحبشة.

وفي القرن الثالث الهجري نشأت العديد من الإمارات والمشيخات الإسلامية على البحر الأحمر في الشرق الإفريقي أطلق عليها الطراز الإسلامي : " لأنها على جانب البحر كالطرزان ، وكانت بمثابة مركز إشعاع وانتشار لنور الإسلام في إفريقيا وتمثلت في إمارات: " أوفات – هدية – داورو – بالى – أرابينى – شرحا – دارة – عدل "، وكذلك مشيخات : " عوان – مقديشيو – كلوة " واستمرت هذه المراكز تقوم

بدورها المنشود حتى سقطت على يد الملك " عمر أصيون الأول " في النصف الأول من القرن الرابع عشر.

أما في النصف الأول من القرن السادس عشر الميلادي وتحديدا بين (٩٣٤ - ٩٥٠هـ) قاد "الإمام أحمد بن إبراهيم" أمير مملكة " عدل " حركة المد الإسلامي في منطقة القرن الإفريقي وشرق إفريقيا ، وقام بنشر الإسلام في جنوب إثيوبيا وأوقف غزو الأحباش لمدينة هرر الإسلامية عام (٩٧٤هـ - ١٥٢٧م) وهزمهم ثم دخل "شوا، وأمهرة " في قلب الحبشة عام (٩٣٨هـ - ١٥٣١م) واستطاع نشر الإسلام بين قبائل " الجالا " في جنوب الحبشة، كما كان للتجار المسلمين المصريين دور أيضا في نشر الإسلام في الشمال الإثيوبى هذا من ناحية، بجانب الثورة المهدية التي نشأت ونشطت في السودان واتخذت مدينة القلابات في شرق السودان مركزا لنشر الإسلام في إثيوبيا من ناحية أخرى.

ولكن أمام الضعف الذي أصاب الدولة العثمانية - حامية الخلافة الإسلامية- وتكالب الدول الاستعمارية على أملاكها ، ثم اتصال الحبشة بالدول الأوربية التي اتخذت منها ركيزة لضرب الإسلام نظرا لموقعها المهم والمميز ، فأمدتها هذه الدول بالمال والسلاح وكل ما تحتاج إليه ، مما زاد من قوتها وتقوقع المد الإسلامى لفترة من الوقت ، وكان ذلك بمثابة بداية المحنة التي يتعرض لها الإسلام في إثيوبيا وخاصة منذ عام (١٨٨٩م) عندما تولى "منليك الثاني " السلطة في إثيوبيا وما تزال آثارها حتى الآن.

وقد كان الهدف واحدا وهو القضاء على الإسلام وطرد المسلمين من إثيوبيا نهائيا وكانت الوسيلة هى تشجيع مجموعة من الحكام للقيام بهذه المهمة مقابل أن يظلوا فى السلطة لأطول فترة متاحة ، واستطاعوا أن يمارسوا ألوانا عديدة ومختلفة من العنف والاضطهاد ضد المسلمين ، مما كان لذلك أثره في تحول الكثيرين من أبناء المسلمين من شدة البطش الذى تعرضوا له عن الإسلام في القرى والمدن الإثيوبية ومن هؤلاء الحكام الذين كان لهم الأيدى الطولى فى وقف المد الإسلامى فى إثيوبيا " منليك الثاني ، وليج باسو، وزود يتو بنت منليك ، والرأس تافرى ماكونن ، وهيلاسيلاسى ، و"منجستو هيلاماريام" .

الدين والدولة في إثيوبيا:

بعد وفاة الملك جوون سنة (١٨٨٩م) ظهر " منليك الثاني " ووطـد حكمـه في جميع أنحاء البلاد وأعاد المسيحية مرة أخرى كدين رسمي للبلاد مقابل الحصول علـى الدعم المادي والعسكري الذي يحتاجه من الدول المسيحية الأوربية الكبرى، وأمام هذا الدعم استطاع منليك الثانى الانتصار على إيطاليا التي حاولت غزو الحبشة في معركـة "عدوة " سنة (١٨٩٥م) وساعده هذا الانتصار على زيادة نفوذه في شمال الصومال ، بدعم من الدول الاستعمارية الكبرى وعلى رأسها بريطانيا التى كانـت تتخـذ مـن جنوب الصومال وشمال كينيا مواقع لها .

وكان فى مقابل ذلك أن طالبته الدول الأوربية بالقضاء على الإسـلام فى الحبشـة فقام باحتلال الإمارات الإسلامية وطارد المسلمين فأحرق لهم منازلهم ، وهـدم لهـم مساجدهـم ، واستولى علـى أراضيهم وممتلكاتهم وقام بتقسـيمها بـين الدولـة والكنيسة والجنود الذين اشتركوا فى تعقب المسلمين والقضاء عليهم ، وكـان أبـرز الحكام الذين حكموا إثيوبيا وكان لهم تأثيرهم السلبى على وضع الأقليـة الإسـلامية هناك الآتي [١٨] :

بيج ياسو (١٩١٣ – ١٩١٦م) :

هو حفيد " منليك الثانى "، إلا أنه كان يختلف عن جده في أنه اتبع سياسة اللين والمرونة مع المسلمين، بل إنه تأثر بتعاليم الدين الإسلامى، فأنكر الدين المسيحي وأعلن إسلامه وارتدى الزى الإسلامي وأطلق لحيته ونقش على العلم الحبشى : " لا إله إلا الله محمد رسول الله " بل إنه كان يفكر في إعلان الجهاد والقضاء على المسيحين فى البلاد وأعد لذلك جيشاً عظيماً لتنفيذ هذا المخطط، واهتزت أوروبا كلها لهذا النبأ وقررت إسقاطه، ونجحت في ذلك ونصبت بدلا منه " زود يتو" وهى ابنة منليك إمبراطورة على البلاد ، وجعلت " الرأس تافرى ماكونن هيلاسيلاسى " وصياً على العرش ، ولمـا توفيت تولى "ماكونن" السلطـة في عام (١٣٤٩هـ – ١٩٣٠م) وأطلق على نفسه : " هيلاسيلاسى الأول " وهو من أصل يهودي واشتهر بلقب أسد يهوذا لتزداد في عهده وطأة المحنة التى يتعرض لها المسلمون في إثيوبيا.

هيلاسيلاسى أسد يهوذا :

أطلق " هيلاسيلاسى " على نفسه لقب أسد يهوذا أو سبط يهوذا ويعتز به بدرجة كبيرة وهذا مرجع اعتزازه بأصله اليهودي، بيد أن المؤكد أن ما شهده الإسلام والمسلمون في عهد هيلاسيلاسى الذي بدأ في الثاني من نوفمبر سنة (١٩٣٠م) واستمر حتى (١٩٧٤م) أى قرابة من نصف قرن يفوق ما شهده المسلمون طوال تاريخهم في إثيوبيا من الألم والمحن ، ولم يخفف هذا العنف ضد المسلمين إلا الفترة التي طرد فيها هذا الطاغية من البلاد وذلك ما بين (١٩٣٦ – ١٩٤١م) عندما استولت إيطاليا على إثيوبيا وخلال هذه الفترة التي لم يكن فيها فى الحكم ظهرت المساجد من جديد وقامت الحكومة الإيطالية ذاتها بامتصاص غضب المسلمين والسماح بتعيين القضاة الشرعيين للفصل فى أمورهم الدينية ، وأدخلت تدريس اللغة العربية في مدارس المسلمين ، كما ساهمت في إنشاء كلية دار العلوم الإسلامية ، ولكن أمام تطورات الحرب العالمية الثانية وهزيمة إيطاليا عاد (هيلاسيلاسى) ثانية إلى السلطة بدعم من بريطانيا والولايات المتحدة في سنة (١٩٤١م) .

وكان فى مقابل ذلك أن تعهد أمام الكونجرس الأمريكي أثناء زيارته للولايات المتحدة والذى قال فيه " : إن إثيوبيا بلد فريد عن سائر الأمم الإفريقية في أنها الدولة المسيحية الباقية التي يمكن أن ترسم تاريخاً غير منقطع لدولة مسيحية كبرى فى القارة السوداء منذ أن كانت الإمبراطورية الرومانية حقيقة واقعة ، وأن أهم الأهداف التي نسعى إليها هي توحيد الدين واللغة في بلادنا ، وبدون ذلك لا يمكن أن نحقق شيئاً من التقدم نحو تصفية الإسلام من القارة – الإفريقية- أما بالنسبة للمسلمين في هرر فهم قلة دخلت إثيوبيا عن طريق التجار العرب ، وقد وضعنا لذلك برنامجاً لتصفيتهم والقضاء عليهم ، ولن يمضى وقت طويل إلا وتعود إلى آبائها ، كما لن نسمح بأن يكون في إثيوبيا دينان، أو أن يشارك المسيحية دين آخر على أرضنا"(١٩) .

وقامت خطة " هيلاسيلاسى " على النحو التالى (٢٠) :

- حرمان المسلمين من التعليم وتلقى الثقافة الإسلامية واللغة العربية باعتبارها لغة القرآن ، الذي يحث المسلمين على كراهية اليهود والنصارى.

- مصادرة أموال المسلمين وأملاكهم بهدف إفقارهم، وإجبارهم علـى الهجـرة خارج الأراضى الإثيوبية.
- هدم ما تبقى من مساجد المسلمين وإقامة الكنائس على أنقاضها، ومنع تـداول القرآن الكريم في الكتاتيب والمدارس الإسلامية.
- تنصير أبناء المسلمين بالقوة ، والتوسع فى نشر الهيئات التبشيرية في جميع المناطق الإسلامية وتقديم الدعم المالى للمسلمين الذين يعلنون براءتهم من الإسلام .
- تعقب المسلمين والقبض عليهم وقتلهم في مجازر جماعية بحجة العصيان والتمرد ضد الدولة وتدمير قواهـم وتشريدهم بـين الجبـال ، ومصـادرة أمـوالهم وأملاكهم ، بما فيها الأوقاف الخيرية الإسلامية.
- محاصرة المسلمين داخل الدولة وإغلاق الحدود بين إثيوبيا والدول المجاورة لهـا لسد الطريق أمام أى دعم ومساندة قد يأتى إليهم من إخوانهم المسلمين وخاصة من السودان أو من إريتريا ، ومنعهم من زيارة البيت الحرام والترقي للمناصب الإدارية العليا.

والملاحظ أنه بعد عام من عودة " هيلاسيلاسى " إلى الحكم في (١٩٤١م) وبعد أن تم استئناف برامجه لتنصير المسلمين جاءت الهيئات التبشيرية السويدية بإيعاز منه إلى مناطق " القراقى " الإسلامية والتي لا يوجد بها نصراني أو وثنى أو يهـودي واحـد، وعندما هب شيخ المقاطعة " السيد عبد السلام " يطالب الحاكم بمنع دخول المبشـرين هذه المقاطعة ذات الأغلبية المسلمة تجنباً لما قد يحدث من أضرار لأولئـك المبشـرين ، اتهمه بأنه يبيت النية للعدوان والتحريض ، وزُجَّ به في السجن ، وعند ذلك احتشـد آلاف المسلمين ضد تلك المقاطعة أمام القصر وطالبوا بالإفراج عن الشيخ ، فهـددهم بإطلاق النار عليهم إن لم يعودوا إلى منازلهم ، ولما رفضوا العودة أمر جنوده بأن يترلوا بأولئك المسلمين العزل ضربا بأعقاب البنادق وإطلاق النار عليهم.

وكان من نتائج ذلك وقوع العشرات من القتلى ومئات الجرحى، وقتل الشيخ في السجن مسموماً فى سجنه ، فقام المسلمون بإحراق مراكز التبشير وانتقم "هيلاسيلاسى" منهم بمصادرة جميع أراضيهم الزراعية ومنحها للمبشرين وتشرد من نجا منهم من البطش والقتل .

أما في عام (١٣٦٧ هجرية) عندما هبت " هرر " وهى مقاطعة مسلمة تطالب بحقوقها فى الانفصال ، جهزت لها الحكومة ثلاثة ألوية من الجيش واقتحمت المدينة وأعملت فيها أعمال السلب والنهب وصودرت المتاجر والمزارع وهدمت المدارس ، واعتقل الآلاف من النساء والأطفال ، وهتكت الأعراض على مرأى من الآباء والأزواج ، والعبث بظهورهم بالسياط ، ودق نواصى الرجال بأعقاب البنادق وقذفهم بين الأسلاك الشائكة حتى تمزق أجسادهم ؛ والجنود يتلذذون بتلك المناظر الوحشية (٢١) .

و لم تنته فصول هذه المأساة التي راح ضحيتها الآلاف من الأبرياء بانقلاب دبره من دعموه طوال فترة حكمه عندما وجدوا أن سياساته - رغم وطأتها - أصبحت عقيمة ، فكان البحث عن أساليب جديدة في الحرب على المسلمين ، وجاء إلى الحكم الجنرال "مانجستو هيلاماريا " (١٩٧٤م) واستمر حتى (١٩٩٠م) وكما جاء بانقلاب ذهب أيضا نتيجة انقلاب على حكمه، وواصل " هيلاماريا " سياسات سابقه "هيلاسيلاسى" وأجاد الوقيعة بين الفصائل الإسلامية ، وزادت الحكومة من عنفوانها ضد المسلمين والمساجد الإسلامية على الرغم من أنهم كانوا ولا يزالون يمثلون الأغلبية في البلاد.

والواقع أن محاربة الإسلام في الحبشة لم تكن بدايتها بمجرد أن تولى هيلاسلاسى الحكم في إثيوبيا، بل تمتد إلى أبعد من ذلك بكثير حيث الصراع بين هرر الإسلامية معقل الإسلام في ذلك الجزء من إفريقيا وبين الحبشة المسيحية، ازدادت حدة هذا الصراع في القرنين (١٥، ١٦) حيث كانت أعنف المعارك بين المسيحية والإسلام، واستطاع المسلمون تحقيق انتصارات واسعة على المسيحيين بقيادة الإمام أحمد بن إبراهيم القائد اضررى ثم خلفه من بعده الأمير نور ، و لم يكن للمسيحية أية نفوذ إلا بعد أن استوطن الاستعمار دول القرن الإفريقي (٢٢) .

مستقبل الإسلام فى إثيوبيا :

على الرغم من أن أغلبية سكان إثيوبيا مسلمون كما تشير إلى ذلك بعض المصادر الإسلامية يمثلون أكثر من (٥٥%) من تعداد السكان البالغ عددهم (٦٥ مليون نسمة) فإن إثيوبيا مازالت في نظر العالم دولة نصرانية يؤكد ذلك عام (١٩٧٥م) عندما كانت الكنيسة القبطية مرتبطة بالدولة ارتباطاً عنصرياً ، وتشير الوثائق التاريخية

إلى أنه لم يتول الحكومة أو الرئاسة مسلم في إثيوبيا منذ (١٤٠٠) عـام ولا يوجـد حالياً في الوزارة إلا وزير مسلم واحد فقط ويعد دوره هامشياً وغير مـؤثر حـتى في الوزارة التي يتولى رئاستها، هذا وبالإضافة إلى منع تعيين أي ضابط مسلم في الجـيش، ولا حتى في الوظائف الحكومية ما لم يرتد عن دينه، باستثناء موظفي الجمـارك نظـراً لأمانتهم – التي اشتهروا بها – عدا ذلك فلا يحق للمسلمين الحصول على أى حقـوق مدنية من الحكومة [٢٣] ، ومع أن الإسلام استوطن في هذه المنطقة مبكراً منذ أن أعلن النجاشي ملك الحبشة اعتناقه الإسلام في عهد الرسول ﷺ ، فإن الوضع الاجتمـاعي والسياسي للمسلمين هناك يزداد سوءاً يوما بعد الآخر[٢٤] مما أدى إلى تشريد أكثر من مليوني مسلم بمنطقة الأوجادين في الصحراء ، معرضـين للـهلاك ، وفى النكبـات والمصائب التي تحل بالمسلمين الأفارقة تنشط الجمعيات التبشيرية لتجنى ثمـار الجـوع والعطش ، مما يدفع بعض المسلمين إلى التنازل عن عقيدتهم ، واعتناق النصرانية فـداء لأطفالهم وحفاظاً على أرواحهم[٢٥] .

وقد أفرزت محنة الأقليات الإسلامية في إثيوبيا مشكلتين همـا: مأسـاة إريتريـا والأوجادين الصومالي اللذان يتمتعان بأكثرية مسلمة تصل إلى (٨٠%) مـن عـدد السكان الأصلي، وأيدت روسيا والولايات المتحدة إثيوبيا في حربها مع الصومال حتى لاتهدأ منطقة القرن الإفريقي ويمكن أن نوجز هذه الحقائق في عدة نقاط منها:

- أن إثيوبيا استطاعت أن تسيطر على ثلاثة أقاليم إسلامية وليس اثنان وهى الأوجـادين وإريتـريا وتيجرى[٢٦] ، وهذه الأقاليم الثلاثة كان أولها جزءاً من الصومال ، والثاني عاصمة لدولة " هـرر " الإسلامية ، والثالث جزءاً من دولة البورسعيديـن[٢٧] .
- إن الأقليات النصرانية الحاكمة ، واليهودية المتوغلة داخل الحكومة كانت وراء ما يحدث للمسلمين في الأقاليم الإسلامية الثلاثة إذ تمكنت إسرائيل من السيطرة على مراكز صنع القرار في إثيوبيا باستيلائها على موارد البلاد الاقتصادية من خلال شركاتها ورؤوس الأموال الضخمة التـي تستثمرها هناك [٢٨] ، وقد ظل التوتر بين الدولتـين ، ففى أعقاب دخول قبيلة " الجالة " فى الإسلام والتي يقدر عددها بـ (٦ مـلايين نسمة) ليصل عدد المسلمين في إثيوبيا إلى أكثر من (٣٥ مليون مسلم) [٢٩] حيث تشير آخر تقارير رابطة العالم الإسلامي بالمملكة العربية السعودية إلى أن المسلمين يمثلون بإثيوبيا (٧٠%) من إجمالي عدد السكان البالغ

(٦٥ مليون نسمة) [٣٠]، وعلى الرغم من ذلك استطاع المنصرون الاستيلاء على كل المناصب الحساسة داخل إثيوبيا ، وطبعوا التعليم العام بالطابع الأمهرى القبلي، وأصبح على كل من يرغب في الالتحاق بالمدارس أو الوظائف الحكومية من أبناء المسلمين تغيير اسمه واسم أبيه وديانته ، وقد يقوم بعض المسلمين بهذا التبديل كلية، والبعض الآخر يقوم بإخفاء عقيدته بين ضلوعه وهم مقتنعون تماماً بأن تغيير الاسم بآخر لن يؤثر عما بداخل القلب من إيمان وعقيدة.

ثانياً : أحوال الأقليات الإسلامية في جمهورية إريتريا قبل وبعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر (٢٠٠١م)

إريتريا هي إحدى دول شرق إفريقيا، تقع على الشاطئ الغربي بـالبحر الأحمر ، ويبلغ عدد سكانها حوالي (٣ ملايين نسمة) ويمثلون (٨٥%) من إجمالي السكان ؛ وقد ظلت إريتريا تابعة للدولة العثمانية منذ سنة (١٥٧٧ – ١٨٦٤ م) ومنها انتقلت إلى الإدارة المصرية حتى احتلتها إيطاليا من سنة (١٨٨٩ – ١٩٤١م) واستولى عليها الإنجليز بعد هزيمة إيطاليا في الحرب العالمية الثانية وحصلت على اسـتقلالها بموجـب معاهدة (١٩٩١م)[٣١] .

وفى عام (١٩٥٠م) أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم (٣٩٠) يوصى بأن تصبح إريتريا وحدة متمتعة بحكم ذاتي في إطار اتحادى مع إثيوبيا تحت سيادة التاج الإثيوبى، وأن يكون للحكومة الإريترية سلطات تشريعية وتنفيذية وقضائية في الشؤون الداخلية والتمثيل الخارجي لإريتريا من خلال الحكومة الإثيوبية، ويلاحظ أن السلطات التي خولتها الجمعية العامة للأمم المتحدة والخاصة بالحكم الذاتي بإريتريا كانت صورية فقط و لم تنفذ على أرض الواقع ، ولكن ومع مطلع عام (١٩٥٢ م) تدخلت الأمم المتحدة في محاولة لفض الأزمة بين (إريتريا – إثيوبيا) وفرضت على إريتريا نظاماً فيدراليا يسلبها حقها في الاستقلال الأمر الذي دفع الرئيس الإثيوبى" هيلاسيلاسى " لتجاهل قرارات الأمم المتحدة وقام بإلغاء الدستور الفيدرالي المشترك مع إريتريا، وأعلن ضم إريتريا رسمياً إلى بلاده وأطلق عليها الإقليم الرابع عشر[٣٢] وألغى الحكم الذاتي وقت المجاعة فى إريتريا (١٩٦٧م) وبدأت الهجرات تتزايد إلى السودان المجاورة ، ووقعت مصادمات عنيفة بين الجانبين .

وإستطاعت الجبهـات الثورية لإريتريا أن تحقق انتصارات عديدة على القوات الإثيوبية ، وسيطرت على معظم الريف الإريتري ، إلا أنه وفي عام (١٩٨٤م) اجتاحت المجاعة إثيوبيا وإريتريا معا ، وتم وقف عمليات إطلاق النار بينهما، إلى أن تجددت من جديد في فبراير (١٩٩٠م) حين أعلنت الجبهة الشعبية لتحرير إريتريا عن البدء في سلسلة هجمات واسعة تستهدف تحرير الوطن من الاحتلال ، وتمكنت الجبهة الشعبية من الاستيلاء على ميناء " مصوع " الإستراتيجي المطل على البحر الأحمر ، ودعا الرئيس

الإثيوبي قواته لدخول الحرب ضد الثوار الإريتريين ، وأعلنت الولايات المتحدة إزاء هذا التصاعد رعايتها لزعماء الجبهتين وعقد مؤتمر مصالحة في واشنطن إلا أنه لم يسفر عن شيء (٣٣) .

ومن هذا التاريخ والحركات الثورية الإريترية في صراع مع الحكومة الإثيوبية التي تعتبر إريتريا مقاطعة تابعة لها، وقد تعددت الدوافع التي حركت إثيوبيا لجعلها تتمسك بالسيطرة على إريتريا لعل أبرز هذه الدوافع هي (٣٥) :

- الدافع الديني ؛ وهو محاولة القضاء على الإسلام وتكوين إمبراطورية إثيوبيا الكبرى فى إفريقيا ، على غرار دولة الفاتيكان في أوربا .
- الدوافع الإستراتيجية ، حيث إن إريتريا هي المنفذ البحري الوحيد لإثيوبيا، إذ تعد إثيوبيا من الدول الحبيسة بدون إريتريا.

ومن هنا يتضح أن تاريخ إريتريا متشابك مع تاريخ إثيوبيا وجنوب جزيرة العرب من ناحية، ومع السودان من ناحية أخرى، إلا أنها نالت استقلالها الكامل عن إثيوبيا في عام (١٩٩٣م) ورغم ذلك ما تزال إريتريا تعانى من السياسة التى تحكمها ، فالرئيس الإريتري " أساسى أفورقى " أقام علاقات دبلوماسية واقتصادية مع إسرائيل، وأخذ " أفورقى " بلاده بتوجهات نحو القارة الإفريقية بعيداً عن العروبة والإسلام لإعتبارات ذاتية وأخرى ذات علاقات تاريخية مع إثيوبيا وأمريكا.

وقد تعززت كل التوجهات السابقة بفرضه اللغة التيجرية كلغة رسمية للبلاد، وتجاهل قوانين الأحوال الشخصية للمسلمين، وظهرت تلك التوجهات أيضا بوضوح في نزاعه مع اليمن التي سبق لها أن أيدت كفاح الشعب الإريتري وحقه في الاستقلال وذلك حول جزر " حنيش " والتي آلت بحكم المحكمة الدولية إلى اليمن بعد أن كانت تتبع الحكومة الإريترية ، هذا بالإضافة إلى تأييده لحركة التحرير في جنوب السودان بقيادة " جون جارانج " واتسم الموقف الأمريكي من الصراع الإثيوبي- الإريتري بالحياد الكامل تجاه إثيوبيا، حتى تظل شوكة أمام الحكم الإسلامي في السودان، وتأمين منافذ المياه وعقد الاتفاقات التجارية لصالح إسرائيل.

وعلى الرغم من هذا كله وحسبما تؤكد المصادر الأوربية أن الإسلام ما يزال يتقدم بين الأقوام الكوشية والنيلية في مناطق الأغوار، ولكنه لا يتقدم خطوة بين أهل الهضاب

حيث الأغلبية المسيحية.، وكان لتزايد عدد المسلمين في معظم مناطق إريتريا الأثر الأكبر في قيام العديد من الطرق الصوفية بالدعوة إلى الإسلام في المناطق التي تتزايد فيها نسبة الوثنية، كان أبرز هذه الطرق القادرية التي جعلت من المناطق الساحلية مركزا لدعوتها وخاصة في مناطق " مصوع" والأرض المتاخمة لساحلها، ولكن كانت أوسع الطرق نفوذا في إريتريا كانت الميرغنية والختمية ومركزهما منطقة " كسلا " وهى نشطة بصورة كبيرة فى الأقاليم الغربية خاصة بين بنى عامر والهيب وغيرهما من القبائل الإسلامية [٣٦] .

التحديات التي تواجه الأقليات الإسلامية في إثيوبيا وإريتريا بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر (٢٠٠١م) :

مع تصدى المسلمين للآلام والمحن التي يتعرضون لها ، ومع حرصهم على الطابع الإسلامي في حياتهم اليومية، إلا أنهم يواجهون بالعديد من التحديات التي تزيد من محنتهم في إثيوبيا وإريتريا ومن هذه التحديات:

- الجفاف وما ترتب عليه من قحط ومجاعة، وبالتالي خلق البيئة المناسبة لعمل البعثات التنصيرية.
- الأمية والتي زادت نسبتها عن ٩٠% بين السكان في ظل العراقيل التي توضع أمام إنشاء المدارس الإسلامية ، مما دفع المسلمين للاكتفاء بالتعليم الديني في المساجد وفقط .
- ضعف المنظمات الإسلامية وقلة فاعليتها أمام المنظمات المسيحية واليهودية والتي تعمل بشتى الطرق والوسائل للقضاء على المسلمين في هذا المعقل المهم للإسلام في قلب العالم.
- انتشار عادة تخزين نبات " القات " وهو نبات مخدر في مناطق تجمعات المسلمين في إثيوبيا ، وترتب عليه العديد من الأضرار الصحية إذ يعتبره البعض من المسلمين هناك من شعائر الإسلام ويكثرون من تناوله في المناسبات الدينية.
- العزلة التي فرضها حكام إثيوبيا على المسلمين لمنع اتصالهم - إرسالا واستقبالا - مع العالم الإسلامي أو حتى الدول المجاورة .
- انتشار التيارات القبلية وسيطرة روح الأنانية بين الفصائل والقبائل الإسلامية ، وتعدد التيارات والأحزاب التي تدافع عن مصالحهم وترعى شؤون المسلمين

مما أفقدهم الكثير من قوتهم في التصدي للمؤامرات والدسائس التي يكابدها المسلمون سواء من الداخل أو الخارج .

الصراع الإثيوبي – الإريتري بعد ١١ سبتمبر (٢٠٠١ م) :

نشبت خلافات حادة بين إثيوبيا وإريتريا في مايو (١٩٩٨م) حول الموانئ الواقعة على البحر الأحمر (عصب – مصوع) التابعة لدولة إريتريا، استطاعت إثيوبيا خلالها الاستيلاء على بعض المناطق الإريترية، و ظل الصراع على أشده حتى مايو (٢٠٠٠م) حيث وصلت جيوش الدولتين على الحدود في حرب مؤكدة، إلا أن تدخل الولايات المتحدة لصالح إثيوبيا جعل الالتماسات التي تقدمت بها إريتريا للأمم المتحدة مؤجلة لحين إشعار آخر.

وجاءت أحداث الحادي عشر من سبتمبر (٢٠٠١م) لتغطي على حقوق إريتريا في أراضيها وفي أبريل (٢٠٠٢م) أصدرت محكمة العدل الدولية قراراً بأحقية إثيوبيا في الأراضى التي سيطرت عليها عام (١٩٩٨م) ، وخسرت إريتريا الأرض التي كانت منذ سنوات ضمن أراضيها ، كما خسرت أيضا قضيتها في جزر حنيش الكبرى والصغرى التي سيطرت عليها اليمن، وكانت ضمن الأرض الإريترية.

ورغم أن الأرض التي سيطرت عليها إثيوبيا من إريتريا أرض صحراوية، جرداء ولا يوجد بها تجمعات بشرية أو موارد طبيعية إلا أن إثيوبيا اعتبرتها خطوة نحو إعادة إريتريا مرة أخرى لتخضع لحكومة إثيوبيا من جديد، وهذا الاتجاه يؤيده رجال السياسة فى أديس أبابا (٣٧) .

إلا أن الدول الكبرى مثل الولايات المتحدة وروسيا و الصين وأوربا ترفض مبدأ الاحتلال، وإن كانت لا ترفض أن تقوم إريتريا بفتح منفذ لإثيوبيا عبر أراضيها إلى البحر الأحمر، إذ ترى إثيوبيا أن السماح لإريتريا بالاستقلال عنها بعد ثلاثين عاما من تبعية إريتريا لها، واستقلالها الكامل عام (١٩٩١م) ، والفعلي عام (١٩٩٣ م) كان خطئاً كبيراً ؛ وذلك نظراً للأهمية التي يمثلها ميناءا مصوع وعصب الواقعان على البحر الأحمر، مما يجعل إثيوبيا من الدول الحبيسة التي لا تطل على أى موانئ بحرية، مما يدفعها ذلك إلى الاستمرار في التوغل داخل الأراضى الإريترية حتى الوصول إلى موانئ البحر الأحمر بتأييد من روسيا، التي قامت بتزويد حكومة أديس أبابا ببعض الأسلحة

المتطــورة وطائرات الميج ٢١، والميج ٢٣ من طراز سوخوي، الــتي اســتخدمت في الحـــرب (١٩٩٨م) والتي استولت فيها إثيوبيا على بعض المناطق الإريتريـــة ومنـــها بادمى [٣٨] .

إلا أن الحـــرب خلفت أســـرى من الجانبين ، وضحايا بالمئـــات وانتهت بصلح عام (٢٠٠٠م) والذي نص على تبادل الأسرى، حيث أفرجت إثيوبيا عـــن (٨٥٠) أسيراً من (٢٦٠٠) أسير إريترى، بينما قامت إريتريا بالإفراج عن (٦٢٩) أســيراً إثيوبياً من (١٠٠٠) أسير قبضت عليهم عناصر من الجيش الإريتـــري، ولم تـــنص الاتفاقية على تعاون مشترك بين الجانبين، وظل الوضع في حالة من التوتر والقلق إلى أن أصدرت محكمة لاهاى قرارها بحق إثيوبيا في الثلاث المناطق التي استولت عليها مـــن إريتريا [٣٩] .

والملاحظ أن الصراع الإثيوبى – الإريتري هو صراع يخــتلط فيـــه الـــديني مـــع السياسي، والسياسي مع المصالح الاقتصادية والاستفادة من موانئ إريتريـــا، وتعـــانى الأقليات الإسلامية في الدولتين من ممارسة الاضطهاد ضدهما لتصفية حسابات سياسية بين الطرفين.

فبعد أحداث سبتمبر عام (٢٠٠١م) بالولايات المتحدة، اكتفت إثيوبيا بما أحرزته من انتصار، واستجابت للأمم المتحدة ومجلس الأمن حيث كانـــت المطالبـــة بوقـــف التوغل في الأراضى الإريترية، وكان التصديق على حقها فى الأراضى التي ســـيطرت عليها من إريتريا تأييداً عالمياً واضحاً ومساندة أمريكية غير مباشرة لسياسة إثيوبيا ضد النظام السياسي السائد في إريتريا بزعامة أساسي أفورقي.

بجانب ذلك تلعب إثيوبيا بورقة المعارضة الإريترية التي ضاقت ذرعاً بسياسة العنف والبطش وكبت الحريات التي يتبعها أفورقي مع المعارضين له ، وتطمع في إسقاط (أفورقى) ليتولى خلفاً له أحد أبناء القبيلة التيجرية الموالين لإثيوبيا، فى الوقت الذى ترفض تماماً تولى أي حزب إسلامى فى إريتريا خلفاً لأفورقى ، إذ إنها في هذه الحالة من الممكن أن تعيد علاقاتها من جديد مع أفورقى ضد أى نظام إسلامى يقوم فى منطقة القرن الإفريقى .

أما بالنسبة للولايات المتحدة فإنها تعتمد على الدولتين في تأديب بعض الدول المجاورة فى المنطقة، فهى تريد أن يقوى نفوذها فى إريتريا وإثيوبيا ،مقابل النفوذ الفرنسي القوى

في جيبوتي، وهى في نفس الوقت تريد استمرار دعمها لإسرائيل عبر دول القرن الإفريقى والبحيرات العظمى، هذا بجانب السيطرة على الوضع فى السودان وتعقب الخلايا الإسلامية ومعسكرات التدريب التابعة لأسامة بن لادن هناك، وتوفير الدعم الكامل لسياسة جون جارانج ، وتقسيم السودان وإقامة حكومة في الجنوب تكـون موالية للولايات المتحدة وإسرائيل لمواجهه النظام الإسلامى فى الشمال السودانى ، هذا بالطبع لا يخفى رغبة الولايات المتحدة من الاستفادة اقتصادياً من المنطقة عبر فتح أسواق جديدة لها وعقد صفقات تجارية مع بعض الحكومات، بما فيها تجارة الأسلحة لبعض الأنظمة الموالية لواشنطن ضد الأحزاب والتيارات الإسلامية التي بدأت تتزايد في بعض الدول الإفريقية.

كما أن لظهور البترول بنسب كبيرة في السودان ومنطقة دارفور قد يدفع الولايات المتحدة إلى فتح مشاريع استثمارية جديدة لها في المنطقة لزيادة احتياجاتها من البترول على الأمد البعيد.

فالجنرال "جيمس جونز" الذى يعد من أبرز قادة الجيش الأمريكى الذى زار بعض الدول الإفريقية في أبريل (٢٠٠٣م) ، أشار إلى أن الولايات المتحدة تسـعى لزيـادة تواجدها العسكري المستقبلي في القارة الإفريقية للرد على مـا وصـفه بالتهديـدات الجديدة التي تمثلها بعض الدول المتهمة برعاية الإرهابيين والمتطرفين علـى أراضـيها، والذين سببوا للإدارة الأمريكية إحراجاً كبيراً بعد أحداث سبتمبر، فضلاً عن الخسائر الضخمة في الاقتصاد الأمريكي ويمثل ذلك السودان، والصومال، واليمن، وجيبوتى ، ونيجيريا،وجنوب إفريقيا وبعض التيارات الإسلامية في أوغندا، وإريتريـا، وراهنـت الولايات المتحدة على الدور الإثيوبى في منطقة القرن الإفريقى لوقف النفوذ الإسلامى القادم من السودان داخل القارة الإفريقية من ناحية، وإمكانية تهديد الأمـن القـومي المصري من ناحية أخرى.

وفي إطار التوجه الأمريكى تجاه منطقة القرن الإفريقى قام وزير الدفاع الأمريكي "رامسفيلد"بزيارة إثيوبيا وإريتريا وجيبوتي وكينيا، فى أعقاب وصول حاملة الطائرات : " (يو . إس . إس) للمنطقة، حيث أعلن "جون ساتلر" قائد القوات الأمريكية فى جيبوتى عن اكتمال هياكل قوات التحالف والمناهضة لما يسمى بالإرهاب في القرن الإفريقى، صاحب ذلك بروز القوى الإسلامية في العديد من دول المنطقة ومطالبتها

بتطبيق الشريعة الإسلامية سواء أكان ذلك في السودان، أم الصومال أم حتى إقليم الأوجادين المحتل من قبل إثيوبيا، واتهام حزب الاتحاد الإسلامى الصومالى بأنه كان وراء تفجيرات سفارتى الولايات المتحدة الأمريكية في نيروبي ودار السلام عام (١٩٩٨م) بالتعاون مع " أسامة بن لادن " [٤٠] .

لذلك كان إعلان الولايات المتحدة الحرب على أفغانستان والعراق مرحلة فاصلة بين مرحلتين، ما قبل أحداث الحادى عشر من سبتمبر وما بعدها ، حيث أصبح أمام الأنظمة السياسية فى العالم تحديد موقفها، إما مع الولايات المتحدة وسياستها ، وإما ضد السياسة الجديدة التي تتبعها حكومة واشنطن مع تجاوز حدودها ، ونطاقها الجغرافي لتعقب الإرهاب في أى مكان في العالم ، كان من بين الدول التي أعلنت عن سياستها إزاء ما حدث من تفجيرات بالولايات المتحدة إعلان الرئيس الإريترى "أساس أفورقى " عدم ممانعة بلاده من استخدام واشنطن أراضيها في الهجوم على العراق .

بل أعلن هذا الموقف صراحة السفير الإريترى بالولايات المتحدة حيث قال : إنه ليس من الضروري أن تنطلق الولايات المتحدة في حربها على العراق من السعودية أو من دول الخليج ، وإنما يمكنها أن تفعل ذلك بسهولة من إريتريا عبر مينائي عصب ومصوع، فى المقابل كانت مظاهرات المعارضة تندد بضرب العراق ، الأمر الذي أعربت فيه الولايات المتحدة عن استيائها من رد فعل إريتريا ، مما دفع الرئيس " أفورقى" إلى استخدام العنـــف مع المعارضة الإسلامية في إريتريا إرضاءً للولايات المتحدة الأمريكية ، واستمـــرار دعمها له وتأييد نظامه الحاكم.

إلا أن الولايـــات المتحدة ورغم التنازلات التي قدمتها إريتريا لها فى حربها ضد العراق ، إلا أن واشنطن فضلت عدم التعويل كثيراً على ذلك ، حيث لم ترض عن النظام السياسي في إريتريا، وأن التنازلات التي قدمها الرئيس أفورقى كانت من قبيل مساعدته في التخلص من المعارضة الإريترية التي تمثل شوكة فى استمرار حكمه وفى إدارته للبلاد، فاتهم المعارضة بأنهم تلقوا أموالاً من " أسامة بن لادن "، كما اتهم بعض العناصر الإسلامية فى أسمرة بانتمائهم لتنظيم القاعدة[٤١] إلا أن الولايات المتحدة لم تأخذ بما أعلنه أفورقى وخاصة وأن النظام السياسي الإريتري يعمل بدون دستور ولا مؤسسة تشريعية، بجانب قيام الحكومة الإريترية بإيجاد خلل فى التوازن الديموغرافى بعد طرد أكثر من مليون إريترى معظمهم من المسلمين إلى الأراضى السودانية ورفض عودتهم، ومحاولات فرض

اللغة التيجرية على طلاب المدارس فى المراحل الابتدائية، واللغة الإنجليزية في المراحل الثانوية والجامعية، وأن هذه الممارسات غير مقبولة وخاصة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر (٢٠٠١م) ، وأن النظام السياسي في إريتريا مطالب بضرورة إجراء تعديلات شاملة في سياسته القمعية وإحداث انفراجة حقيقية في مجال الديمقراطية والحريات الأساسية.

ثالثا : أحوال الأقليات الإسلامية في شرق إفريقيا

تضم دول شرق إفريقيا خمس دول تزيد في بعضها نسبة المسلمين مثل : أوغندا وموزمبيق ، وتتناقص في كل من كينيا، وملاوي، وملاجاش، والجدول التالي يوضح جملة تعداد المسلمين في دول شرق إفريقيا وهى (٤٢) :

الدولة	نسبة المسلمين	عدد المسلمين بالمليون
كينيا	٣٥%	٩,٥٣,٠٠٠ مليون
أوغندا	٥٥%	١٠,٩٠,٠٠٠
موزمبيق	٥٥%	٩,٨١,٠٠٠
ملاوي	٣٥%	٣,٢٩,٠٠٠
ملاجاش	٢٥%	٣,٢٠,٠٠٠

ومن خلال الجدول السابق يتضح أن الإسلام استطاع أن يؤثر بشكل ملحوظ في دول شرق إفريقيا تأثيرا بالغا مع أن الإسلام هناك ما يزال - إسلام الأقليات - فمن تعدد الآلهة وعبادة الأصنام وتقديس مظاهر الطبيعة إلى عقيدة التوحيد، ومن الخرافات والأساطير والجهل إلى العلم وفتح المراكز والمدارس وإقامة المساجد الإسلامية (٤٣) ويبلغ عدد سكان دول شرق إفريقيا (٨٥,٧) مليون نسمة يمثل المسلمون منهم (٣٦,٧) مليون مسلم بنسبة قدرها (٣٩,٧%) من الإجمالي (٤٤) .

١- أحوال الأقليات الإسلامية في جمهورية كينيا:

يصل عدد سكان كينيا لـــ (١٦) مليون نسمة موزعين كالتالي: (٥٠% وثنيون، ٣٥% مسلمون، ١٥% ديانات أخرى) ويبلغ عدد الأقلية الإسلامية في كينيا تسعة ملايين نسمة، وهناك من يقول بأن تعدادهم يزيد على (٩) ملايين مسلم بنسبة تصل لــــ (٣٥%) (٤٥) ، وفى السابق كانت كينيا جزءا من مملكة إسلامية هي : " آل سعيد " من سلطنة عمان، التي قاومت الغزو البرتغالي ، ونجحت في إقامة سلطنة زنجبار التي تقاسمتها الدول الاستعمارية فيما بعد ألمانيا وبريطانيا.

ومع أن الأغلبية في كينيا وثنيون ، فإن الديانة النصرانية هي التي تحكم وتسود ، والدين المسيحي هو الدين الرسمي للدولة، ويحتل الإسلام المرتبة الثانية من حيث العدد، وهذا ما يؤكد التأثير الاستعماري الأوربي على هذه البلدان، وأنهم جاؤوا لتكوين مستعمرات لهم في إفريقيا ومعهم أناجيلهم ومبشروهم،كما لم يكن أمام الحكومة الكينية إزاء التزايد الإسلامي في كل المناطق داخل كينيا،إلا الاعتراف بالإسلام كدين، بل والسماح للمسلمين بإقامة مجالس قضائية للفصل فى قضايا المسلمين وفق الشريعة الإسلامية ، وأقرت أيضاً دفع رواتب للدعاة في المساجد والمراكز الإسلامية.

أدى ذلك إلى توحد الجمعيات والهيئات الإسلامية في كينيا إلى أن أصبح للمجلس الإسلامي الكيني قوة مؤثرة - سياسياً واقتصادياً - داخل المجتمع، وكان نتيجة الدعوة والتسامح الإسلامي الذي ظهر عليه المسلمون في كينيا، دخول حوالي (٤٢٢) مسيحياً جملة واحدة في الإسلام من بينهم أحد زعماء الكنائس النصرانية في إفريقيا، وقد ذكرت صحيفة (الرسالة) في عددها الصادر في أكتوبر عام (١٩٩٤م) أن اعتناق الوثنيين والنصارى للإسلام يتم بصورة جماعية، مقابل حالة واحدة أو اثنتين للمرتدين عن الإسلام، وغالباً ما يكونون فعلوها للدعاية [٤٦].

وعلى الرغم من هذا كله تواجه الأقلية الإسلامية في كينيا العديد من التحديات أبرزها ؛ قلة المدارس الإسلامية داخل المناطق والمقاطعات في كينيا ، واختلاف الجماعات الإسلامية والتضييق عليها لمنع انتشار الإسلام ، واضطهاد غير المسلمين الذين يقبلون على الإسلام وتعقبهم وإيذاؤهم ، هذا بجانب تمسك بعض المسلمين هناك بممارسة العادات الوثنية ، حيث إن كثيراً منهم لا يعرفون إلا القليل عن عقيدتهم ، نتيجة التأثير الاستعماري القوى على هذه البلدان والرغبة الأوربية في استمرار التفوق النصراني على المسلمين حتى وإن كانوا أقلية ، وبجانب ذلك تدخل كينيا في تحالف مع إثيوبيا وتنزانيا وجنوب السودان وأوغندا لتطويق الإسلام في شرقي إفريقيا، حيث تعد كينيا من المراكز التنصيرية الكبرى في القارة، وتتلقى الدعم اللازم للتنصير من مجلس الكنائس العالمي والمقر البابوي في الفاتيكان.

٢- أحوال الأقليات الإسلامية فى دولة ملاوى :

يبلغ عدد سكان ملاوي (٩) ملايين نسمة، وقد دخلها الإسلام عن طريق تترانيا، وتشير الإحصائيات أن المسلمين كانوا مع بداية القرن العشرين يمثلون (٦٠%) من جملة تعداد السكان بملاوي، ونتيجة حملات الاضطهاد والطرد من جانب الحكومة النصرانية للأقلية الإسلامية وصلت نسبتهم (١٧%) في عام (١٩٨٢م)، حتى إن سجلات الجامعات والمدارس هناك لم يكن مقيداً بها طالب مسلم واحد، إلا أنه مع مطلع التسعينيات من القرن العشرين زادت نسبة الأقلية الإسلامية في ملاوي عن طريق جهود الدعاة، والهيئات الخيرية الإسلامية العالمية لترتفع النسبة من (١٧%) إلى (٢٥%) عام (٢٠٠٠م) ويصل عدد المسلمين هناك الآن (٣,٢٩٠,٠٠٠) مليون مسلم ووصلها الإسلام عن طريق دولة آل سعيد في شرقي إفريقيا في القرن العاشر الهجري، وبعد الاستقلال تولى رئاسة الدولة هتستنجرباندا (١٩٦٤-١٩٩٤م) الذى استمر في الحكم حوالي ثلاثين عاماً ، عاني فيها مسلمو ملاوي ألواناً مختلفة من العذاب والاضطهاد ، وكان ينتمي إلى الكنيسة الأسكتلندية، وكان راعياً في أكبر كنائس ملاوي قبل توليه الحكم[٤٧] .

٣- أحوال الأقليات الإسلامية في جمهورية موزمبيق:

يمثل المسلمون في موزمبيق الأغلبية وتصل نسبتهم (٥٥%) مقابل (٢٥%) (كاثوليك) و(٢٠%) وثنيون وديانات أخرى ، ويبلغ تعداد المسلمين في موزمبيق حوالي (٦) ملايين مسلم، ولا يوجد لهم إلا ثلاث مدارس ثانوية وغير مجهزة، حيث تشترك كل (١٠٠) قرية أو (١٥٠) قرية في مدرسة ابتدائية واحدة، كما أدى العجز في أعضاء هيئات التدريس بالمدارس إلى الاستعانة بالطلاب الذين انتقلوا لمرحلة أعلى، للقيام بالتدريس لمن هم أصغر منهم ، فالطالب الذي ينهى دراسته بالصف الرابع وينتقل إلى الصف الخامس ، تتم الاستعانة به لتدريس منهج الصف الرابع للأقل منه، أما على المستوى الجامعى ، فلا توجد في موزمبيق إلا الجامعة الكاثوليكية والتي تضم فروعاً عديدة لها داخل مدن موزمبيق ، حتى المدن التي تحظى بأغلبية مسلمة، ووفق الدستور في موزمبيق يمثل الدين المسيحي الديانة الرسمية للبلاد، كما تمكنت الطائفة الكاثوليكية من استصدار قرار من المحكمة العليا هناك بعدم جواز منح الأقليات الإسلامية إجازة في العيدين (الأضحى ، والفطر المبارك) مؤكدين أن صلاة العيد

والتجمع الإسلامى الضخم يعد عملاً إرهابياً ، لا يختلف كثيراً عما يفعله المتطرفــون المسلمون في السودان أو إيران،ومع أن موزمبيق دولة علمانية ولا علاقة لها بالأديان ، إلا أن الطائفة الكاثوليكــية هي المسيطرة على كل نواحي الحيــاة في نظــم الحكــم والإدارة [٤٨] .

٤- أحوال الأقليات الإسلامية في أوغندا:

تعد أوغندا من الدول المهمة في شرق إفريقيا، استعمرتها بريطانيا ونالت اســتقلالها عام (١٩٦٢م) يحدها من الشمال السودان ومن الجنوب تترانيا ومن الشرق كينيا ومن الغرب زائير ورواندا، ولايكاد الوضع السياسي والاجتماعي للأقليات الإسلامية هناك يختلف عن مثيلاتها من دول شرق إفريقيا، حيث يبلغ عدد سكان أوغندا حوالي (١٦) مليون نسمة وتصل نسبة المسلمين منهم حوالي (٥٥%) أي (١٠,٩٠,٠٠٠) مليون مسلم ، وأوغندا من الدول الإفريقية ذات الأهمية الإستراتيجية المتميزة، فهي واحــدة من دول حوض النيل والتي يوجد فيها منابعه.

وتؤكد الدراسات والبحوث التي تناولت دخول الإسلام شرق إفريقيا أن المسلمين دخلوا أوغندا واستوطنوها منذ بداية الهجرات الأولى للإسلام، وتعرضت للاحــتلال الإنجليزي في عام (١٨٦٢م) وقبل الاحتلال البريطاني لم يكن يعرف سكان أوغنــدا غير الإسلام [٤٩] ، ولكن بقدوم المستعمر الأوربى، دخلت النصرانية في منافسة حــادة مع الإسلام - دين الدولة الرسمي وقتها - واستطاعت الحملات التبشــيرية محاصــرة الإسلام والتضييق عليه وجاءت اتفاقية (مانجو) (١٩١٤م) لتقييم هوية أوغندا سياسياً، وتنص على أن يكون حاكم البلاد ورئيس الوزراء ووزير المالية من أتبــاع الكنيســة الإنجليكانية (البريطانية) أما الوزراء فينتمون إلى الروم الكاثوليك .

وظلت أوغندا على هذا النهج السياسي زمناً طويلاً إلى أن جاء " عيدي أمين " عام (١٩٧١م) ليتولى رئاسة أوغندا، حيث كان تولى عيدي أمين الرئيس الأسبق لأوغندا، الاستثناء الوحيد في تاريخها (١٩٧١- ١٩٧٩م) إذ اتهمه الإعــلام الأوربى بانتــهاك حقوق الإنسان واضطهاد المسيحية وعزمت الدول الأوربية على عزله وتولى بدلاً منه " ميلتون أبوكى " (١٩٦٨-١٩٨١م) وهو رجل مسيحي، أظهر من بدايــة توليــه كرهاً شديــداً للمسلمين والإســلام [٥٠] ، وفى عهده تم تحويل الكثير من المســلمين

إلى المحاكم بتهم لا يعرف أصحابها عنها شيئاً ، حتى النساء لم يسلمن من الإيـــذاء وتم اعتقال العديد من النساء بتهمة قيامهن بتعليم أولادهن الإسلام سراً ، حيث إن هـــذا السلوك كان يعد جريمة فى أوغندا.

ومن هنا يلاحظ أنه دائماً ما كانت تأتى السلطة في أوغندا عن طريق المظـــاهرات والانقلابات، وكان موتيسا الثاني أول رئيس يتولى رئاسة أوغندا بعد الخروج البريطاني (١٩٦٢م) ، ونظراً للعنف والشدة التي كان يمارسها ضد الشعب وخاصة المســـلمين منهم، قام عيدي أمين بانقلاب عليه أسفر عن تنازله عن الحكم ، وتولى عيدي أمـــين من عام (١٩٧١م) واستمر حتى أُطيح به في عام (١٩٨٠م) على يد أوبتي الذي خلفه في الحكم واستمر هو الآخر حتى أُطيح به عام (١٩٨٦م) عن طريق موسيفيني ، الذى تولى حكم أوغندا من عام (١٩٨٦م) وحتى الآن بدعم وتأييد من الولايات المتحـــدة الأمريكية .

كما أن بريطانيا لم تغادر أوغندا إلا بعد أن تأكدت أن الكنيسة تسيطر وهي الـــتي تدير شؤون البلاد (١٩٦٢م) ورغم التضييق السياسي علـــى المســـلمين في أوغنـــدا لسنوات طويلة، إلا أنه تم السماح لهم بدخول انتخابات البرلمـــان عـــام (١٩٩٤ م) وتمكنوا من الفوز بـــ (٢٤) مقعـــداً من أصل (٢١٤) مقعداً، وكـــانوا مرشـــحين للحصول على أكثر مـــن ذلك من المقاعد ، إلا أن الفرقة والخلاف بـــين الفصـــائل الإسلامية كانت أحـــد المعوقـــات التي حـــالت دون تحقيق ذلك في الوقـــت الذي اتحدت فيه الطوائف المسيحية تحت ما يسمى بـــ " مؤتمر الاتحاد النصراني " وحصـــلوا على مقاعد أكثر.

أما حركة المقاومة الوطنية فهي تمثل الحزب الحاكم، أما الحزب الديمقراطي فيأخـــذ بالأيديولوجية الكاثوليكية ويشاركه في الميول حزب المحافظين أما حزب المؤتمر الشعبي فيتبع الطائفة البروتستانتينية [٥١] .

ومن هنا فإن الأقليات الإسلامية في أوغندا قد حرمت من كافة حقوقها السياسية، بعد أن رفضت الحكومة التصديق على إقامة أي حزب إسلامي، والسماح له بالذوبان في الأحزاب النصرانية، في الوقت الذي أعلن فيه : " الرئيس موسيفيني " الذي يتـــولى من عام (١٩٨٦م) وحتى الآن أن حزبه يتبنى الديمقراطية ولا يفرق بـــين الأديـــان، في مثل هذه الحقوق، هذا في الوقت الذي منعت فيه الحكومة تدريس اللغـــة العربيـــة في

المدارس الابتدائية – على الرغم أن أوغندا عضو في منظمة المؤتمر الإسلامي– في الوقت الذي تسمح فية بتدرس الألمانية والفرنسية في مدارسها بكل حرية ودون قيد أو شرط.

وتتنوع مشكلات الأقليات الإسلامية في أوغندا ما بين مشكلات داخلية – وتظهر في الانقسامات بين الطوائف الإسلامية بعضها البعض – والمشكلات الخارجية ؛ أي خارج إطار الأقليات الإسلامية ، وتتمثل في منعهم من مزاولة حقوقهم السياسية والتعليمية والتجارية ومع أنهم يمثلون أغلبية، فإن وزنهم السياسي غير مؤثر في السلطة الحاكمة التي تختلف مع الأقليات الإسلامية في العقيدة واللغة والتوجه الفكري والأيديولوجي.

وأخيراً فإن جمهورية أوغندا تمثل لوحة طبيعية، رائعة الجمال، فقد كانت أملاً لكل الرحالة والمكتشفين الذين انطلقوا بحثاً عن منابع نهر النيل وعن بحيراتها الكثيرة وغاباتها الواسعة ، فهي تضم بحيرة ألبرت، وبحيرة جورج وبحيرة إدوارد، وبحيرة فيكتوريا، وتعد الأخيرة هي المنبع الحقيقي لنهر النيل، وواحدة من أضخم بحيرات العالم، ولعل وفرة البحيرات والمعدل المتوسط لسقوط الأمطار كانا الضمان لأوغندا من عدم الجفاف والتصحر، فهي خضراء طول العام، وبسبب موقعها الإستراتيجي المهم تسارعت القوى الاستعمارية الكبرى على احتلالها منذ سنوات عديدة.

التنصير الأوربي في أوغندا :

تضم أوغندا كنيستين تتمتعان بنفوذ قوى على المستوى الشعبي والرسمي هي الكاثوليكية والبروتستانتينية حيث تبنت هذه الكنائس محاربة الرق والقضاء عليه في محاولة لوقف المد الإسلامي المتزايد داخل أراضى أوغندا من كل الدول المجاورة.

واستطاعت الكنيسة الوصول لكل بقعة من بقاع أوغندا، وبدأت في بث أفكارها المعادية للإسلام تحت زعم أن المسلمين ما جاؤوا إلى أوغندا إلا بحثاً عن سن الفيل والتجارة واستغلال مواردها الطبيعية، الأمر الذي ترك أثراً سيئاً عند من كانوا يفكرون في الانضمام إلى الإسلام، وتفاعلت الكنيسة مع الأهالي وقت أزماتهم وفى الكوارث التي تحل بهم، فأقامت المستوصفات والمستشفيات المجانية، وكذلك مدارس رياض الأطفال والابتدائية والجامعات ، حتى أنه وبمجرد تخرج هؤلاء الطلاب من مدارسهم وجامعاتهم يدينون بالفضل لمن أقام لهم هذه الخدمات.

وأوغندا من الدول ذات الشأن الكبير فى مجلس الكنائس العالمي، وله فيها مراكـز كثيرة للتبشير، ويهبط البابا إلى مطار أوغندا عند زيارته لشرق إفريقيا، كأول محطة في زيارته للقارة، وتمول الاستعدادات لهذه الزيارة من قبل الفاتيكان، كمـا أن افتتاحـه لكنيسة " نامو تونقو " الضخمة دليل على أن أوغندا تحظى باهتمام الكنيسة باعتبارها من أهم مراكز التبشير في إفريقيا.

وفى هذا الإطار عقد مؤتمر الكنائس في مدينة " جنجا " عـام (٢٠٠٢م) حضـره ممثلون عن كنائس العالم، وخبراء الحركات التبشيرية العالمية تحت ستار : " مواجهـة الأخطار التي تواجة المسيحية " ونوقشت فيه الأخطار التي تواجه المسيحية في العـالم كان من أهم المحاور التي تم مناقشتها خطر الإسلام على المسيحية فى إفريقيا،وكيفيـة إيقافه في معظم دول العالم بما فيها الدول الأوربية ذاها.

وتشير العديد من المصادر إلى أن الإسلام دخل أوغندا عن طريق السـودان الـتي انتشر فيها الإسلام منذ القرن الـ (١٤) حيث نشأت علاقات تجارية بين المسلمين في السودان وبين سكان أوغندا، حتى أن تبادل الزيارات والهدايا والصـفقات التجاريـة دفعت البعض من تجار أوغندا إلى اعتناق الإسلام ، وعلى أثر ذلك فقد دخـل عـدد كبير من الأوغنديين الإسلام من بينهم " إدوارد الثاني " ملك قبيلة بوكندا، التي كانت تحتل وسط أوغندا، ومنذ ذلك الحين والإسلام يشق طريقه بين القبائـل الأوغنديـة بسرعة متناهية.

وقد يرجع ذلك لكون الإسلام أول دين سماوي عرفته قبائل أوغندا ، فقـد سـبق المسيحية بعشرات السنين، وهذا بالطبع يؤكد حقيقة أن الإسلام سبق المسـيحية إلى إفريقيا، بل في معظم الدول الإفريقية، إلا أن الطبيعة القبلية الإفريقية قـد سـاعدت المبشرين والمنصرين على تعليم الذين لا يقرؤون ولا يكتبون كيفية قـراءة الكتـاب المقدس، بل إنهم كانوا يفرضون الأمية على بعض المناطق حتى لا يكون هناك وعـى بحقوقهم، وتجعل الأمي — دائماً — في حاجة إلى غيره ، ولا يستطيع الاعتمـاد علـى نفسه في كل أموره وأحواله.

أما الطرق والمذاهب الإسلامية فكانت متعددة (٥٢) ، وقامت هى الأخرى بـدور مهم في نشر الدعوة الإسلامية في أوغندا، ولكن لم يكن هناك تنسيق فيما بينهم، وساد النزاع والتشرذم بين مختلف الفصائل، فالمذهب الشافعي يعد من المـذاهب الأكثـر

انتشاراً في أوغندا ، كما استطاعت بعض المنظمات الإسلامية السعودية إقامة العديـــد من المدارس والمساجد، والمستشفيات ومنح الطلاب المسلمين فرص التعلم في الجامعات الإسلامية في البلدان العربية والإسلامية .

وتقوم الجماعة الأحمـــدية التي أسسهـــا " أحمد القـــادياني " في الهنـــد في مطلـــع القرن الـــ (١٩) والتي تغير اسمها في إفريقيا من " القاديانية " إلى " الأحمدية "، بإقامـــة العديد من المدارس والمساجد وتقديم المنح للشباب لاستكمال دراستهم في باكســـتان والهند وبعض البلدان الأوربية وطبعوا القرآن بـــ (٣٥) لغة عالمية، ويدينون بـــالولاء للنظام المسيحي الحاكم في أوغندا، أما الإباضية فقد ظهرت في بداية القرن العشـــرين بجزيرة زنجبار، وهم من العمانيين، واقتصرت أنشطتهم على التجارة والزراعة.

أما الأغاخان فهي فرقة من المذهب الإسماعيلي، دخلوا أوغندا قادمين مـــن شـــبه القارة الهندية عام (١٩٢٥م) وأقاموا كذلك العديد من المدارس والمستشفيات لعـــلاج أبناء المسلمين من طائفتهم وبلغت بهم شهرتهم في الأعمال التجارية حتى أصبحوا مـــن كبار رجال الأعمال في أوغندا.

بينما تؤدى مؤسسة أهل البيت في محافظة (أيغانغا) الواقعة على بعد "٤٠كم "مـــن مركز أهل البيت، دورها فى خدمة الأقليات المسلمة هناك بتمويل من بعـــض رجـــال الأعمال الكويتيين الذين ينتمون لأهل البيت، ولهذه المؤسسة نشاطات متعددة في بناء المساجد، والمدارس، والمستشفيات.

أما جمعية الشيعة الخوجة والتي مقرها العاصمة " كمبالا " فينحصر نشاطها الـــديني في الاهتمام بالمساجد التابعة لهم ، والمداومة على قراءة القرآن وتحديداً ســـورة يـــس، وهم لا يلتقون إلا يوم الجمعة فقط، وينصرفون بعد أداء صلاة المغـــرب والعشـــاء فى جماعة.

رابعا: أحوال الأقليات الإسلامية في دول وسط إفريقيا

وتتكون هذه المجموعة من (تشاد والنيجر ومالي وبوركينا فاسو وإفريقيا الوسطي) ويبلغ عدد سكان هذه البلدان (٣٥,٦٦٥,٠٠٠) مليون نسمة ، يمثل المسلمون منهم (٢٩,٠٤) مليون مسلم بنسبة مئوية قدرها (٨١%) هذا بخلاف زائير التي قد يصنفها البعض ضمن دول إفريقيا الوسطي.

ويشير الجدول التالي إلى وضع الأقليات الإسلامية في وسط إفريقيا ونسبة ما يمثله المسلمون مقارنة بالأديان الأخرى [٥٣] .

الدولة	المسلمون	النصارى	الوثنيون
تشاد	%٨٥	%٥	%١٠
النيجر	%٨٦	%١	%١٣
مالي	%٩٣	%١	%٦
بوركينا فاسو	%٦٥	%٥	%٣٠
إفريقيا الوسطي	%٥٥	%١٥	%٣٠

ويشير الجدول السابق إلى أن زائير والتي يبلغ تعداد المسلمين بها حوالي (٧) ملايين مسلم من إجمالي عدد سكان يقدر بـ (٣٥) مليون نسمة تعد ثالثة دول إفريقيا من حيث المساحة بعد الجزائر والسودان ، تتعرض فيها الأقليات الإسلامية لصنوف عديدة من الاضطهاد، فالمسلمون هناك من طبقة الفقراء (الأجراء) مع أن زائير دولة غنية بمناجم الذهب والماس، كما يوجد في العاصمة كينشاسا (٥٠٠) كنيسة مقابل (٧) مساجد لا يتم فتحها إلا في المناسبات، كما تدعم الحكومة الحملات التنصيرية في الوصول إلى أهدافها لمحو الهوية الإسلامية بجانب الطائفة القاديانية التي تسعى لهدم الإسلام وإخفاء معالمه [٥٤] .

والملاحظ أن دول وسط إفريقيا تحظى بأغلبية مسلمة، مقابل أقلية نصرانية ووثنية، إلا أن هذه الأغلبية – ماتزال تعاني من ضعف في وزنها السياسي والاجتماعي – [illegible] معاملة الأقلية، وهذه السمة لم تكن موجودة في وسط إفريقيا فحسب، بل في

معظم البلدان الإفريقية ذات الأغلبية المسلمة، حيث تؤول السلطة السياسية فيها إلى الأقلية النصرانية ،والسلطة بمعناها الواسع وليست شخصاً واحداً، ولكنها جهاز الدولة كله بما في ذلك الجيش، والتعليم، والخدمة المدنية.

ففي بلد مثل نيجيريا والتي يبلغ تعداد المسلمين بها حوالي (٨٠) مليون مسلم من عدد سكانها البالغ (١٠٠) مليون نسمة، مع أن المسلمين فيها أغلبية، إلا أن المؤسسات التعليمية – وخاصة التعليم العالي – يقع تحت السيطرة النصرانية[٥٥] فهم يتحكمون حتى في نسبة دخول أبناء المسلمين في الجامعات والمعاهد العليا، ومع أن الإسلام يتعرض لمضايقات وتحديات كثيرة في وسط إفريقيا، فإنه ما يزال يتوسع توسعاً كبيراً، حيث استطاع أن يضاعف من نفسه في العشرين سنة الأخيرة[٥٦] وذلك عن طريق الطرق الإسلامية المختلفة كالصوفية التي تمكنت من أن تنقل الإسلام الصحيح إلى هذه البلدان والدعوة للدين الإسلامي بالحكمة والموعظة الحسنة [٥٧] .

أحوال الأقليات الإسلامية في جمهورية تشاد:

تعد تشاد إحدى الدول الإفريقية التي تتمتع بأغلبية مسلمة، وتشير آخر الإحصائيات الرسمية عنها أن تعداد المسلمين بها (٩٠%) بعدد سكان يبلغ (٧) ملايين مسلم مقابل (٨٥%) عام (١٩٩٢م)[٥٨] إلا أن الدستور التشادي ينص في مواده على أن اللغتين الفرنسية والعربية لغتان رسميتان، حيث إن اللغة الفرنسية هي لغة الإدارة والحكم [٥٩]وتحظى بدعم من الحكومة الفرنسية، وعندما أدركت المملكة العربية السعودية خطورة الزحف النصراني على جوانب الحياة العامة في إفريقيا عامة وفى تشاد خاصة ، أقامت جامعة الملك فيصل هناك عام (١٩٩١م) [٦٠] وسط إفريقيا حتى يظل الدين الإسلامي واللغة العربية هما السمة المميزة لجمهورية تشاد ذات الأغلبية المسلمة، فقديماً مارست الحكومة النصرانية حملات اضطهاد وحشية لتصفية الإسلام من وسط إفريقيا، إلا أن محاولاتها لم تلق نجاحاً نظراً لجذور الإسلام التي امتدت وتعمقت في هذه الأرض منذ مئات السنين، وما تتعرض له الأغلبية المسلمة في تشاد يتماثل ويتشابه مع نظيراتها بدول وسط إفريقيا.

خامساً: أحوال الأقليات الإسلامية في غرب إفريقيا

الثابت أن الديانات الوثنية تعكس بصورة واضحة أحوال المجتمع الإفريقي الـوثني الذي يعيش في اقتصاد قبلي مغلق، وتقوم العبادة في الوثنية على الرمز (التوتم) وعلى ذكريات وآثار الأجداد، والطقوس في هذه العبادة ترمز في المناطق الخصبة إلى الزراعة (إله الأرض، وإله الماء) وهى ترمز إلى ضعف الإنسان أمام الطبيعة وهو ما يعـرف بتقديس القوة الذي لعب دوراً مهماً في الوثنية.

كما لم تكن الصحراء الكبرى الفاصلة بين إفريقيا العربية وإفريقيا السوداء الغربيـة حاجزاً يقف أمام نشاط العرب المسلمين في أداء رسالتهم الحضارية الإنسـانية، فقـد حمل المسلمون من العرب والبربر الدين الإسلامي إلى إفريقيا في رحلاتهـم التجاريـة، وقام بالدعوة أيضاً الدعاة والمتصوفون كما نشرتها الجيوش الإسلامية في بعض المناطق، ولم يكن انتشار الإسلام مستمراً ومتواصلاً في بعض الأحيان في غرب إفريقيا، فقـد اصطدم بالممالك الوثنية التي يتزعمها ملوك هم في الوقت نفسه من كبار رجال الدين، لهذا فقد احتفظت بعض القبائل بوثنيتها مثل الدوغون ، والبامبرا في مالي، والموسى في فولتا العليا.

ولعل أهم مميزات الدعوة الإسلامية في غرب إفريقيا أنها ليست رسمية، ولا توجـد دولـة إسلامية تمول الدعوة مادياً أومعنوياً، فالدعاة يقومون بأعمالهم تقرباً منـهم إلى الله ، وبالتالي نستطيع القول : إن الدعوة الإسلامية قامت في بدايتها علـى جهـود الأفراد، والطرق الصوفية والجماعات ولا تتشابه أساليبها، وكان ينقصـها التنظـيم والتنسيـق مما يؤكـد أنه لم يكن لدى الدول الإسلامية أية خطط جـاهزة لنشـر الإسلام في إفريقيا ؛ لأن هذا من شأنـه أن يثـير خلافاً دينياً في ظل الظروف الدولية الراهنة [٦١] .

ومن العادات الجاهلية التى ماتزال منتشرة بين المسلمين وخاصة فى إفريقيا الغربيـة وجود مزارات يحج إليها الناس في موريتانيا، وطوبة في السـنغال، وجنـة في مـالي، وظهور جيل من المسلمين يتصدون لأمور كثيرة مثل الفتوى والاجتهاد والفصـل في المسائل الدينية، وقد يكون جاهلاً بها، وقد يكون من غير الدارسين للـدين وعلومـه الشرعية والفقهية، هذا فضلاً عن أن الأعياد الإسلامية تسمى بأسماء ليست كالأسمـاء

التي يحتفل بها المسلمون فى العالم فيسمى عيد الأضحى في السنغال " تاباسكى " ، وعيد الفطر " كوري " ، وعاشوراء " تاماكات " ، ومولد النبي " غامو " كما يحتفل الإفريقيون المسلمون بالختان احتفالاً كبيراً، ويكون في سن العاشرة غالباً، ويقوم بهذه العملية الحداد أو القصاص (الحلاق) بينما تقرع طبول "التام تام " وتعلو أصوات الفرح بين المدعوين ، ويعد الختان عندهم دلالة على مرحلة الشباب والنضج .

وعلى الرغم من ارتباط المسلمين في غرب إفريقيا بالإسلام، إلا أنهم ما يزالون يحتفظون بتراث الأجداد، وخاصة في مسألة التعاويذ ومراسم الولادة والوفاة، ففي روفيسك، وهى قرية قريبة من (دكار) تقطن قبيلة (ليبيو) وهى تعيش على الصيد البحري، يتصف رجال هذه القبيلة بالتدين، أما النساء فهن وثنيات ، وما زلن يقدمن القرابين للمحاريب في البيوت، وهناك تنتشر الاعتقادات بالسحر والإيمان بالتعاويذ والخوف من الجان (الشيطان) ، وما تزال رقصة المطر منتشرة بين بعض قبائل السونراى والجرما في مالى، بقصد استهواء إله المطر بأنغام "التام تام " حتى تمطر السماء(٦٢) .

وعلى هذا فإن المسلمين في غرب إفريقيا ليسوا كإخوانهم في شرقها، حيث تحتل الأكثريات الإسلامية في غرب إفريقيا شمالاً غالباً، وتتفاوت بالتالى في أهميتها ووزنها السياسي والاجتماعي في الدولة، حيث يصل عدد المسلمين في غرب إفريقيا نحو (٢٢١,١) مليون مسلم، يمثلون نسبة (٧٠%) إلا أن هذا العدد الضخم نسبياً عديم الفعالية والتأثير فى النظام السياسي والاجتماعي السائد في تلك البلدان.

وفي السنغال أكثرية مسلمة، ولكن الحكومة تدين في سياستها بالمذهب العلماني اللاديني، وتحد من الأنشطة الإسلامية باعتبارها من الأعمال الإرهابية ، ورغم ذلك فإن الإسلام يتزايد نسبة الذين يقبلون عليه في العديد من المناطق في غرب إفريقيا مثل فولتا العليا وساحل العاج وسيراليون، وتراجع كبير فى حملات التبشير الأوربية التى لم تكن تعلم عن هذه البلدان شيئاً إلا عندما ضرب الاستعمار الأوربى أطنابه فيها، ومارس من خلالها نشاطاته التبشيرية .

فالسنغال كإحدى الدول ذات الأغلبية المسلمة في غرب إفريقيا تضم طوائف وفرقاً دينية عديدة، إلا أنها ليست متعاونة بين بعضها وتظهر بصـورة سـيئة وتسـيء إلى الإسلام قبل الإساءة إليهم أنفسهم، وتشير الإحصائيات الحديثة إلى أن المسـلمين في السنغال يمثلون نحو (٩٥%) من السكان، وتعدادهم (٨) ملايين مسـلم، في الوقـت الذي لا يصل فيه عدد الذين ينتمون للمسيحية على مختلف الطوائـف (٢٠٠) ألـف مسيحي فقط ، وعلى الرغم من أن السنغال دولة ذات أغلبية مسلمة، إلا أنها أغلبيـة في حكم الأقلية، فليس من حقها أن تشارك في صنع القرار داخل الدولـة، وذلـك لسيطرة الحكومة المسيحية على مقاليد الأمور في السنغال.

كما أن الاستفتاء الذي أقامته فرنسا قبل خروجها من السنغال أشار إلى أن نسـبة الأمية تمثـل (٥٣%) من السكـان وفى نفس الوقـت يجيدون التحدث بالفرنسـية، وأن (٢٥%) من السكـان يقرؤون ويكتبون العربيـة ، ثم أسرعت بتعـديل هـذه البيانـات واعتبرت أن من يجيـد اللغة العربية يعد أمياً لأنه لا يعـرف شـيئاً عـن الفرنسية [٦٣] .

وفى سيراليون يمثل المسلمون أكثر من (٨٥%) مـن إجمـالي السـكان حسـب إحصائيات (٢٠٠٠م)، إلا أن إحصائيات (١٩٩٥م) تقول : إن المسلمين لا يزيـد تعدادهم عن (٧٠%) من جملة السكان.، وسيراليون على الرغم من الأغلبية المسـلمة التي تقطنها سواء كانت الإحصائيات جديدة أم قديمة، لم يعتل عرشها حاكم مسـلم قبل " أحمد تيجان " الذي تم انتخابه في عام (١٩٩٧م) مع أن المسـلمين هنـاك لم يكونوا في يوم ما أقلية عددية، ولكنهم كانوا أقلية مـن حيـث الـوزن السياسـي والوزارات لم يكن يتعدى نسبة تمثيل المسلمين بها عن (٥%) فقط .

أما في بنين والتى تضم هي الأخرى أغلبية مسلمة تبلغ نحو (٥٥%) من إجمالي عدد السكان البالغ (٧) ملايين نسمة ، وتتعرض هذه الأغلبية لحملات الاضطهاد والعنف من قبل الحملات التبشيرية والحكومة المسيحية التي تسعى جاهدة لاقـتلاع جـذور الإسلام من المنطقة ، حيث تمارس هذه الأقلية ضغوطاً عنيفة على المسلمين تتمثـل فى عمليات خطف أطفالهم بالقوة وتعميدهم في الكنائس وتبـديل أسمـائهم إلى أسمـاء مسيحية .

وفى غينيا التي استعمرها فرنسا سنوات طويلة، ولقيت فيها مقاومة شديدة من قبل المسلمين [٦٤] استطاع حزب غينيا الديمقراطي الذي تم الإعلان عنه بعد الحرب العالمية الثانية عام (١٩٤٧م) بزعامة "أحمد سيكتورى " مقاومة الاستعمار الفرنسي حتى حصلت غينيا على الاستقلال، واستمر في حكم البلاد من(١٩٥٨-١٩٨٤) تعرض خلالها المسلمون للتضيق في ممارسة عبادهم وشعائر دينهم على العكس من أصحاب المعتقدات الأخرى.

أما فى تنزانيا فتصل نسبة المسلمين حوالى (٦٥%) من إجمالي السكان، ومع ذلك لم يحكمها حاكم مسلم خلال (٢٦) سنة من الاستقلال، كما لم يتول وزارة التعليم وزير مسلم، بل لم يكن هناك مدير للتعليم من المسلمين، و لم تعترف الحكومة التنزانية بأي مدرسة إسلامية، في الوقت الذي بلغت نسبة الطلاب المسلمين في الجامعة حوالي (٣%) فقط [٦٥] .

ويبدو من المؤشرات السابقة أن لذلك جذوره التاريخية فى الصراع الإسلامي – المسيحي في القارة الإفريقية ، فأثناء الحكم البريطاني لغرب إفريقيا، لم تنفق الحكومة البريطانية على التعليم الإفريقي من ميزانيتها شيئاً، ولكنها منحت البعثات التبشيرية رخصة فتح المدارس ، حيث كان على المسلم الذي يرغب في التعليم أن يتلقى تعليمه في مثل هذه المدارس التبشيرية التي تركز في مناهجها على دراسة الإنجيل وعلومه [٦٦] في الوقت الذي شهدت فيه رواندا صحوة إسلامية كبرى تمثلت في إقامة العديد من المراكز الإسلامية والمساجد، وارتفعت جملة المسلمين فى رواندا من (٦%) عام (١٩٨٠) إلى (١٥%) عام (١٩٩٦) وأصبح الإسلام ضمن الأديان الرسمية المعترف بها في رواندا، كما تم قبول الطلاب المسلمين بالجامعة وتعيين وزيرين مسلمين وبعض المحافظين ونواباً في البرلمان، هذا على العكس تماماً من الوضع السياسي والاجتماعي الذي تشهده الأقلية المسلمة في تنزانيا، حيث تمثل مشكلة التعليم في تنزانيا نموذجاً آخر في غانا التي تصل نسبة المسلمين بها (٣٧%) من حوالي (٨) ملايين نسمة ويتركز التعليم في أيدي المبشرين داخل المدارس الحكومية [٦٧] .

فدولة مثل غانا تعتبر الدين المسيحي هو الدين الرسمي لها، وفى ليبيريا يتم اختيار رئيس الدولة من القساوسة وبترشيح من الكنيسة الأم، يمارسون من منطلق ذلك أبشع أنواع الاضطهاد ضد المسلمين في ليبيريا [٦٨] حيث قد تسببت أعمال العنف ضد الأقلية

المسلمة إلى إبادة أكثر من (٢٥) ألف مسلم على أيدي العصابات التي تتخذ من الصليب شعاراً لها ، فضلاً عن تشريد أكثر من (٧٠٠) ألف مسلم خارج ديارهم .

أما المسلمون في الكاميرون فيصل تعدادهم (٦٠%) من إجمالي عدد السكان، أي حوالي (٧,١٢) مليون نسمة، وقد دخل الإسلام الكاميرون منذ زمن بعيد، واعتنقته القبائل واتخذوه ديناً لهم تاركين عبادة الأصنام والأوثان ، كما استطاعت هذه القبائل أن تحافظ على الإسلام في الكاميرون بما في ذلك اللغة العربية، حيث ما تزال قبائل (الشو، ماندا، وكوتوكو) تتحدث بها رغم أن التركيب الاجتماعى في الكاميرون يشكل أكثر من مائة مجموعة عرقية مثل " العرب السيمتيك " في الشمال، " والبانتو والبيجى " في الجنوب وتستعمل هذه القبائل لغة الفولاني التي تفهمها غالبية التجمعات الإسلامية في الشمال، إلا أن المدارس التعليمية والتربوية تقع في أيدي البعثات التبشيرية، حيث إنهم يسيطرون على (٤٧%) من المدارس الابتدائية و (٧٥%) من المدارس الثانوية، كما يبلغ عدد الطلاب المسلمين في جامعة " ياوندى " ألف طالب فقط مقابل (٦) آلاف طالب نصراني ومنعهم من تولى المناصب الكبرى داخل الكاميرون [٦٩] فضلا عن التضييق على الإسلام ووضع العراقيل أمام انتشاره، فلا وجود له في لمدارس الحكومية، حتى المدارس الخاصة يتولاها إدارياً " القساوسة " كما أن المسلمين هناك يفتقدون إلى الأنشطة الإعلامية ، وإن كان يسمح لهم ببث بعض البرامج الإسلامية في المناسبات ولأوقات محددة سلفاً .

وفى ساحل العاج فيمثل المسلمون (٦٠%) من إجمالي عدد السكان أي حوالي (٧) ملايين مسلم تقريباً من أصل (١٠) ملايين نسمة هم عدد سكان ساحل العاج [٧٠] .

وقد انتشر الإسلام في ساحل العاج عن طريق الطرق الصوفية، وخاصة الطريقة الأحمدية، ثم تعددت الطرق الصوفية هناك وتضاربت فيما بينها، ومن هنا تخضع الفتاوى الإسلامية وأمور المسلمين وشؤونهم للأغراض الشخصية، إلا أن ساحل العاج وفى العشر سنوات الأخيرة بدأ المسلمون هناك يهتمون بالتعليم الإسلامي بكافة مراحله

حتى بلغت جملة الطلاب المسلمين الذين يلتحقون بجامعة " أبيدجان " حوالي (٤٠%) مقابل (٦٠%) للنصارى .

أما في جامبيا وهي تعد أصغر جمهوريات القارة من حيث المساحة يتعرض فيها المسلمون للاضطهاد، وهى عبارة عن لسان داخل جمهورية السنغال عرضه (١٠) أميال وممتد على طول نهر جامبيا في نهاية القرن الإفريقي، ويأخذ نظام الحكم هناك الشكل البرلماني، والغالبية مسلمون (٩٠%) في الوقت الذي يمثل فيه الـ (١٠%) المسيحيون الوزن السياسي الأقوى والأكثر فعالية داخل الدولة(٧١) والملاحظ أنه ومع أن الأقليات الإسلامية في نيجيريا تبلغ في مجملها (٨٠) مليون مسلم من عدد سكان قدره (١٠٠) مليون نسمة ، فإن الظاهرة الأكثر وضوحاً هناك، أن جميع السلطات مخولة للأقلية المسيحية وليس للأغلبية المسلمة، فكل مراحل التعليم في أيدي الأقلية(٧٢)، وهم الذين يحددون نسبة التعليم للمسلمين ولغير المسلمين وكثيراً ما أدى ذلك إلى ظهور العديد من المصادمات وعمليات العنف بين المسلمين الأغلبية والنصارى الأقلية الذين يتعمدون الإساءة إلى الإسلام من خلال وسائل إعلامهم، وكان أبرزها قيام إحدى الصحف التابعة لهم بنشر كاريكاتير يسيء إلى الإسلام والرسول ﷺ ، وتظاهرت الجموع الإسلامية عقب صلاة الجمعة للتعبير عن موقفهم الرافض للإساءة إلى عقيدتهم التي تمثل عقيدة الأغلبية وإن كانت وزن هذه الأغلبية في حكم الأقلية.

وكان نتيجة المصادمات بين المسلمين وقوات الجيش النيجيرى مصرع أكثر من (٢٠٠) مسلم والقبض على (١٢٤) آخرين من آلاف المسلمين، وهدد الكولونيل "جون مداكى " الحاكم العسكري لولاية " يوتشى " بإعدام قادة المسلمين في المدينة إن لم تتوقف المظاهرات ويعود كل مسلم إلى منزلة ومن هنا يتضح أن غالبية المدن في نيجيريا يتولى إدارة حكمها طائفة من النصارى، ولم يأت هذا بفعل الأقلية نفسها ولكن بقوة الاستعمار الأوربى وقت أن كان موجوداً ومستعمراً لهذه البلدان والتأييد الأوربى لهذه الأنظمة فى الوقت الراهن (٧٣) .

ومما سبق ومن خلال عرضنا للوضع السياسي والاجتماعي للأقليات الإسلامية في قارة إفريقيا إلى أن المسلمين في دول القارة يعانون من الاضطهاد والوضع السياسي المتدني سواء أكانوا أقلية أم أغلبية، كما أن التمييز العنصري واضح وملموس في جنوب

إفريقيا بعكس الصورة التي كان عليها في الماضي، حيث مايزال الرجل الأبيض يمارس حقوقاً تعسفية ضد السود، ويظهر هذا بوضوح مع المسلمين، وإن كانت السلطة الآن في أيدي السود، فإن الوضع السابق ما يزال - كما هو - في كثير من مجالات العمل وجوانب الحياة المختلفة .

وقد يرجع أسباب هذا الصراع إلى جمود النظام السياسي في إفريقيا، وارتفاع لغة الخطاب الديني والقبلي والعرقي على الخطاب السياسي لدول القارة ، كما يزال تصريح " بابا الفاتيكان " يدوى في آذان المسلمين في القارة منذ سنوات "من أنه بحلول عام (٢٠٠٥م) ستصبح قارة إفريقيا مسيحية أي غالبية سكانها من النصارى " وهذا مالم يتحقق إلى الآن، فالمسلمون لا يزالون يمثلون الأغلبية العددية في قارة إفريقيا وإن كان وزنهم السياسي أقل بكثير عن وضع المسيحيين هناك[٧٤] .

فإفريقيا وقبل عام (١٩٥٠م) لم يكن فيها إلا نسبة لا تذكر من اليهود، بل لم يكن في نيجيريا يهودي واحد، وكانت تتمتع بأغلبية مسلمة بنسبة ٩٨% إلا أنه في عام (١٩٦٠م) زاد عدد اليهود القادمين من إسرائيل ، واستطاعوا أن يؤثروا على اقتصاد نيجيريا ، وأن يولوا أحد القساوسة المسيحيين رئيساً لجمهورية نيجيريا بعد استقلالها عام (١٩٦٠م) ويدعى "إزيكو" بزعم أنه قسيس مثقف ويحترم الثقافة الغربية[٧٥] .

وبالمثل كان الوضع في السنغال وتشاد حيث تم تعيين اثنين من القساوسة أيضا لتولى الرئاسة لأول حكومات في البلدين ، فالواقع الحالي في إفريقيا يشير إلى أن الأغلبية المسلمة في جمهوريات إفريقيا أغلبية عديدة وأقلية من حيث النفوذ والوزن السياسي ، فرئيس كينيا وهو " دانيال أراب " ، ورئيس أوغندا " موسيفيني "، وأريتريا " أساسى أفورقى " ، وزيمبابوى " روبرت ماجبى " ، والكنغو "جوزيف كابيلا " خلفاً لأبيه "لوران كابيلا " جميعهم من المسيحيين[٧٦] .

بل إن السنغال وهى إحدى الدول التي تتمتع بأغلبية مسلمة وبنسبة ٩٤% تولى رئاسة حكومتها كاثوليكى حكم السنغال لمدة عشرين عاماً وكان يدعى "سينجور" من عام (١٩٦٠م) وحتى (١٩٨٠م) أما في نيجيريا وهى ذات أغلبية مسلمة أيضا تولى رئاستها بعض القساوسة هم القسيس "إزيكو" عام (١٩٦٠م) ، ويعقوب جوون

عـــام (١٩٦٧م) – ثم أباسوبجـــو عـــام (١٩٧٦م) ، ثم شجارى عام (١٩٧٢م) حتى (١٩٩٤م) ثم جاء بابا نجيدا وأباتشى .

ولم يكن الحال فى تترانيا بأفضل مما علية الوضع فى الدول الإفريقية عامة فقد تـــولى جوليوس نيريرى رئاسة الدولة بعد استقلالها عام (١٩٦١م) وحتى عام (١٩٨٥م)، ثم خلفه على حسن معينى عام (١٩٨٥) إلى عـــام (١٩٩٥م) ورفضـــت الولايـــات المتحدة الأمريكية توجهاته الإسلامية وتولى خلفاً له بنيامين مكابا من عام (١٩٩٥م) حتى الآن ، وفى أثناء زيارته الأخيرة إلى إفريقيا هبطت طائرة البابا يوحنا بولس الثـــانى بابا الفاتيكان في مطار كينيا على غير موعد، ثم توجه البابـــا للكنيســـة ليشـــارك في احتفالية تعميد عدد من المسلمين الذين تنصروا وتحولوا إلى الكاثوليكية.

ويأتى هذا فى الوقت الذي سبق وأن أعلن فيه بابا الفاتيكان أثناء حرب البوســـنة والهرسك عام (١٩٩٢م) : أنه وبحلول عام (٢٠٠٥م) ستتحول إفريقيا إلى قارة ذات أغلبية مسيحية بفضل المنظمات التنصيرية والتبشيريه التى تعمل هناك ، إلا أن الواقـــع يشير إلى فشل الحملات التبشيرية فى تحقيق مخططاها بعد الكشف عن حالات رجوع بعض المسلمين من قبيل الدعاية الإعلامية الغير صحيحة، فالمسيحيون يمثلون بإفريقيـــا حوالي (٢٠%) فقط مقابـــل (٦٥%) من المسلمين، وفي إندونيسيا لا يمثلون أكثر من ١% فقط من عدد السكان، باعتبار أن إندونيسيا تضم أكبر تجمـــع إســـلامى في العالم بنسبة (٢٧٠) مليون مسلم، وعلى الرغم من ذلك أجبرت الأمم المتحدة حكومة إندونيسيا تكوين دولة مسيحية مستقلة في منطقه تيمور الشرقية الـــذى كـــان منـــذ سنوات قليلة أحد أقاليمها.

أحوال الأقليات الإسلامية في قارة إفريقيا
قبل أحداث ١١ سبتمبر(٢٠٠١م)

نستطيـــع من العـــرض السابق للوضع السياسي والاجتماعي للأقليات الإسلامية في قارة إفريقيا أن نرصـــد بعـــض الملاحظات حول وضع المسلمين هناك فى النقاط التالية :

- إن الاستعمار الأوربي في إفريقيا مهد للإرساليات التبشيرية وكل الطوائف المسيحية من جانب، والاستيلاء على المواد الخام التي تزخر بها القارة من جانب آخر، حيث تعرضت البلدان الإفريقية للاحتلال من سبع دول أوربية مختلفة مرة واحدة وهى: " بريطانيا، فرنسا، إيطاليا، إسبانيا، بلجيكا، ألمانيا، البرتغال " ، والملاحظ من التجربة الاستعمارية لإفريقيا أن كل دولة من الدول الاستعمارية انتهجت أسلوباً خاصاً مع مستعمراتها وفرض شخصيتها على الشعوب التي حكمتها.
- كان انتشار الإسلام في إفريقيا وراء تزايد الحملات التنصيرية بالقارة وخاصـــة بعد دخول قرى ومدن بكاملها الدين الإسلامي فبدؤوا في سياسة الاضـــطهاد الديني والتضييق على المسلمين في كل مناحي حياتهم وقاموا بتحديد نوع العمل الذي يقوم به المسلم[٧٧] .
- يلاحظ أن معظم المسلمين في إفريقيا بعيدون عن السلطة وعن مراكز النفوذ في البلاد إما رغبة منهم – وهذا أمر ليس عاماً – وإما تطبيقاً لسياسة البعد والعزل الإجباري عن المشاركة في صنع القرار داخل الدولة، حتى أن دول الأغلبيات المسلمة والتي تصل نسبة المسلمين بها (٨٠%) تعامل معاملة الأقلية، بينما الأقلية المسيحية من حيث الوزن السياسي هي الأقوى تأثيراً وهى الحاكمة والمسيطرة وتتحكم فى شعب بكامله.
- طول الفترة الزمنيـــة التي مكثها الاستعمار في البلدان الإفريقية لمدة تتراوح من (٦٠-١٠٠) عام استطاعت أن تفرز جيلاً من أبناء الوطن يدين بالولاء للمستعمـــر ، كما أنه لم يرحل إلا بعد أن تأكـــد من أن الذى يتسلم السلطة من أتباعه[٧٨] .

- جهل كثير من الأفارقة بعقيدتهم الإسلامية فليس من المستغرب أن يوجد مسلم إفريقي لا يعرف أن الزنا وشرب الخمر من الأمور التى حرمها الدين ، هذا بالإضافة لبعض الممارسات الوثنية القديمة التي لم يستطع الإسلام القضاء عليها حتى الآن في العديد من البلدان الإفريقية.
- جاء الاستعمار بالإرساليات التبشيرية والقساوسة ومعهم الإنجيل ليمكنوه من البقـــاء في إفريقيا وإخضاع الأفارقة للسلطـــة المستعمرة، ومن الأقوال الشهيرة فى ذلك قولهم: " جاء الاستعمار ومعه الإنجيل ؛ وبعد فترة أعطانا الإنجيل وأخذ منا الأرض ".
- التوسع في إقامة المزيد من الكنائس وتدعيمها بالمال، فالكنيسة اللوثرية في تترانيا على سبيل المثال تبلغ ميزانيتها السنوية (١١) مليون دولار توظف غالبيتها لعمليـــات التنصير هناك ، مع تراجـــع واضح في عدد المساجد والمراكز الإسلامية.
- محاربة الاستعمار للمدارس الإسلامية وإغلاقها بالقوة، وقصر التعليم والوظائف على الطوائف المسيحيـــة ، والسمـــاح لعدد محدود جداً من المسلمين بدخول الجامعات أو المعاهد العليا.

أوضاع الأقليات الإسلامية في قارة إفريقيا
بعد أحداث سبتمبر(٢٠٠١م)

مع أن الصدمة التي أوجعت القلب الأمريكي من جراء التفجيرات الأخيرة كانت أحداثها في واشنطن ونيويورك ، إلا أنها حركت الآلة العسكرية الأمريكية الكامنة في كل اتجـــاه لتعيد من جديد رسم خريطـــة – لم تكـــن من قبل – لعالم ما بعد سبتمبر (٢٠٠١م) .

الملاحظ أن القارة الإفريقية رغم أهميتها ووزنها السياسي العالمي ، إلا أنها كانت على هامش الاهتمام الأمريكي لسنوات طويلة، بعكس فرنسا التي ترى أن سياستها ترتبط بها ولا تستطيع أن تعيش بدون القارة السمراء، بيد أن ثمة اهتماما بدأ يظهر بوضوح بعد تفجيرات السفارة الأمريكية في نيروبي ودار السلام ، وأخيرا أحداث الحادي عشر من سبتمبر، حيث طالت الاتهامات دولا ومنظمات إفريقية مثل الأصوليين الإسلاميين في كينيا وتنزانيا، ثم مطالبة السودان بموقف حازم من الإسلاميين على أرضها ، وسرعة إيجاد صيغة تفاهم مع " جون جارانج ".

كما أن على الصومال أن تدلى ببيانات عن هوية المجموعات التي كانت تعترض الحملات الأمريكية فى مطلع التسعينيات من القرن العشرين، هذا بجانب موقف جنوب إفريقيا من السياسة الأمريكية ورفض معظم زعماء إفريقيا أن توضع القارة ضمن خرائط التقسيم التي تعدها المخابرات المركزية الأمريكية لفرضها بالقوة على دول القارة، وإن كان الواضح منها الآن تقسيم السودان ، ومصر ، والحد من النفوذ الفرنسي في إفريقيا باعتبار فرنسا إحدى الدول التي تعترض بشدة على السياسة الأمريكية بجانب الصين وألمانيا وروسيا.

وتأتى الأهداف الفرنسية في قارة إفريقيا في النقاط التالية:

- الاحتفاظ بمصالحها الاقتصادية مع إفريقيا، حيث يبلغ حجم الصادرات الفرنسية ما قيمته (١٣,٥) مليار دولار سنويا، هذا فضلا عن المشروعات الضخمة التي تقوم بها الشركات الفرنسية في العديد من البلدان الإفريقية مثل شراء شركات المياه والصرف الصحى والكهرباء والاتصالات في السنغال، واستثمارات النفط

في الكونجو برازافيل والتي تقوم بها شركة "**إكيستان** " ويتراوح حجم استثماراتها خلال العامين القادمين حوالي (٦٠) مليار دولار[٧٩].

- مواجهة النفوذ الأمريكي المتزايد في القارة، خاصة بعد الحرب الباردة من ناحية ، وأحداث سبتمبر من ناحية أخرى، مع تراجع بريطانيا بنفوذها عما كان في السابق .
- الهيمنة على إفريقيا بشكل استعماري جديد، حيث إن لفرنسا عشرات القواعد العسكرية في الدول التي كانت في السابق تعد مستعمرات لها في القارة، وأن هذه القواعد أصبحت تمثل أزمة للجيوش الوطنية الإفريقية بجانب أن فرنسا لا ترغب في التدخل الأمريكي في القارة، وإن كانت الولايات المتحدة الأمريكية سبق وأن أيدت حركة التمرد التي قادها الرئيس " لوران كابيلا " في الكونجو الديمقراطية في مواجهة نظام الرئيس السابق " موبوتو سيسى سيكو "المدعوم بقوة من فرنسا، وتشير القراءات المستقبلة لهذا الملف أن إفريقيا ستشهد صراعاً محموماً بين القوتين الكبيرتين بجانب دور الكنائس المسيحية التابعة لكلا منهما.

وبعد أحـــداث سبتمبر بدأت الولايات المتحدة الأمريكية محاولات إفشال ما يعـــرف بـــ " المشروع الإفريقي " الذي أعدته الخارجية الفرنسية عام (١٩٧٧)، والذي يستهدف استغـــلال القارة سياسياً واقتصـــادياً ودينياً والذي كان من ملامحه:

- إعداد كوادر سياسية واعية من الشباب وتدريبهم باعتبارهم النخبة الحاكمة في بلادهم، ويدينون بالولاء لفرنسا.
- تأييد إقامة أنظمة سياسية جديدة في الدول الإفريقية، وفقاً لمبادئ الديمقراطية وتكون في إطار المنظومة السياسية الفرنسية.
- دعم الهيئات ومنظمات العمل الأهلي والمدني والسعي نحو تقليص دور المؤسسات العسكرية في إفريقيا، والتركيز على الجانب الروحي التبشيري باعتبار أن فرنسا كانت وراء نشر المذهب الكاثوليكي في مستعمراتها.
- العمل على دعم برامج الإصلاح والتنمية الشاملة، وربط الدول الإفريقية بالديون والمنح طويلة الأجل لضمان تواجدها فى المنطقة.

- إعادة ترتيب خريطة القواعد العسكرية الفرنسية في إفريقيا، والتخلص من بعضها، والاكتفاء بـــ (٦) قواعد فقط في بعض الدول الحيوية مثل : " جيبوتي، تشاد، السنغال، كوت ديفوار، الكاميرون، الجابون ".

أما منطقة البحيرات العظمى التي تضم : " السودان، أوغندا، رواندا، بوروندى، إثيوبيا، إريتريا، تنزانيا، كينيا، الكونجو الديمقراطية " فقد تصبح محل صراع أمام النفوذ الأمريكي في منطقة القرن الإفريقي، وعلى هذا يأتي الاهتمام الفرنسي منطلقاً من بعض المصالح في هذه المنطقة أهمها [٨٠] :

- الثروة الطبيعية الهائلة التي توجد بهذه المنطقة، مثل الذهب والمـــاس والنحـــاس وكذلك اليورانيوم والكوبالت التي تستخدم في الصناعات الثقيلة والضخمة.
- الثروة المائية الكبيرة التي تتمتع بها المنطقة، واعتبار أن هذه المنطقة من المنتظر أن تكون محل صراع الدول الكبرى على اعتبار أن الحديث ما يزال موصولاً من أن الحروب القادمة كلها سترتبط بأزمة المياه .
- ما تتمتع به هذه المنطقة من موقع إستراتيجي مهم ، فهي منطقة التقاء بين الدول العربية والإفريقية، وجنوب الصحراء، وقربها من المدخل الجنوبي للبحر الأحمر من ناحية، وكذلك قرب المنطقة من بعض المواقع العسكرية الفرنسية وتحديداً في "جيبوتي " حيث توجد قاعدة فرنسا الشرقية التي تكتسب أهمية كبيرة بسبب إطلالها على المدخل الجنوبي للبحر الأحمر .

أما عن الدور الأمريكي في قارة إفريقيا بعد أحداث سبتمبر (٢٠٠١م) فهو يأخذ إطاراً مختلفاً عن فرنسا، وإن كان النفوذ الفرنسي متأصلاً في المنطقة منذ سنوات بعيدة، إلا أن الولايات المتحدة بدأت مؤخراً تعطى القارة اهتماماً فى جوانب متعددة من المنطلق الآتى :

- تعقب الإرهابيين والمتطرفين الذين تلقوا تدريبات ضمن تنظيم القاعدة بالسودان والفارين ببعض الدول الإفريقية.
- محاولة البحث عن الأفراد والجماعات التي كانـــت وراء تفجـــير الســـفارتين الأمريكيتين بنيروبي ودار السلام عام (١٩٩٨م).

- تأديب الدول الإفريقية بما فيها أنظمتها التي أعلنت رفضها الصريح للسياسة الأمريكية والسعي نحو تبديلها بأنظمة أكثر ولاءاً للنظام العالمي الجديد.
- الهيمنة الأمريكية على الثروات الطبيعية بالقارة، وخاصة الدول التي تضم مناجم للذهب والماس والنفط.
- إقامة مشروع القرن الإفريقي الذي يضم العديد من الدول الإفريقية بجانب دول القرن الإفريقي الأساسية وهى " الصومال، إثيوبيا ، إريتريا " بالإضافة إلى "أوغندا، رواندا، بوروندي، الكونجو الديمقراطية، وجنوب السودان " بعد أن يتم تقسيم السودان لشمال السودان وجنوبه، وتستهدف أيضاً إقامة دولتين كبيرتين هما(٨٠) : دولة التوتسي الكبيرة ودولة الهوتو الكبرى.

وهذا المشروع كما هو واضح يتعارض مع مشروع البحيرات العظمى الذي تسعى إليه فرنسا منذ سنوات في ظل الغياب الأمريكي عن القارة وانشغالها بأحداث البلقان، والصراع العربي الإسرائيلي، والصراع بين الهند وباكستان ومطاردة تنظيم القاعدة، وحرب أفغانستان، ثم حرب العراق والتهديدات الصريحة لكل من إيران، وسوريا، وكوريا الشمالية بالدخول معها في حروب إن لم تستجب هذه الدول وتخضع منشآتها النووية للتفتيش.

ومن هنا يأتي القلق الفرنسي من مشروع القرن الإفريقي الذي أعلنت عنه أمريكا من أن قبائل الهوتو تخضع لرابطة الفرانكفوني ، في حين أن التوتسي تنتمي إلى رابطة الأنجلوفون ، حيث إن الصراع الذي ما يزال في الكونجو الديمقراطية بين الهوتو ، والتوتسي تتحكم فيه مصالح خارجية ، فأمريكا تدعم أي نظام جديد عدا نظام "سيسى سيكو " مقابل أن فرنسا تؤيد هذا النظام حفاظاً على مصالحها في المنطقة من ناحية ، وارتباط مشاريعها المستقبلية بتفوق الهوتو ، الموالين لفرنسا من ناحية أخرى ، وإن كانت الولايات المتحدة قد واصلت مؤازرتها لـ "كابيلا" ضد "سيسى سيكو" .

هوامش الفصل الثانى

(١) سيد يونس : التحديات التي تواجه الأقليات الإسلامية في العالم(مجلة كلية الآداب بقنا : عدد ١٩٩٥م) ص٥٤، ٥٥ .

(٢) أحمد الرشيدى : منظمة المؤتمر الإسلامى ، مرجع سابق ، ص١٤٦ .

(٣) سيد عثمان : الدراسات النفسية والاجتماعية للأقليات الإسلامية، مؤتمر الأقليات فى العالم ، مرجع سابق ، ص٤٢٢ ،٤٢٣.

(٤) جمال عبد الهادي، وعلى لبن : المسلمون في إفريقيا (المنصورة : دار الوفاء للطبع والنشر، ١٩٩٧م) ص٢٦.

(٥) السيد حسن جلال : تاريخ الشعوب الإسلامية في العصر الحـــديث والمعاصـــر، الإسكندرية : دار الوفاء لدنيا الطباعة ٢٠٠١م) ص ٣١٣.

(٦) محمود أبو العلا : جغرافية العالم الإسلامى (القاهرة : الأنجلو المصـــرية ٢٠٠٠م) ص٢٣ .

(٧) جمال عبد الهادي وعلى لبن : المسلمون في إفريقيا، مرجع سابق ، ص٦ .

(٨) أحمد إسماعيل : العالم الإسلامى، دراسة جغرافية فى الجوانب الحضارية (القاهرة : دار الثقافة، ١٩٩٩م) ص٤٨ .

(٩) محمود أبو العلا : جغرافية العالم الإسلامى، مرجع سابق ، ص٢٥ .

(١٠) جمال عبد الهادي وعلى لبن : المسلمون في إفريقيا، مرجع سابق ، ص٢٠.

(١١) تعداد المسلمين في قارة إفريقيا (منظمة المؤتمر الإسلامى تقارير ١٩٩٩-٢٠٠١م ووكالة الأنباء الكويتية عام ١٩٩٩م) .

(١٢) محمود أبو العلا : جغرافية العالم الإسلامى، مرجع سابق ص ٣٢، ٣٣ .

(١٣) عبد الغنى سعودي : الجغرافيا السياسية المعاصرة، مرجع سابق ص٦٣ .

(١٤) عبد الكريم غرايبة : دراسات في تاريخ إفريقيـــا(ســـوريا: دمشـــق للطباعـــة ١٩٧٠م) ص٢٢- ٣٢ .

(١٥) عبد الرحمن زكى : الإسلام والمسلمون في غرب إفريقيا (القـــاهرة : مطـــابع سجل العرب ١٩٧٥م) ١١- ١٥ .

(١٦) محمد السيد غلاب : جغرافية العالم الإسلامى (الرياض : دار الدعوة ، ١٩٧٩م) ص١٢-١٥ .

(١٧) محمد عبد الغنى سعودى : إفريقية(القاهرة : الأنجلو المصرية، ١٩٨٣م) ٢٧١، ٢٧٥ .

(١٨) عبد الرحمن زكى : جغرافية العالم الإسلامى ، مرجع سابق ، ص٢٢ .

(١٩) محمد السيد غلاب : العالم الإسلامى (بيروت : دار العبيكان ١٩٩٥م) ص٢٤٠ .

(٢٠) إسماعيل ياغى توماس أرنولد : الدعوة إلى الإسلام، ترجمة حسن إبراهيم (القاهرة : النهضة المصرية ١٩٩٧م) ص ١٣٧، ١٣٨ .

(٢١) الإسلام والمسلمون في إفريقيا، مرجع سابق ، ص١١١.

(٢٢) محمد حسنين هيكل : العرب على أعتاب القرن الحادي والعشرين (بيروت : المستقبل العربي، العدد "١٩" ١٩٩٤م) ص١١ .

(٢٣) عاطف إدريس : من ينقذ إثيوبيا (الإمارات : مجلة منار الإسلام ، عدد ديسمبر ١٩٩٠م) ص٥٥ .

(٢٤) عادل يونس : إفريقيا القارة السوداء، مرجع سابق ص٢٠، ٢١.

(٢٥) يوسف الرفاعى: الأقليات الإسلامية في العالم : (الإمارات : مجلة منار الإسلام ، عدد يناير ١٩٨٩م) ص٥١ .

(٢٦) محمد عبد الله السمان : محنة الأقليات المسلمة في العالم، مرجع سابق ص٥٩ .

(٢٧) أحلام السعدي فرهود : التيار الإسلامى والسياسة المصرية تجاه الصلح مع إسرائيل . (القاهرة : الزهراء للإعلام العربي ١٩٩١م) ص ٣١٣ .

(٢٨) ممدوح الشيخ : المسلمون ومؤامرات الإبادة، مرجع سابق ، ص١٣٦ .

(٢٩) صابر طعيمة : محنة الأقليات الإسلامية والواجب نحوها، مرجع سابق ، ص ٦٧.

(٣٠) المسلمون في إثيوبيا : (الكويت : مجلة الخيرية ،العدد (٧٨) أكتوبر١٩٩٦م) ص ٤٦.

(٣١) محمد عبد الله السمان : محنة الأقليات المسلمة، مرجع سابق ، ص٦١ .

(٣٢) عاطف إدريس : من ينقذ مسلمي إثيوبيا، مرجع سابق ، ص٦٧ .

(٣٣) عبد الله جمعة: الصراع الإثيوبى الإريترى : (بيروت : المستقبل العربي العـــدد (١٥٩) مايو ١٩٩٤م) ص ٢٨ - ٣٣ .

(٣٤) على جريشة : حاضر العالم الإسلامى: مرجع سابق ، ص١٤٦، ١٤٧ .

(٣٥) عصام عبد الشافي : الأزمة الإريترية (بحث غير منشور، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ١٩٩٣م) ص١٥ .

(٣٦) السيد حسن جلال : تاريخ الشعوب الإسلامية في العصر الحديث، مرجع سابق ص ٣٢٦.

(٣٧) إسماعيل ياغى ومحمود شاكر : العالم الإسلامى، مرجع سابق ، ص٢٥٥ .

(٣٨) السيـــد رجب حراز : إفريقية الشرقية والاســـتعمار الأوربي، مرجـــع ســـابق ص٥-١٠ .

(٣٩) إسماعيل ياغى ومحمود شاكر : العالم الإسلامى ،مرجع سابق ص٢٥٠-٢٥٥ .

(٤٠) العالم الإسلامى ، المرجع السابق ، ص ٢١ .

(٤١) محمد عبد الله السمان : محنة الأقليات المسلمة، مرجع سابق، ص٦٠-٧٠ .

(٤٢) جمال عبد الهادي وعلى لبن : المسلمون في إفريقيا، مرجع سابق ، ص٤٢.

(٤٣) مستقبل الإسلام في إفريقيا : مجلة الأمة، مرجع سابق ص٦٤ .

(٤٤) جمال عبد الهادي وعلى لبن : المسلمون في إفريقيا، مرجع سابق ، ص١٣٧ .

(٤٥) عبد الله سالم : الوضع في إفريقيا (الكويت : مجلة الوعي الإســـلامى ، عـــدد أكتوبر ١٩٩٣م) ص٢٧ .

(٤٦) الإسلام في إفريقيا (الإمارات : منار الإسلام ، عـــدد ٧ ديســـمبر ١٩٩٤م) ص١٢٩.

(٤٧) عبد الرحمن حمود : الإسلام في إفريقيا، مرجع سابق ص٥٠ .

(٤٨) الإسلام في إفريقيا، المرجع السابق ، ص ٤٨ .

(٤٩) الحسيني رجب : الإسلام في أوغندا (الكويت : الوعي الإسلامى، عدد ينـــاير ١٩٩٩م) ص ٣٥ ، ٣٦.

(٥٠) الإسلام في أوغندا ، المرجع السابق ، ص٣٧.

(٥١) الإسلام في إفريقيا (الكويت : مجلة الوعي الإسلامى، المرجع السابق ص٩٠.

(٥٢) الحسيني رجب : الإسلام في أوغندا، مرجع سابق ص٣٣ .

(٥٣) جمال عبد الهادي وعلى لبن : المسلمون في إفريقيا، مرجع سابق ص٧١.

(٥٤) الإسلام في إفريقيا : الإمارات: منار الإسلام، عدد يوليو ١٩٩٠م) ص ١٢٩ .

(٥٥) مستقبل الإسلام في إفريقيا : مجلة الأمة، مرجع سابق ص٦٦ .

(٥٦) صابر طعيمة : محنة الأقليات الإسلامية والواجب نحوها، مرجع سابق ص٣٧ .

(٥٧) أحمد شلبي : عالمية الإسلام (وزارة الأوقاف ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ١٩٩٦م) ص ١١٢.

(٥٨) عبد الرحمن ماضي : الإسلام في تشاد(الكويت : مجلة الخيرية، عدد أبريل ١٩٩٨) ص٣٠.

(٥٩) حسن أبكر : المسلمون في تشاد(الكويت: مجلة الوعي الإسلامى، عدد أبريل ١٩٩٢م) ص٨٧ .

(٦٠) على جريشة : حاضر العالم الإسلامى ، مرجع سابق ، ص١٤٤.

(٦١) أحمد نعيم : الإسلام في إفريقيا، مرجع سابق ، ص١٠٠ .

(٦٢) الإسلام في إفريقيا، المرجع السابق ، ص١١٥ .

(٦٣) عبد الرحمن حمود : المسلمون في إفريقيا (الكويت : مجلة الخيرية ، العدد ١٠٧ فبراير ١٩٩٩م) ص٤٩.

(٦٤) صابر طعيمة: محنة الأقليات المسلمة والواجب نحوها، مرجع سابق ص٧٥ .

(٦٥) عبد الرحمن حمود : المسلمون في إفريقيا ، مرجع سابق ، ص٢٩ .

(٦٦) أحمد الطاهر : فصول من الماضي والحاضر (القاهرة : دار المعارف ١٩٧٩م) ص ١٨٩ .

(٦٧) صابر طعيمة : محنة الأقليات المسلمة، مرجع سابق ص٤٠-٤٧.

(٦٨) المسلمون في العالم (مجلة الإغاثة: الهيئة العالمية الإسلامية بالرياض، ١٩٩٥م) ص١.

(٦٩) صابر طعيمة : محنة الأقليات المسلمة ، مرجع سابق ، ص ٧٨، ٧٩ .

(٧٠) جمال عبد الهادي : المسلمون في إفريقيا ، مرجع سابق ، ص١٥٧

(٧١) صابر طعيمة : محنة الأقليات المسلمة ، مرجع سابق، ص٥٤، ٥٥ .

(٧٢) الإسلام في إفريقيا ، مرجع سابق ، ص٦٦.

(٧٣) الإسلام في إفريقيا (القاهرة : مجلة منبر الإسلام ، وزارة الأوقاف، عدد مايو ١٩٩١م) ص ٦٥ .

(٧٤) روزا إسماعيلوفا : المشكلات العرقية في إفريقيا، مرجع سابق ، ص٢٦.

(٧٥) صابر طعيمة : محنة الأقليات المسلمة والواجب نحوها، مرجع سابق ،ص٤٤ .

(٧٦) الإسلام في زيمبابوي(الكويت: مجلة الوعي الإسلامي، عدد يناير١٩٩٩م) ص٣٢ .

(٧٧) القس دي روزا : التاريخ الأسود للكنيسة، مرجع سابق ص١٣٣.

(٧٨) الإسلام في إفريقيا، مرجع سابق ، ص٦٤.

(٧٩) بدر الشافعي : فرنسا ضحكت على الأفارقة بالملف العراقي (إسلام أون لاين في ٢٠٠٣) .

(٨٠) الخضر عبد الباقي : المبادرة الأمريكية في إفريقيا (إسلام أون لاين نت ، أغسطس ٢٠٠١م) .

الفصل الثالث

أوضاع الأقليات والجاليات الإسلامية فى قارة آسيا

قبل وبعد أحداث ١١ سبتمبر (٢٠٠١ م)

الفصل الثالث
أوضاع الأقليات والجاليات الإسلامية فى قارة آسيا
قبل وبعد أحداث ١١ سبتمبر (٢٠٠١م)
مدخـــل

شهدت قارة آسيا ميلاد الدعوة الإسلامية، ففي الحجاز كانت دعوة الرســـول ﷺ من مكة، وامتدت الدعوة خلال ثلاثة وعشرين عاماً لتعم شبه الجزيرة العربية كلـــها تقريباً ، ثم انتشرت الدعوة في عهد الخلفاء الراشدين، حتى شهدت الشـــام والعـــراق وفارس بعد أن سقطت أقوى إمبراطوريتين كانتا تحكمان العالم آنـــذاك أمـــام المـــد الإسلامي هما : دولة فارس ، ودولة الروم [1] ولم ينته القرن الأول الهجري حتى دخل الإسلام أرمينيا ، وبلاد القفقاس ، وخوارزم ، وبلاد التركستان كما بلغ حدود الصين والهند والفلبين.

وتعد قارة آسيا مهد الإسلام وقلب العالم العربي في آسيا، فقد قامـــت الشـــعوب المغولية التركية بنشر الإسلام في وسط آسيا في إقليم التركســـتان، ثم مـــدت هـــذه الشعوب نشاطها داعية للإسلام في حوض نهر الفولجا وشمال البحر الأسود، وفى آسيا الصغرى وشبه جزيرة البلقان، وامتد الإسلام بفضل هذه الشعوب إلى الصين والهنـــد والشعوب المجاورة لهما، كما قامت الشعوب الهندية الآرية بنشر الإســـلام في أجـــزاء كثيرة من الهند وفى آسام وبورما وشبه جزيرة الهند وإندونيســـيا، والفلـــبين، وتحتـــل إندونيسيا الترتيب الأول بين دول العالم الإسلامى فى عدد المسلمين بها الـــذى يبلـــغ (٢٥٠) مليون مسلم، وتمثل باكستان المركز الثاني (١٤٠) مليون مسلم، ثم بنجلاديش فى المركز الثالث (١٣٣) مليون مسلم .

وتتعدى الأقليات الإسلامية في الهند أكثر من (١٧٠) مليون مسلم ، ويبلغ تعداد مسلمي الصين حوالي (١٥٠) مليون مسلم مقابل دولتين فقط في إفريقيا تتمتعان بعدد سكان مرتفع نسبيا هما : نيجيريا (٥٩) مليون مسلم ومصر (٥٧) مليون مسلم [2] وتضم قارة آسيا نحو (٨٦٥) مليون مسلم، أي أكثر من ثلثى المسلمين في العالم بنسبة

(٧٠%) و(٢٨,٧%) من جملة سكان آسيا حسب إحصائية عام (٢٠٠٢م) ، فهي أكبر القارات سكانا حيث تضم (٥٨%) من مجموع سكان العالم[٣] .

بدايات الإسلام فى قارة آسيا :

جاء انتشار الإسلام في قارة آسيا منذ بداية ظهوره بمكة، حيث اتجهت جيوش المسلمين إلى الشمال الشرقي لمواجهة الفرس في موقعة القادسية في عام (٦٣٦م) ثم إلى الشمال الغربي لملاقاة الروم في موقعة اليرموك في عام (٦٣٤م) وعلى هذا فقد انتشر الإسلام في ربوع قارة آسيا من خلال محورين أساسيين:

المحور الشرقي: ومنه امتد الإسلام للعراق وإيران وأذربيجان، وأرمينيا في القرن السابع الميلادي، ثم تركستان، وأفغانستان في القرن الثامن الميلادي، ثم باكستان في القرن التاسع الميلادي.

المحور الغربي: ومنه دخل الإسلام كلاً من الشام وفلسطين في القرن السابع الميلادي، ثم امتد هذا المحور إلى دول شمال إفريقيا في القرن السابع أيضاً .

وقد لعب التجار العرب دوراً مهماً في توطين الإسلام في مناطق عديدة من آسيا في القرن التاسع وتحديدا على سواحل الهند الغربية وجزيرة سيلان (سرىلانكا) وجزر المالديف، وجزر الهند الشرقية (إندونيسيا) ، كما كان للشعب الفارسى أيضا دور في نشر الإسلام في وسط وجنوب شرق آسيا، وبفضل الدعاة الذين آمنوا بالدين الإسلامي في الهند دخل الإسلام إقليم البنغال وأسام وبورما والملايو ، ثم قام الشعب الملاوى والإندونيسى بنشر الإسلام في الفلبين.

ويلاحظ مما سبق أن الشعوب الإسلامية العربية، كان لها الدور الأكبر في نشر الإسلام في معظم دول آسيا، ومنه إلى أوربا ، وتضم قارة آسيا (٢٧) دولة إسلامية بعضها يزيد عدد سكانها من المسلمين حتى يصل لحوالى (٢٥٠) مليون مسلم، كما هو الحال في إندونيسيا وبعضها يقل عدد سكانه حتى تصبح عدة آلاف كما هو الحال بالنسبة لجزر المالديف، بما يعنى أن (٨٨%) من مسلمي آسيا من غير العرب، باستثناء لبنان وماليزيا فإن الكثافة الإسلامية ترتفع في هذه الدول لتتراوح (٨٧%) كما هو الحال في سوريا ، وبنجلاديش و(٩٩%) كما هو الحال في باقي الدول الإسلامية.

والجدول التالى يوضح تعداد الأقليات الإسلامية

فى دول آسيا والنسبة المئوية لكل دولة[٤]

السعودية	٢٠,٢٩٩,٠٠٠	%٩٩
اليمن	١٧,٣١٩,٠٠٠	%٩٩
سلطنة عمان	٣,٣٧٦,٠٠٠	%٩٩
البحرين	٧١٣,٠٠٠	%٩٩
الكويت	٢,٧٩١,٠٠٠	%٩٩
الإمارات	٣,٥٥٤,٠٠٠	%٩٩
قطر	٦٣٣,٠٠٠	%٩٩
العراق	٢٠,٦٩٥,٠٠٠	%٩٣
سوريا	١٤,٠٠٧,٠٠٠	%٨٧
لبنان	٢,٨٨٦,٠٠٠	%٦٠
الأردن	٦,٤٨٥,٠٠٠	%٩٥
تركيا	٨٤,٥٨٨,٠٠٠	%٩٩
إيران	٦٤,١٠٨,٠٠٠	%٩٩
أفغانستان	٧٠,٠٨٧,٠٠٠	%٩٩
باكستان	٢٢,٩١٠,٠٠٠	%٩٧
بنجلاديش	١٣٥,٠٠٥,٠٠٠	%٨٧
إندونيسيا	٢٥٠,٠٠٠,٠٠٠	%٨٥
ماليزيا	١٢,٩١٧,٠٠٠	%٥٥
برونى	٣٦٦,٠٠٠	%٧٧
مالديف	٣٧٠,٠٠٠	%٩٩

كازاخستان	٧,٩٠١,٠٠٠	٤١%
أوزباكستان	٢١,١١٧,٠٠٠	٨٥%
قيرغيزستان	٣,٦٤٢,٠٠٠	٥٧%
طاجيكستان	٦,٧٤٤,٠٠٠	٩٥%
تركمانستان	٤،٦٤٢،٠٠٠	٨٦%
أذربيجان	٦،٧٣٩،٠٠٠	٧٥%
الهند	١٨٠,٠٠٠,٠٠٠	١٣%
نيبال	٢,١٠٠,٠٠٠	٧%
سرى لانكا	٧,٤٨٤,٠٠٠	١٠%
بورما	٣,٨٥٦,٠٠٠	٥%
تايلاند	١٢,٤٠٠,٠٠٠	١٠%
الفلبين	١٧,٥١٠,٠٠٠	٢١%
سنغافورة	١,٠٠٠,٠٠٠	٢٠%
كمبوديا	٦٧٠,٠٠٠	٤%
لاوس	٢١١,٠٠٠	٣%
يوتان	١٠٥,٠٠٠	٧%
قبرص	٢٥٠,٠٠٠	٣٠%
منغوليا	٧١٣,٠٠٠	١٥%
اليابان	١٧٧,٠٠٠	٢%
فيتنام	٨٧٠,٠٠٠	٣%
هونج كونج	٨٠,٠٠٠	٣%
الصين	١٥٠,٠٠٠,٠٠٠	٨%

أولا : أوضاع الأقليات الإسلامية فى الصين
قبل وبعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر (٢٠٠١م)

في البداية تجدر الإشارة إلى أن مستقبل آسيا الأمني والاقتصادي سيؤثر فيه بدرجة كبيرة شكل العلاقة بين القوى الأربع ؛ الصين، اليابان، الهند، الولايات المتحدة، حيث الصراع الخفي للهيمنة على آسيا بين هذه الدول لا ينقطع منذ زمن بعيد، وتبرز الصين إحدى هذه الدول نظراً لثقلها السكاني ونموها الاقتصادي الذي اخترق كافة الأسواق العالمية، واختلافها الأيديولوجي مع الولايات المتحدة باعتبارها المتحدى الأكبر لأمريكا في المنطقة بميولها الشيوعية بعد الحرب الباردة وسقوط الاتحاد السوفيتي القديم.

وقبل أحداث سبتمبر (٢٠٠١م) سعت الصين إلى إجراء ترتيبات أمنية إقليمية لمجابهة تزايد ظاهرة الإسلام السياسي في منطقة آسيا الوسطي واحتمال انتقاله إلى منطقة تركستان الشرقية ذات الأغلبية المسلمة المعروفة عند الصينيين (بسنكينانج).

ففي عام (١٩٩٦م) وقعت كل من الصين وروسيا وكازاخستان وقيرغيزستان وطاجيكستان على معاهدة شنغهاي والتي اشتملت بنودها على تأمين الحدود بينهم والضغط على الأقليات من (الإيغور) في دول آسيا الوسطي لمنع تقديم أية تسهيلات للإيغور الثائرين في الصين ضد الحكومة المركزية في بكين، بيد أن الهدف غير المعلن من هذه المعاهدة هو أن الصين بدأت تشعر بالقلق من الإسلام الذي بدأ يتنامى على أرضها وبجوارها يوما بعد الآخر، وأصبحت أمام أمرين كلاهما يحسب له حساب:

- الأول : محاربة الأصولية الإسلامية في إقليم تركستان الشرقية، باعتباره يسعى إلى إقامة دولة يكون قوامها الإسلام، وتفقد الصين بذلك أهم مصادر الدخل لديها.
- والثاني: وقف النفوذ الأمريكي المتغلغل في منطقة آسيا الوسطي وبحر قزوين منذ انهيار الاتحاد السوفيتي الشيوعي السابق، واعتبار أن الصين هي البديل الشرعي له.

وبعد أحداث سبتمبر (٢٠٠١م) انضمت هذه الدول (الصين، الهند، اليابـــان) إلى قافلة مكافحة الإرهاب والتطرف الإسلامي، حيث إن لكل دولـــة جـــدول أعمالهـــا الخاص بها، وتعريفها المسبق عن الإسلام، وقال المتحدث باسم الخارجية الصـــينية في أعقاب أحداث الحادي عشر من سبتمبر: " إننا نأمل أن تكون معركتنا ضـــد قـــوات تركستان الشرقية جزءاً من الحملة الدولية لمكافحة الإرهاب الإسلامي، وأن نجد الفهم والمساندة من قبل الولايات المتحدة الأمريكية " .

ثم أعقب هذا التصريح حملة اعتقالات واسعة لأئمة المساجد ، ومسؤولي الجمعيات والمراكز الإسلامية بالإقليم،الأمر الذي أدى إلى حدوث مصادمات عنيفة بين المسلمين والقوات الصينية أسفرت عن مقتل العشرات من المسلمين تحت زعم أنهم إرهابيون، ومتطرفون سبق وأن اشتركوا في أعمال تخريبية داخل الإقليم، وربما كانوا يخططون لعمليات فدائية جديدة هدفها إحداث قلق وعدم استقرار أمني داخل الإقليم .

وتقوم الصين حاليا بحركة عسكرية واقتصادية واسعة في محيطها الإقليمـــي حيـــث قامت بإنشاء محطة تصنت في جزيرة (كوكو) البورمية على بعد (٣٠) ميلاً بحرياً مـــن جزر (أندامان) لمراقبة التجارب على الصواريخ الهندية وتعد هذه الخطوة الأولى منـــذ عهد أسرة (منغ) التي تمتد فيها اهتمامات الصين الأمنية بعيداً عن حدودها السياســـية، كما قامت باستثمار أربعة مليارات دولار في استخراج النفط من كازاخستان مما دفع سنغافورة إلى القلق من النفوذ الصيني داخل أراضيها تحت زعم تعقب بعض العناصـــر الإسلامية الهاربة من إقليم تركستان الشرقية إلى أراضى سنغافورة، وطالبت بالتـــدخل الأمريكي لوقف التوغل الصيني عبر أراضيها.

في حين جرى نقاش محدود في الفلبين حول النظر في عودة الأمريكان إلى القواعـــد التي سبق وأن تركوها نتيجة الضغوط الداخلية على حكومة الفلبين ، ولكن العـــودة هذه المرة يدفعها الإعلان العالمي لمحاربة الأصولية الإسلامية في العالم ، لا ســـيما وأن جنوب الفلبين يتمتع بأغلبية مسلمة ، وأن جبهة تحرير مورو مطالبة بأن تقوم بتســـليم بعض عناصرهـــا ،أو أولئك الذين تلقوا تدريبات في معسكرات " أسامة بـــن لادن " في أفغانستان (٥) .

ومن خلال هذه المقدمة يبدو الطرح واضحاً بأهمية تنـــاول موضـــوع الأقليـــات الإسلامية في الصين استناداً إلى اعتبارات ، لعل أهمها الموقف المتشدد الذي اتخذه النظام

الشيوعي الحاكم لفترة طويلة حيال أصحاب العقائد الدينية في الصين، بسبب موقف الشيوعية كأيديولوجية من الدين، وذلك قبل الأجواء الانفتاحية التي بدأت تشهدها الصين خلال العقدين الأخيرين، أما ثاني هذه الاعتبارات فيتعلق بتقاطع خطوط ما هو ديني مع ما هو قومي، وما هو عرقي، حيث تنتمي الأقلية الدينية الواحدة إلى عدة قوميات ، وهذا واضح بصورة مباشرة في حالة الأقليات الإسلامية في الصين وهذا الوضع من شأنه أن يحد كثيراً من قوة تماسك هذه الأقليات ، ومن ثم يضعف من قوة دورها المحتمل على الساحة السياسية، وهو الدور المتوقع أن يشهد حالة تنامٍ في ظل مناخ الانفتاح الذي تعيشه الصين حالياً، بجانب طرح الصين كقوة عظمى مما يفرض عليها أسلوباً معيناً في التعامل مع الأقليات التي تدخل في نسيجها القومي.

فاضطهاد مسلمي الصين لم ينشأ فقط بعد أحداث سبتمبر (٢٠٠١م) ولكن يرجع إلى زمن بعيد، فقد بدأت سلسلة الاضطهادات التي لحقت بالمسلمين (الإيغور) في إقليم تركستان الشرقية منذ سنوات عديدة أخذت صوراً وأشكالاً عديدة منها ؛ الاعتقالات، والتعذيب، والمحاكمات غير العادلة، والإعدام، وتدمير المنازل والاستيلاء على الممتلكات الخاصة للمسلمين،كلها كانت – ولا تزال – أنواعاً مختلفة من الاضطهادات التي تم رصدها في تقرير منظمة العفو الدولية لعام (٢٠٠٠-٢٠٠١م) والسؤال الآن: هل اختلفت أوضاع الأقليات الإسلامية في الصين بعد أحداث سبتمبر (٢٠٠١م) بالولايات المتحدة عن المراحل والأزمنة التي سبقت هذه الأحداث؟

وحتى نستطيع الإجابة على هذا التساؤل بوضوح لابد من إلقاء نظرة على الأديان في الصين حتى تتضح الصورة كاملة حيث إن البوذية تمثل الديانة الرئيسية للصين ويدين بها أكثر من (١٨٠) مليون بوذي من إجمالي(مليار و ٢٠٠ ألف) نسمة يشكلون إجمالي عدد سكان الصين، وهناك ديانات ومذاهب أخرى رئيسية مثل التاوية والإسلام والبروتستانتينية والكاثوليكية، فالأديان السماوية الثلاثة : (الإسلام، المسيحية، اليهودية) والتي جاءت إلى الصين من خارجها لم تجد بسهولة مكاناً لها هناك، وخاصة في ظل الحكم الشيوعي الذي لا يعترف بدين من ناحية، وكبت حرية التدين وممارسة الشعائر الدينية من ناحية أخرى، فضلاً عن سيطرة معتقدات غير سماوية وارتباط الثقافة الصينية بهذه المعتقدات من ناحية ثالثة[٦].

وصل الإسلام الصين عن طريق التجارة عبر مدنها الساحلية ، وأقــام المســلمون مسجداً لهم في مدينة كانتون (قرب هونج كونج) في القرن الأول ، وذكــر الرحالــة أمثال : "ماركوبولو " ، و" ابن بطوطة " أنهما شاهدا أحياءً كاملة يسكنها المسلمون، ولهم فيها مساجد ومنازل وعدد من الولايات الداخلية التي تسكنها أغلبية مسلمة مثل ولاية كانسو وعاصمتها لانتشو ويقطنها نحو (١٣) مليون مسلم، بنسبة (٧٩%) من السكان، وولاية تشى التي يسكنها نحو (٧،٥) مليون نسمة ثلث الســكان، وولايــة يونان الجبلية وغيرها من الولايات .

وقديما قامت الصين بضم تركستان الشرقية إليها وأطلقت عليها اسم (ســنكنيانج) وهى تجاور كازاخستان، وطاجيكستان، وقيرغيرستان ويسكنها نحــو (١٧) مليــون مسلم يمثل المسلمون فيها (٩٨%) من إجمالي السكان، بالإضافة إلى أعداد ضخمة من المسلمين في أنحاء متفرقة من المدن الصينية وأعدادهم في السجلات الرسمية أقــل مــن الواقع (١٥٠) مليون مسلم، إذ إن الكثير منهم ظل يخفى إسلامه لســنوات طويلــة، وخاصة بعد حالات العنف والاضطهاد التى كان يتعرض لها المسلمون في الصين زمن الثورة الثقافية فى عهد "ماوتسى تونج" .

دخول الإسلام الصين:

جاء الإسلام إلى الصين براً عن طريق الشعوب التركية والمغولية وعلاقاتها التجارية، ولهذا تعتبر المناطق الإسلامية في الصين امتداداً شرقياً للعالم الإســلامي في أفغانســتان وأراضى ما بين النهرين، ولهذا تتركز الأقليات الإسلامية في غرب الصــين ســواء في الشمال الغربي ، أم في الجنوب الغربي ، أو ما يعرف بطريق- الحرير- وهــو الطريــق الرئيســي آنذاك ، وهناك طريق ثانــوي آخر سلكه الإسلام إلى الصين عن طريــق البحر (٧) .

بيد أن الملاحظ أن المؤرخين اختلفوا في تحديد دخول الإسلام الأراضي الصينية، إلا أنهم اتفقوا على أن الصين استقبلت أولى البعثات الإسلامية في عهد ثالــث الخلفــاء الراشدين " عثمان بن عفان " ، وأن هذه البعثات استمرت بمعدل بعثة كــل أربــع سنوات ، بل استطاعت أن تقيم لنفسها علاقات وطيدة مع إمبراطور الصين "تــانغ" وأخذ الإسلام في الانتشار عبر الصين من مراكز ساحلية نحو الداخل وقد سبق التجار

العرب الإسلام في إقامة علاقات تجارية مع الصين بدأت قبل ظهور الإسلام في الجزيرة العربية[٨] ، حيث كانت هناك صلات تجارية بين العرب والصينيين في القرن السادس الميلادي عن طريق سيلان.

وبعد أن فتح المسلمون بلاد كسرى وهزيمة جيوشه في معركة (القادسية) في عهد الخليفة الثاني " عمر بن الخطاب " ثم في المدائن عاصمة ملكه، بعد ذلك انطلقت الجيوش الإسلامية تغزو الأراضي الفارسية وتطارد "يزدجرد" كسرى فارس، وما بقى من قواته، فكانت معركة جلولاء ثم نهاوند التي استشهد فيها الصحابي " النعمان بن مقرن " ، واستمرت جيوش المسلمين تنتقل من نصر إلى آخر، حتى توسعت الدولة الإسلامية في أراضٍ كثيرة من العالم ، ومن هنا فقد كان الإسلام في بداية تواجده في الصين حريصاً على أحد أمرين [٩] :

الأول: تهيئة الصيغة المناسبة لتكوين التركيب الهيكلي للبناء البشرى الإسلامي الذي يضم كل شعب، أو قوم من غير إنكار للذات والهوية الخاصة أو من غير تنكر لمقومات هذه الذات.

الثاني: تهيئة الإطار الواسع الفضفاض الذي يمكن من خلاله جمع شمل كل المسلمين في أحضان أمة تترابط لبناتها وتتماسك أوصالها من خلال أخوة صادقة في الله.

بيد أن الصراع بين المسلمين في تركستان الشرقية والحكومة الصينية يعود إلى عام (١٧٥٩م) عندما قام " المانشور " حاكم الصين بغزو تركستان، وأعقب ذلك قيام ثورة عارمة في الإقليم، ونجح الأهالي في طرد المحتل الصيني وتم الإعلان عن دولة تركستان الشرقية دولة مستقلة لمدة (١٦) عاما وظلت على حالها إلى أن تحالف الروس مع الصينيين، وتم تقسيم المنطقة بينهما تركستان الغربية تتبع روسيا ، وتركستان الشرقية مقاطعة من أملاك الصين، وبالتالي أصبحت تركستان الشرقية ولاية تابعة للصين منذ نوفمبر عام (١٨٨٤م) إلا أنه ومنذ وصول الإسلام إلى الصين عام (٦٥١) ميلادية ، وهو يتعرض لموجات من الصعود حينا، والهبوط أحياناً أخرى، بداية من عصر أسرة (تانغ) التي ورثت الحكم في الصين عام (٦١٧م) بعد ظهور النبوة بست سنوات.

وأخذ الإسلام في الانتشار في عصر أسرة (سونغ) التي سقطت عام (١٢٦٧م) ثم قوى الإسلام وازدهر في عصر أسرة (يوان) أو ما يعرف في التاريخ بعصر المغول،

وذلك في الفترة من (١٢٧٧-١٣٦٧م) ثم عصر منج (١٣٦٨- ١٦٤٢ م) أما في عهد "المانشور" فقد تعرض المسلمون في الصين لأنواع مختلفة من العنف والاضطهاد بسبب عقيدتهم، إلا أن المؤرخين اتفقوا على أن أزهى عصور الإسلام في الصين كانت فترة حكم المغول ، حيث توسع الإسلام في نشر دعوته لتخرج من الصين للمقاطعات المجاورة، ويلاحظ أن المسلمين في الصين كانوا يميلون إلى العيش في قرى ومدن مستقلة، وأن يقيموا لأنفسهم مجتمعات ومقاطعات خاصة ، ويعتقدون بأن المسلم الذي لا يذهب إلى المسجد لا يحق له أن يأكل مع المسلمين، أو أن يقيم بينهم.

التركيب العرقي للأقليات في الصين:

أما أصول المسلمين في الصين فهي ترجع إلى ثلاثة أجناس ؛ هي : جنس فيه الدم العربي، وآخر يجرى في عروقه دم الأواغرة، وجنس ثالث يجرى فيه دم المغول، وهذه الأجناس تنقسم إلى قوميات عديدة مثل:الهاو، الإيغور، القازاق، القرغيز، الأوزبك، الطاجيك، التتار، السالار، الباوان، الروهنجيين.

وتعد (الهاو) أكبر قومية إسلامية في الصين، إذ إن (الهاو) لا ينتمون إلى عرق آخر غير العرق الصيني (الخان) لكنهم قاوموا بشدة حركة الانصهار في الدولة الوطنية الصينية تمسكا بدينهم وخصوصيتهم الحضارية، فكانوا يذهبون قدر الإمكان للتميز عن الخان في مأكلهم وملبسهم ومسكنهم والانعزال عنهم، بل إنهم وضعوا حدوداً صارمة وشاملة بينهم وبين الخان ، بحيث لا يأكلون طعامهم ولا يجعلون من يأكل لحم الخنزير مثلاً يقترب من أوعية مأكلهم.

وعلى هذا فإن هذه القومية تشكل ما يمكن تسميته بالصينيين المسلمين تمييزاً لهم عن باقي الأقليات القومية الأخرى المنتمية إلى الإسلام (مسلمو الصين) والتي ما زالت في غالبيتها تقطن أوطانها الأصلية، التي تم ضمها إلى الصين عنوة أو بقرار سياسي، وتشمل هذه القوميات قومية الإيغور (مسلمو تركستان الشرقية) والتي تعنى باللغة الصينية (المستعمرة) ويحرم هناك استخدام الاسم الإسلامي وهو (تركستان الشرقية) ويتحدث الإيغور اللغة الإيغورية، وهى من أرومة اللغة التركية القديمة، ويستخدمون الحروف العربية في الكتابة[١٠] .

- أما قومية القازاق، فهم يقيمون بشكل عام في تركستان الشرقية وشنغهاي وكانسو ولغتهم أيضا اللغة التركية، ويستخدمون الحروف العربية في الكتابة ، في

حين تعد قومية "الروهنج" وهم شعب منغولى يتحدث المنغولية من الشعوب الوافدة على الصين ويتمتع بالحكم الذاتي من الجهة الشرقية.

- أما قومية القرغيز، فهي من أصول تركية وعاشوا على حدود مناطق التركستان في آسيا الوسطى من المناطق التي تعرف اليوم باسم جمهورية قيرغيرستان، ولهذه القومية ولاية حكم ذاتي تتبع مقاطعة تركستان الشرقية.
- قومية السالار، وهذه القومية تنحدر من قبائل الغز التركية، ويتمركز أغلب أبناء هذه القومية في محافظة تشيهو ذات الحكم الذاتي.
- أما قومية الأوزبك فهم قبائل عربية ويعيش معظمهم فى مقاطعة تركستان الشرقية.
- قومية الطاجيك: وهم من أصول فارسية ويوجد معظمهم في مقاطعة تركستان الشرقية وتعد الفارسية هي اللغة الرسمية لهم.
- قومية الباوان: وهذه القومية تنحدر من أصول منغولية ويتركز معظمهم في لينشيا.
- قومية التتار، ويتمركزون في منطقة تركستان الشرقية .

ويلاحظ من عرض القوميات الإسلامية بالصين، أنهم يتمركزون بصورة ملحوظة في إقليم تركستان الشرقية أو (سنكنيانج) الاسم الذي تطلقه الصين على هذه المنطقة، حيث حاولت هذه المقاطعة الانفصال.

ففي عام (١٩٤٤م) قامت ثورة عارمة في (سنكنيانج) أقامت جمهورية مستقلة ضد حكم تشيانج كـــاى شيـــك ، لكن هذه الجمهورية انضمت إلى الصين الشيوعية عام (١٩٥٠م) بعد احتلالها من قبل الجيش الصيني ؛ وقد كانت أحداث العنف التي شهدها (سنكنيانج) (في فبراير ١٩٩٧م) هي محاولة جديدة للانفصال عن الصين، باعتبارها كياناً مستقلاً ذا أيديولوجية مختلفة، وظهرت فصائل عديدة تطالب بالانفصال مثل حركة تركستان الشرقية الحرة، والجبهة الوطنية الثورية لطشقند، فضلا عن الموقع الإستراتيجي المهم لهذه المنطقة باعتبارها جسراً للاتصال بين آسيا والشرق الأوسط ، وتمتع الإقليم بالثروات الطبيعية كالفحم والحديد، وهذا ما أدى بالفعل إلى تزايد نسبة القلق لدى الحكومة الصينية بسبب الصحوة الإسلامية التي ظهرت بأوربا وخاصة في منطقة البلقان في البوسنة والهرسك وكوسوفو ، وألبانيا ذات الأغلبية المسلمة بجانب استقلال الجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى القفقاس، لذلك أدركت الحكومة

الصينية منذ (عام ١٩٩٠م) ، ما يمكن أن تسببه هذه الصحوة المحيطة بها من كل جانب كدولة عظمى وبإقليم تركستان الشرقية كإقليم ذى أغلبية مسلمة وأسرعت بتوطين ملايين الصينيين في محاولة لإعادة التشكيل الديموغرافى لهذه المنطقة من جديد [١١] .

على جانب آخر قامت الحكومة الصينية بتوثيق علاقاتها مع حكام جمهوريات آسيا الوسطي الإسلامية في محاولة لوقف امتداد الحركات الإسلامية إلى أراضيها فيما يعرف بمعاهدة شنغهاي ، بجانب سياسة التسامح التي أقرتها الحكومة الصينية مع المسلمين على أراضيها بداية من استثناءهم من قانون تحديد النسل المفروض على الشعب الصيني ، وكذلك قيام الحكومة بمصادرة أحد الكتب التي أساءت إلى الإسلام، بل ومحاكمة كاتبها والحكم عليه بالسجن لخمس سنوات، وفرض ضريبة مضاعفة على دار النشر التي قامت بطباعته ، ويحمل هذا الكتاب عنوان العادات الجنسية في الإسلام، الأمر الذى أثار غضب الأقلية المسلمة هناك، ودفع الحكومة إلى اتخاذ قرار سريع حتى لا تتفاقم الأوضاع أكثر من مما هى عليه.

ثانياً : أوضاع الأقليات الإسلامية في تركستان الشرقية

تعتبر تركستان هي موطن الترك وتمتد من بحر الخزر(قزوين) ونهر أورال غرباً إلى حدود التبت ومنغوليا،ومنطقة شمال غرب الصين شرقاً وسيبيريا شمالاً،وإيران وأفغانستان جنوباً.

وتعد تركستان منطقة ذات حدود متسعة في وسط آسيا وهى منطقة بطبيعتها سهلية في الغرب وهضبية فى الشرق وبينهما منطقة جبلية عالية ضمن البلاد التركستانية تغذى كلا الطرفين بالمياه وتصل بينهما بممراتها الشهيرة ، ومع أن المرتفعات الجبلية هي التي تفصل بين الشطرين، إلا أن الجزء الغربي يشمل في شرقيه مرتفعات واسعة وهى تقع ضمن جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق، بينما القسم الشرقي منها يقع تحت سيطرة الصين، ويشمل خمس مساحة الصين الشعبية بمستعمراتها، وتبلغ إجمالى مساحة منطقة التركستان حوالي (٥) ملايين كيلو متراً مربعاً وهى تنقسم إلى قسمين [١٢] :

الأول : تركستان الشرقية (سنكنيانج):

وتخضع حالياً لحكم الصين الشيوعية، وترفض الحكومة الصينية استقلالها باعتبارها منطقة ذات أغلبية مسلمة، وتقطع كافة الطرق أمام سكان الإقليم ومن ينتمون إلى عرقياتهم وعقيدتهم من الجمهوريات الإسلامية الروسية وحصلوا على إستقلالهم .

الثاني: تركستان الغربية:

وكانت تخضع في السابق للاتحاد السوفيتي، وهى حالياً تضم الجمهوريات الإسلامية الروسية وقد يطلقون عليها بلاد ما وراء النهر نسبة إلى نهر جيحون.

وتركستان الغربية والتي تضم منطقة آسيا الوسطى والقفقاس من الاتحاد السوفيتي القديم وتشمل أقاليم بلاد ختن، وكاشغر، وما وراء النهر، والصغد وخوارزم وبامير، وبدخستان، وجزءاً من خراسان، حيث سيطرت روسيا على منطقة تركستان الغربية (عام ١٩٢٣م) بينما تمت السيطرة الصينية الكاملة على تركستان الشرقية (عام ١٩٤٩ م) وقد أباد قطبا الشيوعية أكثر من خمسة ملايين مسلم من التركستانيين خلال فترات السيطرة على تركستان، في حين اضطر أربعة ملايين آخرون من أبناء هذا الشعب إلى الهجرة إلى البلاد الإسلامية والأوربية أمام البطش الشيوعي .

ويرجع تمسك الصين وروسيا بمنطقة التركستان إلى أن معظم إنتــاج القطــن في الصين، وفى الاتحاد السوفيتي السابق إنما كان من أراضى التركستان حيث يمثل إجمالي المنطقتين : (تركستان الشرقية وتركستان الغربية) الترتيب الأول في إنتاج القطن على مستوى العالم، أما عن الثروة المعدنية في تركستان الشرقية أو سينكيانج الصينية فهــي عديدة أهمها : جبال التاى حيث يستخرج منها الذهب والفضــة ويوجــد البتــرول بكميات كبيرة، كما يوجد اليورانيوم في خمس مناطق، وهى التي مكنت الصين مــن دخول المجال النووي.

كما تحتل تركستان الشرقية الترتيب التاسع عشر بين دول العالم من حيث المساحة، وتعادل مساحتها ثلاثة أضعاف مساحة فرنسا وتشكل خمس المساحة الإجمالية للصين ، وتحدها منغوليا من الشمال الشرقي والصين شرقاً ، وكازاخستان وطاجيكستان شمالاً وغرباً، والهند وباكستان والتبت وكشمير جنوباً وتضم تلك الأرض بين جنباتها صحراء (تكلمكات) المعروفة بالمهد الذهبي للحضارة الإنسانية ومتنزهات "التوت داغ" الطبيعية التي تعتبر جنة من جنات الدنيا، وطريق الحرير، وهو الجسر الذي طالما ربط قارة آسيا بأوربا، وبحيرتى : "طانرى" و"بوغدا" وهما من أجمل البحيرات في العالم.

وتضم تركستان الشرقية العديد من الآثار القديمة للحضارات، وحاليا تضــم (٨٦) مدينة يقوم الصينيون بإعادة تقسيمها وتسميتها وتدار تحت مظلــة الحكــم الــذاتي (بالاسم) ويقدر عدد سكان الإقليم (١٧) مليون نسمة، (٩٨%) من إجمالي السكان من المسلمين[١٣] لذلك تعتبر تركستان الشرقية بموقعها الجغرافي وبثرواتها الطبيعية محور الصراع الصيني – الروسي على مر العصور والأزمان.

وإذا كان احتياطي البترول في تركستان الشرقية يتفوق على احتياطي البترول في الشرق الأوسط ومناجم المعادن فيها لا تنضب، فإنه تجدر الإشارة هنا إلى أن اليورانيوم وهو المادة الأساسية في الإنتاج الذرى والنووي الصيني لا يستخرج إلا من ستة مناجم فقط تقع كلها في تركستان الشرقية ، كما أن الصواريخ الصينية ذات الرؤوس النووية يتم إنتاج مادتها وتصنيعها في المركز الذرى الموجود في حوض (لوبون) في تركستان الشرقية.

هذا بالإضافة إلى الصواريخ الباليستية عابرة القارات التي تعد من أفضل العتاد الحربي الصيني تنتج في تركستان الشرقية أيضا ، وتذهب بعض التقديرات إلى أن احتياطي مخزون البترول يصل إلى (٤٤,٢) بليون طن في حوض التاريم وبالرغم من أن جميع المحاولات حتى الآن للوصول إلى ذلك المخزون قد باءت بالفشل إلا أن الإقليم يعد مهما للغاية من حيث إنه يعتبر حلقة الوصل التي تنقل البترول من جمهوريات آسيا الوسطي إلى مصانع الصين[١٤] .

التوسع الإسلامى فى تركستان الشرقية :

تشير كافة المصادر إلى أنه بدخول خاقان الإمبراطورية القراخانية واسمه (ستوق بو غراخان) بدأ الإسلام يدخل هذه المنطقة، وكان ذلك على يد (قتيبة بن مسلم الباهلى) عام (٨٦هـ) وعلى الرغم من أن القائد المسلم قد احتل (كاشغر) إلا أن سلطة المسلمين على تركستان الشرقية كانت ضعيفة ويذكر أنه وبمجرد دخول (ستوق بوغرا خان) الإسلام تبعه(٢٠٠) ألف خيمة استشعرت أن الإسلام هو الدين الحق الذي كانوا ينتظرونه منذ زمن بعيد[١٥] ومن هذه البداية أخذ الإسلام يخطو خطوات كبيرة تجاه الانتشار في المناطق المحيطة عن طريق التجار والأمراء، والدعاة بين مختلف القبائل التركية التي كانت ما تزال على الوثنية وعبادة الأصنام والأشخاص والحيوانات والطيور.

بيد أن الثابت أن قبائل (القرلوق) أو ما يعرفون بالتركمان ؛ أي أشباه الأتراك باللغة الفارسية هم أول من دخلوا في الإسلام في منطقة تركستان الشرقية ثم جاءت قبائل (الغز والتغزغز) الذين كانت من بينهم السلاجقة الذين حكموا دار الخلافة الإسلامية في بغداد ذاتها، وأصبح لهم نفوذ قوى في الخلافة وصلوا في بعض الأحيان إلى قوة تفوق نفوذ الخليفة العباسي نفسه.

كما استطاع القراخانيون أن ينشروا الإسلام ويتوسعوا في منطقة نفوذه حتى أن أكثر من خمسين ألفاً من القيرغيز انضموا إلى الإسلام في سنوات قليلة جملة واحدة.

والإسلام لم يدخل إلى تركستان الشرقية بصورة رسمية إلا في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان (٨٦هـ) وبدأ دخول الأتراك جماعات في القرن الرابع الهجري، فقد

أسلـــم عام (٢٥٣هــ) السلطان صادق بغراخان، فأسلم الأتراك وقتــها حكومــة وشعبا[١٦] .

الإسلام في عهد دولة تانج :

يذكر أن أول من دعا إلى الإسلام في الصين كان أحد أخوال الرسول ﷺ وكانوا يعظمون قبره المشهور في كتن، إلا أنه لا يوجد لهذه المعلومة السند التاريخي الذي يؤيدها، إلا أن الثابت أنه لا يوجد دليل واضح على أن المسلمين في الصين قاموا بأي نشاط في نشر تعاليم الإسلام والواقع أن ما ذكر عنهم جميعا حتى عصر فتوح المغول كان قليلاً للغاية.

وكانت من مؤشرات الفتوحات التي قام بها المغول حدوث هجرة واسعة شملـــت العرب، والفرس ، والأتراك إلى منطقة جديدة تسمى الصين ، فجاء بعضهم إلى الصين تجاراً، وصناعاً ، وجنوداً ، بل ارتقى بعضهم لأرفع المناصب كـــان أبـــرزهم " عبـــد الرحمن " الذي اختير عام (١٢٤٤م) رئيساً على بيت المال في الصين . "وعمر شمس الدين " الذي كان من أهالي بخارى ، وعهد إليه (قو بيلاى خان) عندما اعتلى العرش (١٢٥٩م) في إدارة بيت مال الإمبراطورية ، ثم أصبح بعد ذلك حاكما لمدينة (ليونان) بعد ضمها إلى الصين، ويمكن القول : إن عمر شمس الدين الذي توفى (١٢٧٠م) ترك خلفأد تراثا من التسامح الديني مع أصحاب الأديان والمعتقدات الأخرى لم يحدث من ذى قبل ، حيث أقام المعابد للطائفة الكنفوشيوسية بقدر ما أقـــام للمســـلمين مـــن مساجد.

الإسلام في عهد دولة منج[١٧] :

وبعد سقوط دولة المغول في النصف الثاني من القرن الرابع عشر الميلادي ، فرضت الحكومة الصينية العزلة على المسلمين وحاصرتهم ، ومنعتهم من الاتصال بغيرهم مـــن المسلمين في المناطق المجـــاورة ، مما دفع المسلمين إلى الزواج من الصـــينيات ، وقـــدم إليهم مؤسس الدولة (منج) وهو الإمبراطور (هنـــج وو) كثيراً مـــن الامتيـــازات حيث تـــدل المؤشرات ، بل والصفحات المجهولة من تاريـــخ المســـلمين في الصـــين تزايد عدد المساجـــد التي بنيت في عهد هـــذا الإمبراطور عن سابقيه ومـــن جـــاؤوا بعده .

الإسلام في عهد دولة منشو :

قامت دولة منشو عام (١٦٤٤م) وجاءت علاقاتها مع المسلمين في مراحلها بقلق شديد أسفر هذا القلق عن ثورة المسلمين على الحكومة الصينية عام (١٦٤٨م) بسبب التضييق عليهم في أداء شعائرهم وصلواتهم في المساجد، إلا أنه وفي عام (١٧٣١م) أصدر الإمبراطور (ينج تشن) مرسوماً هذا نصه:

" في كل ولاية من ولايات الإمبراطورية يوجد منذ قرون كثيرة عدد كبير من المسلمين ، أعتبرهم كأبنائي، وأنظر إليهم بالرعاية مثلما أنظر لبقية رعايا الدولة، وقد تسلمت من بعض الأهالي رسائل تشير إلى أن المسلمين لهم ديانة تختلف عن ديانة غيرهم من أهل الصين، وأنهم لا يتكلمون بلغة الصين، ويلبسون لباساً يختلف عن زى الشعب الصيني وهم متهمون بالعصيان ويميلون إلى العنف والثورة ، ويستكمل الإمبراطور رسالته مشيراً إلى أن هذه الاتهامات لم يجد لها أساساً من الصحة مؤكداً احترامه للدين الإسلامي مع أن القانون في الصين فرض على الجاليات الإسلامية هناك أن تضع لوحة للإمبراطور داخل كل مسجد مكتوب عليها : " عاش الإمبراطور الخالد إلى الأبد" وكان المسلمون يسجدون أمامها جريا على العادة الصينية المتبعة.

والواقع أن المسلمين احتاطوا كل الحيطة كي لا يظهر دينهم بمظهر مخالف لدين الدولة، وقد نجحوا من أجل ذلك في تجنب الكراهية التي كان الصينيون ينظرون بها إلى أصحاب الديانات الأخرى، كاليهودية والمسيحية[١٨] ، بل كان المسلمون يصورون ديانتهم لمواطني الصين على أنها متفقة مع تعاليم كنفوشيوس مع فارق بسيط وهو أن المسلمين يقلدون أجدادهم من قبيل الاعتزاز بالقديم في الزواج، والجنازات وغسل الأيادي قبل وجبات الطعام وتحريم لحم الخنزير والخمر والدخان والزنا والسرقة والتحدث عن الغير في حالة عدم وجودهم، وأن هذه كلها تقاليد موروثة عن الآباء والأجداد المسلمين القدامى.

محنة الإسلام في عهد الأسرة المنشورية :

كان يحكم تركستان الشرقية في ذلك الوقت خانات ؛ والتي تعنى بالتركية حاكما أو والياً أو سلطانا ، ففي عام (١١١١هـ) قاد أحد شيوخ الطرق الصوفية يدعى

"هداية الله خوجة " من الأسرة (الجعتائية) نسبة إلى " جعتاى بن جنكيزخان "، الــتى حكمت تركستان الشرقية عدة قرون .

واستولى الشيخ " هداية الله " على الحكم، فثارت الأسرة المنشورية عليه وضــمت تركستان الشرقية تحت قيادتها فى إمبراطورية عظمى شملت الصين، منشوريا، ومنغوليا، حتى عام (١٣٣٠هـــ) (١٩١١م) ، وقد حاولت هذه الأسرة محاربــة الإســلام فى تركستان الشرقية الأمر الذى أوجد العديد من الحركات الإســلامية المقاومــة لهــذا العدوان كان أبرزها، حركة "حميد الله بك "(١٧٦٣م) ، وحركة جهــانكيز خــان (١٨١٩م) ، وحركة " يوسف خان خوجة " (١٨٣٠م) ، ثم ما لبث أن استقلت مرة أخرى تركستان عن حكم الإمبراطورية المنشورية عام (١٨٦٣م) ، وظلت لأكثر من (١٤) عاما دون احتلال، ثم خضعت مرة أخرى عام (١٨٧٦م) لاحتلال صيني حــتى عام (١٩١١م) ، وتوالت المقاومة الإسلامية فى تركستان الشرقية علــى يــد الحــاج "خوجة نياز" ، "وصالح دورغا "، والتى عرفت فى التاريخ بثورة (القمول) وذلــك فى فبراير ١٩٣٣م.

احتلال روسيا لتركستان الشرقية :

قامــت روسيا بالهجوم على تركستان الشرقية وأخضعتهــا لسيطرتها لفترة قاربت من العشــر سنوات من عام (١٩٣٤-١٩٤٤م) وذلك بعــد أن قامت القوات البلشفية باجتياح البلاد عام (١٩٣٤م) ، ونتيجة للصراع الروسى- الألماني ، وتوغل القــوات الألمانية داخــل الأراضي الروسيــة تبدل الاحتلال الروسي بالاحتلال الصيني .

ثم قامت ثورة على خان عام (١٩٤٤م) أسفرت عن إعلان اســتقلال تركســتان الشرقية، و لم تستطع الصين بمفردها السيطرة على هذه الثورة، حيث تعاونــت مــع روسيا لإحباط الثورة والقضاء عليها، بعد القبض على زعيمها والسعي نحو تشــكيل حكومة وطنية موالية للصين، إلا أن الحكومة الصينية قامت باحتلال تركستان الشرقية مرة أخرى عام (١٩٤٩م) – بالعنف والقوة[١٩] .

وكان الحزب الشيوعي الصيني على رأس هذه القوى الوطنية وأطلق علــى هــذه الحرب اسم (حرب التحرير ١٩٤٦-١٩٤٩م) وانضم المسلمون إلى جانب (مــاوتس

تونج) باعتباره رمزا من رموز النضال ضد الاحتلال ، ويحترم الإســلام والمســلمين ويطالب بمزيد من حقوقهم وعندما دخل ماوتس تــونج بكــــين ، وأعلــن في أول أكتوبر (١٩٤٩م) انتصار الثورة ، وبدء صفحة جديدة ، فإن مسحة مــن التفــاؤل الشديد عمت المسلمين ، وتجددت ثقتهم في المستقبل .

إلا أنه في بداية الحكم الجديد (١٩٤٩م) جاء وضع المسلمين في الصين أفضل مــن سابقه حيث الاعتراف بالمسلمين، والحق في التمثيل البرلماني وانتشار الجمعيات والمعاهد والمدارس الإسلامية وهو ما كان مصحوبا بعدد من الصحف التي تعكس هذا النشاط والاحتكاك بالعالم العربي عبر تأدية شعائر ومناسك الحج بالأراضي السعودية، وتبادل الزيارات والبعثات العلمية إلى الأزهر الشريف بمصر، وكانت أول بعثــة للحجــاج الصينيين عام (١٩٥٥م) إلا أن هذه البعثات توقفت في أعقاب اضطهاد المسلمين في الصين عام (١٩٦٤م) ، مع أن المسلمين تاريخيا كانوا صفا واحدا مع القوى الوطنيــة إلا أن الخلاف كان وراء عدم تحقيق ما كانوا يسعون إليه.

وعندما احتلت اليابان الأراضي الصينية ، وبدأت المقاومة الصينية ضد الاحــتلال اليابانى (١٩٣٧-١٩٤٥م) وقف المسلمون بقوة ضد المســتعمر اليابــانى ، ونظــم المسلمون أنفسهم في كتائب عرفت باســم - الجحافل الحديدية - تحت قيادة ضابط مسلم يدعى :"ماين تشاى"، واستطاعت هذه الكتائب أن تحقق انتصارات كبيرة على القوات اليابانية فى شمال الصين ، وتمكنت من وقف الزحف اليابــانى تجــاه منطقــة تركستان الشرقية التي تقطنها أغلبية مسلمة ، وتمكنت القوات اليابانية ، من القــبض على والدة الضابط ليتخلى عن المقاومة ضد القوات اليابانية ، إلا أنه رفض الاستسلام وماتت الأم فى أحد معاقل الاعتقالات للجيش اليابانى ، واستشهد هــو في إحــدى العمليات الفدائية.

كما استعان "ماوتسى تونج" بالمسلمين أثناء ثورته الشيوعية، حيث أيدت أمريكــا "شيانج كاى شيك" لتولى الحكم فى الصين، بينما أيدت القوى الوطنيــة "ماوتســى تونج" (٢٠) .

الملاحظ أنه ومنذ قيام الثورة الصينية عام (١٩٤٩م) وهناك محــاولات لإعــادة ترتيب الأوضاع من جديد تستهدف في مجملها السيطرة الكاملــة علــى النــواحي

الاقتصادية والإدارية والسياسية في البلاد ، بل تم تطبيق نظام (الكميون) الذي ينص على قيام المزارعين بزراعة أراضي الحكومة دون تملكها ، أو حتى الاستفادة من جزء من إنتاجها ، وساءت أحوال الناس بما فيهم المسلمون .

ثم ألغى الصينيون الملكية الفردية، وأعلنوا أن الإسلام خارج عن القانون، وأنه دين أجنبي وليس له أصول وجذور في الصين، وجاء ذلك في بيانات حكومية رسمية وألغوا المؤسسات الدينية، بل قاموا بهدم بعضها وتحويل البعض الآخر إلى محلات ونوادٍ ومقاهي للخمور والفجور، بجانب إلغاء تدريس اللغة العربية والتاريخ الإسلامي واستبدلوها بتعاليم ماوتس تونج عام (١٩٦٦م) - وقامت مظاهرات في تركستان الشرقية بسبب رفض الحكومة فتح المساجد الكبيرة لتأدية صلاة عيد الأضحى فيها وكانت هناك مصادمات عنيفة أسفرت عن مقتل وإصابة حوالي (٧٥) ألفاً من أهالي تركستان وحدها [٢١] . وشملت عمليات الاضطهاد التضييق على رجال الدين ، والدفع بهم إلى العمل بالمزارع والمصانع دون أجر، وصدم هذا الإجراء المسلمين صدمة عنيفة .

وكانت هذه هي المرة الأولى منذ عام (١٩٤٩م) ، التي تغلق فيها مساجد المسلمين ثم إغلاق المعهد التابع للجمعية الإسلامية الصينية عن استقبال الدارسين عام (١٩٥٩م) وكان هذا المعهد على الرغم من تواضعه هو النافذة الوحيدة المتاحة أمام مسلمي الصين لدراسة الإسلام على أسس علمية صحيحة، وبالتالي لم يعد أمام المسلمين إلا أن ينقلوا نشاطات تعليم الدين إلى البيوت خصوصاً في مناطق الكثافة السكانية، حفاظاً على عقيدتهم ودينهم، وتم إيقاف بعثات الحج بعد عام (١٩٦٤م) ، فضلاً عن عمليات التهجير الواسعة التي دفعت آلاف الأسر الصينية إلى سينكيانج- تركستان الشرقية- ونقلت آلاف الأسر منها إلى باقي أنحاء الصين في محاولة لخلخلة الإقليم من سكانه، وخاصة وأنه يتمتع بأغلبية مسلمة تصل إلى (٩٨٪) من إجمالي سكانه.

آثار الثورة الثقافية على مسلمي الصين:

بدأت الثورة الثقافية في الصين في منتصف الستينيات واستمرت عشرة أعوام كاملة لقي المسلمون خلالها كل صنوف الهوان، والضرب والتعذيب بمختلف ألوانه، وتحطيم

المساجد، وتحويلها إلى مخازن للغلال ونواد للرقص وإحراق المصاحف،والكتب الإسلامية ووطؤوها بالنعال.

كما كان رجال القوات الصينية يقتحمون البيوت، والمعروفة مسبقا بأنها بيوت المسلمين ويأخذون المصاحف والكتب ويحرقونها علنا في الشوارع، على اعتبار أن هذه الكتب تروج للخرافات والأساطير الإسلامية ، وظلت أعداد كبيرة من رجال الدين حبيسة البيوت لأشهر طويلة خشية الخروج إلى الشارع والتعرض للمهانة والسخرية ، ورغم ذلك لم يسلموا من ذلك المصير المؤلم ، فقد كانوا ينتزعونهم من منازلهم ، ويوجهون إليهم الشتائم والسباب ، والقبض عليهم ووضعهم في زنازين خاصة باعتبارهم رموزا للرجعية الإسلامية في إقليم تركستان الشرقية.

وأغلقت المطاعم الإسلامية، التي تقدم الوجبات الحلال للمسلمين الخالية من شحوم لحم الخنزير، ومنع المسلمون في مقاطعة سينكيانج من استخدام الحروف العربية في الكتابة، وأجبروهم على استخدام الحروف الصينية ، ومنع المسلمون أيضا من ارتداء ثيابهم الشخصية، وأجبروهم على استخدام الثياب الرسمية الزرقاء اللون[٢٢] .

مع أن الثورة وعند قيامها أعلنت وقتئذ أن كل مسلم يموت يأخذ ١٥مترا من القماش الأبيض للكفن، وذلك بمقتضى كوبونات خاصة، تعطى المسلمين هذا الحق في حالة الوفاة ،مراعاة لتقاليدهم الدينية ،ولكن قيادة الثورة الثقافية اعتبرت أن هذا الاستثناء يمثل عبئا اقتصاديا على ميزانية الدولة فضلا عن أنه عادة رجعية يجب التخلص منها. وفعلا أوقف صرف، الكوبونات للمسلمين.

بهذه الصورة القاتمة مرت على المسلمين سنوات الثورة الثقافية العشر من (١٩٦٦م) إلى (١٩٧٦م) – التي أعادت إلى الأذهان ظلمات العهود الغابرة، وبددت كل ما تعلقوا به من آمال وأوهام، وأهدرت كل ما أنجزوه وبنوه منذ إعلان الجمهورية في عام (١٩١١م) ، وسدت طريق الأمل الذي انفتح أمامهم عشية التحرير في عام (١٩٤٩م) ، وبدا المستقبل أمامهم قاتما وكئيبا .

أوضاع المسلمين بعد الثورة الثقافية :

بعد وفاة "ماوتسي تونج" عام (١٩٧٦م) ، والقضاء على عصابة الأربعة ؛ بدأت الأمور تستقر في الصين . وتم الإعلان عن بداية مرحلة جديدة من عام (١٩٧٨م) وتقرر إعادة تنفيذ سياسة الحزب الشيوعي الصيني، حول المساواة القومية

وحرية الاعتقاد الديني، فقد حذف النص الذي كان قد أضيف في دستور (١٩٧٥م) واستبدل به نص آخر أكثر تقدما في دستور (١٩٧٨م) ، يقضى بأن جميع المواطنين لهـم حرية الاعتقاد الديني، كما أن لهم الحـق في عدم الاعتقـاد وفي الـدعوة إلى الإلحاد (٢٣) .

ولضمان عدم الإساءة إلى المتدينين ورجال الدين ، وإعرابا عن حسن النيـة مـن جانب السلطة الجديدة بعد وفاة الرئيس "ماوتسى " أضيفت في عام (١٩٧٩م) مادة إلى قانون العقوبات تنص على: معاقبة موظفي الحكومة بالسجن بحد أقصى سنتين إذا ما ضيقوا على المواطنين من أبناء الديانات والعقائد الأخرى أو انتهكوا تقاليد وعادات أبناء الأقليات القومية على نحو غير شرعي.

واتخذت الحكومة كثيرا من الإجراءات في محاولة لكسب ود المسـلمين، وإبـراز احترام حكومة الصين لهذا الدين، وأخذ ذلك بعض الصور كان منها ؛ إحياء الأنشطة السابقة للجمعيات الإسلامية، وفتح المعهد الإسلامي في بكين، وإعادة طبـع القـرآن الكريم في المطابع الصينية مع صدور جريدة " المسلمون " واستئناف بعثات الحـج إلى الأراضي المقدسة ، وفتح كل المساجد التي كانت قد أغلقت في عهد (ماوتسى) حيث كان لشعاره : (ألغوا تعاليم القرآن) أثره في نفوس المسلمين في الصين، ومحاولة إزالة كل أثر للدين على الأرض الصينية، وهاجر المسلمون من تركستان جماعـات، كـان أبرزها هجرة السبعة آلاف مسلم والتي قادها اثنان من الدعاة المسلمين همـا " محمـد أمين يوغرا"،و "عيسى يوسف البتكين"اللذان طافا معظم بلاد المسلمين وإطلاعهم على قضية مسلمي تركستان الشرقية؛لكسب تأييدهم مثل الملك عبد العزيز آل سـعود ، والملك سعود بن عبد العزيز ، والملك فيصل ، والملك فاروق ملك مصر ، وسوهارتو وغيرهم(٢٤) إلا أن درجة استجابة هؤلاء الرؤساء والحكام لقضية اضطهاد المسلمين في الصين كانت سلبية نظرا لطبيعة العلاقات السياسية والاقتصادية التي كانت تربط هذه الدول بالصين كدولة عظمى ، لها دورها السياسي البارز ، علـى السـاحة المحليـة والعالمية.

وبعد وفاة "ماوتسى" تحسنت الأوضاع الاجتماعيـة والاقتصـادية والسياسـية للمسلمين في تركستان الشرقية بل وداخل الصين نفسها، وأصبح من حق المسـلم أن يمتلك الأراضي والعقارات مثل غيره من أصحاب الديانات الأخرى، وفك القيود عن

تعليم الإسلام داخل المنازل والمساجد، بل تم افتتاح المدارس الإسلامية مـن جديـد، وأصبح من حق الفتاة المسلمة أن ترتدي الزى الإسلامي بحرية تامة ، بجانب افتتـاح المطاعم والمحلات التي يمتلكها المسلمون والتي تقدم للمسلمين اللحم الحلال (٢٥) .

مذبحة ميدان السلام السماوي:

في ١٥ أبريل (١٩٨٩م) مات " هوباو يانج " وبموته أطلت المظاهرات مرة أخرى برأسها على مائدة الصراع الديني والسياسي في الصين، لكنها ضمت هذه المرة الطلبة والعمال وفئات الشعب الصيني، وقام طلاب الجامعات الصـينية وعشـرات الآلاف بالاشتراك في الجنازة، وخرجت المظاهرة عن مسارها فـاتجهوا إلى ميـدان السـلام السماوي في (بكين) مطالبين بالحرية والديمقراطية، فأمرتهم الحكومة بالهدوء والعـودة إلى عملهم، وأمام رفض المتظاهرين وتزايد أعدادهم ساعة بعد الأخرى، حتى قيـل : إنهم تجاوزا المليون صيني ما بين (مسلم، وبوذي، ومسيحي) مطالبين بالديمقراطيـة، وتأسيس نظام سياسي قائم على تعدد الأحزاب وفك القيود عن الصـحافة، فقامـت قوات الجيش الصيني بفتح أعيرتها النارية على المتظاهرين، وقتلـت منـهم الآلاف في يومي ٣، ٤ يونيو (١٩٨٩م) . وصاحبت هذه المذبحة عمليـة التحـول الخطـيرة في الاتحاد السوفيتي السابق والمذبحة المماثلة التي قامت بها القوات الروسـية في جمهوريـة أذربيجان والتي لم تقل عنفا عن مذبحة (ميدان السلام السماوي) في الصين (٢٦) .

أما الصراع الصيني مع الأقليات الإسلامية في الأراضي الصينية فقد كانت شـرارته الأولى في ضاحية (أق تو) عام (١٩٩٠م) عندما منعت السلطات الصينية بناء مسجد في (بارين) وكان ذلك في شهر رمضان – الشهر المعظم عند المسـلمين- حيـث اشتبكت المقاومة التركستانية مع القوات الصينية وأسفرت المصادمات عن القبض على رؤساء الحزب الإسلامي الديمقراطي وأعدمتهم(٢٧) .

وجاء ذلك وفق الخطة السرية التي اقترحها " سونج هافليانج " رئـيس الحـزب الشيوعي في تركستان الشرقية وتضييق الخناق السياسي على المسلمين ، ولعـل أهـم بنود هذه الخطة منع إقامة المساجد ومهاجمة مدارس تعليم القرآن (٢٨) وتمثلت حجـة الحكومة الصينية في رفضها السماح للمسلمين بإقامة المسـجد في كـون المسـلمين (أصوليين ، متطرفين ، انفصاليين) يرغبون في الاستقلال والانفصـال عـن الصـين الشعبية.

ووصفت جريدة " شنجيانج " الرسمية الصادرة في ١٨ يونيو (١٩٩٦م) مسلمي تركستان الشرقية بالإرهابيين، وأنهم يستغلون الدين لأغراض سياسية ، وإزاء تزايد حدة الصراع بين الطرفين صادرت الحكومة الكتب الإسلامية بما فيها التفاسير التي أرسلتها حكومة الملك فهد عاهل المملكة العربية السعودية لمسلمي تركستان وكانت تقدر بنحو (٣٠٠,٠٠٠) نسخة من الترجمة (الأويغورية) لمعاني القرآن الكريم، في الوقت الذي أسرعت فيه الحكومة الصينية بعقد اتفاقيات أمنية مع الدول الإسلامية المجاورة للحد من الدعم المادي والعسكري التي تتلقاه حركة المجاهدين بتركستان الشرقية من هذه الدول بسبب التقارب العقائدي، وقامت بعقد اتفاق أمني مع روسيا، وكازاخستان، وطاجيكستان وقد تضمنت هذه الاتفاقيات اتخاذ التدابير الأمنية على جانبي الحدود معها ومنع أية عملية تسلل إلى الأراضي الصينية من الجمهوريات الإسلامية الروسية وقامت الحكومة الصينية بقتل (٥٠) مسلماً في أبريل (١٩٩٠م) على الحدود الصينية الروسية تحت زعم أنهم إرهابيون ومخربون يريدون بث أفكارهم المتطرفة داخل الأراضي الصينية.

وبثت وكالة الأنباء الفرنسية في (١٩٩٦/٥/١٢م) تقريراً صادراً عن سكرتير اللجنة القانونية في الحزب الشيوعي لمقاطعة تركستان الشرقية عن نتائج الصراع الصيني مع المجاهد التركستاني (توختي إخوان) وجماعته وكان من نتائجها القبض على (١٧٠٠) تركستاني شرقي ، وحصد مائتي شهيد مسلم، كما تؤكد منظمة الطفولة الروحية أن الصين أعدمت (١٠٠٠) طفل تركستاني شرقي مسلم في عام (١٩٩٦م) فقط .

كما كان من نتائج السياسية الصينية في تركستان الشرقية " اضرب بقوة " اعتقال (١٨) ألف تركستاني شرقي مسلم، ومقتل (١٠٠٠) وتسريح (٥) آلاف موظف حكومي ، وإعدام (٤٣) شخصية دينية منهم إمام مسجد (بارين) . هذا بالإضافة لهدم مئات المنازل والمحلات التي يمتلكها المسلمون في الإقليم ومع هذا كله فإنه ومن خلال الرؤية العامة للوضع السياسي والاجتماعي لأحوال الأقليات الإسلامية في إقليم تركستان الشرقية المسلم يتضح أن هناك بعض النقاط المهمة التي يجب الإشارة إليها وهي:

١- رفض الصين استقلال تركستان الشرقية ومنحها الحكم الذاتي نظرا لما تتمتع به من ثروات معدنية بما فيها النفط.

٢- إن وضع المسلمين في الصين هو وضع تجمعات، حيث يتركزون في قرى ومدن عديدة يمثلون فيها الأغلبية العددية، وإذا سمحت الصين باستقلال تركستان الشرقية، يصبح بالتالي من حق إقليم (آسام) أن يطالب هو الآخر بالاستقلال عن الهند ليقيم لنفسه دولة ذات حكم ذاتي آخر ، ومن هنا يأتي تفكك الصين وضياع هيبتها كدولة عظمى .

٣- امتلاك تركستان الشرقية لعنصر اليورانيوم ؛ وبالتالي فإن امتلاك المسلمين لأخطر الأسلحة الموجودة في القرن تهديد للأديان الأخرى حيث يرون أنه إذا امتلك المسلمون هذا السلاح يصبح من المتوقع أن يقوموا بغزو العالم من جديد وليعيدوا الفتح الإسلامي لأوربا والعالم مرة أخرى.

٤- الإبقاء على الوحدة الصينية والأراضي التابعة لها في تركستان الشرقية وهونج كونج وتايوان والوقوف ضد تفسخ الدولة الصينية.

٥- أدت العلاقات السياسية والاقتصادية بين الدول الإسلامية والصين إلى أن تغض هذه البلدان الطرف عما يحدث لإخوانهم المسلمين هناك، وإعلاء العامل السياسي على الديني والعقائدي، ويلاحظ في زيارة الرئيس الصيني لتركيا، التي بحثا فيها رئيسا الدولتين الوضع في تركستان الشرقية، وطالب الرئيس الصيني تركيا بوقف دعمها لحركات التطرف الديني في الإقليم ، أي المجاهدين الذين يطالبون بالاستقلال .

أما مشكلات الأقليات الإسلامية في الصين فتتلخص في الآتي:

١- قلة الدعم المادي من الحكومة الصينية لدور العبادة والأئمة المسلمين القائمين عليها.

٢- قلة المدارس الإسلامية التي ترعى النشء وتعلمهم أصول اللغة العربية والعقيدة.

٣- ضعف مستوى المناهج الدراسية وقلة مبعوثي الأزهر لتعليم الصينيين أمور دينهم.

٤- جهل المسلمين الصينيين بالإسلام وعدم فهمه الفهم الصحيح.

٥- تعدد المذاهب والفرق الإسلامية في الصين واختلافاتهم الفقهية فيما بينهم .

٦- التضييق على فتح الجامعات والمدارس الإسلامية في الصين لأبناء المسلمين.

٧- قيام البوذية في الصين باضطهاد الأقليات المسلمة ومحاولة القضاء على هويتهم الإسلامية .

٨- منع تعدد الزوجات وفق القانون الصيني ودستورها حيث لا يجوز الجمع بـــين زوجتين .

أحوال الأقليات الإسلامية في الصين
بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر(٢٠٠١م)

يمكن القول : إن المسلمين في الصين، تعرضوا للاضطهاد الديني ، وذلك بحرمانهم من حقوقهم التي أقرها الدستور الصيني ذاته ، ففى عام (١٩٩٠م) تمكنوا من الحصول على الموافقة الصينية على قيام المسلمين بإصدار أربع صحف إسلامية في الوقت الذي لا يضع التليفزيون الصيني برامج إسلامية على خريطته[٢٩] بينما الواقع يؤكد بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر بالولايات المتحدة تعرض المسلمين في الصين لحملات اضطهاد واسعة استهدفت القضاء على عقيدتهم ومحو هويتهم الإسلامية، وخاصة في إقليم تركستان الشرقية ذى الأغلبية المسلمة.

وقد سجلت منظمة العفو الدولية في تقريرها الصادر عـــام (٢٠٠٢م) شـــكوى آلاف المسلمين من الإيغور الذين تم اعتقالهم بالإضافة إلى مئات الضـــحايا الـــذين تم إعدامهم دون محاكمات أو تهم حقيقية، وفى التقرير الذي نشرتة مجلة التايمز البريطانيـــة نقلاً عن تقرير المنظمة قيام الحكومة الصينية بإجبار الرموز الإســـلامية مـــن الأئمـــة والمشايخ وكبار الدعاة على احتساء الخمر قبل تنفيذ حكم الإعدام فيهم ، وفى بكـــين العاصمة الحال لا يختلف عن سابقه ، فقد قامت السلطات الحكومية بـــإغلاق (٣٠) مطعماً للمسلمين وتشريد أكثر من خمسين ألف مسلم من أعمالهم الحكومية التي كانوا يعملون بها قبل أحداث الحادي عشر من سبتمبر.

هذا فضلاً عن الانتهاكات المتزايدة في مجال حقوق الإنسان، حيث قـــام النظـــام الشيوعي في الصين بتأسيس برنامجاً على درجة عالية من التمييز والعنصرية يهدف إلى تعقب المسلمين في مساجدهم ومدارسهم حتى في منازلهم ومحال إقامتهم، وفصل كـــل الموظفين المسلمين الذين يعملون في المناصب العليا بالجهاز الحكومي، مما زاد من نسبة البطالة بين المسلميـــن بجانب عدم رغبة رجال الأعمال البوذيين من تشغيل المســـلمين في مصانعهـــم أو شركاتهم، مما دفع الكثـــير من المسلمين إلى تغيير أسمـــائهم لأسمـــاء أقرب للبوذية منها للإسلام للحصول على فرصة عمـــل أو الاســـتمرار في أعمـــالهم السابقة.

وبما أن الإسلام يشكل مركزاً أساسياً في ثقافة المسلمين الإيغور فى إقليم تركستان الشرقية أو سينكيانج ما تزال الحكومة الصينية تقوم بمحاولة طمس معالم الإسلام من مدارس ومساجد ، وهى إما مغلقة الآن أو خاضعة لحراسات أمنية مشددة، تحت زعم أن الذين يؤدون الصلاة في هذه الأماكن هم أتباع لأسامة بن لادن، ومن المتطرفين والإرهابيين الذين يسعون إلى عدم استقرار الأمن الداخلي في الصين، وأخيرا نشرت إحدى الصحف الصينية خبرا يقول : إن الحكومة أصدرت قرارا بشأن حظر حمل المصحف مع المسلمين أو حتى ضبطه أثناء الإجراءات الأمنية في منازلهم أو متاجرهم أو حتى مع أبنائهم الصغار، مما يؤكد استغلال الصين الحملة الدولية على التطرف والإرهاب لتصفية الوجود الإسلامى من إقليم تركستان الشرقية الذي يطالب بالاستقلال عن الصين وتقرير مصيره بعيدا عن الحكومة الشيوعية الصينية، الأمر الذي ترى فيه الصين تبعية الإقليم لها ، حيث يمثل على المستوى الاقتصادى الكثير في مجال النفط والقطن واليورانيوم المخصب الذي يستخدم في مجال التصنيع العسكري والنووي، وهذا يعد أساس الاقتصاد الصيني ، واستمرارها كقوة عظمى في عالم اليوم.

وعلى جانب الفكر الإنسانى خرج فى هذه المنطقة العديد من العلماء والفقهاء الذين ملأ علمهم بقاع الأرض في مختلف المجالات من طب، ورياضيات، وفيزياء، وكيمياء، وفلسفة، وفلك، ولغويات أهم هذه النماذج مع الإشارة إلى أهم ما قدموه للبشرية والإسلام ما يلى :

فضل أبناء تركستان على الغرب والعالم الإسلامى:

سبقت الإشارة إلى أن العرب لم يسهموا في نشر الإسلام إلا بالقدر القليل ، سواء على صعيد الفتوحات شرقا أوغربا أو شمالا وجنوبا ، حتى دق أبواب فرنسا، وفتحت الهند والسند والصين وبلاد التركستان وجنوب شرق آسيا وتوسع فى شمال إفريقيا متوغلا ناحية الجنوب ، حيث شارك في هذه الفتوحات بجانب العرب : " المسلمون الأتراك، والسلاجقة، والمغول ، والفرس وغيرهم " .

وعلى الصعيد الفكري لم يساهموا أيضا إلا بالقدر الضئيل فمعظم أمهات الكتب التي تتناول أصول العقيدة، من فقه وعبادات، وشرائع لمؤلفين ليسوا من العرب ولا من المنطقة العربية، بل إن من أبرز المناطق التي ساهمت على هذا الصعيد منطقة تركستان (الشرقية – والغربية) أو منطقة آسيا الوسطى و بلاد ما وراء النهر،

أو الجمهوريات الإسلامية الروسية قديما، وقد تنوعت مؤلفاتهم وتخصصاتهم في مجال التفسير، والحديث، والفقه، والفلك، والعلوم، والرياضيات، والطب حيث كانت طشقند، وبخارى، وخوارزم، وكاشغر منارات إسلامية يلجأ إليها طلاب العلم من كل البلدان.

ونظرا للعدد الضخم الذي تم حصره عن علماء منطقة آسيا الوسطى وبلاد ما وراء النهر (أو تركستان) سيتم الإشارة لأبرز علماء المنطقة، وأهم مؤلفاتهم التي كانت زخما علميا استفاد منه العرب والغرب معا:

أولا: في تفسير القرآن وعلومه :

ومن أبرز علماء التفسير فى تلك المنطقة: " أبو الليث السمرقندى " وله تفسيره للقرآن الكريم باللغة العربية، كما أن له مؤلفات أخرى في الفقه و الحكمة وعلم الكلام، مثل بستان العارفين وتنبيه الغافلين، و فضائل رمضان، وعيون المسائل، ودقائق الأخبار في بيان أهل الجنة و النار. وجار الله " أبو القاسم الزمخشرى " وأبرز مؤلفاته تفسيره لآيات القرآن الكريم وإظهار بلاغتها وتراكيبها، وهو المعروف بتفسير الكشاف . " والحافظ أبو البركات النسفى " وله أيضا تفسيره للقرآن الكريم، وله مدارك التتريل وحقائق التأويل، وكتاب الكتر. " وأبو المنصور الماتريدى " وله تفسير الماتريدى، ومؤلفات أخرى في الفقه وعلم الحديث أهمها كتاب السنن الذي يعد أحد الكتب الستة، جمع فيه أكثر من (٤,٨٠٠) حديث صحيح عن الرسول ﷺ . والشيخ "على السمرقندى " ومن مؤلفاته في التفسير، بحرالعلوم في التفسير وضع فيه كل علمه، وكتبه في عشرين عاما، " والكاشفى السبزوارى " وله تفسيره الفارسي، أو تفسير الحسيني . " والشيخ شهاب الدين " وله عيون التفاسير، وله في مجال التصوف مؤلفه الضخم : رسالة النجاة.

ثانيا: في الحديث النبوي والسيرة :

ومن أبرز علماء المسلمين فى تلك المنطقة : الإمام أحمد بن حنبل: وله مذهب باسمه ، ولد في خوارزم وترك ثروة ضخمة من كتب الحديث والفقه أبرزها مسند الإمام أحمد ، والإمام " أبو عبد الله ابن إسماعيل البخاري " الذي ولد في بخارى، ومن أشهر مؤلفاته صحيح البخاري، والأدب المفرد، والتاريخ الكبير، والتاريخ الأوسط، والتاريخ الصغير والتفسير الكبير. والإمام " محمد بن عيسى الترمذي " وهو من أئمة

علماء الحديث ولد فى ترمذ على نهر جيحون وتتلمذ على يد الإمام البخاري، وأصيب بالعمى في أواخر أيامه ، ومن أبرز مؤلفاته فى مجال الفقه والحديث كتاب الجامع، وكتاب العلل . والإمام " أبو الحسين بن مسلم " النيسابورى وينسب إلى نيسابور، وهى منطقة تتبع خراسان ومن مؤلفاته الجامع الصحيح، والمسند الكبير . " وأبو عبد الرحمن أحمد بن على النسائي ": وهو من كبار علماء الحديث، ولد في خراسان، في منطقة تسمى : " نساء " وله السنن الكبرى ، وفضائل الصحابة وغيرها. " وأبو محمد عبد الله الدارمي " وله المسند في الحديث الشريف . " وأبو بكر أحمد الخوارزمي " الذي ولد في خوارزم وله جامع الصحيحين فى الحديث ، ومن رواة الحديث أيضا الإمام مسلم، والإمام أبو داود، والإمام ابن ماجه .

ثالثا: في التصوف الإسلامى وفلسفته:

ومن أبرز علماء التصوف الإسلامى من أبناء التركستان : " إبراهيم بن أدهم البلخى" وهو من منطقة بلخ، وله العديد من الكتب في التصوف، أهمها علم التصوف. "وإبراهيم النقشبندى " ومن مؤلفاته (مثنوى) من ٦٠٠ بيت، وشرح كلمات شاة نعمه الله. وبهاء الدين النقشبندى وهو مؤسس الطريقة النقشبندية. وعبد الله الأنصارى وله ترجمة طبقات الصوفية للسلمى ومؤلفات عديدة أخرى .

رابعا: فى اللغة والأدب والبلاغة :

أما في اللغة والأدب فقد ظهر العديد من العلماء وكان أبرزهم: "إسحاق بن إبراهيم الفارابي " وله ديوان الأدب في اللغة ، وشرح أدب الكاتب لابن قتيبة."وسراج الدين يوسف " الخورازمى السكاكى ويعد من أبرز علماء اللغة، وله مفتاح العلوم فى النحو والصرف والمعاني ، وأدب المناظرة والعروض . وحميد الدين البلخى وله مقامات حميدي باللغة الفارسية. وأبو نصر إسماعيل الجوهري وله صحاح الجوهري.

خامسا : في علم الكلام :

ومن أبرز علماء المنطقة فى علم الكلام: " شمس الدين محمد السرخسى " وله المبسوط في (١٥) مجلدا، وكذلك أصول الفقه وكتب أخرى. " وأبوزيد عبد الله بن عمر الدبوسى " ومن مؤلفاته الشهيرة كتابه الأسرار وكتاب تقديم الأدلة . وشيخ الإسلام "رضي الدين السرخسى"وله كتاب الذخيرة والمحيط والفتاوى الصغيرة.

"وعلاء الدين على بن التركماني " ومن مؤلفاته السعدية في أصول الفقـــه، وكتـــاب الضعفاء والكفاية مختصر الهداية في الفقه.

سادسا: في مجال الشعر والنثر :

اعتبرت منطقة تركستان من البيئات التي اكتسبت اللغة العربية وأتقنتها ثم أخرجت أسرارها، فقد كتب المئات من أبناء خراسان، وترمذ، وبخارى ، وطشقند، وكاشغر، وسمرقند الشعر ، وأجادوا نظمة وكان أبرز هؤلاء الشعراء: " أبو على محمد بن أحمـــد البلخى "، " أبو المؤيد البلخى " ، " أبو منصور الدقيقى " ، و" ظهير الدين الفارابي "، و " مظفر الدين بابر" مؤسس الدولة التيمورية فى الهنـــد ومـــن النســـاء : عائشـــة السمرقندية، ونورجهان ومهرى، وعظمت السمرقندية.

سابعا : في مجال الطب :

ومن أبرز علماء تركستان فى مجال الطب والفلسفة : "أبو على الحسين بن عبـــد الله بن سينا " ولد في أفشنة إحدى قرى بخارى ، وعرف عنه من صغره ذكائه الحاد، حتى أنه أتم حفظ القرآن الكريم كله و هو لم يتجاوز الخامسة من عمـــره، واشـــتهر كطبيب وهو لم يتجاوز الخامسة عشرة ، واستطاع أن يتوصل إلى أسباب أمـــراض لم تكن معروفة في ذاك العصر مثل السكتة الدماغية، والشلل، وحصى المثانة، والســـل، واكتشاف الدورة الدموية المستديرة، والاضطرابات العصـــبية، وأشـــهر مؤلفاتـــه : "القانون " الذي ترجم لمختلف اللغات العالمية، واعتبرته الجامعات في روما أساس علم الطب، وتم تعميمه فى الجامعات الأوربية وطهران، والهند، أما مؤلفاتـــه في الفلســـفة فكان أهمها : الشفاء في المنطق والإلهيات والطبيعيات والموسيقى، وترجمت كتبه لأكثر من لغة. وكذلك " أبو بكر زين الدين الوراق " وقد اشتهر بالحكيم، وأبرز مؤلفاته : السندباد في الحكمة وفي الطب : الألفية والشافية.

وأبو نصر محمد بن محمد الفارابي الذي ولد في فاراب على نهر جيجون، ويعد من أعظم الفلاسفة المسلمين، وعرف بالمعلم الثاني، لشرحه لمؤلفات أرسطو المعلم الأول، ومن أبرز مؤلفاته : الفصوص ، وإحصاء العلوم والموسيقى الكبير، وآراء أهل المدينة الفاضلة، ومبادئ الموجودات . وعبد الرحمن الحسن المروزى وله : الروضة في الأنساب، ورسائل في الطب.

ثامنا: في مجال العلوم الرياضية والفلكية:

ومن أبرز علماء المسلمين فى الفلك : " أبو ريحان محمد بن أحمد البيروني " وهو من أعلام الرياضيات، ويرجع إليه الفضل في نشر العلوم الإسلامية في الهند، بحكم صداقته للسلطان محمود الغزنوى، ومن أشهر مؤلفاته : الآثار الباقية عن القرون الخالية، ومقاليد الهند، وقانون الإرشاد في أحكام النجوم. "وأبو معشر جعفر البلخى " وله العديد من المؤلفات في مجال الفلك أبرزها كتاب المفصل الكبير، والقرانات. "ومحمد بن موسى الخوارزمي " من علماء الرياضيات، واستفادت أوربا من علومه وله المختصر في حساب الجبر، والمقابلة، ويعد أول عالم في الجبر، وكذلك أول من استخدم الصفر في الحساب.

تاسعا : في التاريخ والجغرافيا:

أما فى التاريخ والجغرافيا فكان : " أبو ريحان البيروني" : وله أحوال الهند. "والإمام محمد بن إسماعيل البخاري" : وله التاريخ الكبير والأوسط، والتاريخ الصغير. " ومحمد البلخى " ومن مؤلفاته الشهيرة تاريخ البلدان. "ومحمد الفرغانى " وله من المؤلفات الكثير أبرزها ذيل تاريخ الطبري ." وأبو بكر النرشخى " وله في التاريخ، تاريخ بخاري وترجم لأكثر من ثلاثين لغة.

ومن هنا نستطيع القول : إن أبناء التركستان كان لهم الفضل الكبير على العالم في كافة المجالات والتخصصات التى برعوا فيها، وقت أن كان الغرب وأوربا كلها تعيش في ظلمات العصور الوسطى والجهل ومن سيطرة الكنيسة على كل شيء حتى في مجال العلوم والأدب .

هوامش الفصل الثالث

(١) صابر طعيمة : محنة الأقليات المسلمة والواجب نحوها، مرجع سابق، ص٢٥.

(٢) محمود أبو العلا : جغرافية العالم الإسلامى، مرجع سابق ، ص٣٦ .

(٣) أحمد على إسماعيل : العالم الإسلامى، مرجع سابق ، ص٤١.

(٤) المسلمون في آسيا(منشورات منظمة المؤتمر الإسلامى ، ٢٠٠١م).

(٥) حسن الحاج : حرب أفغانستان التحول الجيوإستراتيجى إلى الجيوثقافي (بيروت: المستقبل العربى، عدد (٧٦) فبراير٢٠٠٠م) ص١٣-٢٣.

(٦) أحمد منيسى : الأقليات الإسلامية في الصين (القاهرة : السياسة الدولية، عدد " ١٣٧" يوليو ١٩٩٦م) ص١٠٢.

(٧) محمود أبو العلا : جغرافية العالم الإسلامى، مرجع سابق ، ص٥٦.

(٨) الإسلام في الصين : مجلة الأمة القطرية، مرجع سابق ، ص ٦٨.

(٩) صلاح الصاوي : جغرافية العالم الإسلامى، مرجع سابق ، ص٢٦٨.

(١٠) محمد حرب : المسلمون في تركستان (القاهرة : مركز الدراسات العثمانية، ١٩٩٣م) ص١٢ .

(١١) السيد حسن جلال : تاريخ الشعوب الإسلامية، مرجع سابق، ص١١١.

(١٢) فيصل قطي : الإسلام فى الغرب : إسلام أون لاين نت ٢٠٠٣/٣/١٢ .

(١٣) حسين مؤنس : أطلس تاريخ الإسلام، مرجع سابق، ص ٢٣٣ .

(١٤) محمد حرب : المسلمون في آسيا الوسطى والبلقان، مرجع سابق ، ص١٤٠ .

(١٥) حسين مؤنس : أطلس تاريخ الإسلام، مرجع سابق، ص٢٣١ .

(١٦) محمد حرب : المسلمون في آسيا والبلقان ، مرجع سابق، ص١٤٠ .

(١٧) حسين مؤنس : أطلس تاريخ الإسلام ، مرجع سابق، ص٢٣٥ .

(١٨) فهمي هويدى : المسلمون في الصين(الكويت: عالم المعرفة ،عدد ١٩٩٢م) ص١٠ -٢٥ .

(١٩) محمد حرب : المسلمون في آسيا الوسطى والبلقان، مرجع سابق، ص ٩ .

(٢٠) سيد عبد المجيد بكر : الأقليات الإسلامية في العالم ، مرجع سابق ، ص٣٢٠ .

(٢١) محمد حرب : المسلمون في الصين ، مرجع سابق ، ص ١٢ .

(٢٢) فهمي هويدى : الإسلام في الصين ، مرجع سابق ، ص ٣٦ -٦٦ .

(٢٣) أحمد منيسى : الأقليات الإسلامية في الصين، مرجع سابق، ص١٠٣.

(٢٤) محمد حرب : المسلمون في الصين، مرجع سابق ص١١٠.

(٢٥) المسلمون في الصين، مرجع سابق ، ص١١١ .

(٢٦) أحمد منيسى : الأقليات الإسلامية في الصين، مرجع سابق ، ص١١١، ١١٢ .

(٢٧) ممدوح الشيخ : المسلمون ومؤامرات الإبادة، مرجع سابق ، ص٧٤ .

(٢٨) المسلمون في الصين (القاهرة : المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مجلة منبر الإسلام ، عدد يناير، ١٩٩١م) ص٧٥.

(٢٩) عبد الرقيب حاجى : المسلمون في الصين (القاهرة: جريدة الرأي، عدد مايو ٢٠٠٣م) ص١٦ .

(٣٠) المسلمون في تركستان: مجلة شمس الإسلام، العدد الرابع، ١٩٩٥م) ص٦ .

الفصل الرابع

أوضـاع الأقليـات والجاليات الإسـلاميـة فـى شبـه القـارة الهنديـة

قبل وبعد أحداث ١١ سبتمبر (٢٠٠١م)

الفصل الرابع

أوضاع الأقليات والجاليات الإسلامية في شبه القارة الهندية

قبل وبعد أحداث ١١سبتمبر (٢٠٠١م)

أولا : أوضاع الأقليات الإسلامية فى الهند

قبل وبعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر (٢٠٠١م)

الهند أكبر دولة في آسيا من حيث المساحة ، وعدد السكان بعد الصين ، وعلي مستوي الأقليات الإسلامية هناك فهي تضم أكثر من " ١٧٠" مليون مسلم دون الأغلبية المسلمة التي تقطن إقليم كشمير الواقع تحت السيادة الهندية، والمتنازع عليه بين الهند وباكستان منذ تقسيم الهند عام (١٩٤٧م) .

ويتكون شعب الهند من الشعوب متعددة الأجناس والأعراق والأديان، وبالتالي فهم لا يمثلون وحدة تجانس واحدة، كما تتعدد اللغات بها حيث تصل لـ (١٧٩) لغة و(٥٤٤) لهجة، وتمثل الطائفة الهندية ثلثي السكان بالهند، وتعود علاقة الهند بالإسلام إلى فترة مبكرة، وكانت أول الحملات الإسلامية الموجهة لهذه المقاطعة في عهد الخليفة "عثمان بن عفــان" ثم واصــل المسلمون توسعاتهم في الهند في عهد " الوليد بن عبد الملك " زمن العصر الأموي(١) .

وينقسم المسلمون في شبه القارة إلى ثلاث مجموعات تكاد تكون متساوية أو متقاربة العدد : فهناك الأقلية المسلمة فى الهند، ورغم هذا العدد الضخم الذي يلفت الأنظار إلا أنهم أقلية إذا ما تم مقارنتهم بالعدد الضخم التي تحتله الديانة الهندوسية هناك.

والمسلمون في الهند يمثلون أقلية في كل الولايات باستثناء ولاية (لاكشاد ويب)، أو (لاكاديف) ، حيث يمثل المسلمون ٩٨% من مجموع السكان، بينما يمثل عدد المسلمين في إقليم كشمير حوالي (٩٠%) من سكانها، ويضم الجدول التالي أماكن تجمع المسلمين في شبه القارة الهندية بشكل من التوضيح(٢):

الولاية	نسبة المسلمين	الولاية	نسبة المسلمين
أسام	%٤٠	بيهار	%٢٤,١٠
بنغال الغربية	%٢٣,٥٠	كارنا تاكا	%١٧,١٠
كيرالا	%٢٢	ماهاراشترا	%١٠,٣٠
يوتاربرادش	%١٥,٤٠	أندهرابراتش	%٨,٥٠
جو جارات	%٩,٥٠	راجاستان	%٨,٣٠

والجدول السابق يشير في مجمل بياناته أن الأقلية المسلمة تمثل وزنا عدديا في شبه القارة الهندية، مع الافتقار إلي الدور السياسي المؤثر، فما يحدث للأقليات الإسلامية في العالم لا يحرك ساكناً عند هذا العدد الكبير من مسلمي الهند، كما أن ما يحدث في إقليم كشمير ذات الأغلبية المسلمة من اضطهاد وعنف وطرد وتشريد وإبادة لمئات الأسر المسلمة هناك لا يؤثر مطلقا عليهم.

الإسلام يدخل دول الهند :

فتح المسلمون الهند في القرن الحادي عشر علي يد" محمود الغزنوي " وظلوا يحكمونها لأكثر من ثمانية قرون ونصف القرن، وكان الهندوس آنذاك تربطهم علاقات نسب وصداقات بالمسلمين، وكانوا عادة ما يتوددون للحكام المسلمين حتي يحظون بثقتهم، وبالتالي كانت لهذه العلاقات تأثيرها في اقتناع الحكام المسلمين بأن يتولى إدارة شؤون البلاد والأقاليم أهل الثقة من أبناء الهند، فكان منهم حكام الأقاليم والمقاطعات حتي المناطق المكتظة بالمسلمين ، إلا أنه ومع تزايد أعداد الولاة والحكام الهنود في المقاطعات الهندية ضعفت سلطة الحكام المسلمين، و لم يستطيعوا السيطرة علي الإقليم ولا حتي عودة نفوذهم كما كان في السابق، وعندما شعر الإنجليز بما وصل إليه وضع المسلمين في الهند من ضعف وتدهور تدخلوا وحصلوا علي العديد من الامتيازات، بل زاد نفوذهم داخل الأراضي الهندية بشكل عام ، وقاموا بعزل المسلمين في كل الولايات، بل والقضاء علي معظمهم بالقتل والاغتيالات، وتمكنوا بعد فترة وجيزة بأن يستبدلوا الولاة الهندوس بدلا من المسلمين، حتي أنه لم يعد يوجد والٍ ، أو حاكم

ولاية من المسلمين، حتى المسلمين من أبناء الهند كانوا يستبعدون لانتمائهم الديني، أو لكونهم أصبحوا مسلمين.

ولما شعر المسلمون بأن الحكم الإسلامي فقدوه في شبه القارة الهندية، بدأت تحدث مواجهات ومصادمات بين الطوائف ، بل ودخلت الأماكن المقدسة على قائمة هـذه الصراعات، حيث كان يتم الاعتداء على المساجد وأضرحة الأئمة المسلمين، وكذلك الاعتداء علي الأديرة التي كان يمارس فيها الهندوس عباداتهم، وتحول المسلمون إلى عبيد بدلا من كونهم كانوا حكاما سابقين لشبه القارة الهندية وبدأت عمليات الاضـطهاد ضد المسلمين يتزعمها حتى المواطن العادي بجانب قوات الجيش والشرطة والـوزارات والهيئات التابعة للدولة (٣) .

وعلى هذا فإن التطرف والعنف الهندوسي ضد المسلمين لم يكن وليد اللحظـة، أو أمراً يرتبط بيوم وليلة، وإنما كان ثمرة حقد دفين ضد المسلمين الذين استطاعوا نشـر رسالة النبي ﷺ على أرضهم ، ودخل الألوف في الدين الجديد، وتخلوا عن دين آبائهم وأجدادهم وتمردوا على التقاليد والعادات الموروثة ، واستهانوا بـالطقوس التعبديـة للهندوس ، إلا أن هذا التأثير الواضح على المسلمين في الهند لم يظهر بصورة واضـحة إلا عندما استطاعت الأحزاب الدينية الهندوسية تولي الحكم في الهند عندها فقط بـدأ المسلمون يشعرون بعدم الأمان على عقيدتهم وعملهم، أو في مساكنهم أو حتى أثنـاء سيرهم في الشوارع لقضاء حاجاتهم من الأسواق.

وهم في سبيل تحقيق هدفهم - المزعوم- يقومون بتشريد آلاف الأسر المسلمة وإحلال الأسر الهندوسية مكانها، وكذلك يحاولون بكل ما يستطيعون من قوة وسلطة أن يدمروا المناطق التي يمثل فيها المسلمون الأغلبية علي اعتبار أن الأقلية المسلمة من السهل القضاء عليها ونزع شوكتها، وتقوم الأحزاب الهندوسية المتطرفة والتي تمثل التيار الأكثر عنفا بتدمير القوى المسلمة بالكامل ويمارسون كافة أنواع الاضطهاد ضد المسلمين تحديداً أمام سمع وبصر كل المنظمات والهيئات العالمية منها والإقليمية حتى المنظمات التي تصطبغ بالطابع الإسلامي أو تلك التى تنادى بحقوق الإنسان ، ولكن لا حياة لمن تنادي!!

إذ إن المجتمع الأوربي الذي يطلق في اليوم والليلة عشرات النداءات والتصـريحات لإغاثة حيوانات الغابات في الهند وإفريقيا لأنه عمل غير إنساني، يقف عاجزا أمام قتل العشرات بل المئات من المسلمين في كشمير فضلا عن بقر بطون الأمهات والتمثيـل بجثثهن لإرهاب من تبقى منهن ، وكذلك الاعتداءات البدنية والاغتصابات المتواصـلة لفتيات مسلمات محتجبات لا رغبة فى شهوة ولكن مـن منطلـق إذلال المسـلمين وإجبارهم على التخلي عن معتقداهم الدينية التي يمارسوها(٤) ويبدو أن هذا الأسلوب ليس بجديد ، بل قديماً فقد اتبعته كل المذاهب والمعتقدات غير الإسلامية ضد المسلمين، كما انتهجته صربيا مع المسلمات في البوسنة وكوسوفا ، وقوات المارينز الأمريكية مع فتيات العراق المسلمات، والروس مع المسلمات الشيشان الآن.

الإسلام والديانات الأخرى بالهند :

تضم الهند ثلاث قوى تتصارع كل منها لتكسب نفوذا أو سلطة أكبر من أخرياتها؛ فالهندوس وهم الأغلبية يرفضون مبدأ أن يشاركهم أحد في أرضهم وممتلكاهم، أو الانفراد بالسلطة من جانب غيرهم، أما السيخ فيطمعون في تحقيق وجود أكثر عن طريق دخول أعضاء جدد في طائفتهم، أما المسلمون وهم القوة الثالثة، فهم أقلية مع أهم حسب بعض التقديرات أكثر من (١٧٠) مليون مسلم أي حوالي (٢٠%) من عدد سكان الهند إلا أهم – ورغم كثرهم العددية – لا يزالون يتعرضون للاضطهاد الديني حتى أن الزعيم الهندي "نهرو" قال في كتابه : " Discover of India " إن دخول الغزاة الذين جاؤوا من شمال غرب الهند، ودخول الإسلام له أهمية كبيرة في تاريخ الهند، حيث إنه قد فضح الفساد الذي كان منتشرا في المجتمع الهندوكي فلا شك أنه كان ضروريا لإعادة الهند إلى رشدها، وهويتها التي تعتز بها ، كما يعتز المسلمون بدينهم وعقيدهم "(٥) .

كما كان لقيام الدولة المغولية في شبه القارة الهندية أو الدولة التيمورية التأثير الكبير علي المعتقدات والمذاهب الدينية في الهند وقد تأسست الإمبراطورية المغولية علي يـد "بابر" الذي منع الزواج قبل بلوغ الفتاة سن الرشد ؛ وأباح للأرامـل الهندوسـيات الزواج وكن لا يتزوجن حسب معتقداهن الموروثة.

ومنع المرأة من إحراق نفسها إذا مات زوجها، وأوقف تجارة العبيد وشجع العلماء الهندوس على تعلم اللغة السنسكريتية ، ومنع اغتسال النساء والرجال في الأنهار سويا ؛ ومنع شرب الخمور وخروج النساء كاشفات الرأس غير محتجبات، وأمر جنوده بـــألا يجبروا أحدا على اعتناق الإسلام، وأن الجميع أحرار في ديانتهم ولا يحق لأحد أن يحرم الآخرين من ممارسة حقوقهم وحرياتهم فى معتقداتهم، ثم خلفه ابنه (جامنجير) الـــذي أصبحت الإمبراطورية الهندية في عهده من أعظم الإمبراطوريات في العالم، وجاء بعده ابنه (شاه جهان) الذي اهتم بالفن والرسوم المعمارية، حتى أنه أقام (تاج محل) الـــذي يعد من عجائب الدنيا السبع وهو ضريح لزوجة " شاه جهان " .

وقد اختلف " شاه جهان " في سياسته عن جده، فأمر بهدم الكنائس التي كانت موجودة في أجرا ولاهور وقام بمواجهة مركز البرتغاليين عند مصب نهر الجانج، حيث أرسل جيشا كبيراً إلي مدينة هوجلي وحاصرها مدة ثلاثة أشهر ثم استولى عليها وطرد البرتغاليين منها، إلا أنه وبمجرد تولي (أورنجزيب) سنة (١٦٥٨م) أصبحت شبه القارة كلها تحت السيطرة المغولية، ولكن ظهرت أيضا بدايات التدهور، إذ إنه لم يستطع أن يوقف تمرد "المارثيين" وكان المسلمون يعيشون جنبا إلي جنب مع الهندوكيين في وئام وسلام كل منهم يؤدي شعائره دون تدخل من الآخر(٦) .

إلا أن الفتنة التي أقامها الإنجليز سببت الكثير من أعمال العنف ضد المسلمين حيث قام الإنجليز بتحريض الهندوس ضد المسلمين ؛ وتحديدا طائفتي السيخ والمهراتا وراح الآلاف من المسلمين فى سبيل ذلك، وأدرك علماء الإسلام في الهند آنذاك أن هناك اتفاقا غير مكتوب بين الإنجليز والسيخ والهندوس لإبادة الإسلام واقتلاع جذوره من الأراضي الهندية (٧) .

وفي سبيل هذه الخطة كان الإنجليز يمنعون الطلاب من أبناء المسلمين مـــن التعلـــيم وأغلقوا الكتاتيب، ومنعوا تداول القرآن، أو ذهـــاب المســـلمين لقضـــاء الصـــلوات المفروضة، واستولوا بجانب ذلك على الأوقاف الخيرية الإسلامية في نفس الوقت كانت هناك محاولات لتعليم أبناء السيخ والهندوس علي أسس إنجليزيـــة تمهيـــدا لإلحـــاقهم بالأعمال الإدارية في بلادهم بدلا من المسلمين، وظل الوضع المتردي يعصف بالمسلمين إلي أن قام "سيد أحمد خان" المشهور (بالشهيد) بإعلان الحرب على الإنجليز ودعا إلى

التخلي عن البدع التي انتشرت في أوساط المسلمين، واستطاع عبر المقاومة أن يوقــف بعض الهجمات السيخية والإنجليزية ضد المسلمين بالهند(٨) .

ويرجع البعض التواجد الإسلامي في الهند عبر ثلاثة محاور هي :

- طائفة المسلمين الذين هاجروا إلى الهند وعاشوا فيها، وقاموا على نشر الإسلام في أرجائها،وكذلك الذين قدموا من البلاد الواقعة شمال غرب الهند واستوطنوها.
- طائفة الهنود الذين كانوا يؤمنون بدين آخر غير الإسلام واعتنقوا الإسلام بعدما تعرفوا عليه، وانخرطوا يمارسون طقوسة التعبدية عن إيمان وعقيدة.
- طائفة المسلمين الذين جاؤوا عبر البحر، ونزلوا على الساحل الغربي والجنوبي من الهند وهم من أصول عربية، واستقروا فيها واعتبروها موطنهم الأصلي.

أما التواجد الفعلى فقد كان على يد " محمد بن القاسم " أول قائد مسلم استطاع فتح الهند وكان ذلك في عهد الخليفة الأموي " معاوية بن أبي سفيان " كما غزاها "المهلب ابن أبي صفرة " عام (٤٤هـ) ، إلا أن الواقع والبيانات الرسمية تشير إلى تزايد نسبة الذين يعتنقون الإسلام عاماً بعد الآخر(٩) نظراً لاقتراب تعاليمه من القلوب وعدم اقتناع الهندوس الاقتناع الكامل بما بين أيديهم من أفكار وفلسفات كما أن الاضطهاد والعنف ضد الإسلام والمسلمين ما يزال على أشده وخاصة في إقليم كشمير، حيث يتم إجبار أبناء المسلمين على دراسة المناهج الإلحادية التي تمجد المذهب الهندوسي، وتدعو إلى تقديس الأصنام وعبادة البقر.

ويذكر "محمد حسان خان" رئيس جمعية تطوير اللغات الإسلامية بالهند أن سبب الصراعات القائمة بين المسلمين والهندوس يرجع إلى عدد من الأسباب على قائمتها : أن الهندوس أمة تقدس البقر وتسجد له، والمسلمون أمة تأكل البقر وتتطهر من بوله. ومن هنا فإن الهندوس في حربهم ضد الأقليات المسلمة في الهند يحاولون بشتى الطرق استغلال الوضع الدولي والإقليمي للهجوم على الإسلام وجماعات العنف التي تنتمي للإسلام لترتكب عشرات الجرائم تحت زعم تصفية خلايا الجماعات الإرهابية في الهند.

ففي مدينة (بهيوندى) قام مجموعة من الهندوس بالزج بعشرين مسلماً إلى غرفة مظلمة وأحرقوهم فيها وهم أحياء، كما لقي في نفس المدينة (٣٠٠) مسلمٍ مصرعهم من جراء أعمال عنف ضد المسلمين وجاءت هذه الأعمال في أعقاب إشهار (٣٠٠) هندوسي إسلامهم في ولاية "أندهرابراتش"(١٠)

بريطانيا تعلن الحرب على مسلمي الهند:

أدت سيطرة إنجلترا على الهند إلى ظهور بعض الأفكار الغربية في أوساط المثقفين الذين تلقوا تعليمهم في الخارج فأمام الضغط الشعبي، وتزايد حالات التحرر الوطني، قامت إنجلترا بتأسيس جمعية وطنية من أبناء الهند، يحمل أعضاؤها المظالم إلى الحاكم، وكانت هذه الجمعية نواة حزب المؤتمر الوطني الذي ظهر للوجود في (١٨٨٥م) وكان يتبادل رئاسته مسلم وهندوسي[١١] .

وكان من بين أعضاء الحزب مجموعة من الشباب الذين يطالبون بخروج الإنجليز من الهند منهم "محمد على جناح " ، "وغاندي " اللذان كرها أن يظل التعصب قائما بين المسلمين والهندوس . و لم يكتف الإنجليز بتقسيم المسلمين إلى فرق وأحزاب متناحرة بل قاموا بالقضاء على اللغة الأردية، التي كانت لغة رسمية لمسلمي الهند بجانب الفارسية، وطالبت جماعات هندية متطرفة العودة بالهند إلى فترة ما قبل دخول الإسلام شبه القارة الهندية وإقامة حكم هندوسي، وإلغاء كافة الأديان الأخرى المنافسة لها، وقد تزعم هذه الدعوة "تيلاك" الذي كان يعد من أبرز دعاة الهندوسية آنذاك حيث استطاع أن يؤثر في نفوس الهنود وتذكيرهم بأمجادهم ، وكفاح شعب الهند ضد الغزاة – المسلمين– الذين استولوا على الأراضي الهندية بما فيها البشر أنفسهم[١٢] .

وقام الإنجليز بتشجيع كل الدعوات والنظريات التى تطالب بخروج المسلمين من الهند، على اعتبار أن المسلمين هم الذين تصدوا للإنجليز وأوقفوا توسعاتهم في العديد من الولايات الهندية، ولما لم يتمكنوا من تحقيق ما أرادوه، شجعوا الفرق الضالة التي تندفع من عباءة الإسلام ، أن تقوم بكل السلوكيات والشعائر التي تتنافى مع تعاليمه السمحة، وكان أبرز هذه الطوائف أو الفرق التي دعمتها إنجلترا لزعزعة التواجد الإسلامي في الهند "القاديانية" التي تنتسب لرجل يدعى :"مرزا غلام أحمد القادياني" [١٣] ويقال : إنه ادعى بأنه المهدى المنتظر، وقال بأن الإنجليز يجب طاعتهم وعدم مخالفة أوامرهم لكونهم " أولى الأمر" كما تشير إلى ذلك آيات القرآن الكريم ، وبدؤوا يأولون آيات القرآن حسب أغراضهم ومصالحهم وأحوالهم، بل ادعى أنه يجسد شخصية "السيد المسيح عليه السلام" واستطاعت أفكار هذه الطائفة أن توجد لها أتباعاً يؤمنون بها ، بل إنها انقسمت على نفسها وأصبح هناك جماعتين : الأولى تسمى الأحمدية، والأخرى القاديانية، وتحقق للإنجليز ما كانوا يهدفون إليه ، وتم تصفية بعض المشايخ والأئمة والقضاء على الرموز

الإسلامية بالقرى والولايات من كتاتيب ومدارس ومساجد، بل إنهم كانوا يتتبعون أحوال المسلمين والنشاط التجاري الذي يقومون به، للقضاء على نفوذهم الاقتصادى داخل الولايات الهندية، بجانب عزلهم من الوظائف الإدارية، والأعمال المرتبطة بالشرطة والجيش، حتى أصبحوا كيانا بلا روح في منطقة كانت تدين معظمها بالإسلام في فترات سابقة .

و لم يكن الخلاف والانشقاق بين القاديانية والأحمدية على مسائل اجتهادية تتعلق بالدين وإنما كانت حول تفسيرات وتأويلات خاصة بهم وهي في الأساس أمور دنيوية وعلى الرغم من أنهما كانا كيانا واحدا في السابق ، وتكاد تتشابه الأهداف والتطلعات، إلا أن ذلك ساعد على ظهور فرق أخرى ، لم تكن أحسن حالا من سابقتها مثل السنة والشيعة والإسماعيلية والحشاشين والفرق الباطنية، التي تخلت عن القرآن والسنة وبدأت تأخذ مبادئها من أفكار بعض الأشخاص الذين يرفضون معظم ما جاء في الإسلام، ويؤمنون ببعض، ويكفرون ببعض ما جاء في الكتاب والسنة المطهرة.

فى الوقت ذاته كان الإنجليز أكثر سعادة وتفاؤلا لهذه النزاعات، بل راحوا يؤيدون معظم الفرق، ويأججون نار الفتنة بينهم ، فيزداد التناحر والخلاف[١٤] وينظر المسلمون إلى مشايخهم فيأخذون منهم الفتوى ، ثم يخرج عليهم بعض الشيوخ والأئمة الذين ينتمون لطوائف إسلامية أخرى ؛ ويقومون بتخفيف الأحكام الإسلامية فيلجأ المسلمون إليهم ، مما جعل البعض يتهاون عن أداء الفروض تحت زعم أن صوم رمضان يغفر ذنوب العام الماضي، والعام الذي يليه.

ومن هنا فقد قامت بريطانيا بالوقوف بجانب الهندوس لمنع إقامة دولة إسلامية في شبه القارة الهندية، واتبعت سياستها المشهورة والتي استخدمتها مع كل مستعمراتها وهي "فرق تســـد" خاصة وأن المسلمين في الهند هم الذين قاومـــوا المستعـــمر البريطاني في أول الأمر ، ودخلوا في مصادمات عنيفة معه حتى خرج من بعض مناطق شبه القارة الهندية [١٥] .

ورغم ذلك لم يحظ المستعمر البريطاني بالاستقرار من مقاومة المسلمين له، في كل مستعمراته، حيث إن الأقليات غير الإسلامية كانت تستسلم، بل أحياناً كانت تقابل المستعمر بالترحاب في العديد من المناطق ، ووضحت آثار هذه المقاومة عندما تولت الحكومة الإنجليزية مسؤولية الحكم في الهند وبدأت سياستها تتجه ناحية إبعاد المسلمين

عن أي نشاط داخل الهند ؛ سواء الاقتصادي أو السياسي ، والعمل على تقليم أظفار الإسلاميين.

واتخذت بريطانيا للقضاء علي الإسلام صوراً عديدة أبرزها[١٦] :

- اتجهوا إلى إضعاف المسلمين من الناحية الاقتصادية، لمضاعفة ديونهم بأساليب الحيلة والخداع، وبالتالي يقبضون على نفوذهم الاقتصادي، ونشاطهم التجاري.
- مساعدة المرابين والمتطرفين الهندوس على انتزاع أملاك المسلمين منهم بالقوة.
- منعهم من الالتحاق بأي عمل حكومي - صغيراً أو كبيراً - ومعاملتهم معاملة متدنية.
- التضييق علي أصحاب الشركات من المسلمين حتى يتعرضوا للإفلاس، ويهاجروا من الهند بالقوة إلى باكستان حتى وإن لم يرغبوا في الهجرة إليها.
- حرمان أبناء المسلمين من التعليم ، وإغلاق المدارس الإسلامية بالقوة، ومصادرة الوقف الإسلامي الذي كان يوجه إلى دعم أنشطة المدارس.
- تهديد الأغنياء المسلمين بمصادرة أموالهم إن لم يتوقفوا عن دعم المدارس الإسلامية، وبالتالي أغلقت معظمها وأصبحت غالبية مناطق المسلمين بالهند، مناطق يسودها الجهل والتخلف، كما تعد منطقة (أسام) أبرز مثال علي ذلك.
- بعد إغلاق المدارس الإسلامية قامت بريطانيا بافتتاح مدارس لها بمناطق عديدة من الهند، وكانت مقصورة علـــي طائفة الهنـــدوس ، وحرمان المسلمين منها حتى يتفوق العنصر الهندوسي علي المسلم في كل شيء حتى في التعليم ودرجة الولاء للإنجليز .
- إثارة الفتن بين المسلمين والهندوس من خلال وسائل الإعلام، وكتب المدارس التي صبت جلّ حقدها تجـــاه اضطهاد المسلمين الأوائل للهندوس ، وكيف أن المسلمين كانوا يعملون على إبادة هذا العنصر البشري لولا الاحتلال البريطاني للهند.

ومن هنا يمكن القول : إن بريطانيا اتبعت كل الطرق والحيل لتصفية المسلمين في شبه القارة الهندية وأن ذلك كان وفق خطة وسياسة محكمة أهم بنودها:

أولا: الهجوم على الشريعة والتشكيك في أحكام الإسلام :

ولعل أبرز مثال على هذا الهجوم كان في قضية السيدة "شاة بانو" والتي شغلت الرأي العام في الهند لفترة طويلة . واستغلتها وسائل الإعلام الهندية في تشويه النصوص الإسلامية ، والمناداة بوقف العمل بقانون الأحوال الشخصية عند المسلمين ؛ لأنه حسب زعمهم يناقض في قوانينه ومواده الحياة الاجتماعية في الهند.

وتبدأ قضية (شاة بانــو) عندما أرادت امرأة أن تطلق نفسها من زوجها المسلم(١٧) ورفعت دعــوى قضائيــة أمام المحكمة ، فاستغلت وسائل الإعلام هذه القضية ، وطالبت بأن يقوم الــزوج بالإنفاق عليها مدى الحيــاة حتى بعد طلاقها وطالبت المحكمة الدولة بإلغاء قانون الأحوال الشخصية الخاص بالمسلمين والمستخدم من شريعتهم .

وعندما فطنت السيدة "شاة بانو" بالمؤامرة التي تتبعها وسائل الإعلام الهندية لتشويه صورة المسلمين والإساءة إلى شرائعهم ، أعلنت تنازلها عن القضية التي سبق وأن رفعتها ضد زوجها وعلى الرغم من تراجع الحملة ضد المسلمين حول هذه القضية إلا أن جميع الطوائف غير المسلمة بالهند طالبوا بإلغاء الشرائع الإسلامية لأنها ضد حقوق الإنسان ، وبناء علي طلب زعماء المسلمين وقياداتهم الدينية وقف "راجيف غاندي " رئيس وزراء الهند آنذاك إلى جانب قانون الأحوال الشخصية الذي عرضه المسلمون على البرلمان وتمت الموافقة عليه بأغلبية الأعضاء بعد الحملة التي تولتها الصحافة الهندية في قضية " شاة بانو " من أن الإسلام ظالم للمرأة في شرائعه ، وطلبت الصحف بمزيد من الحرية للمرأة المسلمة مثل نظريتها الهندية (١٨).

هذا في الوقت الذي تجاهلت فيه الصحف حملات الإبادة التي تقوم بها القوات الهندية من اقتحام وقتل المسلمين العزل ، حتى أنهم اقتحموا مقر جامعة (ندوة العلماء) الإسلامية التى كان يرأسها الشيخ " أبو الحسن الندوي"، وهجموا على مساكن الطلاب ، وتم القبض علي العديد منهم وكانوا من الكشميريين ، وقاموا باعتقال المئات تحت زعم أن الكشميريين إرهابيون ويلزم إبادتهم سواء كانوا من المجاهدين أنفسهم أم ضد تيار المجاهدين (١٩) .

ثانياً: الاعتداء على المساجد وتحويلها إلى معابد:

بعد الاستقلال مباشرة (الهند – باكستان) اغتصبت الأغلبية الهندوسية المساجد والزوايا التي تركها المسلمون بسبب هجرتهم إلى باكستان ، وتحولت هذه المساجد إلى معابد ومتاجر وحظائر للمواشي وحانات للرقص وشرب الخمر والدعارة الجماعية.

بل إن المساجد التي لم تسلم طواعية من هذا الدنس حيث قامت القوات الهندوسية باقتحامها بالقوة، تحت تهديد السلاح تساندهم في ذلك القوانين والمحاكم، والتلويح بأن هناك وثائق تاريخية تؤكد أن المساجد الإسلامية أقيمت منذ قرون علي أنقاض المعابد الهندوسية. واعترف بذلك صراحة المستر "كملابتي ترباهن" رئيس المؤتمر الهندوسي بالنيابة في اللقاء الصحفي الذي أجرته معه مجلة (يووب أندريا) الشهرية في عددها الصادر في سبتمبر (١٩٨٦م) وأعرب عن رأيه حول الاضطرابات الدامية التي تقع في الهند من حين لآخر بقوله : " إن قلب المسلم الهندي معلق بمكة والمدينة ، و لم يندمج بعد في الحضـــارة المحلية ، أي الوثنية ، وهو سبب مباشر للتوتر الشديد بين المسلمين والهندوس ، والمثال علي ذلك المسجد البابري الذي يقولون : إنه كان في الأصل معبداً هندوكياً ومسقط رأس الإله "راما" منذ آلاف السنين ".

ثالثاً: تشجيع المنظمات المتطرفة ضد المسلمين :

تعد منظمة (شيوسينا) أعنف المنظمات المتطرفة في الهند، ويذكر أنها كانـــت وراء هدم المسجد (البابري) بجانب حزب (بهاراتيا) الحاكم عام (١٩٩٢م) ، ويقول رئيسها في أعقاب هدم أجزاء كبيرة من المسجد (البابري) : "إن معنويتنا مرتفعة جداً ، نحـــن حاصلون على التأييد العام من الهنادك وهدفنا الوحيد هو صيانة الديانة الهندوكية ، من الإسلاميين" وقد استغلت هذه المنظمة قيام بعض المسلمين بذبح بقرة – (إله الهنـــود المقدس) وكان هذا بمثابة القشة التي قصمت ظهر البعير[٢٠] ، فتوجهت جموع كـــثيرة من الهنادك إلى مدينة (أجودهيا) حيث هدموا أجزاءً من سور المسجد وألحقوا الأضرار بقبابه ، وقامت الحكومة الهندوسية بإصلاح بعض الأجزاء التي أصابها الضرر حـــتي لا يثار المسلمون في العالم العربي الإسلامي ضد مصالح الهند.

و لم تكتف هذه المنظمة عند هذا الحد ، بل قامت بوضع تمثال للإله (بـــوذا) داخـــل المسجـــد وطلبـــت من المحكمة السماح للهندوس بممارسة عبادة بوذا داخل المسجد

البابري ، وتم إغلاق المسجد والتمثال بداخله كما كشفت منظمة (المجلس الهندوسي العالمي) عن خطة لهدم (٣٦٠٠ مسجد) أثري في جميع أنحاء الهند ، نفذت من هذا العدد الآن حوالى (١٢٣ مسجدا) [٢١] في سنوات قليلة ، أما جماعة (أر.أر.إس) الهندية المتطرفة والتي تعمل ضد قوات المجاهدين في كشمير.

فقد حددت لنفسها أهدافا تسعى من ورائها للتخلص من المسلمين في هذا الإقليم هي في مجملها مجموعة نصائح تقدمها الجماعة لمن ينتمون إليها لتحقيق الهدف الأكبر من وراء هذه السياسة، تقول الوثيقة [٢٢] : "اذهبوا يوميا إلى المعبد صباحا ومساء أينما كنتم لتلقي التعليمات الجديدة ، وشيدوا معابدكم في منازلكم حتى تكون في مترلة قريبة من (الإله) واعملوا على قدر طاعتكم على إغراق المسلمين في إدمان الخمور والمخدرات، وكونوا على صلة حميمة وقوية بالمسلمين لتتمكنوا من تفريق وحدتهم، وعند العمل لدى أو مع المسلمين اجعلوا الغش شعاركم والفتنة أساس عملكم، وخلال أعمال العنف والشغب احرسوا معابدكم ودمروا ممتلكات المسلمين ، وخلال عملكم في منازل المسلمين ، حاولوا إثارة النساء المسلمات، وبالتالي جعلهن رغبات لكم ، الأمر الذي يعطيكم الفرصة لخلق جنين هندوسي في أرحام المسلمات ، وحاولوا إصابة أجنة المسلمات الحوامل من غيركم بالعاهات المختلفة حتى يقل عددهم " [٢٣] .

والملاحظ أن هذه الوثيقة تتشابه إلى حد كبير مع خطة الصرب المعروفة بـ (إكليل الجبل) ، للتعامل مع المسلمين والمسلمات البوسنيات اللائي وقعن في أسر الجنود الصرب، كما تقترب في مضمونها من بروتوكولات حكماء صهيون ، وكأن الحرب على الإسلام دائما ما تبدأ بالاستدراج في الشهوات ثم تدمر كل ما هو إسلامي، مرورا باغتصاب المسلمات وإنجاب الجنين غير المسلم ليزيد عدد الهندوس، أو أعداء الإسلام.

رابعا: فرض اللغة الهندية على المسلمين بالقوة :

حاولت الحكومة الهندية، تساندها في ذلك الأحزاب السياسية المتطرفة، فرض اللغة الهندية على المسلمين ، مع أن الهند تضم لغات عديدة ، منها سبع معترف بها رسميا في الدستور الهندي ، كما لم تعترف الحكومة الهندية حتى الآن (باللغة الأردية) التي يتحدث بها غالبية المسلمين، ورغم ذلك حاولت طمس معالمها في المدارس والجامعات، باعتبارها اللغة الأقرب للمسلمين في الهند منذ مئات السنين.

خامساً : تقسيم الهند على أساس ديني:

الثابت تاريخيا أن المسلمين فى الهند لم يكونوا فى يوم من الأيام معزولين عن العالم، رغم الحصار المفروض عليهم من قبل الهندوس ، إلا أنهم – وعلى مدار التاريخ – يظلون مدينين للإسلام بتقدمهم، وحضارتهم فقد أيدت الطوائف الإسلامية في الهند استقلال الشعوب الإسلامية في أعقاب الحرب العالمية الأولى ومبادئ" ويلسون" التي نادت بحرية الشعوب واستقلالها .

ومن أبرز ما ذكر في هذا المحور أنه عند نفى الزعيم المصري " أحمد عرابي " لجزيرة (سيلان) ذهب العديد من مسلمي الهند إليه يسألونه عن أحوال المسلمين في مصر والسودان، والخلافة العثمانية،كما ندد مسلمو الهند باحتلال إيطاليا للجماهيرية الليبية، وجمعوا لمسلمي ليبيا التبرعات والمعونات لمساعدتهم في مقاومة الاحتلال بل كانوا أكثر استياءً عندما قام " كمال الدين أتاتورك " بإلغاء الخلافة الإسلامية، وإحلال المبادىء العلمانية بدلاً منها، وكذلك طافت المظاهرات شوارع الهند احتجاجا على موقف الإنجليز من الدولة العثمانية، ومحاولات تقسيم الأراضي العثمانية على الدول الاستعمارية الكبرى مثل : (فرنسا، إنجلترا، ألمانيا، إيطاليا، هولندا...) .

وفي الشأن الهندي حاول المسلمون أن يوجدوا لهم كياناً مستقلاً عن المؤتمر الوطني الهندي الذي تمثله الأغلبية الهندوسية، وشرعوا في إقامة حزب سياسي إسلامي "الرابطة الإسلامية" في مدينة (لكنؤ) (١٩٠١م) [٢٤] إلا أن الهنود استطاعوا أن يقضوا على عناصره المؤثرة وهو في مرحلة المهد. إلا أن ذلك لم يمنعهم من تكرار المحاولة مرة أخرى حتى أصبح كياناً فعلياً داخل مجتمع المسلمين في شبه القارة الهندية.

وحاول " محمد على جناح" التوفيق بين حزب الرابطة الإسلامية، والمؤتمر الوطني الهندي ونجح في ذلك، وتشير بعض المصادر أن الإنجليز وقع اختيارهم على " محمد على جناح " لرئاسة الحزب الإسلامى نظراً لولائه الكبير لهم، وساندوه على الجانب المادي والمعنوي، وكافأته إنجلترا بأن قامت بتقسيم البنغال بين المسلمين والهندوس ، الأمر الذي اعتبره المسلمون الخطوة الأولى لتكوين دولة إسلامية كبرى في الهند، ويتولى إدارة هذه المنطقة حزب الرابطة الإسلامية الذي أعلن من البداية عن مبادئه التي على رأسها حماية حقوق المسلمين ودفع الظلم عنهم، وتضيق الفجوة بين الإنجليز والمسلمين، والتخلي عن طابع المقاومة التي تسبب للإنجليز الكثير من الحرج في بعض الولايات الهندية، بجانب

فشل إنجلترا في السيطرة الكاملة على كافة مناطق شبه القارة الهندية عدا المناطق التي تمر بها تجارتها، ومصالحها في المنطقة واستمر الصراع قائماً بين المؤتمر الوطني الهندي، وحزب الرابطة الإسلامية حول ضرورة تقسيم شبه القارة الهندية إلى دولتين ، الأولى للهندوس والثانية للمسلمين .

ورغم معارضة " غاندي " لكل ما يتم من إجراءات إلا أن تداعيات الحرب العالمية الثانية فرضت نفسها بقوة على الوضع في شبه القارة الهندية وكان من أهدافها إقرار فكرة تقسيم الهند لدولتين ، مع أن محاولات الانفصال جاءت في البداية على يد الشاعر "محمد إقبال " (١٩٣٧م) ، الذي كان صاحب الدعوة لاجتماع الرابطة الإسلامية في كراتشى وعلى رأسها " محمد على جناح " والذي كان من توصياته إقامة دولة مستقلة للمسلمين فى شبه القارة الهندية، وأيدت إنجلترا فكرة التقسيم وتم تقسيم الهند إلى دولتين (هندوستان، وباكستان) عام (١٩٤٧م) .

كما تم تقسيم باكستان ذاتها عام (١٩٧٤م) إلى : (باكستان وبنجلاديش) ويعد مشروع إقامة دولة للمسلمين في الهند فكرة سبق وأن توصل إليها "محمد على جناح" بعد سلسلة الاعتداءات والاغتيالات التي كان يتعرض لها المسلمون في الهند من بعض الطوائف الهندوسية تلك التي لا ترغب في أن يتعايش معها دين آخر، ينتقد ما يمارسونه من طقوس وعبادات.

بدايات الصراع بين الهند وباكستان :

يرجع العداء بين الهند وباكستان إلى زمن تقسيم مستعمرة الهند الإنجليزية إلى دولتين هما الهند وباكستان كما أشرنا في السابق عام (١٩٤٧م) ، وأن هذا التقسيم لم يحظ بالتأييد الكامل من جانب الهنود، وانطلقوا يعملون على إفشال هذا التقسيم تحت زعم أن التراب الهندي مقدس، ولا يتصور أن يكون هناك دولة مسلمة على تراب هذه البقعة الطاهرة.

ودخلت الدولتان في صراعات وحروب تحركت فيها قوات البلدين على حدود الدولتين بشأن إقليم كشمير ذات الأغلبية المسلمة، فالهند تدعّى أحقيتها في ضم الإقليم، وكذلك باكستان تدعّى نفس الحق لها، وتدخلت الأمم المتحدة لتهدئة الأوضاع بين البلدين وتم عقد اتفاقية لوقف إطلاق النار عام (١٩٤٩م) وعلى الرغم من أهميـــة هذه

الاتفاقيـــة إلا أن الصراع عاد مرة أخـــرى ليأخذ أعنف أشكاله في عام (١٩٧١م) عندما اقتحمت الدبابات الهندية الأراضي الباكستانية وانتصرت على باكستان وبالتالى عندما قام حزب المقاتلين البنغاليين بالقتال من أجل استقلال شرق باكستان ساعدهم الهند ودعمتهم بالقوات التى يحتاجون إليها وأعلنت بقوة السلاح استقلال بنجلاديش عن باكستان وقد لجأت " أنديرا غاندي " رئيسة وزراء الهند آنذاك إلى تكريس الشعور الهندوسي لدى الهنود بحق الأغلبية الهندوسية في بعض القضايا منها قضية حظر ذبح الأبقار [٢٥] .

ولم يختلف عنها في هذه السياسة ابنها " راجيف غاندى " الذى أعاد فتح ملف المسجد البابرى وغض الطرف عن قيام المتطرفين الهندوس بهدم المسجد لإقامة معبد للإله (رام) على أنقاضه ، وأشار إلى أن المسلمين ليس لهم أية حقوق على أرض الهند، وكان من أبرز ما حمله الصراع بين الهند وباكستان من تداعيات ظهور ما يعرف بالقنبلة الذرية، واستخدام السلاح النووى من إحدى الدولتين ضد الأخرى، الأمر الذى يدفع بمنطقة آسيا إلى حافة الهاوية وخاصة على مستوى التحالفات الدولية مع إحدى الدولتين، وتوصيف القنبلة النووية الباكستانية بأنها : " القنبلة الإسلامية " وأن هذا التوصيف بالطبع له مغزاه الأيديولوجي من قبل الجماعات الهندوسية واليهودية المتطرفة، وأن ظهور مثل هذه النوعية من الأسلحة من شأنه أن يعيد للأذهان رغبة المسلمين في نشر الإسلام بالسلاح، كما يصورها الإعلام اليهودي.

وفى عام (١٩٧٤م) أجرت الهند أول تجربة نووية لها، بدعم من الصين التي أشارت إلى أهمية امتلاك الهند للسلاح النووي لمواجهة باكستان المسلمة، والتي تتطلع هي الأخرى لامتلاك السلاح النووي وأحدثت هذه التجارب قلقا شديداً لباكستان من امتلاك جارتها التي في نزاع معها، لمثل هذه النوعية من الأسلحة، وعلق وزير الخارجية الباكستاني " ذو الفقـــار على بوتو " أنه: " إذا قامت الهند بصنع القنبلة النووية، سنقوم نحن أيضا بتصنيع القنبلة النووية مباشـــرة حتى لو اضطررنا إلى أن نمتنع عن الطعام ونأكل من حشائش الأرض " .

وفى مايو (١٩٧٤م) قامت الهند بتفجير أول قنبلة نووية لها وتحركت القيادات الباكستانية وطالبت بالدخول في تحالف عسكري مع الولايات المتحدة، إلا أن الولايات

المتحدة رفضت العرض تحت زعم أنه ليس لها مصلحة في هذه المنطقة، ثم لجأت بعد فشل الاتفاق مع الولايات المتحدة إلى الأمم المتحدة وذلك لإصدار قرار يجعل منطقة جنوب شرق آسيا منطقة خالية من أسلحة الدمار الشامل، لكن الأمم المتحدة لم تستطع عبر الجمعية العامة للأمم المتحدة ومجلس الأمن تمرير هذا المطلب، وعندما لم يتوصل " ذو الفقار علي بوتو " إلى وقف التسليح النووي الهندي أعلن أنه ليس أمامه إلا خيار واحد فقط ، وهو المواجهة وقبول التحدي الهندي، وقال : إن باكستان ليس أمامها الآن إلا صنع القنبلة النووية لوقف التهديدات الهندية لها، ووقف نفوذها في إقليم كشمير الذي يتمتع بأغلبية مسلمة، وأنه حق من حقوق باكستان [٢٦] .

وفي عام (١٩٦٥م) أعلنت باكستان أنها تمتلك الماء الخفيف من نوعية " بار " المعروف باسم ماء حمام السباحة من أجل الأغراض العلمية، وحصلت عليه آنذاك من الولايات المتحدة، وتمكنت الحكومة الباكستانية من إجراء تعاقدات مع شركة الكهرباء العامة الكندية بموجبه تقوم الشركة ببناء محطة نووية في مدينة "كراتشى " (١٩٧٢م) ثم محطة أخرى في "شاسما" بمقاطعة "مينافالى" على أن يتم نقل إنتاجه بواسطة فرنسا.

إلا أن الولايات المتحدة استطاعت التدخل ومارست ضغوطا على فرنسا حتى سحبت عقد توريد المواد النووية والذى كان قد تم الاتفاق عليه بين الحكومة الباكستانية والفرنسية وتم تعديل صيغة الاتفاق لتصبح مساعدة فنية في مجال التقنية التكنولوجية، وهذه الصيغة تضمن عدم قدرة المشروع على إنتاج أسلحة قادرة على استيعاب البلوتونيوم، أو أسلحة الدمار الشامل [٢٧] عندئذ قررت باكستان بناء معمل على أرضها لفصل اليورانيوم في كاهوتا فى يوليو (١٩٧٦م) بعد أن ألغت ألمانيا وفرنسا والولايات المتحدة تعاقداتها السابقة مع الحكومة الباكستانية فى هذا الشأن وعلى يد كفاءات علمية من أبناء باكستان الذين درسوا العلوم النووية فى أوربا، وفى أعرق جامعاتها، ورفضت باكستان أية مساعدات أجنبية لتطوير برنامجها النووي، وهددت الولايات المتحدة باكستان من المضى في تطوير برنامجها النووي، وقطعت كل العلاقات مع باكستان حتى في مجال التنمية والمجال العسكري والمساعدات البحثية والإنسانية، وكذلك قطع المعونة الخارجية لباكستان حيث جاء على لسان السيناتور الأمريكي (سمنجتوب) أبرز أعضاء مجلس الشيوخ الأمريكي قوله : " لن تدفع

الولايات المتحدة أية معونات اقتصادية إلى بلد يقوم بالاستعدادات لبناء مواقع نووية بدون أن يضعها تحت الرقابة الدولية" .

وقد جاءت هذه اللهجة الحادة ضد المشروع الباكستاني في أعقاب البيان الذي أذاعته محطة الـ "بى. بى. سى" البريطانية بأن باكستان تسعى لإقامة المشروع رقم (٧٠٦) والمعروف بالقنبلة الإسلامية وهذا المشروع يعد خطراً محققاً على الدول المجاورة بما فيها الدول الصديقة لأوربا والولايات المتحدة، إلا أن النظرة الأمريكية تغيرت فجأة بمجرد إعلان الاتحاد السوفيتي رغبته فى ضم أفغانستان حيث أسرعت الولايات المتحدة وقامت بمنح باكستان ما قيمتة(٣,٢) مليار دولار معونة عاجلة لباكستان بشرط أن تقوم باكستان بمقاومة التواجد السوفيتي في أفغانستان وألا تحاول باكستان بيع أو تقديم الأسلحة النووية لأى دولة إسلامية أخرى، وخاصة (إيران، والعراق).

وفاجأت الهند العالم بتجاربها النووية الناجحة في مايو (١٩٩٨م) لتثبت للعالم ولباكستان قدرتها النووية، وكانت المفاجأة الأكبر أن ترد باكستان بـ (٦) تجارب نووية ناجحة من مفاعلها بعد أيام قليلة من التجارب الهندية، أي في نفس الشهر الذى أقامت فيه الهند تجاربها ، وأعلنت باكستان انضمامها إلى النادي النووي في سنة (١٩٩٨م) .وعندئذ اضطرت الولايات المتحدة للقبول بهذا الوضع الإستراتيجي الجديد في ضوء تفهمها للاحتياجات الأمنية للطرفين، الهند وباكستان مع تعهد الدولتين بالتوقف عن تطوير برنامجهما النووي والامتناع عن بيع أية أسلحة نووية إلى دول مجاورة [٢٨] .

ونظراً لامتلاك باكستان لنفس القدرات النووية الهندية قامت " سونيا غاندي " بالاعتذار للمسلمين عندما قامت مجموعات هندوسية متطرفة بالاعتداء على الأماكن المقدسة في الهند سنة (١٩٩٨م) ، إلا أن لقاء رئيس الوزراء الهندي "فاجبائي" مع "نواز شريف" سنة (١٩٩٩م) على هامش اجتماع الجمعية العامة للأمم المتحدة وقاما بإصدار قرار مشترك لتهدئة الأوضاع بين البلدين أو ما يعرف بإعلان لاهور فى فبراير سنة (١٩٩٩م) حيث لم تضع هذه اللقاءات قضية كشمير موضع تفاوض بينهما.

والواضح أن هدوء الأوضاع في الهند ليس معناه أن هناك هدوءاً مماثلاً في إقليم كشمير الذي تحتله الهند، وتقول باكستان : إنه ضمن الولايات التابعة لها، حيث أدت الأحداث العنيفة داخل إقليم كشمير إلى حدوث صراعات داخلية بين الحكومة الهندية والأقلية المسلمة بالهند وكان ذلك مؤشراً لبعض الأحداث قبل أحداث كارجيل سنة (١٩٩٩م) ثم حادث البرلمان الهندي في ديسمبر سنة (٢٠٠١م) بعد شهرين من أحداث سبتمبر بالولايات المتحدة ثم أحداث جامو في ١٤ مايو سنة (٢٠٠٢م) وأخيراً أحداث "جوجارات "، ولكن السؤال: ماذا حدث في جوجارات؟

أحداث جوجارات وأحداث ١١ سبتمبر (٢٠٠١م) :

في فبراير سنة (٢٠٠٢م) وقعت أحداث جوجارات – وهي إحدى الولايات الهندية وبها نسبة مسلمين قليلة ويعاني المسلمون فيها من الاضطهاد والعنف من قبل الطوائف الهندوسية، ونظراً لفداحة ما حدث في هذه الولاية للمسلمين أصدرت منظمات حقوق الإنسان على مستوى العالم بيانات إدانة للحكومة الهندية واتهامها بأنها كانت وراء قتل وإبادة أكثر من (٢٠٠٠) مسلم في هذه الولاية على يد المتطرفين الهندوس، الغريب أن لجنة حقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة أصدرت قرار إدانة لما قامت به قوات الشرطة الهندية في جوجارات ، وقال المسؤول عن اللجنة للضحايا في جوجارات : "ليست لدينا أوامر بإنقاذكم".

وكشفت الأحداث عن عمق الأزمة التي تعتري العلاقة بين طوائف المجتمع فى الهند، وفي تقرير مراقبة حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة والصادر في ٣٠ أبريل (٢٠٠٢م) أشار التقرير إلى تزايد موجة العنف من جانب الهندوس ضد الأقلية المسلمة في جوجارات ، مما أدى إلى سقوط ما يقرب من ألفي مسلم وتشريد عشرات الآلاف وتجريدهم من ممتلكاتهم وانتشرت أعمال السلب والنهب وحرق المنازل والمحلات التي تتبع المسلمين، ووصل الأمر بهذه الجماعات إلى الاعتداء على المساجد وتعرضت الفتيات والنساء المسلمات للاغتصاب وانتهاك العرض، بل لقد حفرت قبوراً جماعية في الصحراء ووضع فيها العشرات من المشايخ والأئمة المسلمين وهم أحياء ثم أهالوا عليهم التراب حتى لا يحاولوا الخروج من هذه الحفرة مرة أخرى على الرغم من أنهم موثقو الأيدى والقدمين معا .

وقد أدان التقرير المجلس الهندوسي العالمي، ومنظمة " ياجرانج دال " ، ومنظمة راشتر ياسويامسيفاك سنج" أي أسرة المنظمات القومية الهندوسية تواطؤ رجال الشرطة والجيش في هذه الأحداث بالتنسيق مع حزب " بهاراتيا جاناتا ".

وقد أثارت أحداث العنف التي شهدتها جوجارات موجة من الغضب والاستنكار على الصعيد القومي والعالمي وأدانتها بشدة الأحزاب السياسية واللجنة الوطنية لحقوق الإنسان، ورئيس الوزراء الهندي والمجتمع المدني بوجه عام، وقد حثت منظمة مراقبة حقوق الإنسان المجتمع الدولي على ممارسة ضغوط على الحكومة الهندية لحملها على الالتزام بالقانون الدولي لحقوق الإنسان، والقانون الدستوري الهندي.

ونقلت منظمة حقوق الإنسان على لسان شهود العيان بعض وقائع هذه الأحداث حيث ذكروا أن الشرطة كانت مع المتطرفين الهندوس ، وراحوا يختارون بيوت المسلمين ويضرمون فيها النيران ويشعلون فيها الحرائق ، كما قام رجال الشرطة بإطلاق النار على الأطفال والشباب من أبناء المسلمين، وكان الهندوس المعتدون يضعون على رأسهم إشارات قماش مكتوب عليها عبارة "جاي سري رام " ، ومعناها باللغة العربية : "المجد للإله رام" ومن أجل هذا الإله المزعوم حاولت المنظمات الهندوسية هدم المسجد البابرى، في محاولة لاستبدال المسجد بمعبد يتعبد فيه الهندوس للإله رام، مع كثرة التماثيل البوذية التي توضع داخل وخارج المسجد.

وفي تقرير آخر نشرته مجلة " التايم الأمريكية " في مارس (٢٠٠٢م)حول الأحداث التي تجرى في جوجارات، وأعمال العنف والاضطهاد والتي يمارسها الجنود والمواطنون الهندوس ضد كل من هو مسلم، ويدين بعقيدة الإسلام ؛ ونقلت المجلة قول إحدى الفتيات المسلمات قولها : إن الهندوس لا يغتصبون من هم على مذهبهم وعقيدتهم لأن العلاقات بينهم مباحة ولا حرج فيها وإنما يفضلون اصطياد الفتيات المسلمات واغتصابهن، تحت زعم أن المسلمات يتميزن بالعفة والطهارة والشرف، فضلاً عن كونهن أبكاراً لم يتزوجن بعد ؛ ولا يمارسن الرذيلة ، والعلاقات الجنسية عند المسلمين عادة ما تأخذ طريقاً شرعياً يعرف بالزواج الإسلامي ويمنع الإسلام أي علاقات تتم خارج هذا الإطار.

كما نقلت المجلة قول بعض الذين اتهموا باغتصاب الفتيات المسلمات قولهم : "لقد فعلنا هذا بأنفسنا "، في حين أشار أحدهم الذى قتل تسعة من المسلمين وهم يؤدون

صلاة العشاء : "لقد كنت آخذ الثأر لجميع الهندوس عندما أقدمت على هذا العمل" ويقول هندوسي ثالث- وهو صبي لم يتجاوز الـ (١٣) عاما تقريبا : لقد رأيت أفرادا من الشرطة الهندية ومعهم بعض الرجال الهندوس يقتحمون منزلا لأحد قيادات حزب المؤتمر الوطني الهندي وهو مسلم في منطقة " أحمد أباد " ، وقام بعض أفراد الشرطة بتجريد بناته من ثيابهن واغتصبوهن أمام عينيه، ثم تركوا المنزل بعد تنفيذ جريمتهم البشعة وهم في نشوة وسعادة مما فعلوه.

وأشار تقرير منظمة مراقبة حقوق الإنسان إلى قول "محمد سليم " ؛ وهو مواطن بسيط من بلدة أحمد أباد وأحد الذين تجرعوا مرارة ما حدث في جوجارات يقول: "لقد قتل الجنود الهنود (١٩) من أفراد عائلتي منهم زوجتي وأخي وابني واثنتان من زوجات أبنائي وزوجة ابن أخي وغيرهم، وقد عثرنا على أربع عشرة جثة فقط، ولا تزال خمس مفقودة، وقد تم دفن هذه الجثث الـ (١٤) في مقبرة جماعية بالقرب من مخيم داريا خان، وأضاف بأنه عثر على (٦٢٠) جثة أخرى ولا تظهر لها أي ملامح ، فجثث كثيرة بدون رأس، وإن وجدت الرأس فهي مشوهة، وبعضها تم حرقه عمدا ".

وتكشف الأحداث بكل تفاصيلها عن تورط الحكومة الهندية فيما حدث من أعمال عنف وإبادة ضد التجمعات المسلمة في جوجارات، فضلا عن تواطؤ أجهزة الأمن التي لم تتحرك بعد علمها بما يحدث من عنف ضد المسلمين فى الولاية ولا يختلف موقف الحكومة الهندية عن موقف حاكم الولاية الذى ينتمى لحزب بهارتيا جاناتا ؛ ويؤكد ذلك رفض البرلمان الهندى مطالبة أحد نوابه بضرورة محاكمة حاكم ولاية جوجارات واتهامه بأن سلبيته هي التي دفعت بالأزمة إلى هذه الحدة والعنف، ورفض رئيس وزراء الهند " فاجبائى " هذا الاتهام وقال: " لا يمكن تحويل أحد للتحقيق بسبب ما يقوم به من أعمال عنف ضد المسلمين ، وأن المسلمين لا يرغبون في العيش بسلام على أرض الهند، وأنهم يستخدمون الإرهاب ضد أصحاب الديانات والمعتقدات المنافسة للإسلام، واستشهد " فاجبائى " بما حدث من جماعة أسامة بن لادن أو ما يعرف بتنظيم القاعدة الإسلامي ضد الولايات المتحدة في (١١ سبتمبر ٢٠٠١م) ، ومع أنه أسرع وتراجع عن تصريحاته ، إلا أنها كانت تصريحات علنية عبر شاشات التليفزيون الهندى، والتصريحات لا تختلف كثيرا عما يحدث على أرض الواقع في الهند .

ومع أن الحكومة الهندية ربما لا يعنيها نشر الديانة الهندوسية بأكثر ما يعنيها تثبيت أسلوب حكمها لمدة زمنية أطول بالهند، واتفاق الاتجاه المتطـرف الهندوســي مـع توجهات الحكومة الهندية في الرغبة في هدم المسجد البابرى أحد أبرز المعالم الإسلامية في الهند عام (١٩٩٢م) ، قد يزيد من صعوبة التوصل إلى صيغة تفاهم واضحة مـع حكومة باكستان ويعود ملف المسجد البابرى ومعبد الإلــه رام إلى عـام (١٩٤٩م) عندما صدق القاضي الذى ينظر القضية بإصدار حكم في القضية في ولاية " أيوديـا " بدخول المسجد البابرى ووضع تماثيل للإله رام ولكن الرئيس الهندي "نهرو " آنــذاك شعر بأن هذا الإجراء من شأنه أن يعكر صفو العلاقات الهندية مع العرب وخصوصــاً "الرئيس جمال عبد الناصر " وتم التراجع عن تنفيذ الحكم ، فثار بعض الهندوس وأعلنوا عن استياءهم من عدم رغبة "نهرو " في تنفيذ الحكم، فأمر "نهرو " بإغلاق المســجد وظل مغلقا حتى عام (١٩٨٣م) ، و لم يُعد فتح الملف مرة أخرى إلا عنــدما أصــدر المجلس الهندوسي العالمي فتوى تدعو الهندوس إلى سرعة إقامة معبداً للإلــه رام علــى أنقاض المسجد البابرى، وبلغت المصادمات أعنف حالاتها عـام (١٩٩٢م) عنــدما اقتحمته جماعات هندوسية وتسلقوا جدرانه وشرعوا في تدمير مأذنته وتخريبــه مــن الداخل ، وأوقدوا النار في المنبر والسجاد، ثم ملؤوا المسجد بتماثيل للإله رام المقــدس لدى الهندوس ، وظلت هذه القضية تلقى بتداعياتها على العلاقات بين مسلمي الهنــد والحكومة الهندية حتى جاءت أحداث جوجارات لتفتح ملــف العــداء الهندوســي للمسلمين من جديد .

ومع تزايد الصراع بين المسلمين والهندوس في الهنــد، إلا أن الحكومــة الهنديــة استطاعت في بعض مراحلها أن تصفى أجواء العلاقات المتوترة بين المســلمين بالهنــد والجماعات الهندوسية المتطرفــة ، إلا أن الأفكار المتطرفة التي تنادى بضرورة تحويل ما يقرب من (١٧٠) مليون مسلم الذين يعيشون بالهند إلى الديانة الهندوسية ما تــزال تسيطر على أفكار البعض من شباب الهند ، وبالتالي فقد تعرض " نهرو ، وغانــدي " لحملات نقد واسعة عبر العديد من الكتابات الثقافية في الهند على اعتبار أنهما كانا من دعاة الوفاق والصداقة بين الشعوب العربية والإسلامية والهند ، وأنهما طالبا بضــرورة وقف العنف بين الجانبين ، إلا أن المشكلة في المسجد البابرى هى اعتقاد العديد مــن مثقفي الهند ورجالات الدين بها (الهندوس) بأن المسجد أقيم فوق معبد الإله المقدس رام وربما كان الدافع وراء هذه الأفكــار بصورة أوضح ظهور جماعة جديدة تــدعو

لنفس الأفكار وهى جماعة (الهند وتفا) التي تنادى بالتفوق الهندوسي وتنكر أية حقوق للأقليات الدينية الأخرى ، ويعتقدون أن هندوستان هى أرض الهند، والأرض التى تزدهر عليها أمة الهندوس وحدها ، ثم أكدوا أن على الجماعات غير الهندوسية - وخاصة المسلمين - أن تعتنق ثقافة البلد، ولغته ، وألا تشتغل بشىء سوى تمجيد الثقافة الهندوسية ، وتتخلى عن هويتها الخاصة ، وتذوب فى الجنس الهندوسي ، وبالتالي فإن غير الهندوس ليس لهم الحق في أية مزايا في المجتمع الهندي (٢٩) .

تداعيات بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر (٢٠٠١م) على مسلمي الهند الإسلامية

تبدو العلاقات بين الهند والولايات المتحدة جيدة على طول الخط ، بيد أنه لم تكن العلاقة بين باكستان والولايات المتحدة جيدة في كل الأحوال ؛ ورغم أن باكستان كانت قد سخرت أراضيها للولايات المتحدة والتي استهدفت طرد الاتحاد السوفيتي الذي غزا أفغانستان المجاورة،ومحاربة الشيوعية في الفترة من (١٩٧٩م) وحتى عام (١٩٨٩م) ، ثم تسخير مجالها الجوى والأرضي للهجوم على أفغانستان أيضا ولكن تحت مسمى قوى التحالف ومحاربة الإرهاب ، وجاءت الاتهامات لباكستان عبر ثلاثة محاور:

إنها تحكم بأمر الحاكم العسكري ، وليس على أساس ديمقراطي، وترفض التوقف عن الاستمرار في برنامجها النووي وتدعم عناصر من تنظيم القاعدة في كشمير المسلمة.

ويبدو أن التوتر في العلاقات بين الولايات المتحدة وباكستان والهند لا يخرج عن أحد الثلاثة عناصر السابق الإشارة إليها، فبعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر في الولايات المتحدة ، أعلنت واشنطن حربها على الإرهاب ، وأعلنت صراحة أن أفغانستان هي المأوى الأول لتنظيم القاعدة المتهم بأنه وراء هذه التفجيرات التي أفزعت العالم كله من الإسلام،واستطاعت باكستان أن تكون الحليف الأقرب للولايات المتحدة في حربها ضد الإرهاب في أفغانستان على الرغم من المعارضة الداخلية التي شهدتها مدن باكستان،إلا أن الرئيس الباكستاني"برفيز مشرف" كان يرى في الولايات المتحدة طوق النجاة من أزماته الداخلية، والسعي نحو الحصول على تأييد ضمني من الولايات المتحدة لباكستان في موقفها من قضية كشمير من ناحية، والتسليح النووي الباكستاني من ناحية أخرى ، فضلا عن رغبة الرئيس الباكستاني بأن يحصل على تأييد آخر من الولايات المتحدة وهو الاعتراف به رئيساً شرعياً لبلاده، في ظل معارضة بعض الجماعات الباكستانية بما فيها الجماعات الإسلامية هناك والتي ترفض سياسات "مشرف " على المستوى الداخلى وكذلك على المستوى الخارجي.

وقد جاءت أحداث ١١ سبتمبر لتفتح الآمال أمام عشرات القضايا التي تواجه الرئيس " مشرف " ، ولا يستطيع أن يجد لها حلولا ترضى كل الأطراف والجماعات في باكستان، فلم يعترض على فتح المجال الجوى أمام المقاتلات الأمريكية، كما سمح لقوات المارينز الأمريكية بالتوغل في الأراضى الباكستانية لملاحقة فلول تنظيم القاعدة وطالبان عبر الحدود الأفغانية الباكستانية، الأمر الذي أزعج الهند، من أن ذلك قد يكون مؤشرا لتأييد الولايات المتحدة لباكستان في قضيتي التسليح وكشمير.

كمـــا زاد الرئيس "مشرف" من إعلان ولائه للولايات المتحدة بمجرد الإعلان عن مقتـــل الصحفي الأمريكي بباكستان واختطافه على يد جماعة من الجماعات الإسلامية بها ، وأعلن الحرب ضد الإرهاب الداخلي، واعتقل المئات من شباب الجامعات الباكستانية فيما يزيد علي (٣٠٠٠) شاب تحت زعم أنهم وراء قتل الصحفي الأمريكي الذي كان موجودا لتغطية أحداث الحرب علي أفغانستان ، كما قام "مشرف" بإغلاق (٥٠٠) جمعية ومؤسسة إسلامية خيرية وجمد أرصدتها بالبنوك والمصارف، وأصدر أوامره بالقبض علي أئمة وشيوخ المساجد، وأقر مواداً دراسية جديدة، مضمونها يدعو إلي المحبة والإخاء، وحقوق الإنسان، وفق قوانين ومبادئ وقيم ليس الإسلام طرفا فيها، وإنما هي مبادئ عامة، وتشجيعا على هذه السياسة سمحت الولايات المتحدة الأمريكية بدخول المنسوجات الباكستانية الأسواق الأمريكية لتحسين المستوي الاقتصادي لباكستان.

إلا أن الرئيس الباكستاني "مشرف" ومع قائمة التنازلات التي قدمها للولايات المتحدة في حربها ضد الإرهاب والتوغل داخل الأراضي الباكستانية عبر حدودها مع أفغانستان واعتقال العديد من العناصر الإسلامية في إسلام أباد وكراتشي علي الرغم من الاستياء الشعبي في الشارع الباكستاني من القرارات الرئاسية، فوجئ الرئيس الباكستانـــي في أثنـــاء زيارته لواشنطـــن عقب انتهاء الحرب في أفغانستان في فبراير (٢٠٠٢م) بأن الولايات المتحدة لم تكن صادقة في وعودها معه؛ فقد اعترفت به كرئيس شرعي لباكستان ثم قامت بإسقاط بعض ديون بلاده لدي الولايات المتحدة، حيث تم إسقاط مليار دولار فقط من إجمالي (٢,٩) مليار دولار[٣٠] .

هذا بجانب أن المساندة الأمريكية لمطالب باكستان والتي تخص إقليم كشمير تراجعت بعد نهاية الحرب ، إذ إن العلاقة بينها وبين الهند- العدو التقليدي لباكستان- ما تزال قائمة ، كما لم تتأثر علاقة الولايات المتحدة بالهند بمجرد التنازلات التي قدمتها باكستان للولايات المتحدة أثناء حربها ضد طالبان وتنظيم القاعدة ، وعقب الرئيس الأمريكي علي ذلك بقوله : إن الرئيس الباكستاني ما يزال يدعم العناصر الإسلامية المتطرفة في إقليم كشمير، وأن هذه الجماعات تكاد تكون السبب المباشر في توتر العلاقات بين الدولتين الشقيقتين الهند وباكستان، وطلبت الهند من الولايات المتحدة ممارسة ضغوط أكبر على حكومة باكستان لوقف دعم باكستان للمقاتلين بإقليم كشمير.

وفي مايو ويونيو (٢٠٠٢م) تجددت أعمال العنف في كشمير وتصاعد الموقف علي مستوى المواجهة العسكرية ، وكان الرئيس الباكستاني "مشرف" ينتظر دعما أمريكيا له في هذه الأزمة ، مقابل التسهيلات التي قدمتها باكستان للولايات المتحدة في حربها ضد طالبان وتنظيم القاعدة ، وما قامت به هو المطالبة بضرورة تسوية الأزمة سلميا وأن هذا لن يكون إلا من خلال وقف باكستان دعمها للإسلاميين في كشمير، ومنع عمليات التسلل التي تحميها القوات الباكستانية في الإقليم .

وتوقف الدور الأمريكي في هذه الأزمة عند إرسال وزير الدفاع"رونالد رامسفيلد" الذي أشار صراحة أنه لم يأت للمنطقة من أجل تسوية قضية إقليم كشمير، وإنما لوقف حدة التوتر بين الهند وباكستان ، وتصفية الأجواء لمنع حدوث حرب نووية بين البلدين يكون ضحيتها أكثر من (٢٠) مليون نسمة ونجح "رامسفيلد" في أخذ تصريح علني من الرئيس الباكستاني بمنع تسلل أي عناصر باكستانية داخل إقليم كشمير في حين رفض "فاجبائي" رئيس وزراء الهند سحب قواته المحتشدة علي الحدود مع باكستان، بيد أن الزيارة التي قام بها وزير الدفاع الأمريكي حققت أغراضها وذلك باستمرار الرئيس "مشرف " في صراعاته الداخلية مع شعبه ومع ذلك فهو مستمر فى تقديم تنازلات رغم وضوح الرؤية بأن الولايات المتحدة لن تعطي له المكافآت التي كان ينتظرها.

والواضح من قراءة الأحداث أن الولايات المتحدة والمجتمع الغربي يؤيد حق الهند في إقليم كشمير،وأن الغرب في استياء من التزام باكستان بالإسلام وإيوائه لعشرات الجماعات الإسلامية المحظورة علـى أرضه،ودعمه لها بـل اتهمـت واشنطن الرئيس

الباكستاني بأنه وراء تصعيد الأزمــة الأخيرة مع الهند وأنه يجب أن يتوقف عن دعمه للجماعات الإسلامية المتطرفة في الهند ، وفي إقليم كشمير.

أما الموقف الأوربي فقد جاء هو الآخر مخيبا لآمال " برويــز مشــرف " حيــث أصدرت المجموعة الأوربية بيانا في ٢١ يونيو (٢٠٠٢م) بعد اجتماع المجلــس الأوربي لبحث الأزمة المتصاعدة بين الهند وباكستان، وخرج المجلس بعدة توصيات فى حقيقتها غير ملزمة لكلا الطرفين منها ضرورة تسوية الخلافات بين البلدين بصــورة ســلمية، ومنع استخدام السلاح النووي في أي صراعات بين البلدين مع وقف أعمال التســلل داخل إقليم كشمير، وإجراء انتخابات داخل الإقليم بإشراف دولي، ومطالبة باكستان بالتمسك بقرار مجلس الأمن رقم ١٣٧٣ لسنة (٢٠٠١م) والــذى يوصــي الــدول بمكافحة الإرهاب والقضاء عليه.

أما الموقف الروسي من الأزمة فقد كان مؤيدا للهند على طول الخط، بل إن روسيا كانت حليفا عسكريا للهند حتى وقت ما كان يسمي بالاتحاد السوفيتي، واستمر الدعم حتى بعد انفصال معظم دول الاتحاد إلى دول مستقلة، حتى أن " يلتسين " الرئيس الروسي السابق قال :" إننا نؤمن بأن إقليم كشمير هو إقليم يتبع الهند وأن إسلام أباد ليس لها الحق في المطالبة به ؛ لأنه لا يتبعها " .

وحاول الرئيس الروسي " بوتين " التوسط بين رئيس وزراء الهند "فاجبائى"، والرئيس الباكستاني " برويز مشرف " لإنهاء الأزمة بالطرق السلمية، إلا أن رئيس الوزراء الهندي رفض التفاوض مع الرئيس " مشرف " إلا بشرط أن يعلن رسميا :" أنه توقف بالفعل عن دعمه للإسلاميين المتطرفين بإقليم كشمير " .

أما الموقف الصيني من الأزمة فكان محايدا بعض الشيء، فليس من مصلحة الصــين حدوث حروب نووية في المنطقة من ناحية، أو ظهور تواجد أمريكي عسكري في شبه القارة الهندية وبحر قزوين من ناحية أخرى، ويمكن القول بأن الصين التى ساعدت على تطوير البرنامج النووي الباكستاني بعد أن تخلت الولايات المتحدة عن وعودها بإقامــة المشروع ، إلا أن هذه العلاقة قد أصابها الفتور بعد تورط باكستان في دعم الجماعات الإسلامية في إقليم تركستان الشرقية، وهو إقليم ذو أغلبية مســلمة يتبــع الصــين، ويطالب بالاستقلال وأن يصبح له هويته المستقلة عن الصين، إلا أن مصــالح الصــين ترتبط في كثير من الأحوال بهذا الإقليم وبموقعه الإستراتيجي المهم، وأن مضمون هــذا

التورط جاء في صورة تصريح رسمي يوصى بضرورة استقلال الإقليم المسلم عن الصين، وأن استقلال إقليم كشمير الواقع تحت السيادة الهندية يعنى بالضرورة استقلالا لإقليم تركستان الشرقية الواقع تحت السيادة الصينية، وكلا الإقليمين يتمتع بأغلبية مسلمة، ومن هنا كان من مصلحة الصين أن تصبح حليفا للهند، والحيلولة لمنع استقلال إقليم كشمير وبالتالي فإن الموقف الصيني يكاد يكون واضحا من البداية، فهو يريد أن يظل الوضع كما هو عليه، بشرط عدم منح إقليم كشمير استقلاله، حتى لا يكون ذلك مدعاة لإقليم تركستان الشرقية لأن يطالب بالاستقلال من الصين هو الآخر.

وأخيرا جاء موقف الأمم المتحدة ليثبت أن الولايات المتحدة هي البديل الشرعي لهذه المنظمة، وأن معظم القرارات الصادرة عنها هي قرارات أمريكية، ففي عام (١٩٩٨م) أجرت الهند تجاربها النووية على بعض الأسلحة، وأعلنت الهند عن نجاحها التقني في تطوير الصواريخ النووية، ثم ردت عليها باكستان بتجارب أكثر تفوقا ببعض الصواريخ وبتقنية أعلى من المستوى الذي توصلت إليه الهند، واستشعرت أوربا وأمريكا الخطر القادم من آسيا ، خاصة في أعقاب المقالات الصحفية التي نشرت آنذاك واصفة القنبلة الباكستانية "بالإسلامية" وأن المسلمين دخلوا عصر القنبلة الذرية، وأن هذا من شأنه أن يصبح في أيدي بعض الجماعات المتطرفة مما يهدد العالم بالدمار والفناء.

وفى تلك الأجواء جاء تقرير الأمم المتحدة مشيرا إلى ضرورة توقف الهند وباكستان عن تجاربهما النووية واللجوء إلى الأساليب السلمية في تسوية خلافاتهما، وصرح "كوفي عنان " الأمين العام لمنظمة الأمم المتحدة أنه كان يأمل أن يخرج مؤتمر الأمن الإقليمي الذي عقد في ألماتا عاصمة كازاخستان عام (٢٠٠٢م) بقرارات تحد من التوتر بين الهند وباكستان وأن استخدام السلاح النووي من جانب الدولتين من شأنه أن يؤثر ليس على آسيا بل العالم كله، حيث توجد مصالح مشتركة لمعظم دول العالم في تلك المنطقة.

وطالبت منظمة الأمم المتحدة الدولتين بالالتزام بقرار مجلس الأمن والذي يحمل رقم ١٣٧٣ لسنة (٢٠٠١م) بمكافحة الإرهاب ومطاردة تنظيم القاعدة، وعلى هذا

فالواضح أن الأمم المتحدة والولايات المتحدة وروسيا والصين والإتحاد الأوربي يطالبون جميعا الرئيس "برويز مشرف" بضرورة منع العناصر الإسلامية من التسلل إلى كشمير وتصفية الإسلاميين الذين يثيرون القلاقل في باكستان وتجميد أرصدة الجمعيات والمنظمات والهيئات الخيرية الإسلامية على أرضه .

ومن هنا نستطيع القول :إن أحداث الحادي عشر من سبتمبر (٢٠٠١م) بالولايات المتحدة أثرت بالفعل على موقف العالم من قضية كشمير ومسلمي الهند، حتى الأمم المتحدة أعلنت بقراراتها المتتالية ضرورة أن تلتزم دول العالم بمكافحة الإرهاب، أو إذا شئنا الدقة مكافحة التزايد والنمو الإسلامي ونشاطاته فى دول العالم.

ومن هذا كله يمكن القول : إن اتهام جماعة مسلمة بأنها وراء بعض الأعمال الإرهابية في بعض الدول الأوربية قد ينعكس بصورة واضحة على الجماعات الصغيرة المسلمة داخل هذه الشعوب، فيحرمون من ممارسة شعائرهم ويتعرضون للإيذاء ، وتتوقف أنشطتهم الاقتصادية حتى أن بعض المسلمين لجؤوا إلى تبديل أسمائهم بأسماء مسيحية أو يهودية أو هندوسية حتى لا تتأثر مصالحهم بما تقوم به بعض الجماعات والحكومات ضد كل من يشتبه فيه بأنه مسلم .

فى الوقت الذى تعانى فيه المنظمات الإقليمية والإسلامية من الضعف وعدم التأثير، وقلة النفوذ فهي ومنذ نشأتها لم تستطع أن تتبنى قضية واحدة وتحقق فيها نجاحا ملموسا، بل إن منظمة الأمم المتحدة ذاتها، لم يعد لها الهيبة والمكانة والوقار والاحترام لا على المستوى الرسمي ولا حتى على مستوى شوارع دول العالم بعد أن سيطرت الولايات المتحدة على منافذ صنع القرار بها، وأصبحت تتحكم فيمن يتولى إدارتها، ومن هو الأمين العام للأمم المتحدة وأخيرا فإن وضع المسلمين في الهند يرتبط شئنا أم أبينا بحل أزمة كشمير ذات الأغلبية المسلمة، والسؤال : هل يظل الصراع قائما بين الهند وباكستان ، أو بين المسلمين والهندوس في حالة فشل التوصل لحل قضية كشمير أم لا ؟

ثانياً: أوضاع المسلمين في إقليم كشمير
قبل وبعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر (٢٠٠١م)

الأمة الإسلامية مجتمع كبير، يجمع شمل كل المسلمين في كل بلدان العالم دون استثناء بصرف النظر عن الخلافات المذهبية، والتوجهات الفكرية فيما بينهم، ويستوى في ذلك من يعيش منهم في إطار دولة إسلامية تضم أغلبية مسلمة، أو من يعيش منهم في أحضان دولة غير إسلامية، تتألف من مجموعة أقليات قد لا تشترك مع الأغلبية في وحدة العقيدة أو رابطة الدين، وإن اختلفت اللغة وتعددت الأعراق وتباينت البيئات الجغرافية.

ويعد إقليم جامو وكشمير أحد هذه النماذج التي تعبر عن الوضع المأساوي للمسلمين في شبه القارة الهندية، فمنذ أكثر من نصف قرن من الزمان، والتوتر في شبه القارة الهندية يزداد يوماً بعد الآخر، بل لم تهدأ حدته منذ سنوات مضت، وتحديداً من مطلع عام (١٩٩٠م) وحتى الآن.

فقد شهد النصف الأول من عام (١٩٩٩م) تصعيداً خطيراً في الموقف العسكري بين الطرفين، رغم ما طرأ على المعادلة العسكرية بينهما في أواخر عام (١٩٩٨م) من دخول الجانبين ميدان التسلح النووي، ويتمثل الخلاف بين الهند وباكستان في أن الهند تعتبر أن إقليم كشمير ولاية هندية وذلك وفق وثيقة ضم كشمير إلى الهند التي أجرتها الحكومة الهندية مع المهراجا وتأييد بريطانيا لحق الهند في كشمير عام (١٩٤٧م) وقت تقسيم الهند إلى هندوستان وباكستان، أما باكستان فترى أنه وفق قرار التقسيم تصبح كشمير ولاية باكستانية لأنها تضم أغلبية مسلمة.

وقامت باكستان بعرض القضية على الأمم المتحدة لتقرير مصير الإقليم إما أن يقبل السكان الانضمام إلى الهند أو الانضمام إلى باكستان أو إجراء استفتاء للاستقلال عن الدولتين ولا ترى باكستان في ذلك مشكلة، إلا أن الهند ترفض إجراء هذا الاستفتاء اعتقادا منها أن سكان إقليم كشمير سيصوتون لصالح باكستان وذلك نظرا للامتداد الديني والعرقي لباكستان داخل أراضى كشمير، فضلا عن اتهام باكستان بأنها تقوم بدعم حركات المقاومة الإسلامية ضد القوات الهندية في كشمير.

أما الصين فقد كان موقفها السابق مؤيدا لحق باكستان في الإقليم، وذلك في أعقاب الحرب الهندية الصينية عام (١٩٥٩م) والتى حققت فيها الصين انتصارا كبيرا على الهند، بجانب أن الهند دخلت في تحالفات مع روسيا التي كانت على عداء شديد مع الصين آنذاك، هذا بجانب الامتداد الديني بين مسلمي كشمير والمسلمين الأيغور الذين يمثلون الأغلبية في إقليم تركستان الشرقية الواقع تحت السيادة الصينية، وأعلنت الصين موقفها صراحة من القضية ، وأيدت قرار الأمم المتحدة الذي ينص على إجراء استفتاء داخل الإقليم لتقرير مصيره بشأن الاستقلال، في حين جاء الموقف الروسي في البداية مؤيدا للهند، معتبرا أن كشمير جزء من الأراضي الهندية، وأن الهند وروسيا بينهما مصالح مشتركة على مستوى الفكر الاشتراكي، إلا أنها عادت إلى تصحيح هذا الموقف مرة أخرى وأعلنت ضرورة عرض القضية على الأمم المتحدة، في أعقاب الزيارة التي قام بها الرئيس الباكستاني "محمد أيوب خان" إلى موسكو في أبريل عام (١٩٦٥م) وعرضت الوساطة بين الطرفين حيث أسفرت عن اتفاقية طشقند عام (١٩٦٦م) .

أما الولايات المتحدة فقد كان موقفها مؤيدا لحق باكستان في الإقليم من البداية، وأيدت قرار الأمم المتحدة بشأن إجراء استفتاء داخل الإقليم، ولكن هذا التأييد قد تراجع بعض الشيء بسبب أحداث الحادي عشر من سبتمبر (٢٠٠١م) واتهام الجماعات الإسلامية المتطرفة بأنها وراء هذه التفجيرات ، وأن هذه التنظيمات الإرهابية – على حد وصف الولايات المتحدة – تقوم بعملياتها ضد المصالح الأمريكية فى العالم من أفغانستان، وأن تنظيم القاعدة وحكومة طالبان الحاكمة في أفغانستان وراء الحادث، والسؤال : ماذا عن مشكلات الأقلية المسلمة في كشمير قبل وبعد أحداث سبتمبر (٢٠٠١م) ؟

كشمير : الموقع والأهمية :

تقع كشمير في الشمال الشرقي من باكستان، وأغلب سكانها من المسلمين الذين تصل نسبتهم ٩٠%من مجموع السكان، فتحها المسلمون بقيادة "هشام بن عمرو التغلبى " والى السند بتكليف من الخليفة العباسي " أبي جعفر المنصور"، وكان للشيخ "على الهمذانى" دورٌ مهم في تعريف أهل كشمير بالإسلام وأصوله وأحكامه.

ولما ضعفت الدولة الإسلامية في الهند سيطر عليها السيخ بزعامة " نجيب سـينغ" ، ثم دخلها الإنجليز بعد هزيمة السيخ عام (١٢٥٥ميلادية) ، ثم عقدت إنجلترا صفقة بيع بينها وبين السيـخ يقوم السيخ بموجبها بدفع مبلغ سبعة ملايين روبية ونصف مقابل أن تتخلـى إنجلترا على الإقليم للسيخ، وقام بدفع المبلغ كـاملا زعـيمهم ويـدعى "جلاب سينغ" ومدة العقد كانت مائة عام ، بعدهـا تعود ملكية الإقليم مرة أخـرى إلى إنجلترا بشرط أن يعترف السيـخ بالسيـادة الإنجليزية على المنطقـة بكاملـها، وعندما أرادت إنجلتـرا أن تترك شبه القارة الهنديـة قامت بإقرار مشـروع تقسـيم الهند بين المسلمين والهندوس ، وأبقت على منطقة لم تدرجها في خطة التقسيم وهـى كشمـير التي ما تزال نقطـة الصـراع الوحيـدة في شبـه القـارة الهندية منـذ عام (١٩٤٧) (٣١) .

أما الخلاف بين الهند وباكستان فيأتى فى عدد من النقاط أهمها :

- قضية جامو وكشمير ووجود أكثر من (٨٠٠) ألف جندي هندي مسلح داخل أراضى الإقليم ورفض الهند منح إقليم جامو وكشمير الاستقلال أو الانفصال عنهـا سلماً وتطالب باكستان بحق الإقليم في تقرير مصيره أو تحت مظلة الأمم المتحدة .
- سباق التسلح النووي بين الهند وباكستان والتقنية الحديثة في تطوير الصواريخ العابرة للقارات وتأثير ذلك على قارة آسيا من ناحية والدول الحليفة للولايات المتحدة فى المنطقة من ناحية أخرى.
- التطرف الهندوسي الذي تعانى منه الأقلية المسلمة في الهند ذاتها، والتي تقدر عددها بحوالى (١٧٠) مليون مسلم، يعدون أقلية عددية داخل النسيج القومي الهندي الكبير .

وما يعنينا في هذا الشأن محورين أساسيين هما قضية كشمير، والتطرف الهندوسـي ضد المسلمين في الهند وكشمير، والتطورات الحالية في مسار القضـية الكشـميرية في أعقاب تفجيرات الحادي عشر من سبتمبر بالولايات المتحدة ، حيث إن قضية جـامو وكشمير ، هي أصل النزاع الهندي – الباكستاني ، بل هي برميل البارود الذي يهـدد ليس شبه القارة الهندية وحدها، بل عموم آسيا حيث توجد نفس المعاناة للمسلمين في

تايلاند، والفلبين ، وسرىلانكا ، ونيبال وبورما وقبرص وإقليم تركستان الشرقية الواقع تحت السيادة الصينية.

وكشمير تنطق في اللغة البراكراتية (كاشفير) حيث إن حرف الـ (م) يرادف حرف الـ (ف) في القاموس الإندو – آري ، ويرتبط اسم كشمير بالعديد من الافتراضات إحداها يفترض تقسيم الاسم إلى مقطعين (كاش) وتعنى قبيلة و(مير) أي الجبل ، أما الافتراض الثاني فيقول أن كشمير ترجع في تسميتها إلى (كاشياب ريشي) الذي يقال عنه أنه قام بترح الماء من بحيرة " سانيسار " ليجعل الوادي الحالي صالحا للحياة الآدمية [٣٢] .ويصل إجمالي مساحة جامو وكشمير (٢٢٢,٢٣٦) كيلو متراً أما عدد الأقليات المسلمة في كشمير فهي (أغلبية مقهورة) تصل إلى (١٥) مليون مسلم مقابل أقلية هندوسية حاكمة ومسيطرة، تمتلك زمام السلطة في يدها، حيث تمثل ولاية جامو وكشمير مزيجاً دينياً وعرقياً متنوعاً يضم الهندوس والبوذيين والسيخ، يعيشون مع أغلبية مسلمة، وبالتالي يمثل التركيب الديمغرافى تنوعاً في ارتفاع وانخفاض معدلات السكان، والذى يأخذ الوضع التالى [٣٣] :

في وادي كشمير: يمثل المسلمون (٩٥%) والهندوس (٤%) والسيخ بالإضافة للديانات العديدة الأخرى (١%)، أما في منطقة جامو ، فالمسلمون يمثلون (٣٠%) والهندوس (٦٦%). ومنطقة لاداك فالمسلمون يمثلون (٥٠%) والهندوس (٢,٥%) ويعنى هذا كله أن المسلمين في جامو وكشمير يتمتعون بأغلبية تفوق الطائفة الهندوسية ، ومع وجود (٨٠٠) ألف جندي هندوسي داخل إقليم كشمير في أيديهم كل الصلاحيات حتى في تعين الحكومات داخل الإقليم أو عزلها.

وينقسم إقليم كشمير إلى منطقتين:

الأولى : كشمير الحرة وهى التي تسيطر عليها حركة المجاهدين الكشميريين بدعم من باكستان.

والثانية: كشمير المحتلة والتى يطالب المجاهدون بضرورة استقلالها، ويرأس الحكومة فيها " فاروق عبد الله " حيث يطلق المجاهدون فى كشمير على حكومته " الحكومة العميلة للهند "، ومن هنا تمثل مشكلة كشمير عقدة وبؤرة صراع قائمة، فشلت أطراف عديدة فى إيجاد حل لها، وفض الصراع الدائر بين الهند وباكستان.

وبمجرد انفصال باكستان عن الهند (١٩٤٧م) نشأت مشكلة كشمير، بعدما ترك للإمارات الهندية حق تقرير المصير، عدا ثلاث إمارات هى : جونا كادا، وحيدر أباد، وكشمير[٣٤] ويعيد التاريخ عند هذه المحطة تكرار أحداثه من جديد، وذلك عندما قامت بريطانيا بتقسيم الهند إلى دولتين : (هندوستان وباكستان) على أن تضم الأولى أبناء الطائفة الهندوسية ، والثانية المسلمين فى شبه القارة الهندية، ولعل بريطانيا من مشروعها هذا لم يكن هدفها إنهاء الصراع بين الطائفتين، (الهندوسية والإسلامية) بل إبعاد المسلمين عن منطقة تجارتها، ومجال نشاطها الاقتصادي بجانب علمها أن إقامة دولة للمسلمين في باكستان لن يحل المشكلة، إذ ظلت عائلات مسلمة عديدة متمسكة بالإقامة في الهند، ولا ترغب في الرحيل عنها، حيث وصل عدد المسلمين الرافضين للتقسيم والهجرة ، وقبلها كان إقليمي جونا كادا وحيدر أباد [٣٥] أكثر من (٧٠) مليون مسلم آنذاك، كما ضمت الهند إقليم جامو وكشمير إليها عام (١٩٤٧م)، وعندما تدخلت الأمم المتحدة لحل المشكلة أقامت استفتاءً حول الإقليم، وظل الوضع مجمداً إلى عام (١٩٩٠م)، بظهور حركة المجاهدين الكشميريين، إذ تتصارع هذه الحركة مع القوات الهندية داخل الإقليم من أجل استقلال جامو وكشمير.

وبالتالي ترتبط قضية كشمير بتوازن القوى في هذه المنطقة [٣٦] ويرتكز الموقف الهندي في إقليم كشمير على أنه جزء لا يتجزأ من الأراضي الهندية، منذ عام (١٩٤٧م)، وقد أيد سكان الإقليم هذا الإجراء للهند من خلال الشيخ "عبد الله" زعيم أكبر حزب كشميري آنذاك وهو (المؤتمر الوطني) ثم صدقت الجمعية التأسيسية لولاية جامو وكشمير على قرار الانضمام، ورفضت باكستان عملية الانضمام وشنت على الهند حرباً عام (١٩٤٧م) أسفرت عن احتلال باكستان جزءاً من كشمير، وعادت الحرب بين الدولتين من جديد عام (١٩٦٥م) [٣٧] ، وانتهت بهزيمة باكستان وانفصال جناحها الشرقي (بنجلاديش) عنها عام (١٩٧١م) بدعم من الهند، واعتبار أن قضية كشمير، هي قضية هندية داخلية، يعزز ذلك الاتجاه أن عملية ضم الإقليم تمت بموافقة الجمعية التأسيسية للولاية عام (١٩٥٧م)، حيث اعتبر ذلك بديلاً عن إجراء استفتاء لتقرير مصير الولاية والذي نصت عليه قرارات الأمم المتحدة [٣٨] .

كما أن وجهة النظر الهندية تجاه إقليم كشمير تضم بعداً إستراتيجياً مهماً آخر على اعتبار أنها مسألة تتعلق بالأمن القومي الهندي، وبالتالي ليس من المقبول أن تفرط الهند

في واحـــد من الأبواب التي قد تعرض أمنها للخطر من خلال الممـــرات الجبليـــة في كشمير[٣٩]، وقد انتهجت في مقابل المحافظة على الإقليم سياسة الأرض المحروقة ضد المجاهدين من أبناء كشمير من ناحية، والحرب الجزئية مع باكستان من ناحية أخـــرى، حيث قامت الهند بإشعال النيران بعشرات الغابات والتي تغطى جبال كشـــمير تحـــت زعم أن المجـــاهدين يتخـــذونها معقلاً للهجـــوم على القـــوات الهندية في كشـــمير، وقد تركـــزت هذه الحرائـــق في محافظة (كبوارة) كما أنها شملت مناطق عديـــدة في كشمير[٤٠].

وأدت عمليات الاضطهاد الديني للمسلمين في كشمير إلى استياء حركة المجاهدين الكشميريين وذلك بعد أن قامت القوات الهندية بإطلاق نيرانها على جمهور المصلين عند خروجهم من أحد مساجد (راجورى) وكذلك الاعتداء على المسجد الجامع في قرية (كهوتا) على الحدود بين كشمير الحرة، وكشمير المحتلة، وقتل خلال هذا الاعتداء الوحشي عشرات المسلمين، بجانب مئات الجرحى، ولم تقف القوات الهندية عند هذا الحد من الاضطهاد والعنف فقامت بالاعتداء على أئمة المساجد واغتصاب النساء وقتلهن، والتمثيل بجثثهن بعد عمليات القتل[٤١].

كما أسفرت جملة الاعتداءات على المسلمين في كشمير عام (١٩٩٠م) فقط نحـــو (٢٢) ألف قتيل و (٢٣٠) ألف جريح و(٤٨٠٠) سجين، في حين لم يتجاوز عـــدد الجرحى من القوات الهندية العشرين جريحاً وخمسة قتلى فقط، وقد يرجـــع ذلـــك إلى حجم الترسانة الحربية الهندية في إقليم كشمير والأسلحة المتطورة التي يستخدمونها في تصعيد الحرب ضد المجاهدين الكشميريين[٤٢] الذين تدعمهم باكستان.

بينما تكمن أهمية الإقليم بالنسبة لباكستان في رابطة الدين ووحدة العقيـــدة الـــتي تجمع بين الشعبين الباكستاني والكشميري- وبجانب التوحد العقدى - يوجد العامـــل الاقتصادي، حيث تعتمد باكستان على جريان الماء فيها. فكشمير التي تضـــم أغلبيـــة مسلمة، وتقع ضمن الأراضي الهندية، تضم أيضاً الأحياس العليا لكل رافد من الروافد التي تجمع الفائض وتحمل الحصص من الإيراد الطبيعي لكي يكون الجريان المنـــتظم في نهر السند، والذي يمثل أهمية كبيرة لباكستان، لأنه يكفل الحياة ويعوض النقصـــان في كم المطر السنوي، وترتبط به تنظيمات الرى لتوزيع الماء على مســـاحات الأراضـــي

المترزعة،وبالتالي فإن أهمية كشمير لباكستان تكمن في عاملين أولهما سكاني عقـدى ، وثانيهما جغرافي اقتصادى(٤٣) .

ويلاحظ من هذا أن كشمير ليس لها منفذ تطل به على العالم الخارجي إلا عن طريق باكستان وميناء كراتشى البحري، وبالتالى تعتمد أسواق كشمير على أسواق باكستان، فضلا عن أن أنهار باكستان الثلاثة وهى السند وجليم وجناب تنبع كلها من كشمير .

ووفق الدستور الهندي تشير المادة (٣٧٠) منه إلى منح وضع خاص لولاية جامو وكشمير وتمييزها عن باقي الولايات الهندية، وذلك من أجل الحفاظ على شخصية الولاية وهويتها الإسلامية، إلا أن السلطات الهندية والحكومات المتعاقبة عليها تجاوزت هذا النص وفرضت على جامو وكشمير سياسة الحديد والنار، وألغت الحكم الذاتي الخاص بالولاية لتحكمه مركزياً من نيودلهي، والعمل على نشر الثقافة الهندوسية من خلال التعليم والإعلام والمؤسسات الخاصة بالقوة، حتى يفقد المسلمون في كشمير هويتهم الإسلامية وارتباطهم العقائدى بباكستان (٤٤) .

الأمر الذي أدى إلى حدوث مصادمات عسكرية بين الشرطة الكشميرية التي تبلغ (٣٥) ألف كشميري مقابل (٨٠٠) ألف جندي هندي، وكانت أشد هذه المصادمات عنفاً تلك التي حدثت في عام (١٩٩٣) عندما أعلن (٥) آلاف شرطي في كشمير تمردهم ضد السلطات، احتجاجاً على انتهاكات حقوق الإنسان التي ترتكبها القوات الهندية ضد الأهالي العزل في كشمير المحتلة، واعتقال المواطنين بشكل عشوائي، وقد أدت سياسة الأخذ والرد بين الشرطة الموالية للولاية والقوات الهندية إلى قتل المئات من رجال الشرطة الكشميرية على أيدي القوات الهندية من جراء عدم تنفيذهم الأوامر الخاصة بإقامة معسكرات تعذيب للمواطنين الكشميريين المسلمين (٤٥) .

وتشير حجم الخسائر الهندية خلال الفترة (١٩٩٠-١٩٩٨) إلى أكثر من (٥) بلايين دولار، وإصابة أكثر من (٤٥%) من الجنود الهنود في جامو وكشمير بحالات عصبية ونفسية حادة، كانت الدافع وراء استقالات جماعية من بين قيادات الجيش الهندي في كشمير نتيجة أعمال العنف والتعذيب التي يمارسونها بالقوة ضد المدنيين من

شعب كشمير، مقابل الحركات الجهادية التي تتزايد يوما بعد الآخر نتيجة الدعم الذي تتلقاه هذه الجماعات من الجيش الباكستاني، فالإقليم إلى جانب أهميته لاقتصاد باكستان فهو يتبع باكستان بحكم الأغلبية الدينية التي اعتمدت أساسا للتقسيم، وتراوح عدد المسلمين عند التقسيم (٧٨%) من السكان وإذا كانت الهند قد أخضعت إقليمي " حيدر أباد وجونا كادا "لها بالقوة باعتبار أن الأغلبية هندوسية – كان من المنطقي أن تقر الهند بعودة كشمير لباكستان بحكم غالبيته المسلمة (٤٦) .

الموقف الدولي من قضية جامو وكشمير:

ما تزال ترفض الهند أي تدخل دولي لحل القضية الكشميرية، تحت زعم أن القضية ثنائية بين البلدين، وأن أى تدخل خارجي قد يزيد من تعثر حل القضية فى نفس الوقت دأبت الهند على التنصل من كل الاتفاقيات التي أقامتها مع باكستان بشأن كشمير، وعلى الرغم من رفض الهند لكل الوساطات ، فإن باكستان بقيت ترحب بأي مساعي دولية للمساعدة في حل قضية كشمير، في الوقت الذي ظهر فيه موقف الأمم المتحدة من قضية كشمير هاشا وضعيفا حيث لم تستطع المنظمة الدولية منذ بداية الأزمة وتطوراتها ممارسة أي ضغط على الحكومة الهندية لسحب قواتها من إقليم كشمير.

بدأ مجلس الأمن يتعرف لأول مرة على قضية كشمير عام (١٩٤٨م) عقب انضمام الولاية للهند، دون وجود ردود فعل فى هذا الشأن على الرغم من أن القرار الصادر عام (١٩٤٧م) يشير إلى فصل باكستان عن الهند على أن المناطق والولايات ذات الأغلبية المسلمة تنضم إلى باكستان، أما المناطق والولايات ذات الأغلبية الهندوسية تؤول تبعيتها إلى الهند، ووفق هذا القرار انضمت (حيدر أباد وجونا كادا) إلى الهند وكان من المفترض أن تنضم كشمير إلى باكستان، وذلك لأن أغلب سكانها مسلمين، ولكن بريطانيا أبقت على الإقليم حتى يظل بؤرة صراع بين البلدين على المدى البعيد (٤٧) .

ويعود مجلس الأمن مرة أخرى بقراره الصادر في (١٩٩٨/٦/٦م) والذي يحمل رقم (١١٧٢) ليقر بأن قضية كشمير تشكل مصدر التوتر وأساس التراع بين الهند. وباكستان وأنها تستدعى حلا عاجلا، كما أثيرت القضية في مؤتمر عدم الانحياز من قبل رئيس جنوب إفريقيا "نيلسون مانديلا" في بداية سبتمبر عام (١٩٩٧م)، حيث أكد أن كشمير أصبحت تشكل قلقا بالغا لجميع دول عدم الانحياز، داعيا الدول

الأعضاء العمل على حلها، وكانت هذه هي المرة الأولى التي تطرح فيها قضية كشمير على قمة دول عدم الانحياز منذ أن أصبحت مشكلة تثار في المحافل الدولية.

أما تقارير حقوق الإنسان فقد أكدت أن القوات الهندية وخلال ثمانية أشهر فقط، من أبريل (١٩٩٥م) وحتى نوفمبر من نفس العام قامت بقتل (٣,٢٩٧) كشميري مسلم واغتصاب ما يزيد على (٩٠) فتاة، وتعذيب ما يزيد على (٢٧٠) آخرين حتى الموت، بجانب الاعتقال العشوائي لمئات الشباب وإيداعهم داخل السجـــون دون أن تكون هناك تهمة مباشرة موجهة إليهم [٤٨] .

ومع أن قرارات الأمم المتحدة نصت في مجملها منذ عام (١٩٤٨م) وحتى الآن على وجوب انسحاب القوات الهندية من كشمير، من أجل إفساح المجال أمام لجنة خاصة من الأمم المتحدة للإشراف على الاستفتاء، الذي كان من المقرر إجراؤه لتحديد مستقبل الولاية وتقرير مصيرها، إلا أن عشية صدور هذا القرار، فاجأت الهند العالم كله، حيث كان في كشمير ما يزيد على (٣٠) ألف جندي هندي مسلح، والتي كان من المفترض انسحابها مع الإبقاء على جزء صغير من قواتها لحين انتهاء عملية الاستفتاء، إلا أن الحال بعد خمسين عاماً من الاحتلال وتجاهل القرارات الدولية كان وراء تصعيد الأزمة الحالية، فبدلاً من أن تسحب الهند قواتها من كشمير، زادت من تواجدها في الإقليم حتى وصل عدد قواتها (٨٠٠) ألف جندي هندي مسلح، رافضة بذلك كل نداءات المحافل الدولية، ودخلت في صراع مسلح مع قوات المجاهدين الكشميريين الذين يرفضون التواجد الهندي على أراضيهم.

الصراع القديم في جامو وكشمير :

يبدو أن العلاقة بين الهند وباكستان يشوبها الحذر منذ البداية وأصبح بإمكان أحدهما أن تورط الأخرى في حرب نووية غير مأمونة العواقب، وقد تؤدى إلى حدوث بؤر صراع عنيفة في جنوب وشرق آسيا، ويمتد تأثيرها على العالم كله، وتتأزم قضية كشمير بأكثر مما هي عليه الآن، ويسوء وضع الأقليات الإسلامية في مختلف الدول غير الإسلامية، نظرا لما سيكون عليه توصيـــف الأزمة آنذاك – من أن الإسلام في مواجهة حقيقية مع الغرب المسيحي– ويثور الغرب بمنظماته الإقليمية والعالمية ضد الإسلام وفق التفسير الذي ذكره الكاتب الأمريكى الشهير "صمويل هنتنجتون" من أن هناك صدام

سيحدث لامحالة بين الحضارات فى العالم، وركز على أن الصراع بين الحضارة الإسلامية والغربية المسيحية وكانت البداية فيما قام به تنظيم القاعدة داخل وخارج الولايات المتحدة، وبعض دول أوربا من عمليات إرهابية، والتي كان من تداعياتها الحرب على أفغانستان وحكومة طالبان وتنظيم القاعدة ثم العراق مؤخرا ، ووصف الرئيس الأمريكي "جورج دبليو بوش" بأن الحرب على أفغانستان ونظام صدام حسين هي حرب صليبية، وإن كان الرئيس الأمريكى اعتذر في المركز الإسلامى بواشنطن عن هذه الكلمة وأنه لم يقصدها وأنه يكن للإسلام كل الاحترام، وأنة دين سماوي يحث على السلام والحب، إلا أن هذه الكلمة لا تستطيع أن تخفى حقيقة العداء الأزلي من الغرب للإســلام ، لذلك من صالح أمريكا الآن أن تهدأ الوضع بين الهند وباكستان.

وتشير الوثائق التاريخية حول الأزمة أنه فى أعقاب الحرب الهندية الباكستانية، وقع رئيسا وزراء البلدين اتفاقاً عرف باتفاق (سملا) عام (١٩٧١م) في أعقاب الحرب التي أفضت إلى انفصال بنجــلاديش واحتلال الهند لمساحــة أخــرى من كشمير تقــدر بــ (٣٤٠,٨٨) ميلاً مربعاً تضمن الاتفاق العمل على حل المشاكل بين البلدين بالطرق الودية، وعدم إجراء أي تغيير من جانب واحد على الوضع القائم في كشمير، إلا أن الهند لجأت في عام (١٩٨٤م) إلى تحريك قواتها إلى المناطق الشمالية المتجمدة من كشمير، واعتبرت باكستان هذا التصرف من الجانب الهندى تصرفا غير مقبول وانتهاكاً للاتفاقية الموقعة بين البلدين والتي وقعت عليها رئيسة وزراء الهند آنذاك "أنديرا غاندى"، والرئيس الباكستاني " ذو الفقار بوتو" (٤٩).

واستمراراً لحالة التوتر وفقدان الثقة بين البلدين عام (١٩٨٧م) كادت الهند وباكستان تدخلان في حرب شاملة عندما قامت الهند بإجراء مناورات عسكرية على طول الحدود مع باكستان شاركت فيها كل قطاعات الجيش بأسلحته المختلفة وأطلقت عليها (عمليات الحقائق) ، وقامت باكستان بالرد على المناورة الهندية بمناورة أضخم وأطلقت عليها (ضرب المؤمن) ولم ينته الصراع على الحدود إلا عندما قام الرئيس الباكستاني الراحل "ضياء الحق" بزيارة الهند بما عرف بــ (دبلوماسية الكريكيت) ليسحب فتيل الحرب في الوقت الذي كانت حدودها مع أفغانستان تعانى من التدخل السوفيتي ، وقد وصفت زيارة "ضياء الحق" بأنها استهدفت تسكين الآلام، ولم يكن الهدف منها الوصول إلى حل يرضى الطرفين حول كشمير، وظلت كشمير إلى اليوم

بؤرة صراع بين البلدين يؤكد ذلك الحشود الهندية التي قاربت (٨٠٠) ألف جنـــدي في ولاية جامـــو وكشمير، والمناوشات المستمرة والقصف الصاروخي المتقطـــع على خط الهدنة الفاصل بين القوات الهندية والباكستانية في كشمير [٥٠].

وعادت الهند وباكستان ليعقدا اتفاقا آخر بشأن كشمير أطلق عليه (إعلان لاهور) في (٢١/٢/١٩٩٩م) بين رئيس الوزراء الباكستاني "نواز شريف" ورئيس وزراء الهند (أتال بيهارى فيجبائى)، وقد سبق زيارة رئيس وزراء الهند لباكستان تصريح لـــرئيس أركان الجيش الهندي (في. بى. مالك) قال فيه : " إن احتمال قيام حرب رابعة بـــين الهند وباكستان ما زال قائما ، إن لم تتوقف حكومة " نواز شريف " عـــن دعمهـــا لحركة المجاهدين في كشمير"، ومع التصديق على إعلان لاهور الذي تضـــمن إقامـــة علاقات ثقافية وسياسية واقتصادية بين البلدين ، وتكثيف الجهود لحل أزمـــة شـــعب كشمير ، وعدم التدخل في الشؤون الداخلية لكلا البلدين . فإن رئـــيس وزراء الهنـــد فاجأ باكستان بمجرد وصوله إلى مطار نيودلهي بشـــأن توقيـــع (إعـــلان لاهـــور) بتصريح يقول فيـــه : إنه لا يمكـــن تطبيع العلاقات مع باكستان إن لم تتوقف عـــن دعمها للانفصاليين المجاهدين وأن الهند لن تتنازل عن شـــبر واحـــد مـــن الأراضـــي الكشميرية ".

وعقب رئيس وزراء باكستان على التصريحات الهندية بوقف المباحثات بين البلدين في الوقت الذي أعلنت فيه الهنـــد زيادة ميزانية الجيش قدرها (١١%) لتصـــل في السنة المالية (١٩٩٩-٢٠٠٠م) إلى (١٠,٨) بليون دولار أي خمسة أضعاف الميزانية الباكستانية، وأعلنت الهند عزمها شراء صفقة أسلحة حديثة من روسيا لتعزيز تواجدها في كشمير، الأمر الذي اعتبرته باكستان نوعا من الاستفزاز وأن دخول باكستان مع الهند في اتحاد كونفدرالى من الصعب الجزم به ، كما أن تقسيم كشمير إلى منطقتين إحداهما للهند والأخرى لباكستان ،أمر يرفضه الجانب الباكستاني الذي طالب باستقلال كشمير[٥١] .

ومن هنا لم يعد أمام الهند إلا عدد محدود من الخيارات بعد أن قامت هي بنفســـها بإلغاء (إعلان لاهور) الذي لم يتعد استعراضا أمام العالم عـــن هـــدوء الأوضـــاع في كشمير وليس لبناء الثقة وتطبيع العلاقات،كما أنها تدرك تماما أن شن حـــرب علـــى

باكستان لم يعد بالأمر اليسير بعد الإعلان عن القدرات النووية والصاروخية لباكستان فقوة الردع النووي التي يمتلكها كل منهما كافية لأن تجعل القادة يفكرون مرات عديدة قبل اتخاذ أي قرارات في هذا الشأن، وأن صواريخ (غورى وشاهين) قادرة على تدمير أي منشأة داخل الأراضي الهندية في لحظات ، إلا أن التلويح بالسلاح النووي لم يمنع نشوب صراع حدودي بين المجاهدين بدعم مباشر من الجيش الباكستاني وبين القوات الهندية ، كان من نتائجها استعادة حركة المجاهدين الكشميريين لمنطقة "كارجيل " "ودراس " "وتباليك" شمال ولاية جامو وكشمير من الاحتلال الهندي إلى تصعيد جديد، وبالتالي يكون المجاهدون قد قطعوا طريق المواصلات بين فصائل الجيش الهندي في " سياشين " والقيادة في منطقة " كشمير المحتلة "، الأمر الذي دفع بوزير خارجية الهند إلى زيارة الصين لإمداده بالسلاح وذلك في أعقاب إسقاط طائرتين عسكريتين على أيدي القوات الكشميرية وتدمير عشرات العربات العسكرية التي تم محاصرتها والاستيلاء على ما تحمله من مؤن وأسلحة، وفشلت الهند في إشراك السلاح الجوى في المعركة مع مجاهدي كشمير واكتفت بقوات المدفعية وقواعد الصواريخ، وأدى القصف العشوائي الذي تقوم به القوات الهندية إلى تدمير عدد كبير من المدارس والمنشآت الدينية والإسلامية في كشمير واستشهاد مئات المدنيين من بينهم العشرات من تلاميذ المدارس ، حيث اعتبرت الهند أن هؤلاء هم السبب في فقدانها منطقة (كارجيل) .

ويرجع الصراع حول (كار جيل) بين الهند وباكستان إلى ٦مايو (١٩٩٩م) عندما أقدمت قوة من الجيش الهندي على مهاجمة موقع عسكري باكستاني في منطقة (شيوك) شمال كشمير أسفر عن مصرع أحد العسكريين الباكستانيين)، وتم تسليم الجثة عبر اتصالات عسكرية بين الجانبين ، ثم تصاعدت حدة الصراع ووصفت وسائل الإعلام الهندية أن ما يجرى في قطاع (كارجيل) شمال كشمير حرب حقيقية تستخدم فيها المدفعية الثقيلة بين القوات الهندية والباكستانية.

وفى ٢٦مايو من نفس الشهر انفجر الموقف من جديد فجأة بإعلان الهند دخول الطيران الحربي ساحة المعركة، وأن قواتها استهدفت مواقع المجاهدين الكشميريين المتسللين إلى (كار جيل) . الأمر الذي أدى إلى حدوث تبادل لإطلاق النيران بين البلدين على طول خط السيطرة في كشمير والبالغ (٧٢٠) كم [٥٢] ، وفى اليوم الثاني

من دخول السلاح الجوى المعركة خسرت الهند طائرتين حربيتين من نوع (مـــيج٢٧) بعد دخولها المجال الجوى الباكستاني، وفى اليوم الثالث أسقطت طائرة عمودية وقتـــل فيها أربعة ضباط وبلغت جملة الخسائر الهندية في منطقة (كارجيــل) مقتـــل (٦٠٠) جندي هندي و (٥) ملايين دولار يومياً تستترفها القوات الهنديـــة في كشـــمير، وإلى اليوم ما تزال مشكلة إقليم كشمير صداع مزمن في منطقة شبه القـــارة الهنديـــة، و لم تستطع المنظمات الدولية التخلص منه مع أن المسألة لا تتعدى منح استقلال الإقليم عن الهند، ويصبح الحل في التفاوض السلمي ومنح الشعب الكشميري الحـــق في تقريـــر مصيره هو الأساس ، وفق الضوابط الشرعية وتحت رعاية المنظمة الدولية مثلها في ذلك مثل إقليم (تيمور الشرقية) الذي يتمتع بأغلبية مسيحية، وحصل على استقلاله مـــن دولة ذات أغلبية مسلمة وهى أندونيسيا .

الوضع السياسي والاجتماعي فى إقليم كشمير
بعد أحداث ١١ سبتمبر (٢٠٠١م)

استطاعت الهند استغلال أحداث سبتمبر بشكل جيد فى صراعها مع باكستان، فبعد أن وافقت الحكومة الباكستانية على أن تسهل للأمريكان دخول أفغانستان عبر حدودها أعلنت الحكومة الهندية هي الأخرى أنها على استعداد كامل للتعاون مع الولايات المتحدة في حربها ضد الإرهاب ، وأنها - أى الهند - تتعرض لخطر الجماعات الإسلامية المتطرفة في إقليم كشمير ، حيث تقوم هذه الجماعات بخطف واغتيال أفراد الجيش الهندي الذين يحافظون على الأمن داخل الولاية.

وفي السابق كانت مثل هذه الأحداث نظرا لتكرارها المستمر لا تسترعى مجرد لفت النظر إليها ، ولكن بعد أحداث ١١ سبتمبر في الولايات المتحدة لم يعد الأمر مجرد لفت النظر فقط ، بل ردود فعل سريعة ومواقف رادعة وجيوش تتحرك هنا وهناك ، وقرارات دولية وتسهيلات من كافة دول العالم في حرب أمريكا على الإرهاب والخيار الأمريكى المعلن صراحة إما مع الإرهاب وإما ضد الإرهاب، ولعل استفادة باكستان من الحرب على أفغانستان كانت محدودة بينما الهند كانت أكثر حرصا على الاستفادة الكاملة من هذه الأحداث وذلك من خلال عدد من الإجراءات أهمها:

١- توطيد العلاقة بين الهند واللوبي الصهيوني:

أقامت الحكومة الهندية ومنذ زمن بعيد علاقات اقتصادية وسياسية مع إسرائيل ، حتى في المجالات العسكرية والمساعدة في البرنامج النووي وتطويره في نيودلهي ، حتى إن أكثر من (٢٠٠٠) جندي إسرائيلى يقومون بتدريب وحدات من الجيش الهندي لمواجهة الإرهاب الإسلامى في الهند وكشمير ، كما كان من ثمار هذا التقارب في المصالح الهندية - الإسرائيلية أثره الواضح في تبنى اللوبي اليهودي (ايباك) في الولايات المتحدة وجهة النظر الهندية في حقها في إقليم كشمير وتصفية الحركات الإسلامية في الهند والقضاء عليها (٥٣) .

ويبدو أن إسرائيل تنظر هى الأخرى إلى القنبلة النووية الباكستانية، وتطوير برنامج التسليح النووي الباكستاني بنظرة تتضمن شكوك واسعة ، فاللوبي الصهيوني بأمريكا يعد أول من أطلق على القنبلة النووية الباكستانية بأنها :"القنبلة الإسلامية " التي تنوى بها باكستان عودة الأراضى الإسلامية من أيدي اليهود إلى المسلمين ، ومن هنا فإن المصالح تكاد تتشابه بين الهند وإسرائيل من أن كلا الدولتين تكره باكستان وتتمنى زوالها ، وتدمير ما تمتلكه من أسلحة ذرية وبيولوجية لأن هذا كما يعتقدون ويتصورون يمثل خطرا على أصحاب الديانات والمعتقدات الأخرى مثل اليهودية والهندوسية والمسيحية والبوذية والكونفوشسية والزرادشتية. -

٢- التوحد مع محاربة الإرهاب :

بعد التفجيرات الأمريكية لم يكن مطروحا على مائدة الاتهام سوى جماعة أسامة ابن لادن أو تنظيم القاعدة الذي كان يتلقى تدريباته في أفغانستان ، ويمول من جهات عديدة ودول إسلامية لها صداقات وعلاقات اقتصادية ودبلوماسية مع الولايات المتحدة، وعندما أعلنت الولايات المتحدة عزمها إعلان الحرب على الإرهاب في دول العالم، أسرعت الهند لتضع حركة المجاهدين في كشمير على قائمة الجماعات الإرهابية التي تتلقى تمويلا من باكستان لمحاربة التواجد الهندي في الإقليم.

واستطاعت الولايات المتحدة أن تصدر العديد من القرارات المتتالية إزاء الصدمة الموجعة التي أفقدتها تركيزها من تنظيم القاعدة بعد تدمير سفارتيها بنيروبي ودار السلام في عام (١٩٩٨م) ، تنص هذه القرارات على محاربة الإرهاب والقيام بالعمليات العسكرية ضد الدول التي تؤوى الجماعات الإرهابية و الدول التي تساند وتدعم هذه الجماعات ، وحاولت الهند وعبر أصدقائها في منظمة (ايباك اليهودية) وضع باكستان على قائمة الدول التي ترعى الإرهاب وتموله ، ووضع جماعات المقاومة الإسلامية بإقليم كشمير من ضمن الجماعات الإرهابية التي تقوم بعمليات تخريبية ضد المصالح الهندية في الهند وكشمير، وقد نجحت الهند في ذلك وظهر أثر ذلك عندما طالب الرئيس بوش من برويز مشرف وقف دعم بلاده للجماعات الإرهابية في كشمير ، ومنع تسلل العناصر الإسلامية المتطرفة إلى الإقليم عبر الحدود مع باكستان.

٣- تصفية الجماعات الإسلامية في أفغانستان:

عندما أعلنت المخابرات المركزية الأمريكية أن الجماعات المتطرفة وعناصر تنظيم القاعدة تتلقى تدريباتها في أفغانستان على يد أسامة بن لادن ، المنشق السعودي المتطرف على حد قول المخابرات الأمريكية اعتقدت الهند كما اعتقدت معظم الدول الأوربية أن كل الجماعات الإسلامية المتطرفة في العالم ، يقوم بتمويلها "أسامة بن لادن"، وأن حركة المجاهدين في كشمير امتداد طبيعي لخلايا " أسامة بن لادن " حيث توجد لديهم الخبرة العسكرية في المراوغة والهجوم على الدوريات الهندية في الإقليم، وينفذون خططهم بإتقان ، بل اعتقدت الهند أيضا أن " أسامة بن لادن " يساعد حركة المقاومة الإسلامية في كشمير بالمال والسلاح عبر باكستان ، ومن هنا كانت الحكومة الهندية من الدول الأولى في وضع كل معلوماتها الاستخباراتية عن الجماعات الإرهابية تحت أيدي المخابرات الأمريكية، بما فيها المعلومات التي تثبت تورط حكومة باكستان في دعمها للجماعات الإرهابية ، ومساندتها لحركة المجاهدين في كشمير ، إلا أن حرب الولايات المتحدة على أفغانستان لم تحقق الهدف الكامل من ثم تصفية معظم الخلايا التدريبية لتنظيم القاعدة، حيث ما تزال هناك العديد من العناصر تقاوم وتدافع عن بعض المناطق الأفغانية.

٤- حكومة أفغانستان الأمريكية :

لم تكن حكومة طالبان على علاقة جيدة بالهند نظرا لما تقوم به الهند من طرد وتشريد وإبادة واضطهاد وعنف ضد مسلمي كشمير، ولم يكن هناك أى خطوط أو نقاط للتفاهم بينهما، وبزوال حكومة طالبان والقضاء عليها أسرعت الحكومة الهندية بفتح صفحة جديدة من العلاقات مع أفغانستان مثلما كانت في عهد " ظاهر شاه " الحاكم الأسبق لأفغانستان، وتمثل هذه العلاقة أهمية كبرى للهند إذا ما تم التحالف مع أفغانستان من منطلق الضغط على باكستان من جهة حدودها الغربية.

وكان في مقابل الأهداف التي استطاعت الهند تحقيقها في أعقاب ١١ سبتمبر أن استطاعت باكستان إفشال بعض السياسات التي نجحت فيها الهند والتي كان من أهمها أنها وضعت كل مجالها الأرضي والجوى في خدمة المصالح الأمريكية وفتحت حدودها للهجوم على تنظيم القاعدة وحركة طالبان من أراضيها، ثم قام "برويز مشرف" رئيس باكستان بالإعلان صراحة عن تحالفه مع أمريكا في حربها ضد الإرهاب حتى يتسنى له بعد الحرب المطالبة بحق بلاده في إقليم كشمير.

ثم تأتي مسألة العامل القبلي ليلعب دوراً مهماً في العلاقات بين باكستان وأفغانستان باعتبار أن هناك علاقات نسب ورابطة عقيدة تجمع الدولتين، فضلا عن المصالح والتجارية والحدودية المشتركة ومهما كانت طبيعة العلاقات بين الهند وحكومة أفغانستان ، فإنها لا ترتقي بأي حال من الأحوال لطبيعة العلاقة بين أفغانستان وباكستان.

أما اتهام باكستان بأنها من الدول الراعية للإرهاب و الجماعات المتطرفة فقد طالبت حكومة باكستان الولايات المتحدة التفرقة بين المقاومة المشروعة ضد الاحتلال وبين الجماعات التخريبية التي ليس لها مصلحة إلا إحداث القلق وإثارة الفتنة بين الشعوب، وأن الشعب الكشميري صدر له قرارين في السابق بحقه في تقرير مصيره وأن حكومة الهند ترفض إجراء الاستفتاء المشروط لمنح الاستقلال للإقليم ، باعتبار أن الإقليم ذات أغلبية مسلمة وأن الاستفتاء سيكون لصالح انضمامها لباكستان.

وأخيرا يمكن القول أن الأقلية المسلمة في شبه القارة الهندية رغم العدد الضخم الذي تمثله إلا أن هذا العدد ليس له قوة التأثير المطلوبة على صناع القرار في الهند ، فما يزال الاضطهاد للمسلمين مستمر والتوغل العسكري الهندي في كشمير أيضا مستمر، وما يزال الوضع بين باكستان والهند متأزم بين الطرفين وعلى صفيح ساخن ، نظراً للعنصر النووي والأسلحة غير التقليدية التي سيتم استخدامها إن قامت الحرب بين البلدين بشأن إقليم كشمير .

هوامش الفصل الرابع

(١) صابر طعيمة : محنة الأقليات الإسلامية والواجب نحوها، مرجع سابق، ص١٤٤.

(٢) حسين مؤنس : أطلس تاريخ الإسلام، مرجع سابق ، ص٢٤٧ .

(٣) نور عالم خليل : المسلمون في الهند (القاهرة : دار الصحوة، ١٩٨٨م) ص١٥٠.

(٤) محمد حسان خان : الإسلام في الهند (الإمارات : منار الإسلام، العدد العاشر، مارس ١٩٩٣م) ص١٠٤ .

(٥) أبو الحسن الندوى : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين (المنصورة : مكتبة الإيمان ١٩٩٥م) ص١١٧ .

(٦) حسين مؤنس : أطلس تاريخ الإسلام، مرجع سابق ص١٢ .

(٧) كاى حافظ: الإسلام والغرب، مرجع سابق ، ص٢٨١ .

(٨) حسين مؤنس : أطلس تاريخ الإسلام، مرجع سابق ، ص ٤٥.

(٩) الإسلام في الهند (القاهرة: مجلة الأزهر، عدد يونيو، ١٩٩١م ، ص ١٢٣ .

(١٠) محمد حسان خان : الإسلام في الهند، مرجع سابق ص١٠٢، ١٠٣.

(١١) كاى حافظ : الإسلام والغرب، مرجع سابق ، ص١٤٢.

(١٢) السيد حسن جلال : تاريخ الشعوب الإسلامية، مرجع سابق ، ص١١٠.

(١٣) الموسوعة الميسرة في المذاهب والأديان (الندوة العالمية ، مرجع سابق) ص٣٠٣ - ٣١١.

(١٤) ممدوح الشيخ : المسلمون ومؤامرات الإبادة ، مرجع سابق،ص٣٧ .

(١٥) عبد الفتاح سعد : الإسلام في الهند (منار الإسلام: العدد السابع، يناير ١٩٩٣) ص٦٥ .

(١٦) المسلمون في الهند (مجلة الأزهر: عدد يونيو ١٩٩١م) ص١٢٣.

(١٧) الإسلام في الهند (منار الإسلام: عدد يوليو، ١٩٨٧م) ص ٥١، ٥٢ .

(١٨) قصة الأحوال الشخصية في الهند، مرجع سابق ، ص٦٠.

(١٩) الإسلام في الهند(منار الإسلام: العدد السابع، ديسمبر ١٩٩٤م) ص١٢٩ .

(٢٠) الإسلام في الهند، المرجع السابق ص٥٥ .

(٢١) عبد الفتاح سعد : الإسلام في الهند، مرجع سابق ، ص٦٥، ٦٦.

(٢٢) قصة كشمير (مجلة كشمير: العدد ٤٧، ١٩٩٦م) ص٢٠ .

(٢٣) مجدي الداغر : أحوال المسلمين في العالم، حوار صحفي منشور مع الشيخ محمد حسان : نشر بجريدة الأحرار عدده/١٩٩٩/٤، ص٩ .

(٢٤) السيد حسن جلال : تاريخ الشعوب الإسلامية، مرجع سابق ، ص١١٦ .

(٢٥) كاى حافظ : الإسلام والغرب، مرجع سابق ، ص٢٠١ .

(٢٦) الإسلام والغرب، مرجع سابق ،ص ٢٠٢ .

(٢٧) المرجع السابق ،ص٢٠٤.

(٢٨) بشير عبد الفتاح : الهند وباكستان صراع متجدد(القاهرة : مجلة السياسة الدولية ، عدد١٤٩ يوليو ٢٠٠٢م) ص ١٤٨- ١٥١ .

(٢٩) عبد الغني سعودي : الجغرافيا السياسية المعاصرة، مرجع سابق ، ص١٧٢ .

(٣٠) بشير عبد الفتاح : الهند وباكستان ، السياسة الدولية ، مرجع سابق ، ص ١٥٢ .

(٣١) حسين مؤنس : أطلس تاريخ الإسلام، مرجع سابق ، ص ٢٤٠ - ٢٤٨ .

(٣٢) د.ن.سران : الثقافة المركبة في جامو وكشمير (صوت الشرق، السفارة الهندية في القاهرة عدد(٤١٢) ١٩٩٩م) ص ١٠.

(٣٣) الإرهاب في كشمير : مجلة صوت الشرق، مرجع سابق ، ص٢٩ .

(٣٤) عبد المنعم عبد الوهاب : جغرافية العلاقات السياسية(الكويت : مؤسسة الوحدة، ١٩٩٧م) ص٤٤٥.

(٣٥) محمود شاكر : باكستان (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٧٢م) ص٤٢.

(٣٦) أليف الدين الترابي : الإسلام في كشمير (مجلة كشمير ،عدد أبريـــل ١٩٩٩م) ص٣٠.

(٣٧) القصـــة الكاملة لأزمـــة كشمير ، مجلة صـــوت الشـــرق ، مرجع ســـابق ، ص٣ .

(٣٨) أليف الدين الترابي : الموقف الدولي من كشمير (مجلة كشمير: عـــدد مـــارس ١٩٩٥م) ص٤.

(٣٩) صلاح الصاوي : جغرافية العالم الإسلامى (الإسكندرية : منشـــأة المعـــارف ١٩٩٣م) ص٥١٧ .

(٤٠) قصة كشمير (باكستان : مجلة كشمير، عدد مارس ١٩٩٩م) ص٩.

(٤١) أليف الدين الترابي : الصواريخ الهندية وتهديد العالم الإسلامى (مجلة كشـــمير: عدد مارس ١٩٩٦م) ص ٤ .

(٤٢) مجلة الوعي الإسلامي:الكويت ، عدد نوفمبر، ١٩٩٥م) ص ٥٧ .

(٤٣) صلاح الصاوي : جغرافية العالم الإسلامى ، مرجع سابق ، ص٥١٧.

(٤٤) أليـــف الدين الترابي : مأساة كشمير (مجلة كشمير، عـــدد أبريـــل ١٩٩٩م) ص٣٠.

(٤٥) محمد صلاح الدين : ديمقراطية الهند في كشمير (مجلة كشمير، مرجع سابق ، ص١٥) .

(٤٦) أليف الدين الترابي : العجز الدولي في كشمير (مجلة كشمير، عـــدد ســـبتمبر ١٩٩٨م) ص٣٠.

(٤٧) موقف الهند من كشمير (مجلة كشمير، عدد أبريل ١٩٩٧م) ص٤.

(٤٨) سامر علاوى : كشمير على الخريطة الدولية (باكستان : مجلة كشمير، عدد " فبراير" ١٩٩٩م) ص٢٩.

(٤٩) أليف الدين الترابي : تلاعب الهند باتفاق لاهور (مجلة كشمير، عـــدد يونيـــو ١٩٩٢م) ص٥ .

(٥٠) سامر علاوى : الاستفزاز الهندي لباكستان (باكستان : مجلة كشمير، عـــدد أبريل ١٩٩٩م) ص٢٦.

(٥١) الاستفزاز الهندي لباكستان، مرجع سابق ، ص٢٧ .

(٥٢) أحداث كارجيل (مجلة كشمير، عدد يوليو ١٩٩٩م) ص٥ .

(٥٣) مصباح عبد الباقي : المسلمون في الغرب :إسلام أون لاين نـــت /مقـــالات/ ٢/١٠/ ٢٠٠١م .

الفصل الخامس

أوضاع الأقليات الإسلامية في الاتحاد السوفيتى القديم

قبل وبعد أحداث ١١ سبتمبر (٢٠٠١م)

الفصل الخامس
أوضاع الأقليات الإسلامية فى الاتحاد السوفيتى القديم
قبل وبعد أحداث ١١ سبتمبر (٢٠٠١م)
مدخـــل

تبدو معالجة وضع الأقليات والأغلبيات الإسلامية في جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق في إطار توقع ودراسة الخيارات المستقبلية أمرا خارجا عن نطاق الدراسة، باعتبار أن هذه الجمهوريات تضم أغلبيات مسلمة، إلا أن الصراع حول بحر قزوين من جانب الدول الكبرى مثل أمريكا وروسيا والصين ومحاولة احتواء روسيا والصين للتدخل الأمريكي في المنطقة دفع الولايات المتحدة لأن تعلن الحرب على الإرهاب وتكون البداية من الحرب على أفغانستان، وعقد المعاهدات والصفقات التجارية والعسكرية مع الدول ذات القوة المؤثرة في الاتحاد السوفيتي القديم مثل كازاخستان، وتركمانستان ، فالمنطقة تعد بؤرة صراع منذ القدم لأهميتها الإستراتيجية للدول الاستعمارية الكبرى.

كما كان لأحداث الحادي عشر من سبتمبر (٢٠٠١م) تأثير مباشر على وضع المسلمين في الاتحاد السوفيتي القديم وخاصة الدول التي تدخل في صراع قديم مع روسيا مثل الشيشان التي كانت وفق اتفاقية (١٩٩٨م) والتي عقدت بين " أصلان مسخادوف " رئيس الشيشان "وألكسندر ليبيد " مسئول المفاوضات الروسية أن تحصل الشيشان على استقلالها بنهاية عام (٢٠٠١م) ، إلا أن أحداث سبتمبر (٢٠٠١م) عطلت مشروع الاستقلال ، ووجدتها روسيا فرصة لإلغاء هذه الاتفاقية، في أعقاب التوجه العالمي لمحاربة الإرهاب ، وطالبت روسيا الأمم المتحدة وضع حركة المقاومة الإسلامية في الشيشان ضمن المنظمات الإرهابية التي كانت تتلقى أموالا من "أسامة بن لادن " زعيم تنظيم القاعدة.

الدين والدولة في روسيا :

تاريخيا لم تؤمن روسيا في بداياتها بدين أو عقيدة، وظلت على وثنيتها حتى نهاية القرن العاشر الميلادي، حيث لم تكن تسمع عن الأديان والعقائد السائدة فى ذاك

الوقت ، وذلك نظرا للعزلة التي كان يفرضها الأباطرة الروس على الشعوب التي تخضع لهم، وظلت روسيا هكذا حتى مجيء الإمبراطور "فلاديمير" الذي رأى أنه قد آن الأوان لأن يترك عبادة الأوثان ويبحث له عن دين جديد، فأخذ يتعرف على الأديان في الدول المجاورة ليختار منها ما يناسبه ويحقق له ذاته ، وقد رفض اليهودية باعتبار أن شعبها مشتت وليس له وطن بعد طرده من القدس ، وكذلك رفض الإسلام بزعم أن هذا الدين يحرم الخمر والعلاقات النسائية، كما لم يقبل المسيحية الكاثوليكية لأنها خالية من الجلال والخشوع ، وسيخضع فيها لسلطة الكنيسة، وأعجبته الأرثوذكسية نظرا لروعة ملابس القساوسة ورائحة البخور ، وارتضاها دينا له في عام (٩٨٨م) ميلادية، وفي إطار نشره لهذا الدين الجديد من وجهة نظره أصدر مرسوما يقضي بأن يذعن الروس كافة للديانة المسيحية والكنيسة القسطنطينية(١) .

والثابت تاريخيا أن دخول الإسلام آسيا الوسطي وشمال القفقاس يعود إلى القرن السابع الميلادي، وذلك إبان العهد الأموي وعقب فتح إيران عام (٣١هـ) أرسل "معاوية بن أبي سفيان " أحد قواده ويدعى " قيس بن الهيثم " الذي تولى ولاية خراسان(٢) ، ويذكر أن أهل " بادغيس وهراه وبلخ " قد نقضوا العهد الذي كان بينهم وبين المسلمين زمن خلافة " عثمان بن عفان "، فصار إلى بلخ وخرب معابدها وعاد أهلها يطلبون صلحا جديدا مع المسلمين بالشروط التي يراها "قيس بن الهيثم" .

ثم قامت جماعة من التجار المسلمين على نشر الإسلام في منطقة آسيا الوسطي وبلاد القفقاس، عندما طلبوا من الخليفة العباسي المقتدر أن يرسل إليهم من يعلمهم الدين الإسلامي، فأرسل إليهم وفدا على رأسهم "ابن فضلان" الذي كتب رسالة عرفت باسمه "رسالة ابن فضلان" واصفا فيها طبائع وسلوكيات هذه الدول عند معرفتهم بالإسلام لأول مرة.

والمسلمون في بلاد الاتحاد السوفيتي القديم، سواء في جمهوريات آسيا الوسطي وما وراء النهر، أو حول الفولجا وبجوار الأورال في جمهوريات الحكم الذاتي التابعة لروسيا الاتحادية، أو في الجمهوريات المستقلة الأخرى مثل أوكرانيا وجورجيا وغيرهما ينقسمون إلى أنماط متعددة، فالفلاحون وكبار السن الذين يعيشون في وسط آسيا في أوزباكستان وقيرغيزستان وغيرهما من الجمهوريات هناك لا يزالون على حالهم من

تمسكهم القديم بتعاليم الدين، والمحافظة على الصلاة والصيام، وتزداد هـذه الظـاهرة وضوحا في تلك الأماكن الزراعية والجبلية، وأغلبهم ينتمون إلى الطرق الصوفية.

ومع ذلك لا نستطيع أن ننفي أن بعض المسلمين في الجمهوريات الإسلامية الروسية ما يزالون يصرون على تمسكهم بالإسلام، وهم لا يعلمون عنه شيئا، وكثيرا منهم يردد بالعربية : لا إله إلا الله محمد رسول الله، وهي غاية ما يعرفه عن الإسلام، بل إن بعضهم يشربون الخمر، ويمارسون الرذيلة وهم لا يعلمون أن الإسلام يرفض هذه السلوكيات بل يحرمها، ويعاقب من يرتكبها (٣) .

إن ساحة هؤلاء القوم من المسلمين القدامى في آسيا الوسطي تستقبل اليـوم غـير المسلمين، يقدمون لهم فكرا وثقافة مغايرة ويجذبونهم إلى أديـان ومعتقـدات شـتى فالمدارس ودور الحضانة النصرانية مفتوحة بدون تكلفة لأبنـاء المسـلمين، ويقـوم القساوسة بأنفسهم بالتدريس لهم لتربية جيل جديد يدين بالنصرانية من أبناء المسلمين، فما هو واجب المسلمين نحو هؤلاء إن كانوا يعرفون الواجب حقا؟

الاتحاد السوفيتي القديم :

يضم الاتحاد السوفيتي القديم (١٥) جمهورية منها (٦) جمهوريات يشكل المسلمون فيها الأغلبية من السكان هذا فضلا عن الأقاليم الملحقة بالجمهوريات الخمسة عشر، وطبقا لدستور الاتحـاد السوفيتـي القـديم والصادر عام (١٩٢٣م) ، والمعدل بقانون (١٩٣٦م) ثم تعديل (١٩٧٧م) تعد الجمهوريات الإسلامية (الاتحادية) التي ورثها الاتحاد السوفيتي عن الإمبراطورية القيصرية، وهي ست دول سبق الإشارة إليها، لها الحق في إدارة شؤونها المحلية مستقلة وتمتاز بأنها تضم قومية واحدة وأقليات من قوميات أخرى، كما أتاحت لها المادة (١٧) من دستور الاتحاد الحق في الانفصال دون التضييق عليها في ذلك.

أما الجمهـوريات المحكومة ذاتيا ضمـن جمهوريات روسيا الاتحادية فلا تملك حق الانفصال عـن الاتحاد مثـل غيرها، ولكنها تبعـث بمندوبين إلى مجلس القوميات للاتحاد السوفيتي ، وهي مستقلة في إدارة شؤونها الداخلية، وتساهم عن طريق ممثليها في إدارة شـؤون الجمهـوريات الاتحاديـة ، وتـزول سلطاتها أمام سلطات الجمهورية الاتحادية .

ويبلغ عدد المسلمين في جمهوريات الاتحاد السوفيتي القديم، أغلبيات وأقليات وفق إحصاءات عام (٢٠٠٠م) حوالي (٨٠) مليون مسلم، مما يؤكد حقيقة حجم التكتل الإسلامي الضخم في المنطقة، واستطاع المسلمون عبر حقب زمنية عديدة مقاومة عملية الترويس الرامية إلى نشر اللغة والثقافة الروسية، وإلغاء ما عداها من ثقافات، وكذلك مقاومة الروسنة والتي تقوم على تحويل غير الروسي من أبناء القوميات الأخرى- غير الروسية- إلى الروسية [٤] .

وما يحدث الآن في آسيا الوسطي وشمال القفقاس ما هو إلا تعبير بصوت عال عن الهوية الإسلامية التي اختفت لسنوات طويلة،والزيف التاريخي للأيديولوجيات التي كانت سائدة في تلك الدول وظن القائمون عليها أنها ستستمر أبد الدهر.

وينقسم المسلمون في الاتحاد السوفيتي القديم إلى عدة شعوب وقوميات وأجناس تجمعهم العقيدة الإسلامية، ومع أن انتشار المسلمين في دول الاتحاد السوفيتي السابق لا يشكل وحدة جغرافية متجانسة، إلا أنهم وقبل استيلاء البلاشفة على السلطة عام (١٩١٧م) كانوا يشكلون وحدة سياسية وحضارية متميزة تطورت عبر السنوات التي سبقت انهيار الإمبراطورية الروسية [٥] .

فالمسلمون الذين عاصروا تحول الإمبراطورية الروسية إلى اتحاد الجمهوريات الروسية من قازان في بامير، ومن سهول سيبيريا حتى نهر أراكس على الحدود الروسية التركية لم يكونوا يؤلفون كتلة متماسكة أو متجانسة، نظرا لقيام المسلمين في القفقاس وما وراء النهر بالتوسع في ضم أراضٍ جديدة للإسلام وانضمام جماعات كبيرة من مختلف الأجناس والأعراق، والأديان والثقافات إلى الإسلام.

وحتى بداية القرن العشرين — وعلى الرغم من طول الفترة الزمنية التي قضاها المسلمون في آسيا الوسطي وشمال القفقاس - لم يكن المسلمون الروس على درجة واحدة من التجانس، وهذا يرجع إلى بعد المناطق التي كان يسكنها المسلمون ، وانعزال بعضها عن بعض بجانب فقدان الوحدة العرقية واللغوية بين المسلمين هناك ، فالمسلمون الترك يمثلون ٧٥% من مجموع السكان و ٢٠% موزعة على إيراني آسيا الوسطي، وعلى القفقاس وما وراء القفقاس من أبخاز وشيشان وأنجوش وداغستان والكابارد، أما الـ ٥% الأخيرة فهي تشمل الأتراك المسيحين مثل قبائل غاغور في مولدافيا وتشوفاش في الفولجا، والياقوت والألتاى في سيبيريا [٦] .

وقد كان الاتحاد السوفيتي السابق ثمرة ثورة (١٩١٧م) ، والتي ظلت لمدة عقد من الزمان حتى أطاحت بالقيصر "نيقولا الثاني" ، وكان يطلق على المجموعات الثورية لقب السوفييت أي المجالس، وكان أساس هذا الاتحاد يقوم على أن تكون الأقاليم معا ما يشبه الائتلاف، وأن يكون لكل إقليم حريته، وبدأ الاتحاد يعلن عن نفسه رسميا في عام (١٩٢٢م) ، وأسرعت دول عديدة للانضمام إليه حتى أصبح عددها (١٦) جمهورية، إلا أنها أصبحت (١٥) جمهورية فقط عند انفكاك الاتحاد، وعرفت هذه الدول باسم الاتحاد السوفيتي Soviet union أو اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية Union of Socialist Soviet Republics .

وبمجرد سقوط الإمبراطورية الروسية عاد بعض القادة الثوار إلى روسيا، رغبة البحث عن دور يلعبونه في النظام الحاكم الجديد ، فعاد "لينين " من سويسرا، "وتورنسكي " من واشنطن "وستالين " من سيبيريا ، إلا أن "لينين" والمجموعة المؤيدة له استطاعت أن تتولى رئاسة الحكومة ، وتبنى الاتجاه الشيوعي في السلطة ثم خلفه "ستالين" الذي عرف عنه العنف والشدة ضد الأقليات المسلمة في الجمهوريات السوفيتية، إلا أنه وفي (٨ / ١٢ / ١٩٩١م) تم الإعلان رسميا عن انفصال الجمهوريات السوفيتية وذلك في مدينة برست بجمهورية بيلاروسيا من خلال بيان رسمي من الدول التي كانت نواته عند تشكيله عام (١٩٢٢م) والذي ضم روسيا، وبيلاروسيا وأوكرانيا، ويختفي ما كان يسمى بالاتحاد السوفيتي السابق .

الفتوحات الإسلامية في آسيا الوسطي ومنطقة شمال القفقاس

يذكر تاريخيا أن المسلمين قدموا إلى جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق في القرن الأول الهجري . وكانت البداية بفتح أردبيل حاضرة جمهورية أذربيجان عام (٢٢هـ) ، فبعد فتح إيران اتجهت الجيوش الإسلامية إلى بلاد ما وراء النهر وهو نهر "جيحون" أو ما يعرف حاليا بنهر أموداريا، حيث توغلت الشعوب التركية داخل آسيا الوسطي لبلاد القفقاس وبعض أجزاء من الصين، واستولى المسلمون على بيكند وبخاري عام (٥٤ هـ) الواقعة حاليا في أوزباكستان، واستكملوا فتوحاتهم فاستولوا على ترمذ في جنوب أوزباكستان (٦٥هـ) ثم سيطر " قتيبة بن مسلم " على كل طخارستان عام (٨٦م) ، وتضم شمال أفغانستان وجنوب أوزباكستان وطاجيكستان الحالية [٧] .

إلا أنه وفي عام (٩٠هـ) تم فتح بخارى وإقليمها ثم استكمل " قتيبة بن مسلم " فتح ما تبقى من سجستان إلى الجنوب من هراه، أو هيرات الواقعة حاليا في الأراضي الأفغانية، وواصلت الجيوش الإسلامية فتوحاتها حتى تم فتح سمرقند إلى الشرق من بخارى - أوزباكستان الحالية - واتجهوا غربا وفتحوا خوارزم ، وهو الإقليم المحيط ببحيرة خوارزم أو بحرالأورال ، ويضم حاليا أجزاء من أوزباكستان وجنوب كازاخستان وشمال تركمانستان في عام (٩٦هـ) [٨] .

ثم أعاد قتيبة فتح حوض نهر سيحون أو سيرداريا حاليا بما فيه من مدن، ووصل إلى مدينة فرغانة الواقعة شرق أوزباكستان، وفي نفس العام تم فتح أجزاء من الصين ودخل الإسلام أرض تركستان الشرقية التي تعد إحدى مقاطعات الصين حاليا، وحدثت مواجهات عنيفة بين الإسلام والروس الذين كانوا يعتنقون المسيحية واتجهوا نحو الأراضي الإسلامية من منتصف القرن الـ (١٦) عندما عزمت روسيا على أن توجد لها منفذا إلى المناطق الدافئة، واعتبرت روسيا أن مدخلها الطبيعي المناطق الإسلامية في القفقاس أو في آسيا الوسطي.

وبدأ الروس بعد حالة الضعف التي كانت قد أصابت الدولة الإسلامية بالاستيلاء على استراخان عام (١٥٥٦م) على يد جيش القيصر الروسي " إيفان الرهيب" إلا

أن هذا الجيش ورغم كثرته العددية وتسليحه الجيد لم يتمكن من السيطرة الكاملة على شمال القفقاس خلال القرن الــ (١٧) واستمرت روسيا في حروب طاحنة مع أهالي القفقاس والقرم والأتراك وحالت هذه المقاومة دون توغل القوات الروسية إلى هذه المناطق.

ويلاحظ أن هذه الفترة من (١٦٠٤) وحتى (١٧٨٣م) اتسمت بحالة من الهدوء النسبي بين الروس وأهالي القفقاس المسلمين وكان لذلك أسبابه نظرا لانشغال روسيا بالحروب الأوربية، كما أنهم لم يتمكنوا من مواجهة إيران التي أحكمت سيطرتها على شمال القفقاس[٩].

وعندما كان عام (١٨٨٣م) بدأت روسيا تأخذ مرحلة جديدة من الحرب للاستيلاء على بلاد القفقاس ، واستطاعت السيطرة على إمارة القرم ، وعسق ، ومع أن الروس استطاعوا تحقيق مكاسب من الحرب، إلا أن المقاومة التي واجهتها روسيا في منطقة القفقاس كلفتها الكثير، حيث بدأت حركة الجهاد الإسلامي في شمال القفقاس بقيادة الشيخ منصور وهو أحد الشيشانيين المتصوفين ، وتمكن خلال الفترة من (١٧٨٥ — ١٧٩١م) من توحيد حركة المقاومة في بلاد القفقاس ضد الروس ، حتى استاءت روسيا مـــن مقاومته وقررت القبض عليه باعتباره أنه أحد الذين يثيرون الفتنة والثورة ضد الروس ، وتم سجنه وتوفى في السجن عام (١٧٩٣م) .

وتعاقبت الثورات ضد الروس الواحدة تلو الأخرى، ولكن عبر مجموعات من أتباع الطرق الصوفية كالنقشبندية، والقادرية، وكان أبرز حركات المقاومة ثورات الشيخ شامـــل (١٧٩٧ — ١٨٧١م) التي استمـــرت أكثر من (٢٥) عاما، استطاع خلالها أن يوحـــد صفوف المسلمين فـــي الشيشان ، ثم أعلن استقلال داغستان عن روسيا عام (١٨٣٢م) .

ولما فشلت القوات الروسية من القضاء عليه وهزيمة قواته ، لجؤوا إلى المـــؤامرات والدسائس داخل صفوفه، إلا أنه كان يفلت في كل مرة ، ويظل في مقاومتـــه رغـــم الأسلحة البدائية التي تملكها قواته ، من سيوف وعصي ، مقابل السلاح المتطور الذي في أيدي الجيوش الروسية كثيرة العدد.

ونظرا لطول المقاومة ومحاصرة قواته من قبل الجيش الروسي وعدم وصول أية إمدادات إغاثية له، بدأت روسيا تشعر بأنها بالفعل انتصرت على الشيخ شامل ، بل إنها غارت على القلعة - موطن إقامته - والتي كانت تعد مركزا لعملياته العسكرية ضد الروس وهي قلعة (فيدنيو) ولكن لم تتمكن القوات الروسية من القبض عليه، ولجأ إلى الجبال بعد أن تخلى عنه بعض جنود جيشه، و لم يجد الشيخ شامل أمامه إلا الاستسلام بعد أن أتعبه المرض، و لم يعد باستطاعته أن يوحد الصفوف من جديد لمقاومة الروس، وقامت روسيا بنفيه إلى كالوغا، وهي منطقة تقع في جنوب موسكو، وبعد شهور من نفية طلب من القيادة الروسية السماح له بالذهاب للأراضي المقدسة لأداء فريضة الحج، وتم السماح بأداء الفريضة ثم العودة وتوفى عام (١٨٩١م)[١٠] .

ورغم ذلك لم تتوقف حركة المقاومة في شمال القفقاس برحيل الشيخ شامل وبتسريح معظم فصائل جيشه ، وإنما ظهرت الطريقة القادرية لتحمل هى راية المقاومة بعد الشيخ شامل وطريقته النقشبندية ، وقاموا بدور كبير في منع توغل الروس داخل الأراضي الإسلامية ، وأزعجت الطريقة القادرية الروس بعد ثورات الشيخ " كونتا حاجي كاشف" وهو شيشاني الأصل وتمثل الفترة من (١٨٦٢ وحتى ١٨٦٥م) أعنف مرحلة تاريخية في تاريخ المقاومة القادرية[١١] .

ولما لم تتمكن القوات الروسية من إيقاف حركات المقاومة التي يشنها أتباع الشيخ كونتا، قاموا باعتقاله ،فانفجرت المظاهرات ضد الروس للإفراج عنه وحدثت مصادمات عنيفة بين أتباعه والقوات الروسية خلفت وراءها عددا كبيرا من القتلى والمصابين بلغ أكثر من (٢٠٠) قتيل وأكثر من ألفى مصاب في يوم واحد.

وبالقضاء على ثورة الشيخ " كونتا " وجد الروس أمامهم الطريق ممهدا للتوغل في المناطق التي لم يتمكنوا من السيطرة عليها بسبب المقاومة، وسقطت مدينة تركستان وطشقند، إلا أنهم عندما دخلوا بخارى ونظرا لطبيعتها ومكانتها الدينية أعلنوا احترامهم للدين الإسلامي، والمقدسات الإسلامية، وأعفوا المسلمين من الخدمة في الجيش الروسي، وأعفوهم من الضرائب المفروضة لمدة عام[١٢] .

ولعل روسيا لم تنتهج هذه السياسة و لم تفعل ذلك في بخارى اعتباطا دون أن يكون هناك مغزى من وراء ذلك، لعل أبرزها:

- إن بخاري تتمتع بقدرة عسكرية كبيرة، وأنها بهذه الإمكانات تستطيع المقاومة لسنوات طويلة دون سقوطها ، وتصبح روسيا هي الخاسرة لو أقدمت على شن حرب ضدها .
- أن بخارى تضم عددا كبيرا من الإدارات الدينية ، وأنها تتمتع باحترام ديني وسط مدن آسيا الوسطي وشمال القفقاس ، وبالتالي فإن إثارة العامل الديني من شأنه أن يسبب قلقا للروس ليس في بخارى فحسب، بل في معظم المناطق التي صارت تحت السيطرة الروسية.

تنصير المسلمين فى روسيا :

اتسم موقف الروس إزاء الدين الإسلامي من البداية بعداء واضح وصريح، فهم بمجرد أن سيطروا على قازان واستراخان قاموا بفرض سياسة التنصير على المسلمين بالقوة بداية عام (١٥٥٥م)، واستطاعت هذه الحملات أن تحقق نجاحا وإن كان ظاهريا، إلا أن مئات الأسر - تفاديا للإيذاء – أعلنوا نصرانيتهم وإن كان بعضهم احتفظ بإسلامه وكتمه في قلبه لسنوات طويلة وربما مات بعضهم ويعتقد من حولهم بأنهم ماتوا وهم على غير دين الإسلام وربما دفنوا فى مقابر المسيحيين.

وفي عهد القياصرة الثلاثة الأوائل من أسرة "رومانوف" ، لم يهتموا كثيرا بعملية التنصير، وأفسحوا المجال واسعا أمام الجميع في معتقداتهم ، فالكل يعتقد فيما يهواه ويميل إليه قلبه، إلا أن ذلك لم يستمر طويلا، وعاد بأعنف حالاته في عهد "بطرس الأكبر" ، فأغلقت المدارس والمساجد والكتاتيب، حتى إن الروس استطاعوا في عهد "بطرس الأكبر " هدم (٤١٧) مسجدا من جملة (٥٣٦) مسجدا كانت في قازان، وأسرعوا في إقامة عشرات الكنائس والمدارس التبشيرية مكانها، وأجبروا أبناء المسلمين على التعليم في هذه المدارس، بل والصلاة في الكنائس الملحقة بها، حتى يتربى أبناء المسلمين على النصرانية من خلال المقررات الدراسية، وتكليف القساوسة بالتدريس بالمدارس والصلاة بهم في الكنيسة، وإظهار أن الدين المسيحي هو الدين الذي رتضاه الله لجميع البشر [١٣] .

ولم تكتف الحكومة الروسية بإبادة وتدمير كل مظهر من مظاهر الإسلام في قازان، بل راحت تصادر أموال المسلمين الخاصة وكذلك أوقاف المؤسسات والهيئات الخيرية

التي كانت تتولى جمع الزكاة وتوزيعها على ذوي الحاجة من أبناء المسلمين ، وكان من نتائج هذه المرحلة ارتداد أسر كثيرة عن الإسلام ، ومر المسلمون آنذاك بمحنة شديدة الصعوبة كان لها عواقبها في تاريخ المسلمين في الجمهوريات الروسية ، أعلن أكثر من (٥٠٠) ألف مسلم نصرانيتهم والدخول في المسيحية.

ورغم المعاناة التي صادفها المسلمون في روسيا زمن حكم "بطرس الأكبر" إلا أن "كاترين الثانية" لم تستخدم طابع العنف ضد المسلمين ، ولا حتى سياسة التنصير الإجبارية التي اتبعها "بطرس الأكبر" بل راحت تأخذ سياسة اللين في علاقتها معهم، حتى إن "كاترين الثانية " أعادت فتح المساجد التي كانت مغلقة في العهد السابق، وقامت بإنشاء الإدارات الدينية للمسلمين والتي يتولاها مفتي مسلم يرجع إليه المسلمون في مختلف أمورهم، ورغم أنها كانت تدين بالمسيحية فقد أصدرت قرارا بإغلاق المدارس التي تشجع على تنصير المسلمين بالقوة، ورصدت أموالا ضخمة من ميزانية الإمبراطورية لبناء العديد من المساجد وترميم المنهار منها أو التي أصابها الدمار خلال فترة حكم "بطرس الأكبر"، والملاحظ أن "كاترين الثانية " لم يكن لها غرض واضح من جراء هذه السياسة إلا كسب تعاطف المسلمين من ناحية، واستقرار حكمها دون قلق أو اضطرابات من ناحية أخرى.

أما في عهد " إسكندر الثاني" فقد اختلفت سياسته عن "كاترين الثانية" مع أنه أظهر في بعض جوانبها بعض التعاطف مع المسلمين والعقيدة التي يؤمنون بها، وتبنى نشر الثقافة المسيحية دون عنف أو فرضها بالقوة وعهد في ذلك إلى أحد القساوسة المشهورين ويدعى "نيقولا المنسكي"، فى إقامة سلسلة مدارس تكون خاصة بالمسلمين الذين ارتدوا عن الإسلام من التتر، وأن تدرس فيها العلوم باللغة التترية وتهدف إلى إيجاد نخبة مثقفة من المتنصرين من المسلمين وتدريبهم وتأهيلهم لتنصير إخوانهم المسلمين، والقيام بعمليات التبشير في وسط التجمعات الإسلامية في قازان واستراخان والقفقاس[١٤] .

ثورات المسلمين ضد الاحتلال الروسي:

في مطلع القرن العشرين لم يكن حال المسلمين بأفضل من سابقه، وبدأ المسلمون يشعرون في آسيا الوسطي بوطأة الاستعمار الروسي بعد السياسة الروسية الجديدة التي تهدف إلى استيطان الروس بلاد المسلمين، ونشر الثقافة الروسية بالقوة بينهم، إلا أن

هزيمة الروس أمام الجيش الياباني عام (١٩٠٤م) دفعت مسلمي آسيا الوسطي إلى القيام بثورة (١٩٠٥م) ضد حركات الاستيطان الروسي والمستوطنين الروس على حد سواء، إلا أن القوات الروسية استطاعت بعنف إخماد الثورة، وعاد المسلمون ينتظرون الأمل مرة أخرى في الاستقلال والحصول على حريتهم داخل أراضيهم التي اغتصبها منهم المستوطنون الروس[١٥].

وعاقبت الحكومة الروسية المسلمين على تظاهرهم بزيادة معدلات الاستيطان في مناطق المسلمين مع زيادة الترويس بنشر الفكر والثقافة واللغة الروسية بالقوة ، بجانب زيادة الضرائب على المسلمين وحدهم بمقدار الضعف، بل أعلنت الحكومة الروسية - لأول مرة - خضوع المسلمين للخدمة العسكرية مثلهم مثل الروس ، ويكونون هم طليعة الجيش الروسي في الحروب التي تخوضها روسيا مع أعدائها خارج أراضيها.

ومع كل هذا الاضطهاد والشعور بالظلم، لم تمنع هذه السياسة مسلمي آسيا الوسطي والقفقاس من القيام بثورة أخرى ضد القرارات الروسية المتعسفة، ففي عام (١٩١٦م) انطلقت مظاهرة حاشدة من أوزباكستان ثم انتقلت إلى خوقند مرورا بفرغانة وقيرغيزيا وقازان وأوكرانيا، واندفعت روسيا لمواجهة هذا الكم الضخم من المظاهرات فأحرقت المساجد، وبيوت المسلمين، وأطلقت نيران مدفعيتها على كل من تظهر ملامح وجهه بأنه مسلم، وراحوا يغتصبون كل فتاة محجبة، بل قاموا برصد الأطفال وهم خارجون من الكتاتيب وأبادوهم بإطلاق الرصاص عليهم بما فيهم الشيوخ وأئمة المساجد ، وقتل خلال هذة الحملة أكثر من (٥) آلاف مسلم[١٦] .

ونستطيع مما سبق القول : إن المسلمين في آسيا الوسطي والقفقاس والأقليات الإسلامية في روسيا وسيبيريا قد مروا بفترات تاريخية عصيبة ومظلمة ، عاشوا خلالها ثلاث مآسٍ متتالية :

الأولى: وتمتد من القرن (١٦) وحتى قيام الثورة البلشفية في مطلع القرن العشرين، وفي هذه الفترة عاني المسلمون في روسيا خلالها أشد أنواع الاضطهاد والعنف ، واهتمت الحكومة القيصرية بتنصير أبناء المسلمين بالإجبار، وتحويل العديد من المساجد إلى

كنائس، وبعضها الآخر إلى إسطبلات للخيول والماعز والأغنام، هذا بجانب مئات المساجد التي تم هدمها لمحو أية أثر للإسلام من هذه المنطقة (١٧) .

الثانية: وتبدأ من عام (١٩١٧م) وحتى (١٩٨٥م) أي المرحلة التي تقع بين إعلاء الشيوعية وتولي "ميخائيل جورباتشوف" رئاسة الاتحاد السوفيتي ، وتمثل هذه الفترة أقسى الفترات التي مر بها المسلمون في تاريخهم الحديث والمعاصر، فقد تعرضوا لعمليات تصفية وعداء تضافرت فيها الأحقاد الدينية والعرقية القديمة مع الأيديولوجية الشيوعية الإلحادية المعادية للأديان السماوية عموما ، والإسلام على وجه التحديد ، مع أن "ماركس" كان قد أعلن في بداياته كرهه للروس وأسلوب تعاملاتهم مع الأجناس الأخرى ، بل إنه تعاطف مع الدولة العثمانية الإسلامية في حربها مع روسيا.

كما نجح " لينين " في كسب المسلمين إلى جانبه في الفترة من (١٩١٨م – ١٩٢٢م) ، ولم تكن سياسة "لينين" هي التعاطف الصريح مع الإسلام وإنما كان لذلك مغزاه، حيث اتخذهم "لينين" معاونين له على أعدائه من المعارضين لحكم البلاشفة بجانب أن المسلمين كانوا يمثلون قوة لا يستهان بها، وضم المسلمين إلى الجيش الأحمر يزيد من قوته ويضعف من قوات خصمه – الجيش الأبيض – لذلك عاش المسلمون على وعود "لينين" التي لم تتحقق ، ونجحت سياسة "لينين" في إخضاع المسلمين لسلطاته، واستخدامهم ضد أعدائه إلا أن ذلك لم يدم طويلا ، فعندما استقرت الأوضاع للشيوعيين بدؤوا يتجهون إلى تصفية من كان حليفهم بالأمس من المسلمين.

الثالثة: وتمتد من نهاية الثمانينات (بداية البيروسترويكا) أو سياسة إعادة البناء التي أعلن عنها "جورباتشوف" وفيها شعر المسلمون –لأول مرة– بزوال الشيوعية التي امتصت دماءهم وأبادت الملايين منهم على مدار سبعين عاما من العنف والاضطهاد والطرد والإبادة، وسمح لهم بممارسة شعائرهم التعبدية، وأعيد بناء المساجد والمدارس الإسلامية وتم ترجمة القرآن الكريم للغة الروسية، وعشرات اللهجات السائدة في آسيا الوسطي وسيبيريا والقفقاس إلا أن هذا الوضع كان يشوبه ما تقوم به روسيا الاتحادية ضد المسلمين في الشيشان وداغستان وأنجوشيا.

وإزاء نمو هذه الصحوة عاد النشاط إلى الطرق الصوفية من جديد والتي لعبت فى السابـق دورا مهما في مقاومة المستعمر الروسى على مدار زمن بعيد، وساهمت

أنشطتها المختلفة في الحفاظ على الهوية الإسلامية رغم الجهود الشيوعية والتنصيرية التي سبقتها.

وقد كان من الجائز – لروسيا – بعد انهيار الاتحاد السوفيتي القديم أن تخطو خطوات ديمقراطية لتلحق بالركب الغربي الذي لم يتأثر بما حدث له من تغيرات ، بل زاد نفوذه ، بيد أن روسيا كما يترجم ذلك الواقع لم تكن بإمكانها أن تخلع عن نفسها عباءة تاريخ طويل من المركزية الشديدة التي مارستها على الأقاليم المجاورة منذ القرن الثالث عشر الميلادي(١٨) .

وعلى هذا ، فإن مركزية الكرملين حكمت توجه روسيا رغم طموحها الديمقراطي – ونظريا – حسب مفاهيم الفيدرالية يحق لأي جمهورية أن تجري استفتاءً للتصويت على الاستقلال عن الدولة المركزية، وواقعيا – رغم أنف الفيدرالية – فإن ذلك غير ممكن وإلا لصارت الشيشان – الجمهورية الإسلامية التي تجرأت في نوفمبر سنة (١٩٩١م) وأعلنت استقلالها – دولة ذات سيادة،وعضو في الأمم المتحدة الآن، ولما خاض "جوهر دوداييف" زعيمها الذي أعلن استقلالها حربا عنيفة مع الجيش الروسي لأكثر من خمس سنوات متواصلة، ولما أحرجت روسيا أمام العالم وخاصة وأن الذي يقف في وجه الجيش الروسي الجرار مجموعة من المجاهدين مسلحون بأسلحة بدائية لا ترتقي للمستوى المتقدم الذي تتعامل به القوات الروسية مع الشيشانيين .

وعلى الرغم من كل ما سبق ، ورغم التحديات والصعوبات التي يواجهها الإسلام اليوم فيما يسمى بالحرب على الإرهاب ومن يحاولون هدمه والتشويش عليه، لا يزال يتقدم بخطى سريعة نحو العالمية ، فقديما فرض الروس ثقافتهم ولغتهم وقوانينهم على المسلمين من خلال القبض على زمام السلطة وإدارة الحكم واستخدموا أساليب عنيفة في ذلك إلا أنهم لم يفلحوا في اقتلاع الإسلام من جذوره من نفوس المسلمين الروس، وأن إغلاق المساجد والمدارس الإسلامية والتنصير الإجباري لأبناء المسلمين، والسياسة العنيفة التي كانت تفرضها روسيا وتخلف وراءها الألوف من الضحايا وتشجيع الارتداد عن الإسلام إلا أن كل ذلك لم يغير شيئا من الواقع الحالي في بقاء معالم الإسلام شامخة تطل برأسها في روسيا والدول المجاورة والمآذن يعلوها الآذان والحجاب عاد ليظهر من جديد في الشوارع ،كلها علامات تؤكد أن الإسلام لم يخسر كثيرا

من حملات الاضطهاد والإبادة التي تعرض لها في روسيا على مدار تاريخهـا الطويـل والمديد.

الإسلام السياسي في روسيا :

يلزم بداية أن نميز بين نمطين من الإسلام في الاتحاد السوفيتي القديم، الأول الإسلام الرسمي، والثاني الإسلام غير الرسمى ، فبعد التدمير الذي أحدثته الشيوعية في المنشآت الإسلامية، أقامت موسكو أربعة إدارات دينية رسمية تتولى شؤون المسلمين وتقوم على مصالحهم، ومع أنها كانت مسميات نظرية، واهتمامات لا علاقة لها بالواقع ، إلا أنها كانت خطوة على طريق المصالحة بجانب تحسين صورتها أمام العالم الإسلامي من ناحية وعلاقاتها بالدول العربية التي تتمتع بأغلبية مسلمة في النواحي السياسية والاقتصادية والعلمية من ناحية أخرى، وهذه الإدارات هي [١٩] :

- **الدائرة الإسلامية لمسلمي روسيا الأوربية وسيبيريا ومركزها أوفا ببلاد البشكير.**
- **الدائرة الإسلامية لمسلمي القفقاس الشمالية وداغستان ومركزها داغستان.**
- **الدائرة الإسلامية لمسلمي آسيا الوسطي وكازاخستان ومركزها طشقند.**
- **الدائرة الإسلامية لمسلمي شرق القفقاس ومركزها باكو بأذربيجان.**

والملاحظ في هذه الإدارات أن عددها بداية لا يتناسب مع التزايد العددي لمسلمي الاتحاد السوفيتي القديم، بجانب أن مهمة هذه المراكز لم يكن الدعوة إلى الإسلام، أو حتى النهوض بها، أو خدمة المسلمين والرد على تساؤلاتهم الفقهية والدينية، بأكثر ما هي محاولة رصد ومتابعة لحركة النمو الإسلامى عبر هذه المنافذ الرسمية، وحتى لا يخرج هذا الدين عن الإطار المحدد له من قبل النظام الشيوعي الذي يؤمن بالإلحاد والكفر ولا يعترف بعقيدة أو بدين.

وبالتالي فإن الدين الإسلامي في تلك الفترة لم يكن إلا طقوسا يؤديها المسـلمون سرا وفي الخفاء، ولا يشعر بهم أحد ، لذلك عملت الحكومة الشيوعية على الجانـب الآخر على إنقاص تعداد المسلمين ، ومحاولة الحد من النسل وتعدد الزوجات، وإغلاق المدارس الإسلامية، وإلغاء العمل بأحكام الشريعة الإسلامية الأمر الذي جعل من إقامة الشيوعية لهذه الإدارات حبرا على ورق وتحسين صورة روسيا أمام العـالم الخـارجي

خاصة العالم الإسلامى الذي دخل مع الروس في معاهدات وتحالفات عسكرية، وإبعاد تهمة الاضطهاد الديني عن ساحتها [٢٠] .

أما الإسلام غير الرسمي فهو يضم كل الأنشطة والممارسات الدينية التي تؤدى عبر الجمعيات والمنظمات والهيئات غير الحكومية أو التي توجد خارج الإدارات الأربع السابق ذكرها ، والتي أحيانا تكون السلطة والنظام السياسي السائد على علم بنشاطها، أو العكس ، وفي كل الأحوال تقوم هذه الهيئات الإسلامية على رعاية أبناء المسلمين من خلال المحافظة على الصلوات في الجماعة، وتدريس العلوم الإسلامية، وممارسة الأنشطة الاجتماعية ولكن في إطار شرعي لا يخالف الدين الإسلامي، كما تقوم هذه الجمعيات بدور مهم في كفالة اليتيم وجمع الزكاة وإقامة المدارس ، وعقد الأفراح الإسلامية ، ودفن الموتى بالطريقة الشرعية، بجانب المساعدة فى إتمام إجراءات الزواج ، وأعمال الختان، وتسهيل إجراءات أداء فريضة الحج والعمرة إلى مكة والمدينة.

تيارات الإسلام السياسي في الجمهوريات الروسية:

الثابت أن الإسلام لم يكن في روسيا مجرد دين للمسلمين الروس فحسب بل دين يدين به الأغلبية هناك، وكان يمثل كيانا تاريخيا وثقافيا واجتماعيا مهما، وله جذوره في الشخصية الروسية بغض النظر عن قوميتها وعرقيتها ودينها الذي تدين به لذلك كان هناك تيارات عديدة كشفت عن نفسها في أعقاب انهيار الاتحاد السوفيتي القديم، كان أبرزها ثلاث تيارات هى [٢١] :

أولا: التيار الديني:

يذكر أنه فى عقب تفكك الاتحاد السوفيتي ظهرت دول إسلامية تطالب بالانفصال عن الاتحاد، وتطالب بهويتها التي حرمت منها لعشرات السنوات على أيدي الإمبراطورية الروسية تارة، والاتحاد السوفيتي الشيوعي تارة أخرى، إلا أنه وعلى ما يبدو أن هذه التغيرات التي شهدتها منطقة آسيا الوسطي وشمال القفقاس لم تأت بجديد بالنسبة لمستقبل الإسلام في دول الاتحاد السوفيتي القديم ، في ظل تسابق العديد من الدول العربية منها والأوربية البعيدة عن تخوم المنطقة والملاصقة لها، مثل : تركيا، وإيران، والسعودية، وأمريكا، وألمانيا، وفرنسا، والكويت، والإمارات، ومصر، والصين، والهند .

وسعت كل هذه الدول على اختلاف درجات اهتمامها بدول آسيا الوسطي بإقامة علاقات اقتصادية ، وسياسية ، واجتماعية معها، إلا أن هذه العلاقات لم تستمر طويلا، وبعضها لم يحقق نجاحا من البداية، فإيران على سبيل المثال : مع أنها كانت أسرع الدول الإسلامية في دخول المنطقة بمجرد سقوط الاتحاد السوفيتي بحكم تجاورها مع هذه الدول من ناحية، وسيادة المذهب الشيعي في بعض المناطق والجمهوريات من ناحية أخرى، إلا أنها وجدت منافسا يحمل مذهبا معاديا لها قد سبقها، وهي تركيا التي تتبنى المذهب السني الذي يتمتع بالأغلبية في الجمهوريات الروسية.

ورغم ذلك فقد وجدت تركيا نفسها تعقد صفقات وعلاقات مع أذربيجان على الرغم من أنها تتبنى المذهب الشيعي ، وتركيا ذات المذهب السني، وفضلت أذربيجان أن تقيم علاقات سياسية واقتصادية مع تركيا عن إيران، بينما هرولت أوزباكستان ذات المذهب السني تجاه إيران ذات المذهب الشيعي لإقامة علاقات سياسية واقتصادية معها، وهذا ما دفع هاتين الدولتين إلى إعادة حساباتهما من جديد حول هذه المنطقة، هذا في الوقت الذي حاولت فيه الصين وروسيا منع أي توغل أمريكي أو بريطاني في المنطقة، إلا أن الولايات المتحدة استطاعت في إطار حملتها العالمية على الإرهاب في أفغانستان أن توجد لنفسها كيانا إستراتيجيا مهما على بحر قزوين، لم يكن يخطر ببال روسيا أو الصين .

أما السعودية ومع أن معظم مسلمي آسيا الوسطى والقفقاس وسيبيريا من المسلمين السنة، كما في كازاخستان، وأوزباكستان، وقيرغيزستان، وطاجيكستان، وتركمانستان ، إلا أن السعودية عندما تدخلت في المنطقة اعتمدت على تدعيم وتقوية الجانب الروحي لدى مسلمي الاتحاد السوفيتي القديم، فقامت بإرسال ملايين النسخ من المصاحف والكتب الإسلامية عبر شركة الخطوط الجوية السعودية، و لم تهتم على ما يبدو بالتنمية الاقتصادية لهذه الجمهوريات، بل إنها أقامت حاجزا معنويا بين السنة والشيعة عند إقامة المساجد، والمدارس الإسلامية هناك.

وقد فوجئ الرئيس "إسلام كريموف" رئيس جمهورية أوزبكستان أثناء زيارته للمملكة العربية السعودية، بأن المسؤولين السعوديين يحملونه بمجموعة ضخمة من المصاحف والكتب الدينية ، مع أنه تناقش معهم في عقد صفقات تجارية وصناعية بين

البلدين، وخاصة في مجال النفط في بلاده وتمويل عدد من المشروعات الحيوية في أوزبكستان، و لم تهتم السعودية بهذه الاقتراحات واكتفت بالمصاحف، وبالتالي لم يكن مستغربا عندما زار رجال الأعمال السعـــوديين أوزبكستان كان شغلهم الشاغل سرعة إقامة عدد كبير من المساجد للمسلمين هناك بشرط أن تقوم السعودية بتعيين أئمة ومشايخ هذه المساجد، وردت حكومة أوزبكستان التي تنتهج السياسة الشيوعية القديمة برفض الفكرة على اعتبار أن بناء المساجد ليس من أولوياتها الاقتصادية (٢٢) .

أما تركيا فهي تؤدي دورا مهما في هذه الجمهوريات ، وذلك نظرا لكون هذه الجمهوريات تتحدث اللغة التركية، ولكن على ما يبدو أن تركيا أصبحت مؤخرا تمثل النموذج الذي يعجب الولايات المتحدة الأمريكية وتطالب كلاً من مصر والسعودية والمغرب والجزائر بانتهاج نفس الأسلوب التركي، كما أن تركيا المدفوعة غربيا تريد أن تكون الدولة الأولى ذات النفوذ في هذه المنطقة، وبالتالي عندما كان وزير الخارجية الأمريكي الأسبق (جيمس بيكر) في زيارة لآسيا الوسطى حث قادة هذه الدول بأن ينتهجوا سياسة تركيا الداخلية والخارجية (٢٣). .

ثانيا: التيار القومي:

وقد كان لطبيعة التركيبة العرقية والإثنية تأثيرها الواضح في ظهور القوميات المختلفة في النظام الشيوعي، وأدى تعدد اللغات إلى تعدد التفرعات العرقية، حيث شجعت الحكومة الروسية كل كيان عرقي على الظهور والإعلان عن نفسه، إلا أنهم جعلوا من اللغة الروسية اللغة الرسمية للبلاد، واستبدلوا الحروف العربية التي كانت سائدة في العديد من المناطق الروسية قبل عام (١٩٢٩م) بحروف روسية معقدة، تسببت في أزمة حالية بعد انفصال دول الاتحاد، ورغبة كل قومية في التعبير عن ذاتها بلغتها، وثقافتها، وقوميتها، وعقيدتها.

فالتيار القومي لم يكن من حقه الإعلان عن نفسه قبل سقوط الاتحاد السوفيتي القديم، فى ظل الهيمنة الروسية التي كانت تسيطر على جميع شؤون الاتحاد وجمهورياته، واستطاعت تركيا بحكم علاقاتها مع أبناء قوميتها بدول الاتحاد السوفيتي السابق من توفير الدعم اللازم لاستعادة هذه الهوية من جديد ، فالدستور القومي واعتزاز الفرد بقوميته

ليس معناه الجور على حقوق القوميات الأخرى ، لمجرد أنها تنتمي لقومية مختلفة أو ثقافة مختلفة أو دين ليس هو الدين الذي يدين به الأغلبية.

ثالثا: التيار الليبرالي:

وهو التيار الذي يؤمن بالحرية والديمقراطية وسيادة القانون والدستور، والبرلمان والتصويت، وتعدد الأحزاب، ويؤمن بالنظام العالمي الجديد، وهو الاتجاه الذي صارت عليه كل شعوب جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق تقريبا.

لذلك عندما حصلت الجمهوريات الإسلامية على استقلالها انتقل المسلمون هناك إلى وضع جديد، وكونوا أحزابا وحركات إسلامية تسعى إلى تطبيق أحكام الإسلام، أو تطبيق الشريعة الإسلامية، وأمام هذه الصحوة لم يجد قادة هذه الجمهوريات إلا العمل على تحقيق ما يطالب به غالبية سكان البلاد، فاعترفت حكومة تركمانستان رسميا بجمعية المسلمين في تركمانستان، كهيئة سياسية إسلامية هدفها الدعوة وإرشاد المسلمين إلى الطريق القويم، كما برزت حركات إسلامية انتشرت فى جمهورية طاجيكستان من خلال امتداد حزب النهضة الإسلامية الأوزباكستانى ويضم هذا الحزب أعضاء نشطين في كل الجمهوريات الروسية تقريبا ويدعو الحزب إلى إزالة كل آثار الشيوعية القديمة، وإعادة الثقافة الإسلامية والالتزام بالدين الإسلامي، ومحاربة كل مظاهر الفساد داخل البلاد مثل: الخمور،وتعاطي المخدرات والتدخين،وممارسة الرذيلة،والرشوة والاختلاس ، ويطالبون بتطبيق الشريعة الإسلامية على المسلم الذي يخالف تعاليم الإسلام ويتعدى حدود الله.

ومع أن نظرة الغرب لحزب النهضة الإسلامية كانت معتدلة قبل أحداث الحادي عشر من سبتمبر (٢٠٠١م) إلا أنها تغيرت تماما، واعتبرت الصحف والمجلات الأمريكية حزب النهضة ضمن الأحزاب والجماعات الإرهابية-المتطرفة التي تتلقى دعما وتمويلا من السعودي " أسامة بن لادن" ، وبالتالى لابد من محاصرته والقبض على العناصر النشطة في هذا التنظيم، بل إن روسيا أعلنت رسميا بأن حزب النهضة الإسلامية حزب متطرف ويجب تصفيته من طاجيكستان وأوزباكستان لخطورته على الجمهوريات الروسية عامة ، ولكن وجهة النظر الأمريكية كانت أكثر وعيا في ذلك فهي تدرك بالفعل أن حزب النهضة من الأحزاب ذات التأثير الديني القوى في الجمهوريات الروسية ، وأن الحزب يتم إدارته بصورة أو بأخرى من أوزباكستان، وبالتالي كان عليها وهى تسعى لشن حرب

على أفغانستان ثم العراق بعد ذلك أن تكثف من علاقاتها مع أوزبكستان، وتعقد في إطار ذلك العديد من الصفقات العسكرية منها والاقتصادية. ، وألا تندفع وراء هذه العواطف وبالتالى أحسنت إدارة المعركة مع التيارات الإسلامية المعادية لها في منطقة آسيا الوسطى وشمال القفقاس بحكمة وذكاء.

آسيا الوسطى وشمال القفقاس
بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر (٢٠٠١م)

جاءت أحداث الحادي عشر من سبتمبر (٢٠٠١م) لتلقي بتداعياتها على منطقة آسيا الوسطى وبلاد القفقاس وبلاد ما وراء النهر، من منطلق أن أفغانستان تمثل أحد محاور الشر التي أعلنت عنها الولايات المتحدة في أعقاب التفجيرات الأخيرة، بالإضافة إلى كون حكومة طالبان وتنظيم القاعدة يؤديان نشاطاً ملحوظاً في هذه المنطقة، ولهم نشطاء تلقوا دعما وتمويلا من تنظيم القاعدة ويدينون لها بالولاء، ويؤمنون بفكرها –الإرهابي– كما أعلن البيت الأبيض والرئيس الأمريكي نفسه في التصريحات التي سبقت الحرب على أفغانستان .

وجاءت هذه الأحداث لتعبئ كلا من روسيا ودول آسيا الوسطى القفقاس في الحملة الأمريكية ضمن ما يعرف بالإرهاب بدرجة أو بأخرى، وزيادة نسبة القلق نظرا للامتداد الاثني والعرقي بين سكان هذه المنطقة، الأمر الذي يصعب فصله، وتقييم الوضع هناك بصورة جيدة.

كما لم يكن تدخل الولايات المتحدة في منطقة ما وراء النهر وبحر قزوين بدايته قرار إعلان الحرب على الإرهاب ، بل جاءت الولايات المتحدة للمنطقة بمجرد انهيار الاتحاد السوفيتي القديم ، وتلعب العوامل الخارجية دورا رئيسيا في ترتيب الأولويات المختلفة في آسيا الوسطى ، حيث تعد منطقة جذب للعديد من الدول الخارجية والمحيطة، منها ما هو مباشر بحكم التجاور المكاني الحدودي كالصين وروسيا كأصحاب نفوذ، ثم إيران وتركيا باعتبارهما قوتين فاعلتين ، بجانب الولايات المتحدة وحلف شمال الأطلنطي باعتبارهما قوتين مهمتهما حفظ السلام والأمن في العالم.

ولكن يظل السؤال مطروحا حتى الآن: لماذا جاءت الولايات المتحدة لمنطقة آسيا الوسطى وبحر قزوين ؟ وما تأثير ذلك على وضع المسلمين في الجمهوريات الإسلامية الروسية في أعقاب (١١ سبتمبر) والحرب على الإرهاب ؟ ويمكن إيجاز الدور الفعلي للولايات المتحدة في الجمهوريات الإسلامية الروسية من خلال عدد من الأدوار:

١- دور تنافسي في الفضاء الجيوإستراتيجي والجيواقتصادي.

٢- دور تحجيمي في الفضاء الخاص بروسيا وإيران.

٣- دور أمني بتأمين السلاح النووي في كازاخستان ومنع تصديره لإيران.

وقد أعطت الحملة الأمريكية على الإرهاب الولايات المتحدة فرصة التدخل المباشر في منطقة الجمهوريات الروسية وبحر قزوين من خلال الحصول على تسهيلات أمنية ودفاعية لصالح عملياتها ضد الإرهاب وحصلت من أوزبكستان على تسهيلات لعملياتها في أفغانستان ، كما فتحت طاجيكستان مجالها الجوي للطائرات الأمريكية لتزويدها بالوقود اللازم أثناء فترة التدريب والحرب على طالبان، هذا بجانب حصول بعض الشركات الأمريكية على حق استخراج النفط والغاز مثل شركة (أيموكو) وشركة (Aioc) و (shoh denez) في كل من أذربيجان وتركمانستان فضلا عن رغبتها السابقة في محاصرة إيران أحد محاور الشر في القائمة الأمريكية وللدول التي ترعى الإرهاب في العالم ، مع منح تركيا دورا مهما في المنطقة باعتبارها الدولة الإسلامية الحليفة التي تدخل مع الولايات المتحدة في معاهدات وصفقات في مختلف المجالات ، وتمثل من وجهة نظر الولايات المتحدة الإسلام المعتدل الذي تطالب به دول منطقة آسيا الوسطى ، بل وتطالب به أيضا الدول العربية والإسلامية.

أما الدول الطامحة في أن تلعب دورا في منطقة آسيا الوسطى والقفقاس وبلاد ما وراء النهر فقد أفشل مخططاتها التدخل الأمريكي في المنطقة في أعقاب أحداث الحادي عشر من سبتمبر (٢٠٠١م).فالصين تشترك مع جمهوريات آسيا الوسطى والقفقاس في الحدود والامتداد العرقي والاثني عبر إقليم تركستان الشرقية ذات الأغلبية المسلمة والواقع تحت السيادة الصينية وينتمي مسلمو الصين إلى " الإيغور " التي لها أصول وجذور في معظم الدول الإسلامية الروسية، وأن تنامي ظاهرة الإسلام السياسي في أوزبكستان وطاجيكستان من شأنه أن يثير العديد من القلاقل داخل إقليم تركستان الشرقية للحكومة الصينية، وإن كانت الصين تشعر بنوع من الارتياح إزاء تزايد النشاط الاقتصادي بين إقليم تركستان الشرقية والجمهوريات الروسية، وترى الصين في هذه الجمهوريات منفذا لتصريف منتجاتها، والحيلولة دون استحواذ الولايات المتحدة على خيرات هذه المنطقة، وخاصة في مجالي النفط والغاز، إلا أن الوضع الحالي في المنطقة قد يتم إعادة تشكيله، وخاصة بعد استقرار الولايات المتحدة في المنطقة

والقضاء على الكابوس الذي كان يؤرقها ، وهو حركة طالبان وتنظيم القاعدة والنظام البعثي الحاكم في العراق منذ عشرات السنين.

أما إيران فلها إرث ثقافي وحضاري في المنطقة خاصة في أذربيجان وطاجيكستان وكازاخستان، كما أن اللغة الطاجيكية هي في الأصل لغة فارسية، واستطاعت إيران أن تنشر المذهب الشيعي في معظم الجمهوريات الروسية، وأقامت في هذه البلدان في فترة روسيا القيصرية وروسيا الشيوعية العديد من المشاريع الدينية من مدارس ومساجد، وكتاتيب، ومحلات تجارية، ولم يكن هذا النشاط يأخذ الطابع العلني، بل كان سرا، ولكن وعقب الانهيار الروسي في عام (١٩٩١م) وجدت إيران في هذه الجمهوريات فرصتها في التدخل الاقتصادي تعويضا عن فشلها في تحقيق أحلامها السابقة في منطقة الخليج في ظل وجود الولايات المتحدة بالمنطقة.

وقد تمحور الجانب الاقتصادي الإيراني في استغلال الموارد الطبيعية وخطوط نقل النفط والغاز وخطوط النقل البري ، حيث استطاعت إيران ربط شبكة السكة الحديد إلى آسيا الوسطى بشبكتها عبر تركمانستان . وتستهدف إيران من وراء إقامة هذه المشروعات تحقيق ما يعرف بمشروع خراسان ، وهو نفس المشروع الذي كانت تنوي إيران إقامته في الخليج العربي، إلا أن الولايات المتحدة أسرعت إلى المنطقة الجديدة وتمكنت من إفشال المشروع الإيراني المقترح، ليكون المشروع الثاني التي ترصده الولايات المتحدة وتقضى عليه وهو في المهد، كما استطاعت الولايات المتحدة عندما عزمت إيران على تطوير برنامجها النووي من خلال الاحتياطي السوفيتي الضخم الذي تركه السوفييت في العديد من الجمهوريات الإسلامية الروسية مثل كازاخستان أسرعت بعقد صفقات تجارية وعسكرية مع جمهورية كازاخستان استهدفت الاتفاقية حظر بيع أو تصدير أسلحة الدمار الشامل وخاصة لإيران والعراق.

أما تركيا فهي مازالت دولة تتمتع بأغلبية مسلمة وكانت هي دولة الخلافة الإسلامية قبل الحرب العالمية الأولى ولأنها هي الحليف الوفي لأوربا والولايات المتحدة الأمريكية، فالسكان الذين يقطنون الجمهوريات الروسية جميعهم من الأصل التركي وتلعب تركيا داخل هذه الجمهوريات دورا ثقافيا وحضاريا متميزا حيث تمثل تركيا نموذجا للإسلام المعتدل، أو الطبيعي مقابل الإسلام السياسي الذي بدأ يتسرب لهذه المناطق عبر حدود هذه الدول مع إيران وأفغانستان، بيد أن تأثير تنظيم القاعدة وحكومة طالبان ما يزال

موجودا على الرغم من زوال رموزه وذلك من خلال أحزاب سياسية دينية ، بدأت تطل برأسها في طاجيكستان وأوزبكستان.

وتركيا هي الدولة الإسلامية الوحيدة التي ضمن حلف الناتو أو حلف الأطلسي، وقد عرضت تركيا على قادة الجمهوريات الروسية تدريب بعض الضباط داخل أكاديمياتها، إلا أن تركيا ما تزال تتجه ناحية الاستفادة الاقتصادية من المنطقة وخاصة في مجال نقل النفط والغاز التركماني والكازاخي والأذربيجاني عبر أراضيها، وتوجت هذه العلاقات باتفاقية (باكو — سيحال) وهي تنص على نقل النفط الأذربيجاني عبر أراضيها نظير حصتها من كل هذه الصفقات.

وأخيرا نستطيع القول: إن الولايات المتحدة وفي أعقاب تبنيها الحربَ على الإرهاب استطاعت أن توجد لنفسها نفوذا قويا في منطقة آسيا الوسطى وبحر قزوين، وتأمين هذه المنطقة من الدول ذات الطموحات النووية العالية مثل إيران وسوريا وليبيا وحزب الله في لبنان والصين وروسيا إذ إنها لا تخشى من حليفتها - تركيا - بل إنها تحث العديد من الدول الإسلامية انتهاج الأسلوب التركي في التعامل مع الإسلام، والعقيدة الإسلامية، وبدأت الولايات المتحدة تقويض نفوذ الجماعات الإسلامية بالجمهوريات الإسلامية الروسية من ناحية ، وتهديد الدول المتهمة برعاية الإرهاب كإيران وأفغانستان والعراق من ناحية أخرى، لذلك فهي تتعامل مع المنطقة بدافع اقتصادي والاستفادة من هذه المنطقة وزيادة احتياطيها على المدى البعيد من النفط والغاز ، بجانب أنها تريد أن تشكل إسلاما جديدا خالياً من العنف والإرهاب عبر مطاردتها لتنظيم القاعدة وحكومة طالبان، وفدائيّ صدام، وغيرهم، وبالتالي فقد كان لذلك انعكاسه الواضح على وضع المسلمين في هذه المنطقة حيث إنهم مطالبون بالدفاع عن الإسلام وتبرئة ذمتهم من الإرهاب لمجرد أن بعض الأفراد من أبناء الإسلام متهمون بتدمير مركز التجارة العالمي في واشنطن، ومقر البنتاجون ، ومن قبلهما تدمير السفارتين الأمريكيتين فى نيروبي ودار السلام، والخبر بالسعودية والمدمرة كول باليمن .

الجمهوريات الإسلامية الروسية

قبل وبعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر (٢٠٠١م)

الثابت تاريخيا أن دخول الإسلام جمهوريات آسيا الوسطى أو بلاد ما وراء النهر وشمال القفقاس جاء على فترات ومراحل تاريخية متباعدة من فتح بخارى عام (٥٥هـ) .

واستمرت الفتوحات الإسلامية في عهد الدولة الأموية حتى جاء " قتيبة بن مسلم الباهلى " الذي يعتبر الفاتح الحقيقي لهذه المنطقة ، ووطدَ الإسلام فيها عام (٨٨هـ) ثم واصل فتوحاته حتى الصين ، ودفع له إمبراطور الصين الجزية ثم فتح كاشغر ، وأقام للإسلام كياناً في آسيا الوسطي :

" أوزبكستان، طاجيكستان ، كازاخستان ، قيرغيزستان ، تركمانستان ، وأذربيجان".

وتسمى هذه المنطقة بتركستان الغربية على العكس من تركستان الشرقية التي تقع في الأراضي الصينية وتعرف بـ "سنكينانج " .

وبلاد التركستان عموماً (شرقية – غربية) هي موطن الترك ، كما أن معظم مسلمي هذه المنطقة من أتباع المذهب السني ، ولا يزيد عدد المسلمين الشيعة في جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق عن (٤) ملايين شيعى من (٧٠) مليوناً على المذهب السني (حنفي – شافعي) ، وحوالي (١٠٠) ألف تابعين للطائفة الإسماعيلية يعيشون في منطقة " البامير " ولهم امتداد في الهند باعتبارهم من أتباع " الأغاخان " .

لذلك سعت روسيا من البداية إلى إثارة النعرة القومية لدى هذه الجماعات في محاولة لإبعاد الهوية الدينية عن الأجناس والأعراق التي آمنت بالإسلام واتخذته ديناً وعقيدة لها (٢٤) .

ولكن السؤال : هل أثرت أحداث الحادي عشر من سبتمبر في الولايات المتحدة على وضع مسلمي آسيا الوسطى وشمال القفقاس ؟

الجدول التالي يوضح تعداد مسلمي الجمهوريات الإسلامية[٢٥]

الدولة	القوميات	العدد	المذهب
كازاخستان	٤٠% كازاخ، ٣٨% روس، ٦% ألمان، ٤% أوكران .	١٩,٥٠٠٠٠٠	سنة
أوزبكستان	٧١% أوزبك ، ٨% روس ، ٥% طاجيك ، ٤% كازاخ .	٢٧,٥٠٠٠٠٠	سنة
قيزغيرستان	٥٢ % قيرغير، ٢٢% روس ، ١٣% أوزبك، ٣% أوكران .	٥,٥٠٠٠٠٠	سنة
طاجيكستان	٦٢% طاجيك، ٢٤% أوزبك، ٨% روس، ١٠% كازاخ .	٧,٠٠٠٠٠٠	سنة
تركمانستان	٧٢ % تركمان ، ١٠% روس ، ٩% أوزبك، ٣% كازاخ.	٤,٥٠٠٠٠٠	سنة
أذربيجان	٨٣% أذر ، ٦% روس ، ٦% أرمن .	٨,٥٠٠٠٠٠	سنة
الإجمالى		٧٢,٥٠٠٠٠٠	سنة

ووفق الجدول السابق يتضح أن حجم المسلمين فى آسيا الوسطى الإسلامية (٦ جمهوريات فقط) يصل وفق إحصائيات عام (٢٠٠٠م) حوالي (٧٢,٥) مليون مسلم بخلاف جمهوريات شمال القفقاس ذات الأغلبية المسلمة كالشيشان الذي يصل فيها تعداد المسلمين إلى ثلاثة ملايين مسلم، وكذلك توجد أقليات مسلمة في كل من داغستان، وروسيا وجورجيا ، وأرمينيا ، وأوستيا ، ودول البلطيق ، وحول سهول سيبيريا تزيد فى مجملها عن عشرة ملايين مسلم ، بجانب إقليم أبخازيا ذات الأغلبية المسلمة داخل

الأراضي الجورجية، أما عن وضع المسلمين في الجمهوريات الإسلامية في الاتحاد السوفيتي القديم فهو كالتالي :

١- جمهورية كازاخستان :

.تعد جمهورية كازاخستان من أكبر الجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى من حيث المساحة التي تحتلها،والتي تبلغ حوالي ٢,١٧١,٠٠٠ كيلو متراً مربعاً ، وبالتالي فهي تعد ثاني جمهورية من حيث المساحة بعد روسيا زمن الاتحاد السوفيتي القديم.

وتحتل كازاخستان موقعا إستراتيجيا مهماً في المنطقة، وتحدها الصين من الشرق، وبحر قزوين من الغرب، وأوزبكستان وتركمانستان، وقيزغيزستان من الجنوب، وسيبيريا من الشمال وتمتد جذور سكانها إلى تركستان الشرقية الواقعة داخل الأراضي الصينية وتمثل أغلبية مسلمة من خلال مسلمي الإيغور، كما أنها تعد أولى دول العالم إنتاجاً لمعدن الكروم ، وتحتل الترتيب الثالث في الجمهوريات الروسية إنتاجاً للنفط والفحم.

وكازاخستان إحدى الجمهوريات السوفيتية النووية الأربع، ومن أراضيها كانت تطلق سفن الفضاء من مركز" بايكونور " للعلوم الفضائية، بجانب امتلاكها لأكثر من (٥٠٠) رأسٍ نووية و(٢٠٠٠) رأسٍ تكتيكية ، وكانت أراضيها من أهم المناطق التي أجريت فيها التجارب النووية السوفيتية مما أثر على المدى البعيد في البيئة هناك، وعلى السكان الذين قطنوا هذه المنطقة آنذاك، بعدما أقرت اتفاقية " إستارت " عام (١٩٩٢م) ضرورة التخلص من (٢٥٠٠) صاروخٍ نووي بعيد المدى كانت داخل المخازن الروسية في كازاخستان، حيث تم تفجيرها بالكامل، في حضور لجان من هيئة الطاقة الذرية الدولية[(٢٦)] .

٢- جمهورية أوزبكستان :

يعود الشعب الأوزبكى إلى الأتراك، وكان أفضل ما يتميزون به تمسكهم بالعادات والتقاليد الإسلامية، فالأوزبك من مجموعة الشعوب التركستانية المنتشرة فى آسيا الوسطى ، كما يتواجدون في أفغانستان وإيران، والصين ومنغوليا وتركمانستان وقيرغيزستان وطاجيكستان، وجاءت عائلات منهم إلى مصر، وأقاموا في منطقة سميت على قوميتهم وهى : " حي الأزبكية " أحد أحياء القاهرة العريقة.

وتقع أوزبكستان إلى الشرق من تركمانستان بين نهرى سيجون وجيحون وتتصل حدودها الجنوبية مع جمهورية أفغانستان، وأهلها من الأوزبك وعاصمتهم طشقند وفيها أيضاً بخاري التي ينسب إليها العديد من علماء التفسير والحديث النبوي والفقه الإسلامي، وكذلك سمرقند التي كانت في الماضي قلعة للعلوم والثقافة لمنطقة آسيا الوسطى وبلاد القفقاس وسهول سيبيريا.

وأوزبكستان من أكثر الدول تربية للأغنام، كما تضم بجانب النشاط الرعوي النفط، ويمثل احتياطيها من النفط نسبة كبيرة، وكذلك يتزايد إنتاجها من الغاز الطبيعي عاماً بعد الآخر، ويبلغ عدد سكانها وفق إحصائية عام (٢٠٠٠م) حوالي ٣٠ مليون نسمة ومعظمهم من الأوزبك ، ويقوم حزب النهضة الإسلامي بدور مهم في مقاومة التيار العلماني المتمثل في الحكومة ورئيس الدولة، وقد أعلن الحزب عن مبادئه في بيان أصدره في ٩ سبتمبر (١٩٩١م) ، واعترفت به الحكومة بموجب قانون الأحزاب باعتباره حزبا سياسياً ذا توجهات إسلامية ، ويستمد برنامجه وأهدافه من مصادر الشريعة الإسلامية.

وأدى التباين في الأيديولوجات بين الحكومة وحزب النهضة الإسلامي إلى مصادمات عنيفة خلفت وراءها حروباً أهلية عديدة ، أصابت دول المنطقة بالقلق، خاصة وأن هذه البلدان تضم عناصر من حزب النهضة ذى الأصول الإسلامية المتشددة وسعيا لتهدئة الوضع داخل الدولة اتفقت الحكومة مع قادة الحزب على عقد معاهدة صلح عام (١٩٩٧م) ، بموجبها تقوم الحكومة بالإفراج عن المعتقلين السياسيين والإسلاميين، وأعلن قادة الحزب عن انضمام بعض عناصره إلى القوات المسلحة الأوزبكية [٢٧] .

وعندما أيدت الحكومة الأوزبكية التدخل الأمريكي في أفغانستان في إطار حملتها ضد الإرهاب في المنطقة، خاصة تنظيم القاعدة وحكومة طالبان الحاكمة في أفغانستان أدركت حكومة أوزبكستان أن الولايات المتحدة تتستر وراء ما يسمى بالحرب على الإرهاب وفى نيتها المصالح الاقتصادية التي تنوي حصادها من كازاخستان وبحر قزوين .

أما على مستوى حزب النهضة الإسلامي فقد أصاب قيادته بعض القلق من جراء اتهام منظمات عديدة وأحزاب إسلامية في آسيا الوسطى بأنها تمول من " أسامة بن

لادن " وتنظيم القاعدة، بل وإن هناك بالفعل أحزاباً تم وضعها على قائمة التنظيمات التي يجب تصفيتها ، و لم تدرج الولايات المتحدة حزب النهضة الإسلامي ضمن التنظيمات التي تتبنى الإرهاب، مثل حزب الله مثلاً، وإنما فضلت أن تعقد صفقات من حكومة أوزبكستان في العديد من المجالات الاقتصادية، والعلمية، والعسكرية ، وأنه قد لا تجد صعوبة في القضاء على حزب النهضة الإسلامي إذا ما شعرت بخطورته على حكومة أوزبكستان أو الدول المجاورة.

٣- جمهورية قيرغيزستان :

تقع قيرغيزستان شمال طاجيكستان وتحدها الصين شرقاً وكازاخستان شمالاً وأوزبكستان غرباً، وفتحها " قتيبة بن مسلم الباهلي" عام (٩٤هـ) وسكان قيرغيزيا من أصل تركي، واستطاعت روسيا الشيوعية أن تقلل من تزايد نسبة المسلمين فى المناطق الحضرية فى قيرغيزيا، وقامت بإقامة العديد من المستوطنات للسكان الروس الذين أصبحوا سكاناً أصليين للبلاد، ويبلغ عدد سكان قيرغيزيا حوالي (٥) ملايين نسمة أو يزيد على مساحة ١٨٩,٥٠٠,٠٠٠ كم٢.

وقد فقدت قيرغيزيا معظم أراضيها في آسيا الوسطى مع قدوم الشيوعية التي اجتاحت بلادهم مع مطلع الثورة، وأعطت الأراضي للمستعمرين الروس، الأمر الذي أحدث ثورة عنيفة ضد الروس وخاصة بعد قيام ستالين عام (١٩٢٨م) بمحاولات طرد الأسر المسلمة خارج قيرغيزيا إلى مقاطعة تركستان الشرقية أو سنكنيانج الصينية، أما النخبة الحاكمة فهم من العناصر النشطة في الحزب الشيوعي القديم الذي ما يزال يسيطر على مختلف المقاليد في قيرغيزيا كالصحافة والفن والثقافة والأدب [٢٨] .

٤- جمهورية طاجيكستان:

تقع جمهورية طاجيكستان إلى الشرق والجنوب من أوزبكستان ولها حدود مع الصين وأفغانستان وأهلها من الطاجيك، وهم خليط من الفرس والأتراك ولغتهم تحمل سمات تنوعهم القومي ، وتصل نسبة المسلمين بها حوالي (٩٨%) من (٦,٥) ملايين نسمة وعاصمتها دوشنبة .

ولجمهورية طاجيكستان حدود ممتدة مع أفغانستان وإقليم جامو وكشمير ، وإقليم تركستان الشرقية (سيكنيانج) ويذكر أن طاجيكستان هي التي كانت وراء تفجر المشكلة الإسلامية فى جمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية ، وهي التي جذبت انتباه العالم الغربي إلى ما يعرف بالأصولية الإسلامية وذلك عبر الصراع الذي كان بين المسلمين والشيوعيين فى جمهورية طاجكستان غداة الاستقلال الذي فرض على الناس هناك بعد انهيار الاتحاد السوفيتي القديم ، وينتمي الطاجيك إلى المذهب السني (الحنفي) وهم يمثلون أكبر تجمع يتبع هذا المذهب فى منطقة وسط آسيا(٢٩) .

لذلك فشلت روسيا فى ترويض الجمهوريات الإسلامية فى آسيا الوسطي ترويضا كاملا، فرغم كل البرامج التي أجرتها روسيا على طاجيكستان إلا أنهم لا يزالون مسلمين ولديهم شوق تجاه المسلمين فى أفغانستان وأيدوا الحركات الجهادية التي قام بها المسلمون أثناء غزو الاتحاد السوفيتي لأفغانستان، كما تأثروا بالثورة الإسلامية عام(١٩٧٩م) وحزب النهضة الإسلامية عام (١٩٩٢م) بأوزبكستان (٣٠) .

٥- جمهورية تركمانستان :

تقع جمهورية تركمانستان شرق بحر قزوين، وحدودها مشتركة مع كل من كازاخستان، وأوزبكستان، وأفغانستان وإيران، وعاصمتها عشق أباد، وعدد سكانها حوالي ٧٢% بينما لا يمثل الروس سوى ١٠% ونسبة المسلمين بها ٩٢% من عدد السكان. كما أنها دولة منتجة للبترول والغاز الطبيعي، وأغلب أراضيها صحراوية، إلا أن الأمل يتزايد عند التركمان بشق قناة تربط بين بحر جيجون ببحر قزوين(٣١) .

يتولى رئاسة تركمانستان "مراد نيازوف " منذ عام (١٩٩٢م) وهو أحد أفراد الحزب الشيوعي القديم، ونظراً لعدم وجود أحزاب معارضة، أو جمعيات أو تنظيمات إسلامية — أو سياسية تصبح تركمانستان إحدى أكثر الدول الروسية استقرارا؛ إلا أن الواقع يكاد يختلف بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر (٢٠٠١م) ، ويشير إلى قيام الحكومة بالتضييق على حقوق المسلمين الأغلبية، وزادت درجة الاستبداد السياسي من مصادرة الحقوق حتى الدينية، وتحكم تركمانستان بالحديد والنار والمخابرات.

ونظرا لتميز تركمانستان بالمعادن مثل الكبريت والرصاص والكالسيوم واليود والكروم والأملاح المعدنية، فضلاً عن النفط والغاز الطبيعي وزراعة القطن، كانت الولايات المتحدة حريصة على أن تستحوذ شركاتها على حق استخراج النفط في تركمانستان لأطماع اقتصادية من ناحية، ومراقبة المنطقة وتعقب النفوذ الصيني — الروسي من ناحية أخرى (٣٢) .

٦- جمهورية أذربيجان :

تحتل أذربيجان موقعاً مهماً في العالم من الناحية الجغرافية والإستراتيجية معاً، وقد تم تقسيمها بين إيران والسوفيت لظروف سياسية، وهو تقسيم مصطنع وكانت أرمينيا جزءاً منها.

وأذربيجان تشترك مع إيران في الجنوب، وأرمينيا وجورجيا في الغرب، وفى الشرق بحر قزوين وعدد سكانها (١٠,٥) مليون نسمة وحوالي ٨٥% من سكانها مسلمون، يتوزعون بين ٧٥% شيعة و ٢٥% سنة وتقدر مساحتها ٩٤,١٣٧كم٢ وتضم داخل حدودها منطقة ناهيجوان ومنطقة ناجورنو كاراباخ المتنازع عليها مع أرمينيا (٣٣) .

وتعيش أذربيجان منذ عام (١٩٩٠م) حالة من القلق وعدم الاستقرار على المستوى الداخلي، وذلك بسبب المواجهات العرقية مع أرمينيا حول إقليم ناجورنو كارباخ، وأيدت روسيا حق أرمينيا فى الإقليم نظرا للمقاومة العنيفة التي تعرض لها الجيش الروسي عند اقتحامه الأراضي الأذربيجانية عام (١٩٩٨م) ويذكر أن الشيوعيين كانوا يهتمون بتربية الخنازير وخاصة في المناطق ذات التزايد السكاني، وكذلك كان في باكو — العاصمة الأذربيجانية — أضخم (٦) مصانع للخمور في الاتحاد السوفيتي القديم، بجانب أنها كانت الدولة الأولى في الاتحاد تصديراً للعنب.

إلا أن ظهور النفط دفعها للاهتمام بهذه الصناعة، ويمثل احتياطيها من البترول نسبة مرتفعة تصل حسب بعض التقديرات إلى احتياطى العراق ، كما توجد بأذربيجان ثروات طبيعية أخرى مثل الحديد، والنحاس ، والفحم ، والرصاص، وعلى الرغم من أهمية أذربيجان على بحر قزوين إلا أنها تتمسك بأرضها المسلوبة في أرمينيا.

٧- جمهورية داغستان :

تقع جمهورية داغستان بين جبال القفقاس، وبحر قزوين وسكانها جميعاً من المسلمين، ويصل تعداد السكان حوالي المليونين ونصف المليون نسمة، والعاصمة هي مدينة (محج قلعة) ويوجد في داغستان أكبر تجمع تركي في القفقاس بعد الأتراك الأذريين وهم الأتراك القوموق [٣٤] ، ويشكل الداغستانيون (٣٢) جنسية مستقلة على طول الشاطئ الغربي لبحر قزوين وقد سادت اللغة العربية هذه المنطقة، حيث كانت لغتهم تكتب بالحروف العربية قبل الاستعمار الروسي، ثم جرى عليهم ما جرى على غيرهم من مسلمي آسيا الوسطى، وشمال القفقاس وبلاد ما وراء النهر، ومنها خرج "غازي محمد" الذي أعلن الجهاد ضد الروس واتهمهم بالكفر والإلحاد، ومن خلفه جاء "الإمام شامل " وأعلن استقلال داغستان، التي أصبحت دولة حكم ذاتي في يناير (١٩٢١م) .

٨- جمهورية تتارستان :

يمثل التتار أقلية عرقية بارزة فى روسيا بعد الروس فى جمهورية روسيا الاتحادية، وهم سادس مجموعة عرقية في الاتحاد السوفيتي القديم ويوجد ٦٠% منهم في حوض الفولجا، وترجع اللغة التترية إلى اللغة التركية، ويتحدث التتار والبشكير لغات متشابهة وجمهورية تتارستان لا يحق لها الاستقلال الكامل عن روسيا بموجب الدستور السوفيتي وأن حوالي مليون ونصف تترى يعيشون في جمهورية تتارستان ولكن تحت الحكم الذاتي، فقد احتلها" إيفان الرهيب " وطرد منها المسلمين التتار، وحول الروس أكثر من (٧٠٠) مسجد فى المنطقة إلى مرابط للخيول وحظائر للماشية [٣٥] .

٩- جمهورية بشكيرستان:

تقع بشكير جنوب جبال الأورال، ويمثل الأتراك النسبة الغالبة لعدد السكان، الذين يقدرون بـ (٥) ملايين نسمة منهم (٦٥%) مسلمون ، أما لغة الباشكير فهي تختلف عن لغة التتار في النطق وقواعد الكتابة ، وفشلت روسيا في فرض اللغة الروسية بالإجبار على الشعب التترى ويسود المذهب السني في منطقة الباشكير ، وهم جميعاً مسلمون على الطريقة الحنفية واحتلت في أواخر القرن السادس عشر على يد " إيفان الرابع"، الملقب بالرهيب وكانت عاصمتها أونا مركزاً إدارياً لمفتي روسيا [٣٦] .

وتشهد باشكيريا اليوم محاولة جادة نحو استعادة هويتها الإسلامية المفقودة، ولكن يعوزهم الكثير من العوامل العملية والواقعية والعلم بالإسلام.

١٠- جمهورية القرم:

تشير العديد من المصادر أن جمهورية القرم هم في الأصل من التتار واعتنق أهالي القرم الإسلام فى أواخر القرن الرابع عشر الميلادي، وتمكنوا من إقامة دولة لهم فيها خلال القرن الـ (١٥) ، ولكن الروس احتلوها وضموها إلى الإمبراطورية الروسية، ثم انتزعها منهم الأتراك العثمانيون، وظلوا فيها حتى مطلع القرن التاسع عشر ثم أجلاهم عنها الروس، ودخلها الشيوعيون بعد الثورة، وانتقموا من أهلها لمقاومتهم الشيوعية وهدموا معظم مؤسساتها الإسلامية.

وفى عام (١٩٢٨) قرر الروس أن يجعلوا من القرم الإسلامية موطناً لليهود الفلاشة [٣٧] ؛ إلا أن الشعب ثار وقاوم رافضاً إجبار المواطنين على الهجرة إلى الجبال، وفتح الاستيطان لليهود في أماكنهم، ولما فشل الروس في إخماد هذه المظاهرات، قامت القوات الروسية باغتيال رئيس القرم وأعضاء حكومته معاً، ونفي (٥٠) ألف مواطن إلى سيبيريا، ومليون ونصف المليون إلى تركيا وأوربا الغربية، وبعضهم ذهب لبلغاريا ورومانياً وأمعنت القوات الشيوعية فى عنفها ضد أهل القرم حتى أن الـ (٥) ملايين نسمة الذين كانوا يشكلون عدد سكان القرم آنذاك لم يعد منهم إلا (مليوناً ونصف مليون فقط) وكان وراء هذا العنف والتشريد وحملات الإبادة اتهام شعب القرم بأنه كان يؤيد ألمانيا فى حربها مع روسيا أثناء الحرب العالمية الثانية، إلا أنه وفى عام (١٩٦٧م) أعلن مجلس السوفيت الأعلى براءة شعب القرم من التخابر مع ألمانيا ضد روسيا [٣٨] .

كما توجد العديد من الدول التي تقع تحت السيادة الروسية حتى الآن ويمثل المسلمون في بعضها أقلية ، والبعض الآخر أغلبية، ولكن وكما هو ملاحظ على وضع الإسلام في روسيا بعد سقوط الاتحاد السوفيتي بأنه إسلام شكلي بلا روح ، وأن المسلمين في الجمهوريات الإسلامية في حاجة إلى الدعوة من جديد ، والتخلص من ذيول الحزب الشيوعي القديم الذي كان ما يزال يتحكم في مقاليد الأمور لهذه الجمهوريات .

أما الأقليات المسلمة التي ما تزال خاضعة لروسيا في إطار ما كان يعرف بالاتحاد السوفيتي القديم فهي بشكل ملخص كالآتي [٣٩] :

- **بلقاريا:** وهم الجبليون الذين يعيشون في أعالي الجبال في وسط القفقاس، وأجبروا على ترك موطنهم إلى الجبال بعد حملات مطاردة من الجيش الروسي، وتقع هذه الولاية إلى الغرب من أوستيا، وينتمي سكانها إلى الشركس ، وسكانها مسلمون وهم حوالي مليون نسمة، وعاصمتها نلتشيك.
- **قرتشاي:** وتقع هذه الجمهورية غرب بلقاريا ، وسكانها من التتار وتصل نسبة المسلمين فيها حوالي (٨٥%) وعدد سكانها مليون نسمة .
- **الإديجا** : وتقع هذه الولاية فى الشرق من البحر الأسود ، ويعود سكانها إلى الشركس ، وتبلغ نسبة المسلمين فى الولاية (٨٠%) من عدد السكان .
- **ماري** : تقع فى شمال تتاريا وتصل نسبة المسلمين هناك (٥٠%) وعدد سكانها حوالي مليون نسمة وعاصمتها يوشكارأولا .
- **أوستيا الشمالية** : تقع أوستيا إلى الغرب والجنوب من الشيشان والأنجوش وينتمي سكانها إلى الشراكسة، ويمثل المسلمون بداخلها نحو (٥٠%) من عدد السكان .
- **الجوفاش** : وتقع الجوفاش غرب تتاريا ، وعاصمتها مدينة شيوفساري وتصل نسبة المسلمين بداخلها حوالي (٥٥%) .
- **أدموت:** وتقع هذه الولاية شمال تتارستان، ويصل عدد سكانها نحو مليون نسمة وعاصمتها أيجفسك .
- **بشكالوف:** تقع جنوب باشكيريا، وتحدها من الجنوب كازاخستان .

هذا بجانب الأقلية المسلمـــة في دول البلطيـــق : (ليتوانيا، وأستونيا، لاتفيا، ومولدافيا) . وكذلك موردوف التي تقـــع فـــي الجنـــوب الغـــربي من الجوفاش وعاصمتهـــا "سارا نسك" وتبلـــغ نسبة المسلمـــين بها حوالي (٦٥%) مـــن مجموع السكان.

وإجمالاً فإن الاتحاد السوفيتي القديم كان يضـم دول تركسـتان الغربيـة وهـي جمهوريات آسيا الوسطي : (كازاخستان، أوزبكستان، تركمانستان، طاجيكسـتان، قيرغيزستان ، ثم تتارستان ، وباشكيرستان ، وشبه جزيرة القرم) كمـا يضـم دول منطقة القفقاس : (أذربيجان ، جورجيا ، أرمينيا) ودولاً ذات حكم ذاتي مثل أوستيا الشمالية، الشيشان، الأنجوش ، أبخازيا ، أجاريا، داغستان ، بلقاريا ، ناخشيشيفيان ، بجانب مقاطعات حكم ذاتي مثل قرتشاي وكاراباخ ، وأوستيا الجنوبية ، والأديجـا ، فضلاً عن روسيا ودول البلطيق (أستونيا ، ليتوانيا ، لاتفيا ، ومولدافيا ، أوكرانيـا، وروسيا البيضاء) .

قمة شنغهاي والجمهوريات الإسلامية الروسية
بعد أحداث ١١ سبتمبر (٢٠٠١م)

في عام (١٩٩٦م) تأسست مجموعة شنغهاي والتي تضم كلاً من الصين وروسيا وطاجيكستان وكازاخستان وقيرغيزستان في العاصمة الطاجيكية دوشنبة، وذلك بهدف إعادة رسم الحدود بينها وبين الصين من ناحية، وبينها وبين الوضع الجديد للاتحاد من ناحية أخرى .

كما استهدفت المجموعة مواجهة الأخطار المشتركة، والتعاون الاقتصادي بين الدول الأعضاء ، وقد انتهت اجتماعات القمة الأولى إلى دعمها للجهود الروسية في حل المسألة الشيشانية وإدانتها للإرهاب ؛ وأعربت المجموعة عن قلقها الشديد من حكومة طالبان- النظام الحاكم في أفغانستان- ومن تحويل السفارة الروسية في كابول إلى سفارة الشيشان الإسلامية، ورفضت طالبان تسليم (٣٠٠) مسلمٍ من الإيغور إلى الصين تحت زعم صيني يقول : بأنهم يمارسون أعمال عنف وتخريباً فى إقليم "سنكنيانج" أو ما تعرف بتركستان الشرقية ذات الأغلبية المسلمة فى نفس الوقت اتهمت كل من أوزبكستان، وقيرغيزستان حكومة طالبان بدعمها المستمر للمعارضة الإسلامية فى بلادها[٤٠] .

وبعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر (٢٠٠١م) ، تدخلت روسيا بعنف لإخماد المظاهرات في جمهورية داغستان ذات الحكم الذاتي، حيث فرضت حصاراً عليها وقصفت بعض مدنها، وكان من نتائج هذا القصف محو وإبادة بلدة كاراماخي من على الخارطة، مما أدى إلى تدخل المقاومة الشيشانية ضد الروس بعد عبور بعض رجالها لمناصرة أبناء عقيدتهم في داغستان مما دفع روسيا إلى مطالبة مجموعة شنغهاي بالحيلولة دون امتداد المقاومة الشيشانية خارج أراضيها، إذ إن معنى ذلك أن روسيا قد تواجه نفس المصير مع كل الجمهوريات التي تقع تحت سيادتها بموجب اتفاقية الحكم الذاتي لهذه الجمهوريات[٤١].

وعلى ما يبدو أن قمة (شنغهاي) والتي تعقد بشكل سنوي كان من أهدافها محاصرة المد الإسلامي في منطقة آسيا الوسطى وشمال القفقاس، وذلك عبر عدد من المحاور أهمها :

أولاً: حرص الصين على محاصرة الإقليم الصيني ذى الأغلبية المسلمة والواقع داخل أراضيها لمنع وصول نداءاته خارج الحدود الصينية، ونظراً لامتداد العنصر الإيغوري الذى يشكل معظم سكان الإقليم داخل جمهوريات آسيا الوسطى ، طالبت الصين من قادة حكومات هذه الجمهوريات تسليمها بعض العناصر الإسلامية النشطة داخل أراضيها، مع منع تسلل أية مجموعات إسلامية إلى إقليم تركستان الشرقية.

ثانياً: تسعى روسيا من خلال هذه المجموعة لتحقيق مؤازرة ومساندة ودعماً لما تقوم به داخل جمهورية الشيشان والأنجوش وداغستان، واعتبار أن ما تقوم به روسيا ضد هذه المجموعات من الأمور الداخلية التي تخص روسيا وحدها .

هذا بجانب أن روسيا سعت لإدراج بعض التنظيمات في الجمهوريات على قائمة الدول التي ترعى الإرهاب بعد فشلها في تحقيق نصر مؤكد على الحركات الجهادية في الشيشان وخاصة بعد عملية المسرح الروسي التي نفذتها بعض الفتيات المسلمات من الشيشان حيث قمن باحتجاز أكثر من ثلثمائة متفرج داخل المسرح ، الأمر الذي أزعج روسيا ومجموعة شنغهاي ، بل وأدركت الولايات المتحدة حقيقة أن تواجدها في المنطقة يقتضي أن تراقب عن كثب نشاط هذه الحركات فى المنطقة حفاظاً على مصالحها فى بحر قزوين .

فى حين كان الهدف غير المعلن لقادة الجمهوريات الروسية الداخلة من الاتفاق : (كازاخستان، أوزبكستان، قيرغيزستان) استمرار بقائهم فى السلطة مدة أطول[٤٢] فعلى الرغم من أنهم كانوا فى السابق من أنصار الحزب الشيوعي بل من قادة أفرعه ويحكمون شعوباً ذات أغلبية مسلمة يدينون بالمذهب السني، إلا أنهم يشعرون بالقلق من التنامي الإسلامي فى دولهم، وخاصة حزب النهضة الإسلامي الذي أصبح له نشاط في العديد من دول آسيا الوسطى، وأن سياسة الحزب الإسلامي ترفض استمرار الشيوعيين فى حكم بلادهم، فأوزبكستان وهي عضو فى مجموعة شنغهاي تشهد صحوة إسلامية كبرى فى المنطقة بعد طاجيكستان، واستخدمت حكومتها أساليب قمعية لوقف تنامي الصحوة وقمع المعارضة السياسية – الإسلامية، وأصبح المحور الأمني على أولويات اهتمامات المجموعة حيث ركزت جهودها لمحاربة الثلاثي المعارض وهم : " الإرهاب الدولي، التطرف الديني، النزعات الاستقلالية " ويعد الإسلام هو

القاسم المشترك في القضايا الثلاث – وخاصة بعد أحداث التفجيرات الأمريكية الأخيرة .

وأخيراً وكما هو ملاحظ أن روسيا والصين – بغض النظر عن الجمهوريات الإسلامية الداخلة في مجموعة شنغهاي – أعلنتا تعاونهما ومؤازرة كل منهما للأخرى فى محاولة لاستغلال منطقة آسيا الوسطى وشمال القفقاس والاستفادة من مواردها الطبيعية من بترول وغاز طبيعي ومعادن، ومن ثم حرمان الولايات المتحدة من هذه الموارد، فدولة كازاخستان مثلاً متوقع لها أن تصبح في خلال السنوات الخمس القادمة ضمن أكبر خمس دول إنتاجا للبترول في العالم، وجاء الاهتمام بهذه المنطقة بسبب اكتشاف آبار البترول بكثافة حول بحر قزوين، وهو ما دفع روسيا والصين لمحاصرة المنطقة والحيلولة دون تدخل الولايات المتحدة في المنطقة بعد أن تركا لها منطقة الخليج .

إلا أن الولايات المتحدة في إطار حملتها على الإرهاب في العالم، ومحاولة تصفية تنظيم القاعدة في المنطقة وإسقاط حكومة طالبان في أفغانستان – على بحر قزوين – أفشلت كل المخططات الثنائية التي ظل " بوتين وزيمين " يخططان لها منذ عام (١٩٩٦م) ، وإن كانت الأطماع ممتدة لسنوات سابقة عن هذا التاريخ وتحديداً بمجرد إعلان سقوط الشيوعية وتفكك الاتحاد السوفيتي القديم .

وجاءت الولايات المتحدة إلى بحر قزوين في إطار حملتها على الإرهاب بطائراتها وقواعدها العسكرية ونفوذها الاقتصادي الذي بدأ في التوغل في المنطقة عبر المعاهدات والاتفاقات مع قادة الجمهوريات الإسلامية منذ عام (١٩٩٢م) ، وبالتالي سيكون لذلك تأثيره السلبي على المصلحة الاقتصادية، سيؤثر ذلك على مستقبل الإسلام فى المنطقة وخاصة وأن الإسلام ما يزال في قفص الاتهام، وكل أتباعه بالأحرى متهمون ؟

هوامش الفصل الخامس

(١) أحمد شلبى : موسوعة التاريخ الإسلامى ، (القــاهرة : دار النهضــة العربيــة ١٩٩٠م) ص٥٨٢ .

(٢) حسين مؤنس : أطلس تاريخ الإسلام ، مرجع سابق ، ص ٢٤٠-٢٤٥ .

(٣) أحمد رائف : الملاحة فى بحار النار الشيشان ، مرجع سابق ، ص١٢٦ .

(٤) المسلمون في روسيا ،(الزهراء للإعلام العربي ١٩٩٥م) ص ١١.

(٥) سيد حنفي : في قضايا الفكر ومشكلات المسلمين، مرجع سابق ، ص٩١ .

(٦) صابر طعيمة : محنة الأقليات الإسلامية، مرجع سابق ، ص٨٨.

(٧) حسين مؤنس: أطلس تاريخ الإسلام، مرجع سابق ، ص١٤٢ .

(٨) محمد فراج : المسلمون في آسيا الوسطى ، (مستقبل العالم الإسلامى ، العــدد الخامس ١٩٩٢م) ص ١٩٣-١٩٥ .

(٩) المسلمون في العالم ، (لندن: جريدة العالم الإسلامى؛ هيرست ١٩٩٢م) ص٣ .

(١٠) أحمد رائف : الملاحة في بحار النار، مرجع سابق ، ص ١٣٠-١٣٥.

(١١) عاطف عبد الهادى:مسلمو روسيا شكرا،(إسلام أون لاين نت ٢٠٠٢/٧م) .

(١٢) الإسلام في روسيا،(إسلام أون لاين نت ٢٠٠٢م) .

(١٣) صابر طعيمة: محنة الأقليات المسلمة، مرجع سابق ، ص٩١.

(١٤) محنة الأقليات المسلمة، المرجع السابق ، ص٩٦ .

(١٥) الإسلام في آسيا الوسطى ، (إسلام أون لاين نت ٢٠٠٣م) ص١١ .

(١٦) صابر طعيمة : محنة الأقليات الإسلامية والواجب نحوهــا، مرجــع ســابق، ص١٠٥ .

(١٧) مصطفى علوى : الأزمة السوفيتية والقوميات ، (بيروت : الفكر الإستراتيجي العربي عدد أبريل ١٩٩٢م) ص٦٣ .

(١٨) عاطف عبد الهادي : مسلمو روسيا شكرا على التجاهل ، (إسلام أون لايــن نت سياسة/مقالات/٣٦) .

(١٩) مسلمو روسيا شكرا، مرجع سابق ص١٨ .

(٢٠) صابر طعيمة : محنة الأقليات الإسلامية والواجب نحوها، مرجع سابق، ص١٠٥ .

(٢١) إيمان يحيى : انهيار الاتحاد السوفيتي ، (مالطا: مستقبل العالم الإسلامى، العدد الخامس ١٩٩٢م) ص١٢٢ .

(٢٢) رياض الريس : جريدة القدس العربية ، (في٢/١١/١٩٩٢م) ص١٣ .

(٢٣) عاطف عبد الهادي : مسلمو روسيا شكرا، مرجع سابق ،ص٢٣.

(٢٤) رأفت الشيخ ومحمد رفعت : آسيا في التاريخ الحديث والمعاصر(القاهرة : عين للدراسات والبحوث، ٢٠٠١م) ص١٦٩ .

(٢٥) أحمد رائف : الملاحة في بحار النار، مرجع سابق ، ص٢٢٥-٢٢٧.

(٢٦) رأفت الشيخ : آسيا في التاريخ الحديث والمعاصر، مرجع سابق ، ص٢١٨ .

(٢٧) أحمد رائف : الملاحة في بحار النار، مرجع سابق ، ص٢٢٤.

(٢٨) عادل الفلاح : طاجيكستان(القاهرة: لجنة مسلمي آسيا ، ١٩٩٥م) ص ٢٥-٣٠ .

(٢٩) أحمد رائف : الملاحة في بحار النار، مرجع سابق ، ص٢٣١ .

(٣٠) رأفت الشيخ : آسيا في التاريخ الحديث، مرجع سابق ، ص٢٦٨.

(٣١) عادل الفلاح : تركمانستان ،(لجنة مسلمي آسيا، الكويت ١٩٩٥م) ص١٢.

(٣٢) رأفت الشيخ : آسيا في التاريخ الحديث والمعاصر، مرجع سابق ، ص ٢٣٨.

(٣٣) أحمد رائف : الملاحة في بحار النار، مرجع سابق ، ص٢٤٦ .

(٣٤) يسرى الجوهري: آسيا الإسلامية،(القاهرة : دار المعارف١٩٨٠م) ص١٩٤ .

(٣٥) أحمد رائف : الملاحة في بحار النار، مرجع سابق ، ص٢٨٢ .

(٣٦) إيمان يحيى : انهيار الاتحاد السوفيتي، مرجع سابق ، ص٤ .

(٣٧) محمد حرب : المسلمون في آسيا الوسطى والبلقان،مرجع سابق ، ص٩ .

(٣٨) محمد السمان: محنة الأقليات المسلمة ، مرجع سابق ، ص ١٩٨.

(٣٩) حيدر عبد الرازق : جمهوريات آسيا الوسطى والهويـــة الثقافيـــة ، (الفكـــر الجديد، العدد ٢٥ مارس ١٩٩٣م) ص٥ .

(٤٠) شيرين فهمي : قمة شنغهاي تحالف ضد الهلال والكابورى (إسلام أون لاين نت /عربي /مقالات /سياسة/٢٠٠٢م) .

(٤١) عمر عاشور : مجموعة شنغهاي تحالف مصلحي أم صراع حضاري ، (إسلام أون لاين نت ٢٠٠٢م) .

(٤٢) مسلمـــو أوربا وآسيا الوسطى ، (الفكر الجديد، العـــدد الخـــامس، مـــارس ١٩٩٣م) ، ص٥ .

الفصل السادس

أوضاع الأقليات الإسلامية
في منطقة شمال القفقاس
وبلاد ما وراء النهر

قبل وبعد أحداث ١١ سبتمبر (٢٠٠١م)

الفصل السادس

أوضاع الأقليات الإسلامية فى منطقة شمال القفقاس وبلاد ما وراء النهر قبل وبعد أحداث ١١ سبتمبر (٢٠٠١م)

أولا: أوضاع المسلمين في جمهورية الشيشان قبل وبعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر (٢٠٠١م)

الشعب الشيشانى شعب صغير العدد؛ محدود الإمكانيات وهو يقف أمام قوة غاشمة هي قوة روسيا الاتحادية بكل ما ورثته هذه الدولة من الاتحاد السوفيتي القديم من سلاح وعتاد حربي كبير، وهى جزيرة صغيرة وسط بحر إمبراطورية الشر الواسعة ؛ أما مسمى إمبراطورية الشر فهو اللقب الذي أطلقته أمريكا على روسيا أيام الشيوعية إلا أنهم ما يزالون يحتفظون باللقب رغم زوالها من الوجود (١) .

وجمهورية الشيشان هي إحدى جمهوريات الحكم الذاتي التابعة لروسيا الاتحادية والتي وفق الدستور الروسي يحظر عليها أن تعلن استقلالها دون موافقة روسيا، وقد رضخ الشيشانيون لهذه النصوص القانونية الروسية من بداية القرن العشرين، ولكن في ظل التغيرات التي خلفها القرن العشرون وإطلالة القرن الحادي والعشرين لم يعد هذا القانون صالحا لما بعد الحرب الباردة، فبعد سقوط الاتحاد السوفيتي السابق، تغيرت الأوضاع السياسية في منطقة آسيا الوسطى وبلاد ما وراء القفقاس، وإصابة الاتحاد بالتفسخ ومطالبة القوميات – التي كانت تشكل مع روسيا منظومة الاتحاد السوفيتي القديم – بالانفصال لتصبح دولاً مستقلة وأخرى دولاً خاضعة للاتحاد الروسي وتطالب بالانفصال هي الأخرى .

والشيشان تعد من أوليات دول المنطقة إعلاناً للاستقلال عن روسيا، وذلك قبل الانهيار الفعلي للاتحاد السوفيتي واستقلال الجمهوريات الإسلامية والتي عرفت بـ (الكومنولث) ، لذلك عندما أعلن "جوهر دوداييف" الزعيم الشيشانى الراحل استقلال بلاده عن الاتحاد الروسي، قامت القوات الروسية بتجهيز الجيوش وتنظيم القوات، واقتحمت العاصمة الشيشانية (جروزنى) وسطرت بحديدها وطائراتها

وصواريخها صفحة سوداء من المآسي الإنسانية التي ظهرت مع إشراقات القرن الحادي والعشرين ومن هذا المنطلق تتعدد التساؤلات:

لماذا كانت حرب الشيشان ؟ وما هو موقف المجتمع الإسلامي منها، خاصة أنهم يشكلون أغلبية مسلمة ؟ وما هو موقف المنظمات الدولية من التعدي على أراضى الغير وحقوق الإنسان في الشيشان ؟ وإجمالاً لماذا رفضت روسيا استقلال الشيشان عن الاتحاد الروسي مقابل السماح لدول البلطيق الثلاث بالاستقلال والانفصال ؟ وما هو وضع المسلمين في الشيشان بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر بالولايات المتحدة؛ وموقف البيت الأبيض من الحركات الجهادية التي تقاوم التدخل الروسي في الأراضي الشيشانية هل تغير بعد هذه الأحداث ؟

الشيشان : الموقع والأهمية :

تقع الجمهورية الشيشانية في الجزء الجنوبي الشرقي من منطقة القفقاس الشمالي وتشترك حدودها مع كل من مقاطعة ستافرويل (روسيا) شمالاً وجمهورية داغستان شرقاً وجمهورية أوسيتيا الشمالية غرباً، ومع جمهورية جورجيا جنوباً، وتبلغ مساحتها (١٩,٣ كم) وعاصمتها جروزنى، وأشهر مدنها فهي غودرميس، فيدينو[٢]، أما أهميتها فترجع إلى وجود النفط والغاز الطبيعي، وكذلك مواد البناء مثل الجير والأسمنت، والحصى ، حيث تستخرج بكميات كبيرة من المناطق الجبلية، بجانب العديد من ينابيع المياه المعدنية التي تجعلها من أجمل بقاع العالم.

وتتكون الشيشان من (١٢) مقاطعة و(٤) مدن رئيسية، وتقع على السفوح الشمالية لجبال القفقاس، ويمثل المسلمون أغلبية السكان البالغ مليوني نسمة [٣] مقابل (٢٥٠) ألف روسي يمثلون الأقلية داخل الأراضي الشيشانية، ويأخذ الشيشانيون بالمذهب الشافعي، نظراً للتزايد الملحوظ للحركات الصوفية منذ دخول الإسلام هناك مثل النقشبندية والقادرية، حيث لعبت هذه الجماعات دورا ونفوذاً كبيراً في القفقاس على المستويين الدعوة للإسلام؛ ومقاومة عمليات الغزو الروسي والمغولي والشيوعي الذي تعرضت له الشيشان على مدار تاريخها الطويل.

أما اللغة الشيشانية فهي تنتمي إلى المجموعة الفانياخية، وهى إحدى اللغات القفقاسية التي تضم بين مفرداتها الكثير من الكلمات الدخيلة عليها من لغات عديدة مثل : (العربية،

والفارسية، والجورجية، والتركية) وأساس الكتابة الشيشانية الحديثة هي الحروف الروسية، وحتى أواسط العشرينيات كانت تكتب اللغة الشيشانية بالشكل العربي، والذي تم استبداله في الفترة من (١٩٢٨-١٩٣٨م) إلى الحرف اللاتيني ثم إلى الكيريلية الروسية ، كما يأخذ الصراع في الشيشان عدة أشكال وحلقات، أهمها :

الصراع الروسي – الشيشاني في القفقاس:

تعرضت جمهورية الشيشان وغيرها من شعوب وجمهوريات شمال القفقاس لسلسلة طويلة من الحروب سواء أكان ذلك في ظل الحكم القيصري أم أثناء الحكم الشيوعي لآسيا الوسطى أم حتى بعد سقوط الشيوعية وتفكك الاتحاد السوفيتي السابق .

وعداوة الروس للإسلام والمسلمين قديمة؛ ولها جذور ممتدة منذ الحروب التي كانت مع التتر؛ الذين كانوا يأخذون الجزية من الروس في إمارة موسكو منذ ألف عام وفقا لمفاهيم ذلك العصر الذي لم يعد له وجود الآن بيد أن ذروة هذا الصراع كان بين الروس وبين الخلافة العثمانية والتي كانوا يعتبرونها المنافس الأكبر لهم في أوربا وكانوا يعتقدون أن العثمانيين هم الذين يحولون بينهم وبين المياه الدافئة على الخليج.

وقد بدأت روسيا حملاتها ضد الشيشانيين منذ نهاية القرن الـ (١٨) وجرى أول اشتباك مسلح بين القوات الروسية والشيشانية عام (١٧٣٢م) واستطاعت المقاومة الشيشانية آنذاك إيقاع هزيمة فادحة للروس على يد : " الشيخ منصور " إلا أنه وفى عام (١٧٨٥م) عزمت الحكومة القيصرية على ضم الأراضي الشيشانية عنوة، ولاقت روسيا القيصرية إبان زحفها على القفقاس مقاومة عنيفة من قبل الشيشانيين [٤] .

وقد تمخضت السياسة الاستعمارية الروسية وقتها عن محاصرة شعوب شمال القفقاس في الجبال، وسلبهم المراعى، والمناطق الزراعية التى كانوا يملكونها ، في الوقت ذاته فرضت عليهم بالإكراه قواعد جديدة للنظام السياسي والإداري في المنطقة، وقضت على الأحكام والمؤسسات الاجتماعية التي تشكلت على مدى قرون لدى هذه الشعوب، مما دفع لظهور حركات المقاومة الشعبية مثل المقاومة التي قادها " الإمام شامل "والتي استمرت أكثر من خمسة وعشرين عاما.

وبعد أن شعرت روسيا بضعف المقاومة قامت باقتحام الشيشان بـ (٢٠٠) ألف جندي روسي، ولم يستطع " الإمام شامل " مقاومتهم بعد نفاد أسلحته من ناحية

وتخلي أتباعه عن المقاومة ومحاصرة حركة المقاومة الشيشانية من ناحية أخرى- التي تعرضت للجوع والعطش ووفاة العشرات من أفرادها- فقاموا بالاستسلام وفى نيتهم العودة للمقاومة مرة أخرى، بل إنهم اعتبروا أن الاستسلام هدنة لن تستمر طويلا ، وفى عام (١٨٠١م) انضمت جورجيا إلى روسيا في الحرب على الشيشان، باعتبارها الطريق الوحيد الموصل بين البلدين (روسيا وجورجيا) حيث يوجد خط حديدي يمر عبر الأراضي الشيشانية إلى هناك.

وبالتالي كان حرص روسيا على احتلال الشيشان أو الإبقاء عليها تحت سيطرة الاتحاد الروسي يكمن في تأمين مصالحها في جورجيا،حيث اتخذت القوات الروسية من مدينة (جروزنى) العاصمة الشيشانية حالياً، قلعة للقضاء على المجاهدين الشيشانيين عام (١٨١٨م) ، واستطاعت أن تحقق بعض الانتصارات والتفوق العسكري، إلا أنه وفى عام (١٨٣٠م) ، وبظهور أحد المتصوفين وصفته روسيا بأنه داغستاني عنيد استطاع أن يلملم أوراق الماضي ويجمع عناصر الحركة من جديد وكان يدعى : " غازي محمد" الذي تربى الشيخ شامل على يده ،دعا غازي محمد إلى حرب مقدسة ضد (الكفار) الروس، وفى الوقت نفسه أعلن أنه زعيم روحي لمسلمي داغستان والشيشان ؛ ولما أحست روسيا بخطورته سعت إلى اغتياله وتحقق لها ما كانت تسعى إليه عام (١٨٣٢م) .

وخلف غازي محمد في مقاومة الروس الإمام شامل الذي أعلن استقلال داغستان عن الإمبراطورية الروسية (١٨٣٤م) ؛ وحاولت القيادة الروسية تدبير مؤامرة لاغتياله مثلما فعلت مع غازي محمد ولكن فشلت في كل مرة و لم تتمكن منه روسيا إلا بعد أن أعلن استسلامه وبعد أن أنهكه المرض و لم يعد يملك أية أدوات للمقاومة ؛ وقامت القوات الروسية بوضع (الإمام شامل) الذي كبد القوات الروسية خسائر فادحة، في أحد السجون واستغلت ذلك وفرضت الضرائب على كل السكان دون تمييز وسلبت الأراضي الزراعية من الشيشانيين، وتم توزيعها من جديد على الروس ، بل وأجبر الروس الفلاحين الشيشان على العمل في مقاطعاتهم وأراضيهم دون أجر (٥) .

واستبدلت الجهاز الإداري الشيشاني بآخر روسي ،وفتحت باب الهجرة والاستيطان من كل الأراضي الروسية إلى الأراضي الشيشانية؛ في محاولة منها لتصفية الإسلام من هذة البقعة التي تمثل للروس موقعا إستراتيجيا لا يمكن الاستغناء عنه.

الصراع الشيشاني الشيوعي:

بعد مرحلة الصراع الروسي – الشيشاني التي تمخضت عن ظهور حركات المقاومة الشيشانية والتي تزعمها (الإمام منصور) و(الإمام شامل)، و(غازي محمد) جاءت المرحلة الثانية التي بدأت من احتلال الروس عشية الثورة البلشفية عام (١٩١٧م) سهول الشيشان والقفقاس ، ففي عام (١٩١٨م) كانت هناك جمهورية مستقلة باسم جمهورية "الجبل المتحدة " وتضم دول شمال القفقاس ولكن مع نهاية (١٩٢١م) انفصلت أقاليم عديدة من الجمهورية (٦) . واستقلت " كابارد"، كإقليم يتمتع بحكم ذاتي، ثم انتزعت من هذه الجمهورية أراضى " القرتشاى والشركس"، الأمر الذي دفع بمنطقة القفقاس في يناير (١٩٢٣م) بالانفصال هي الأخرى حتى أصبحت جمهورية (الجبل) مقصورة على الشيشان والأنجوش وأوسيتيا الشمالية، وجميعها بعد انهيار الاتحاد السوفيتي القديم أصبحت أقاليم مستقلة، وبعضها دولاً لها الحق في أن تقرر مصيرها بعيدا عن الهيمنة الروسية (٧) .

وفى عام (١٩٣٦م) أصبحت الشيشان جزءاً من الاتحاد السوفيتي السابق وصدر مرسوم (١٩٤٦م) بإلغاء جمهورية الشيشان وطرد وتشريد الشعب في سهول سيبيريا ، بل وتوزيعه على المناطق الجبلية فى أواسط آسيا بعد أن فشلت محاولات التصفية والقضاء على الوجود الإسلامي في هذه المنطقة (٨) .

الشيشان بعد السقوط الشيوعي :

تعرض شعب الشيشان خصوصاً، ومسلمو القفقاس عموماً مثل الأنجوش والداغستانيين إلى سلسلة من عمليات الاضطهاد والتشريد على أيدي (ستالين)، ومع ذلك لم يتهاون المجاهدون في الشيشان في أي فترة تاريخية عن المقاومة ضد المستعمر الروسي، فعندما بدأت العمليات العسكرية الروسية بأول عملية إسقاط مظلات لنحو ألف من القوات الروسية في التاسع من نوفمبر (١٩٩١م) قرب مطار "جروزنى" لقيت مقاومة عنيفة أسفرت عن خسائر هائلة في القوات الروسية.

حيث جاءت هذه العملية بعد أن أعلن "جوهر دوداييف " نفسه رئيسا لجمهورية الشيشان في (١٩٩١/١٠/٢٧م، وفى ١٩٩١/١١/١م) أيضا أعلن دوداييف استقلال بلاده عن روسيا، ومن هذا الإعلان وحتى (١٩٩٤/١٢/١١م) ، كانت هناك حربا دعائية إعلامية بين الطرفين الروسي والشيشاني ، ومناورات حربية بينهم لم تكن – وصلت بعد ذلك لمرحلة الحرب– كما استطاعت روسيا أن توجد من بين الشيشانيين جبهة معارضة ضد حكم الرئيس الشيشاني دوداييف، الأمر الذي اتخذه الرئيس الروسي " يلتسين " ذريعة للقضاء على حركة المجاهدين في الشيشان وإلغاء ما يسمى بجمهورية الشيشان المستقلة (٩) .

وكان في تقدير الرئيس الروسي أنه سيدخل"جروزني" صبيحة رأس السنة على أقصى تقدير، وأن عملية الغزو لن تستمر أكثر من ساعتين، إلا أن الرئيس الروسي لم يضع في اعتباره معنويات حركة المجاهدين وتاريخ هذه المنطقة في المقاومة ضد أية تدخل أجنبي في أراضيها، وفشلت مزاعم "يلتسين" عندما صرح أمام محطات وشبكات وتليفزيونات العالم أن عودة الشيشان لروسيا لن تستغرق أكثر من ساعتين (١٠) .

حيث أمر قواته في (١٩٩٤/١٢/١١م) باحتلال الشيشان واستخدام كل ما تملكه القوات الروسية من طائرات وصواريخ ودبابات للقضاء على حركة التمرد التي تتعرض لها هذه الجمهورية ، واقتحمت الدبابات الروسية الأراضي الشيشانية من الغرب والشمال الغربي والشرق في وقت واحد، بالإضافة إلى وحدات عسكرية خاصة تابعة لوزارة الداخلية وقوات روسية تزيد على (٥٠) ألف جندي تدعمها طائرات حربية ذات كفاءة قتالية عالية ، وفرق من المظلات المدربة تهبط فوق رأسهم (١١) .

وعندما لم تتمكن القوات الروسية من تحقيق أي انتصار على حركة المقاومة التي يتزعمها "جوهر دوداييف" ، لجأت روسيا إلى ضرب القصر الرئاسى الخاص بالرئيس الشيشاني دوداييف، وسعت إلى تجنيد بعض العملاء لها داخل المقاومة الشيشانية لاغتياله– كما فعلت في السابق مع الإمام غازي محمد والإمام شامل والشيخ منصور والشيخ كونتا حاجي كاشف ؛ وعندما فشل الرئيس الروسي في أن يحقق أية نجاحات على المقاومة الشيشانية حتى على المستوى الإعلامي ؛ أمر يلتسين قواته بمحاصرة قرية

(ساماشكى) واستخدام العنف ضد المدنيين بها وتزايد عدد القتلى بينهم لإرهاب عناصر المقاومة وإجبارهم على إلقاء السلاح الذي فى أيديهم.

قام الجنود الروس بممارسة نفس أعمال العنف والوحشية التي مارسها الصرب مع المسلمين في البوسنة والهرسك؛ فقاموا بتجميع (٧) آلاف مدني شيشاني ما بين طفل وشيخ وامرأة، وأعلنوا عن ذبحهم إن لم يسلم المجاهدون أنفسهم وأسلحتهم للقوات الروسية، وعندما لم تستجب حركة المجاهدين للتهديدات الروسية، نفذ الروس تهديدهم، وقاموا باغتصاب الفتيات المسلمات، وبقر بطون الحوامل ، وإلقاء الأطفال تحت جنازير الدبابات مثلما فعلت القوات الشيوعية في السابق مع أطفال مسلمي أذربيجان عام (١٩٨٩م) كما قاموا بالاعتداء على المساجد ودور العبادة، والقيام بتدمير قصر الرئاسة ومبنى وزارة المالية (١٢) .

ولعل استهداف الروس لهذين المكانين تحديدا كان يرجع وقتها إلى عدد من الأهداف منها: أن الروس قاموا بمد الشيشانيين بالسلاح في فترة زمنية ليست بعيدة، إلا أن هذه الأسلحة أصبحت في مجال التقنية العسكرية الحديثة لاتساوى شيئا، وأن المخابرات الروسية كانت تعلم مسبقا بمكان المستندات وتوصلت فيما لديها من معلومات أنها داخل مبنى وزارة المالية، أما تدمير قصر الرئاسة، فيرجع وفق الفهم الروسي إلى أن المقاومة تأخذ أوامرها من " دوداييف " الذي يدير حركة المقاومة من داخله ويكبدهم خسائر فادحة وهو في مكانه، دون أن يخسر شيئا.

ولعل تمسك روسيا بالشيشان رغم خسائرها المتكررة فيها على أيدي حركة المجاهدين على مدار تاريخها الطويل يرجع لعدة أسباب هي:

- أن استقلال الشيشان، يعنى استقلال كل الدول الواقعة في إطار روسيا الاتحادية.
- أن في الشيشان أكبر محطات الكهروذرية التي تمد روسيا ذاتها بالطاقة الكهربية.
- وجود أجود أنواع النفط في أراضى الشيشان، وهو واقع بداية في أيدي المسلمين وهذا يكفل لهم شراء السلاح للانفصال عن روسيا.
- تضم الشيشان شبكة ضخمة من الطرق الممتدة عبر دول روسية عديدة، وهذا ما يؤدى إلى تعرض مصالح روسيا للخطر إذا ما حصلت على استقلالها.

● عدم السماح بإقامة دولة إسلامية داخل روسيا، فقد تزايد القلق الروسي بل والأوربي أيضا عندما أعلن "جـوهر دوداييف" عزمه تطبيق الشريعة الإسلامية في بلاده، واتهمته وسائل الإعلام الروسية بالأصولية والتطرف ، وممارسة العنف ضد الروس .

ومما سبق يتضح أن روسيا باقتحامها الشيشان في أواخر عام (١٩٩٤م) لم يكـن هدفها تقليم أظفار الرئيس الشيشانى " دوداييف " وخاصة بعد أن رفضت كـل دول العالم مساندتها في إعلان الاستقلال وحقها في الانفصال عن روسيا، بـل اسـتهدفت كما تؤكد الأحداث والوقائع تحقيق نوع من استعراض القوة في المنطقة أمام النظـام العالمي الجديد الذي بدأ يطل برأسه على منطقة بحر قزوين من ناحية، والرغبـة فى أن تسلم كل الدول الواقعة تحت الحكم الذاتي الروسي بالأمر الواقع وتسـتبعد مسـألة الاستقلال من حساباتها من ناحية أخرى، بل إنه لم يكن بحسابات الرئيس "يلتسـين" ولا حتى وزير خارجيته آنذاك " أندريه كوزيريف " أن ما يحدث هو بدايـة النهايـة للدب الروسي (١٣) .

فبعد أقل من أربعين يوما من اقتحام (جروزنى) زادت خسائر روسـيا بانضـمام (٤٧) جنرالا روسيا لصفوف المجاهدين الشيشانيين، ومقتل (٣) آلاف جندي روسي من القوات الروسية بما فيهم (قائد عملية الغزو) بالإضافة إلى (١٥٠) ضابطا وقعوا في الأسر وإصابة المئات من الجنود الروس ، مما دفع يلتسين إلى تغيير قادته بعـد تكـرار عمليات الاقتحام الفاشلة (١٤) . وعندما أعلن الرأي العام الروسـي اسـتياءه مـن الحملات العسكرية التي لم تحقق إلا مزيدا من الخسائر علـى المسـتوى العسـكري والاقتصادي أعلنت وزارة الدفاع الروسية في بيان رسمي بثته وكالات الأنباء الروسية والعالمية، أن قواتها لم تهزم في الشيشان ، بل إن الجيش الروسيّ قتل في شهر تقريبا منذ بداية العمليات العسكرية في ١٩٩٤/١٢/١١م قرابـة (٢٥٠٠) مسـلح شيشـانى، ودمرت أكثر من (١٥٠) طائرة و (٢٦) دبابة، واستولت على (٦٣) مدفعا، بجانـب (١٠٨) مقاتلين شيشانيين وقعوا في الأسرعلى أيدى القوات الروسية.

وأثارت هذه الأرقام الواردة في بيان وزارة الدفاع "سيرجى يوشنكوف" رئيس لجنة الدفاع في البرلمان الروسي (الدوما)، مؤكدا أن هذه الأرقام ليست دقيقة، كما أن حجم

خسائر القوات الروسية أيضا غير دقيق، خصوصا وأن القيادة العسكرية الروسية اعترفت بأن المعلومات التي تقدمها والتي تتعلق بالقتلى الروس الذين تعرفت على أسمائهم فقط قليلة، بينما ظلت مئات الجثث الروسية المحترقة فى الدبابات أو الملقاة فى شوارع جروزنى دون تحديد للأسماء لاختفاء معالمها دون جصر ، بينما لم تزد جملة خسائر الشيشان من المدنيين عن ١٨ ألف مقاتل فقط[١٥] .

وقال "سيرجى يوشنكوف": إن خسائر القوات الروسية فى الشيشان تضخمت لدرجة أنه لم يعد بمقدور وزارة الدفاع الروسية الإعلان عن الأرقام الحقيقية صراحة وأن الخسائر التي تكبدتها روسيا من غزوها للأراضي الشيشانية من شأنها أن تؤثر على المستقبل السياسي لروسيا فى المرحلة القادمة فى حين اعترضت النائبة "ستروب ثالبوت" بمجلس الدوما على تقرير سيرجى قائلة: إنه يجب تخفيف الضغط عن الرئيس الروسي " يلتسين " فى مثل هذه الظروف ويجب على الأعضاء فى المجلس دعمه وليس انتقاده ، وخاصة بعد أن أعلنت قيادة الجيش الروسى عن قيام متطوعين أصوليين من إيران والجزائر وباكستان وأفغانستان قادمين من الأراضي السودانية يعلنون الجهاد الإسلامى ضد الروس والوقوف مع أبناء عقيدتهم من الشيشانيين وأنهم جاؤوا إلى هذه المنطقة لأحد أمرين هما : النصر أو الشهادة ، وأنهم سيدخلون الشيشان عن طريق أذربيجان [١٦] .

الموقف الدولي من أزمة الشيشان :

لم يكن من الطبيعي أن يسكت الروس ولا أن يسكت الغرب عموما على ظهور جمهورية إسلامية مستقلة تطبق الشريعة الإسلامية ، وتؤكد على رفض (الترويس) والتمسك بالثقافة الإسلامية وهى جمهورية الشيشان ، خاصة وأنها تقع فى قلب شمال القفقاس ؛ المنطقة الواقعة ما بين بحر قزوين شرقا والبحر الأسود غربا، هذا بالإضافة إلى أن منطقة القفقاس تعد نقطة التقاء وعبور مشتركة لثلاث قارات هى : آسيا، وإفريقيا، وأوربا ، فمنع قيام دولة إسلامية في الشيشان ليس هدفا لروسيا فحسب، بل هدفا غربيا أيضا ، وإن تعاطفت معها بعض الدول الأوربية نتيجة الممارسات العنيفة التى مارسها الجنود الروس ضد المدنيين فى الشيشان ، خاصة وأن حرب البوسنة والهرسك استهدفت هى الأخرى منع قيام دولة إسلامية وسط أوربا [١٧] .

وقد تخلت معظم دول أوربا عن ادعاءاتها حول الديمقراطية وحقوق الإنسان، وبدا الصمت الأمريكي واضحا فى البداية إزاء التدخل الروسي فى الشيشان وأن ما تقوم به روسيا من تصفية الوجود الإسلامي فى الشيشان وحرمانها من الاستقلال مثل غيرهـــا، هو حق من حقوق روسيا.

أما رد فعل الأمم المتحدة فلم يختلف كثيرا عن موقف الولايات المتحدة أو حتى عن موقفها من أحداث البلقان ، بدعوة الأطراف المتنازعة إلى طاولـــة المفاوضـــات ، وأن الحرب من شأنها أن تزيد من عدد اللاجئين في العالم ، وهذا بطبيعة الحال يثقل عمـــل مفوضية اللاجئين التابعة للأمم المتحدة في عقد التسعينيات (١٨) .

أما الولايات المتحدة فقد أعلن رئيسها "بيل كلينتون" موقف الإدارة الأمريكية من حرب الشيشان بقوله: إن ما يحدث في الشيشان هو أمر داخلي يخص روسيا وحدها، ولا يحق للمجتمع الدولي الوقوف عنده، كما جاء هذا الموقف على لسان وزير الدفاع الأمريكي "وليام بيرى" فى المؤتمر الصحفي الذي عقده بالقاهرة بقوله :"إننا نقر بأن ما يحدث فى الشيشان أمر داخلي ويخص روسيا وإن كنا نشعر بالقلق نتيجة انتـــهاكات حقوق الإنسان فى الشيشان" . أما الموقف الألماني، فقد أعرب عن استيائه لما تقوم بــــه روسيا فى الشيشان، وقامت فى تحد واضح لما تقوم به روسيا بافتتاح سفارة لجمهورية الشيشان وسط مدينه بون.

وقد يعد ذلك اعترافا ضمنيا من ألمانيا باستقلال جمهورية الشيشان، وعلى ما يبدو أن القرار الألماني لم يكن مدفوعا بعامل إنساني نظرا لما يتعرض له المدنيون ، أو حبـــا وتعاطفا مع المسلمين في الشيشان ، ولكن العداوة السابقة بين البلدين هي التي دفعت بها إلى ذلك (١٩) .

كما جاء رد فعل مفوضية اللاجئين التابعة للأمم المتحدة أكثر سلبية مؤكدة أن السلطات الروسية تعرقل جهودها لمساعدة المدنيين الذين يفرون من هول المعارك في المدن والقرى الشيشانية ، وهذا بالضبط ما أكدته المفوضية عقب اقتحام الصرب سراييفو مؤكدة أن القوات الصربية تعوق جهودها ، مع أن طاقم المفوضية كان معظمه من الروس، الأكثر عداوة للمسلمين الأتراك.

كما أصـــدر المجلس الأوربي بيانا ضم ممثلي الـ (٣٣) دولة الأعضـــاء في فيينـــا، الذي وصفه البعض بأنه جاء ضعيفا، حيث دعا المجلس روسيا إلى وقف قتال المدنيين، وفى نفـــس الوقت طالب مؤتمـــر شعوب القوقاز الذي عقـــد في (محـــج قلعـــة) العاصمـــة الداغستانية بوقف الحرب في الشيشـــان وإلا تحولت القوقـــاز إلى حـــرب شاملة [٢٠] .

أما مصر فقد جاء رد فعلها إزاء الحرب في الشيشان بعد شهر من التدخل الروسي وجاء على لسان شيخ الأزهر الراحل "جاد الحق على جاد الحـــق " الـــذي طالـــب المسلمين في العالم بمناصرة إخوانهم في الشيشان؛ معلنا الجهاد الإسلامي ضد الروس، ثم جاء بعد ذلك تصريح الخارجية المصرية الذي طالبت فيه مصر علـــى لســـان وزيـــر الخارجية وقتها "عمرو موسى " وقف أعمال العنف في الشيشان والاحتكـــام للأمـــم المتحدة والمفاوضات.

وجاء موقف منظمة المؤتمر الإسلامي معبرا عن قلقها الشديد من حالة التصعيد ضد المسلمين في العالم، ودعت الأطراف إلى إيجاد حل تفاوضي بين البلدين، وأكد أمين عام المنظمة " حامد العابد " آنذاك على ضرورة حل النزاع بالمفاوضات بعيدا عن أعمال العنف.

أما تركيا- التي تتمتع بتاريخ ممتد في هذه المنطقة- فقد كانت أكثر حرصـــا عنـــد إعلان موقفها في حرب الشيشان وعبرت عن موقفهـــا إزاء الأحـــداث العنيفـــة في القفقاس، واعتبرت أن مساندتها للشيشان من شأنه أن يغضب روسيا المؤيدة لحـــزب العمال الكردستاني ، خاصة وأنها تملك أدوات هذا الصراع ، وأسرع "نهاد منتشـــه " وزير الداخلية التركي وأعلن اهتمام بلاده بشراء المزيد من الأسلحة من روسيا، ولعل تركيا بهذه الصفقة تكون قد كشفت عن مصالحها الحقيقية إزاء ما يحدث للمســـلمين في الشيشان ، الأتراك منهم وغير الأتراك ، مقابل أن تتخلى روسيا عن دعمها لحزب العمال الكردستاني الذي يتزعمه " عبد الله أوجلان " في عملياتـــه العســـكرية ضـــد القوات التركية [٢١] .

ومن هنا يتضح أن حرب الشيشان لم يكن لها أن تهدأ، إلا بالمقاومة العنيفة التي قام بها المجاهدون الشيشانيون، رغم اغتيال زعيم الحركة ورئيس الدولة " دوداييف " وهذا

ما يؤكد حقيقة مهمة، وهى أن الصراع الأزلى بين روسيا وشعب الشيشان كان يتسم بالطابع الديني والروحي على طول الخط، ووجود زعامة دينية تحفز على صد العدوان والدفاع عن الأرض كان من أساسيات العمليات الجهادية، فقديماً كان الشيخ منصور، والإمام شامل ، وغازي محمد وكونتا حاجى وأخيراً كان "جوهر دوداييف" ، الـذي كبَّد الروس خسائر في القوات والعتاد العسكري ليس لها حدود ، ودافع عـن وطنـه بكل شجاعة ، مثل من سبقوه على طريق المقاومة ضد الروس .

وقد هدأت الحرب بعد اتفاق روسي شيشانى مع تبادل الأسرى بين البلدين وأن يصبح من حق الشيشانيين الاستقلال بدولتهم في استفتاء يعقد في عام (٢٠٠١م) وهذا لم يحدث .

الحرب الثانية بين روسيا والشيشان :

أثار تفجر الصراع في شمال القفقاس بين القوات الروسية وقوات الشيشان إحـدى جمهوريات الاتحاد الروسي للمرة الثانية في أقل من خمس سنوات علامـات اسـتفهام عديدة حول الأسباب الحقيقية التي دفعت القوات الروسية للإغارة على الشيشان مـن جديد بعد أن هدأت الأوضاع بين الجانبين باتفاقية تنص على تأجيل التفاوض بشـأن الاستقلال إلى عام (٢٠٠١م)، وقد أشارت الإحصائيات أن حرب الشيشـان الأولى والتي تفجرت ما بين (١٩٩٤ – ١٩٩٦م) قد خلفت وراءها ما يزيد على (٨٠) ألف قتيل وانتهت باتفاقية أغسطس (١٩٩٦م) .

إلا أن القوات الروسية لم تنتظر إلى (٢٠٠١م) بل قامت في (١٩٩٩/٨/٢٤م) بإعادة الهجوم على مواقع المجاهدين الشيشان فى محاولة جديدة لاقتحام جروزني العاصمة الشيشانية . خاصة في أعقاب المساعدات التي قدمتها الشيشان للشعب الداغستاني ، حيث قامت الشيشان بإرسال كتائب من المجاهدين لمقاومة الغزو الروسي وتحرير داغستان من السيطرة الروسية، كما أشار "شامل باساييف" أبرز قادة المقاومة الشيشانية أن هـدف الشيشـان هو توحيد شمال القفقاس في دولة إسلامية واحدة وهذا ما ترفضه روسيا، وواصلت شن هجماتهاً مستهدفة تدمير المنشآت الداغستانية لتأديب المجاهدين.

ولعل قادة الشيشان قد استهدفوا من وراء المساعدات التي قدمتها للمقاومة الإسلامية في داغستان شيئين:

- أن يتم ضم داغستان وأنجوشيا وبعض الدول الصغيرة الأخرى إلى الشيشان.
- أن يتم هذا الضم بصورة سريعة وقبل عام (٢٠٠١م) وقبل أن تدخل الشيشان مع الروس فى مفاوضات بشأن الاستقلال.

وإزاء هذه الخطة التي لم يعلن عنها صراحة أصاب الروس قلق شديد من تدخل المجاهدين الشيشان للدفاع عن داغستان الذين قاموا بدعوة المسلمين في القفقاس إلى أصولهم وهويتهم الإسلامية،ومنابع الدين الحق ثم جاءت رحلة تدريب مجموعة من الشباب فى المعسكـــرات الشيشانيـــة لتأخذ الشكل العملي للخطة التى كان ينوي الشيشانيون القيام بها،ورفع الداغستانيون راية الجهاد ضد القوات الروسية،وبالتالي تشمل المقاومة داغستان من ناحية، والشيشانيين من ناحية أخرى [٢٢] .

ومن هنا لم تتردد روسيا فى أن تنسب إلى القيادة الشيشانية عمليات التفجير التى حدثت فى شوارع العاصمة موسكو في ٩،١٣ سبتمبر و ٣١ أغسطس وثلاثة تفجيرات أخرى فى داغستان عام١٩٩٩،ثم عملية المسرح الروسي التى نسبت جميعها إلى المجاهدين الشيشان،وصرح وزير الداخلية الروسى"فلاديمير روشيلو" أنه: "للمرة الأولى فى تاريخ روسيا تستطيع مجموعة من المجرمين من بسط سيطرتهم على واحدة من الجمهوريات الفيدرالية. وتتمكن بمساعدة قوى خارجية من ممارسة أنشطة تخريبية داخل العاصمة الروسية موسكو" .

ولعل هناك عددا من الأسباب هي التي دفعت القوات الروسية لنقل الصراع داخل الشيشان قبل أحداث الحادي عشر من سبتمبر (٢٠٠١م) منها [٢٣] :

استقالة رئيس روسيا"يلتسين"واعتزاله منصبه والحياة السياسة عموما بسبب المرض؛ انتخابات البرلمان والتـــى جرت فى(١٩/١٢/١٩٩٩م).وانتخابات الرئاســـة الروسية وتصويت الناخبين لصالح "فلاديمير بوتين" لتصل نسبة التصويت له حوالى (٣٩%) مقابل (١٢%) فقط لصالح "زيجانوف" الزعيم الشيوعي السابق الذى يطالب في برنامجه الانتخابي بإعادة الاتحاد السوفيتي القديم إلى ما كان عليه فى الماضي.

موقف العالم من حرب الشيشان الثانية:

جاء أول رد فعل دولي حول هذا الصراع بعد شهرين من اندلاع النيران بين الجانبين، ففي (١٩/١١/١٩٩٩م) ومع ختام أعمال منظمة الأمن والتعاون الأوربي قام ممثلون عن (٥٤) دولة من بينها الولايات المتحدة وروسيا بالتوقيع على ميثاق للأمن الأوربي يدعو إلى إقرار مبدأ أن الصراعات التي تحدث داخل الدولة الواحدة أمر يهم كل الدول، وبالتالي فإن ما يحدث في الشيشان ليس مشكلة داخلية تخص روسيا وحدها بل كل دول العالم، في الوقت ذاته قامت منظمة المؤتمر الإسلامي المعنية بهذه القضايا-ذات الطابع الإسلامى- ببحث الوسائل التي تستطيع من خلالها تقديم المساعدات الإنسانية للاجئين الشيشان .

إلا أن الوضع تغير تماما بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر،والحرب التي أعلنتها أمريكا على الإرهاب،و لم يعد هناك أى قدر من التعاطف تجاه حقوق الشعب الشيشانى، فمـــا زالت روسيا تشن هجومها على مواقع للمجاهدين في الشيشان وعلى المدنيين العزل ، وما زالت الصحافة العربية تتمســـك بوصف من يدافعون عن وطنهم- في القفقاس - بأنهم مجموعة من المقاتلين والمتمردين ، والانفصاليين ، وذلك ربما نظراً للعلاقات السياسية والاقتصادية التي تربط بين روسيا والدول العربية والإسلامية في مختلف المجالات.

كما أصبحت حركة المقاومة الإسلامية التي يقوم بها الشعب الشيشانى في موضع الاتهام من منطلق أنها من الحركات التي تؤمن بسياسة العنف والاغتيالات، واعتبار أن هذه الحركات تلقت دعما وتمويلا من السعودي المنشق أسامة بن لادن، المتهم بأنه وراء الاعتداءات الأخيرة على الولايات المتحدة أو ما عرفت إعلاميا بأحداث الحادي عشر من سبتمبر (٢٠٠١م) ، وكان من المنتظر حسب الاتفاق الروسى الشيشانى حصول الشيشان على استقلالها التام عن روسيا مع نهاية عام (٢٠٠١م) ، إلا أن أحداث الحادي عشر من سبتمبر جاءت فرصة لم تكن متوقعة لروسيا لسحب وعودها السابقة والمتعلقة باستقلال الشيشان عن روسيا ، وأن تقرر مصيرها بعيدا عنها ، وخاصة وأن العالم كله أعلن الحرب على الإرهاب ، كما أسرعت روسيا في نفس اليوم الذي وقعت فية التفجيرات الأمريكية وأعلنت أن روسيا تلاقى نفس المصير من المتمردين الإسلاميين في الشيشان، كما أشارت إلى أن الشعب الشيشانى نفسه لا يرغب في وجود هؤلاء

المتطرفين على أرضه ، وأن على العالم أن يسعى جاهدا لتصفية هذه الخلايا الإرهابية من دول الشرق الأوسط، وبالتالي كانت أحداث الحادي عشر من سبتمبر صدمة للشعب الشيشانى قبل أن تتخذها الولايات المتحدة وروسيا ذريعة لإعلان الحرب على الأقليات والأغلبيات الإسلامية في العالم كله.

ثانياً: الوضع السياسي والاجتماعي للأقليات الإسلامية في أبخازيا

تقع أبخازيا في إطار جمهورية جورجيا التي تشغل السفوح الجنوبية الغربية لجبال القفقاس، وسكانها (٥,٢٩٧) مليون ، أما القوميات داخل جورجيا فهي (٧٧%) من الجورجان (٩%) من الروس (١٤%) من الأذر والأرمن والأبخاز.

وقد دخل الإسلام أبخاريا في عهد الخليفة عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان، وزاد انتشاره في العهدين الأموي والعباسي ، أما عدد المسلمين في جورجيا فيزيد على (٧٩٤ ألف مسلم) بنسبة إجمالية (١٥%) وينتشر الإسلام في الجمهوريات التابعة لها، والتي تخضع للحكم الذاتي وهى أبخازيا، ومنطقة أجاريا، أوسيتيا الجنوبية [٢٤] .

وعند الوقوف على الوضع السياسي والاجتماعي في المنطقة، يتضح أن الصراع الجورجى الأبخازى قائم على أساس ديني ، فجورجيا دولة مسيحية سياسياً ومذهبياً، وتضم بداخلها إقليم يتمتع بالحكم الذاتي وهو إقليم أبخازيا ، الذي تدخل معه في صراعات عنيفة لرغبته في الاستقلال ، ليصبح كياناً خاصاً ، بدلاً من تبعيته لدولة مسيحية ، وهو إقليم غالبيته من المسلمين ، إلا أن جورجيا لا ترغب في أن تحقق لمسلمي أبخازيا ذلك ؛ لأن معنى هذا أن يستقل أيضاً إقليم أجاريا، وأوسيتيا الجنوبية، فكلاهما يقعان تحت الحكم الذاتي الجورجى.

ومنذ خريف (١٩٩٢م) ، ومنطقة أبخازيا مشتعلة بالحرب بين جورجيا المسيحية وأبخازيا، التي ترغب في الاستقلال التام عن جورجيا، حيث بلغت جملة الخسائرالمادية بين الطرفين بمعدل (٧٥٠) ألف دولار شهرياً و(٢٥٠) ألف قتيل في عام (١٩٩٢-١٩٩٣م) هذا في الوقت الذي صرح فيه وزير الدفاع الجورجى (كاراكراشفيلى) بأن جورجيا تمتلك جيشاً يشبه في تنظيمه جيش إسرائيل، ويشبه في قوته الجيش الروسي، مشيراً إلى القوة وامتلاك تكنولوجيا الحرب [٢٥].

وتشير المصادر التاريخية أن المسلمين الأبخاز، هم أحفاد السكان القدامى للقفقاس الذين عاشوا على سواحل البحر الأسود، وتنتمي هذه الأمة إلى الجنس البلقاني القوقازي، الذين تعود أصولهم إلى الجنس الهند أوربي الأكبر، وقد ورد ذكر أسلاف

الأبخاز في العصر البرونزي المتأخر، كما تكون الشعب الأبخازى بشـــكل أساســـي في القرن الثامن الميلادي عندما قام القائد الأبخازى (ليون الثاني) بتحرير الإبخاز من نـــير السلطة البيزنطينية، ثم جمع في يديه مقاليد السلطة لتشمل معظم أجزاء جورجيا الغربية تحت اسم " القيصرية الأبخازية " إلا أنه وفيما بعد أصبح تاريخ أبخازيا مرتبطاً ارتباطـــاً وثيقاً بتاريخ جورجيا (٢٦).

وفى القرن العاشر الميلادى أصبحت أراضى أبخازيا جزءاً من دولة جورجيا، وظل التأثير الجورجى مسيطراً على أبخاريا، وفى الفترة ما بين القرنين (١٦و١٧) استطاعت أن تحصل على استقلالها من جورجيا، بل أصبحت تبعية كل من (أبخاريا وجورجيا) للإمبراطورية العثمانية، وهذا عندما كان الدين الإسلامي في هذه الفترة هو دين الأغلبية وكانوا يتبعون المذهب السني.

وبمجرد أن فقدت الدولة العثمانية قوتها في المنطقة، انضمت أبخازيا إلى روسيا بناء على معاهدة بين الدولتـــين عـــام (١٨١٠م)،ومنـــذ ذاك التاريخ واهتمام الكنيسة الأرثوذكسية الروسية بأبخازيا يتزايد، وراحت الكنيسة تسعى لبعث المسيحية في هذه المنطقة من جديد، مما أثار غضب الأبخاز المسلمين ووقعت مصادمات عنيفة بين الطرفين، كان أساسها العامل العقائدي.

وفى فبراير (١٩٣١م) حصلت أبخازيا على صفة جمهورية ذات حكم ذاتي تابعة لجمهورية جورجيا الاشتراكية السوفيتية (٢٧)، ومع تطورات الأحداث في أبخاريا في فترة التسعينيات، وبعد سقوط الاتحاد السوفيتي السابق، تطالب أبخازيا بالانضمام إلى روسيا والعودة إلى اتفاقية (١٨١٠م) التي سبق وأن عقدها الطرفان، فالأبخاز يفضلون الانضمام لروسيا، بدلاً من أن يصبحوا دولة مستقلة تتبع جورجيا، حيث إن روسيا ومن وجهة نظر الأبخاز لا تستخدم العامل الديني كورقة ضغط على الأقليات التي تحت يديها، بينما معظم سكان جورجيا مسيحيون متعصبون للمسيحية ولا يقبلون الآخر معهم على أرض واحدة.

إلا أن موسكو كانت تؤيد دائماً موقف جورجيا في المسألة الأبخازية، وإن كانت تدرج حركات الاستقلال الذاتي في قائمة الحركات القومية، بينما يقف الناطقون باللغة الروسية كحلفاء للأبخاز في سعيهم لعقد اتحاد فيدرالي مع روسيا.

وفى اجتماع ضم وفدى حكومتي روسيا وأبخازيا الذي جرت وقائعه في (مايكوب) عاصمة (أديجيا) بشأن تسوية الصراع الجورجي الأبخازى طرح (بوريس باستوخوف) رئيس الوفد الروسي اقتراحاً يقضى بانسحاب القوات الجورجية من أراضى أبخازيا، وقد لقيت هذه المبادرة تأييداً من جانب (فلاديمير أردزينيا) زعيم الجانب الأبخازى الذي أعلن أن بدء المباحثات ووقف إطلاق النار يمكن الشروع فيهما فقط، بعد أن تشرع قوات جورجيا في الانسحاب من أراضى أبخازيا [٢٨].

وقد رفض الجانب الجورجي أن يناقش أية شروط مسبقة، وعلى العكس من ذلك قامت القوات الجورجية بقصف مدفعي على " نوفى أفون ، جواندرا ، أشير " وقد أحدث ذلك خسائر للقوات الروسية المرابطة في هذه المناطق وخاصة معامل قياس الهزات الأرضية .

والملاحظ أن الصراع الجورجي الأبخازى صراع لا يتوقف، ويتجدد بين الحين والآخر، ولا يتخذ شكلاً واحداً فى قيامه بل أشكالاً وصوراً عديدة، ويعد عامل الدين أبرز وقود قابل للاشتعال في المنطقة بين المسيحية والإسلام في أي لحظة، أما الوضع في أبخازيا بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر فلم يختلف كثيرا عن المرحلة التي سبقته، فالصراع ما يزال قائما، ولكن بسياسة ما بعد أحداث سبتمبر حيث تغض المنظمات الدولية الطرف عما تقوم به جورجيا ضد مسلمي أبخازيا، كما أن الولايات المتحدة ذاتها لم تعد تعطى هذه البقع الصغيرة من العالم أية اهتمام، وبالتالي فإن القوات الجورجية ماتزال تقتحم بيوت المسلمين وتقتل ما بداخلها، ولا يتحدث عن ذلك أحد بالشجب أو بالاستنكار، وأن على الحكومة الجورجية فقط أن تقول بأن هؤلاء الذين تطاردهم وتسعى للقضاء عليهم هم عناصر من تنظيم القاعدة أو من الجماعات الإرهابية التي تسعى الإدارة الأمريكية إلى تعقبهم والقضاء عليهم .

ثالثاً: الوضع السياسي والاجتماعي للأقليات الإسلامية

إقليم ناجورنو كاراباخ

تعني كلمة أذرى جماعات شتى لها خصائص السلالة المشتركة، وأطلق الاسم علــى أذربيجان عندما أعلنت العناصر الوطنية استقلالها في (١٩١٨ م)، ويمثل الأذريون (٨) مليون نسمة موزعين كالتالي (٥) في الاتحاد الســوفيتي الســابق و (٣) في إيــران، وتأسست أذربيجان عام (١٩٢٠م) ، ثم اتحدت مع جمهورية روسيا خلال الفترة مــن عام (١٩٢٢م- ١٩٣٦م) إلى أن أصبحت جمهورية اتحادية في نطاق الاتحاد الســوفيتي عام (١٩٣٦م) [٢٩] .

وتدخل أذربيجان وأرمينيا في صراع حول إقليم (كاراباخ)، والذي يعتبر مقاطعــة ذات حكم ذاتي، وفق التعريف الدستوري للاتحاد السوفيتي السابق، وهــذه المقاطعــة الجبلية التي تبلغ مساحتها (١٧٠٠) ميل مربع تقع بأكملها داخل جمهورية أذربيجان ، ويبلغ عدد سكان الإقليم أو المقاطعة حوالي (٢٠٠) ألف نسمة ويمثل الأرمن غالبيتهم حيث تبلغ نسبتهم (٧٦%) وتعد (ستينكارت) هي العاصمة الفعلية للإقليم، وحول الإقليم خاضت أذربيجان حروباً عنيفة مع أرمينيا في محاولات عديدة حتى تعيد الإقليم إليها [٣٠]، وتشير الدلائل أن النزاع بين أرمينيا وأذربيجان يمكن أن يؤدى إلى حروب دينية في منطقة القفقاس، الأمر الذي ينعكس بدوره على العلاقات بين تركيا وروسيا من ناحية وبين تركيا والغرب من ناحية أخرى.

فأرمينيا دولة من حيث العقيدة تدين بالمسيحية، وتحظى بمساندة قوية من روسيا التي تطالب بالإبقاء على الوضع السابق للإقليم بل واعتبار الإقليم تابعاً للأراضي الأرمينية، بينما أعلنت الولايات المتحدة إزاء تفكك الاتحاد السوفيتي السابق، الاعتراف بأذربيجان عندما أعلنت عن استقلالها في بداية التسعينيات [٣١] ، كما أسرعت الأمم المتحدة والمجموعة الأوربية بالاعتراف بحق أذربيجان في الانفصال والاستقلال بينما الدول الإسلامية ترددت طويلاً، وظلت تراقب الوضع في أذربيجان وأعلنت اعترافها بعد شهور عديدة دون الإشارة إلى ذكر الإقليم المتنازع عليه بين أرمينيا وأذربيجان وهو (كاراباخ).

كما قامت روسيا وأرمينيا بالرد معاً في ١٩ يناير(١٩٩٠م) على انتفاضة أذربيجان بسحق الانتفاضة في " باكو " بالجيش، وأعلن الجيش الروسي أن الجبهة الشعبية كانت تستهدف قلب السلطة السوفيتية وانفصال أذربيجان، وتكوين دولة أذربيجان الإسلامية الموحدة ، ورد مفتي أذربيجان على الرئيس السوفيتي " جورباتشوف " قائلاً له :" إن هدفكم الوقيعة بين المسلمين والمسيحيين ورصاصتك قتلت آخر الآمال في البيروسترويكا [٣٢] .

ومع تصاعد المد الإسلامي – الذي أعلن عن نفسه في أداء مليون ونصف المليون صلاة الجنازة على أرواح شهداء (باكو) أمام مقبرة الشهداء خلف إمام الشجعان "مولاي الله شكور زاده " رئيس المجلس الديني، زاد الصراع الديني بين الطرفين .

وتبدأ قصة الصراع بين الأرمن والأذر حول إقليم (كاراباخ) منذ ١٩٢٣/٧/٢٤م ، عندما أصدر الحزب الشيوعي قراراً بضم (كاراباخ) إلى أذربيجان، إلا أنه وفى ٢٠ فبراير (١٩٨٨م) طالب نواب مجلس الإقليم بضم كاراباخ للأرمن وصدق البرلمان على القرار في ١٩٨٨/٦/١٥م ، في الوقت نفسه صوت برلمان أذربيجان بالأغلبية الساحقة بعدم ضم الإقليم إلى أرمينيا وذلك في ١٩٨٨/٦/١٧م، وأدت هذه الأحداث بين الطرفين إلى وضع الإقليم تحت إشراف المجلس الأعلى للاتحاد السوفيتي وذلك بقرار في ١٩٨٩/١/١٥م ، ومع مطلع التسعينيات تجددت الاشتباكات بين الجانبين ،واستمر الصراع دون تسوية حتى الآن [٣٣].

وغالباً ما يظهر الصراع بين الجانبين ويأخذ الصورة الدينية، وتتدخل المنظمات الدولية لإيقاف هذا الصراع عندما تظهر معالمه دون أن تكون هناك حلول فعلية لإنهاء الصراع بين البلدين، وحل مشكلة إقليم ناجورنوكاراباخ، وزاد الوضع سوءا في الإقليم بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر بالولايات المتحدة الأمريكية، مع أن الوضع لم يتأثر كثيراً بالحدث إلا أنه دفع العديد من أحزاب وقوى المعارضة إلى أن توقف من مطالبها بانفصال الإقليم ، وخاصة في ظل الحرب التي تشنها الولايات المتحدة على الإرهاب في منطقة آسيا الوسطي وبلاد ما وراء النهر.

هوامش الفصل السادس

(١) السيد حسن جلال : تاريخ الشعوب الإسلامية، مرجع سابق، ص ٢٣ .

(٢) أحمد رائف : الملاحة في بحار النار، مرجع سابق، ص١٨ .

(٣) الشيشان (مجلة المختار الإسلامى، العدد ١٤٦، مارس ١٩٩٥م) ص٥٣ .

(٤) مصطفى كسبة : الشيشان (مجلة الأزهر، عدد ذي القعدة ١٤١٥هـ) ص٤٤ .

(٥) الشيشان، مرجع سابق ، ص٨٩ .

(٦) الشيشان،مجلة المختار الإسلامى،مرجع سابق ،ص٥٤ .

(٧) محمود أبو العلا: المسلمون في الاتحاد السوفيتي (القاهرة ، الأنجلو ، ١٩٩٣م) ص٣٩ .

(٨) أحمد رائف: الملاحة في بحار النار، مرجع سابق ، ص٢٥٤.

(٩) جلال الماشطة : الشيشان تحترق (الحياة اللندنية عدد١/١٢/١٩٩٤م) ص٤ .

(١٠) أحمد رائف : الملاحة فى بحار النار، مرجع سابق ، ص٢٥٨ .

(١١) جلال الماشطة : الشيشان (الحياة اللندنية : عدد١/١٢/١٩٩٤م) ص٧ .

(١٢) أحمد رائف : الملاحة فى بحار النار، مرجع سابق ، ص٢٥٨ .

(١٣) الشيشان، مرجع سابق ، ص١٢٨ .

(١٤) محمد جمال عرفة : الشيشان (جريدة الشعب عدد٢٠/١/١٩٩٥م) ص١٢ .

(١٥) عبد الله حسن : ضحايا الغزو الروسي في الشيشان (لندن : جريدة المسلمون فى ٢٠/١٠/١٩٩٥م) ص١ .

(١٦) جلال الماشطة : جريدة الحياة اللندنية :عدد ٨ /١/١٩٩٥م) ص٤.

(١٧) الشيشان عطر الإيمان (المختار الإسلامى: عدد مارس ١٩٩٥م) ص٥٦ .

(١٨) الشيشان (مجلة شمس الإسلام، عدد أبريل ١٩٩٥م).

(١٩) إسكندر الديك : الشيشان إلى أين (الحياة اللندنية :عدد ١٤/١/١٩٩٥م) .

(٢٠) مأساة الشيشان (الحياة اللندنية: عدد ١٨/١/١٩٩٥م) .

(٢١) الحرب في القوقاز، جريدة الحياة: عدد ١٥ /١/١٩٩٥م) .

(٢٢) أحمد ناجى قميحة : الصـــراع في شمال القوقاز (القاهرة : الأهـــرام ، السياسة الدولية، العدد١٣٩ ، يناير ٢٠٠٠م) ص١٧٠ .

(٢٣) القفقاس بعد أحداث سبتمبر (إسلام أون لاين نت ٢٠٠٢م) .

(٢٤) الحرب في أبخازيا (أزفستيا الروسية: عدد٢١/٥/١٩٩٣م) ص٦.

(٢٥) أبخازيا (جريدة نيزافيسمايا جازيتا: عدد٢٨/٥/١٩٩٣م) ص٥ .

(٢٦) أبخازيا (الموسوعة السوفيتية) موسكو : دار التقدم ١٩٩٥م) ص ٩٨.

(٢٧) أبخازيا (جريدة أزفيستيا عدد٢١/٤/١٩٩٣م) ص٤ .

(٢٨) الحرب على أبخازيا (جريدة أزفيستيا عدد٢١/٥/١٩٩٣م) ص٤ .

(٢٩) باكينام الشرقاوى: الحركة الإسلامية في إيران (مركز البحوث والدراسات السياسية ، جامعة القاهرة ١٩٩٦ م) ص٢٥ .

(٣٠) عادل الفلاح : أذربيجان (القاهرة : الزهراء للإعلام العربي ، لجنة مسلمي آسيا ، الكويت ١٩٩٥م) ص١٢ .

(٣١) سوسن حسين : الإسلام في روسيا (مالطا : مستقبل العالم الإسلامى، العدد الخامس ١٩٩٢م) ص٨٧ .

(٣٢) رضوان السيد : ناجورنوكاراباخ (مستقبل العالم الإسلامى، العدد الخامس ١٩٩٢م) ص٢٥٥ .

(٣٣) محمد جلال كشك : المسلمون الروس (القاهرة: الزهراء للإعلام العربي ١٩٩٣م) ص١٢ .

الفصل السابع

أوضـــاع الأقليات والجاليات الإسلامية فى شرق وغرب وجنوب آسيا

قبل وبعد أحداث ١١ سبتمبر (٢٠٠١م)

الفصل السابع

أوضاع الأقليات والجاليات الإسلامية فى شرق وغرب وجنوب آسيا

قبل وبعد أحداث ١١ سبتمبر (٢٠٠١م)

أولاً: أوضاع الأقليات الإسلامية في الفلبين

قبل وبعد أحداث ١١ سبتمبر(٢٠٠١م)

تضم الفلبين مجموعات من الجزر تمتد على شكل قوس في جنوب شرقي آسيا من المحيط الهادي، وهى تتكون من (٧١٠٠) جزيرة منها العديد من الجزر لم يطلق عليها اسماً حتى الآن، وعدد المسلمين في الفلبين وفق إحصاء (عام ٢٠٠٠م) حوالي (١٨) مليون مسلم، وهناك إحصائية أخرى تقول بأن عدد المسلمين لا يزيد عن (١٣) مليوناً فقط ، أى بما يعادل (٢٢ %) من إجمالي عدد السكان البالغ (٦٠) مليون نسمة ويرجع الفضل في دخول الإسلام هذه المناطق إلى جهود الرحالة والتجار العرب والهنود والإيرانيين، الذين استطاعوا عبر تجارقم أن يكسبوا أرضا جديدة للإسلام – عدداً كبيراً من الذين أقبلوا عليه دون إراقة نقطة دماء واحدة.

ويتركز المسلمون في الفلبين ويشكلون ثقلاً كبيراً في الأجزاء الجنوبية وخاصة جزيرة " ميندناو، صولوا، بلا ون " ويطلق على هذه المناطق بلاد المورو[1].

أما اسم الفلبين فتشير العديد من المصادر أن الاسم جاء نسبة إلى الملك الإسباني فيلب الثاني الذي كان والياً للعرش وقتها وكان معروف عنه أنه كان شديد التعصب للمسيحية، ويخضع لسلطة الكنيسة في كل قراراته، كما كان من الذين يحقدون على الإسلام بسبب الذين يقبلون عليه بأرضه يوماً بعد الآخر، فيقل تعداد المسيحيين ويزداد عدد المسلمين بمرور الوقت، الأمر الذي دفعه إلى القيام بمحاولات عديدة لتنصير المسلمين في الفلبين بالقوة حتى إنه كان يجبرهم على الإيمان بالتثليث وضرب الصلبان على أيديهم رغم أنوفهم عام (١٥٦٥م) .

وقد استمر الاحتلال الإسبانى للفلبين من عام (١٥١٢م– ١٨٩٨م) أي ما يقرب من (٣٧٧) عاماً، حيث تعد هذه الفترة من أطول الفترات الاستعمارية في التاريخ الحديث والمعاصر، ثم أعقبه الاحتلال الأمريكى وذلك بموجب اتفاقية باريس (١٨٩٨م)، وظلت الفلبين تحت الاحتلال الأمريكى إلى أن منحتها استقلالها عام (١٩٤٦م) في الوقت الذي كان فيه اليابانيون قد توغلوا في المنطقة الجنوبية المعروفة ببلاد المورو، باعتبارها أرضاً أمريكية [٢] .

وفى فترة الحكم الإسبانى لجزر الفلبين أعلنت إسبانيا عداءها الصريح والواضح للإسلام والمسلمين، بينما استخدمت الولايات المتحدة أسلوباً مرناً مع مسلمي الفلبين، وفى الفترة من (١٨٩٨م– ١٩٤٦م) وذلك لتأمين وجودها في هذه المنطقة، والتي لم تكن تتصور أن يأتي عليها اليوم الذي تترك فيه أرض المورو بإرادتها [٣] .

لذلك عندما احتلت اليابان المنطقة الجنوبية للفلبين، طالبت الولايات المتحدة المسلمين في الجنوب بالتصدي للغزو اليابانى ودعمت المجاهدين ورجال المقاومة الشعبية بما يحتاجون إليه لمقاومة الاحتلال اليابانى.

ونظراً لتزايد السكان في جنوب الفلبين من المسلمين يأتي الصراع بين حكومة الفلبين وجبهة تحرير مورو الإسلامية بهدف تكوين دولة إسلامية في الجنوب على غرار ما حدث عام (١٩٩٨م) في إندونسيا ذات الأغلبية المسلمة والتي منحت (تيمور الشرقية) استقلالها كدولة مسيحية.

الفلبين : الموقع والأهمية :

تقع أرض المورو في أقصى الجنوب من الفلبين وتتكون من جزيرة ميندناو ثاني أكبر جزر الفلبين وتضم (أكثر من ٧٠٠٠) جزيرة، وتمثل أرض مورو الإسلامية ثلثي مساحة الفلبين الكلية، لذلك تقوم الحكومة الفلبينيه منذ سنوات بتوطين آلاف المسيحيين في الجنوب حتى تتعادل النسبة بين المسلمين والمسيحيين هناك، وبالتالي لا يحق لهم أن يطالبوا بالاستقلال أو الحكم الذاتي، إلا أن المقاومة التي تواجهها الحكومة من جبهة تحرير مورو الإسلامية استطاعت أن توقف المد المسيحي إلى داخل هذه المناطق [٤] .

وعلى الرغم من خطورة حجم التحديات التي تواجه المسلمين في الفلبين فــإنهم لا يزالون يمارسون عاداتهم وحياتهم القبلية كما كانوا في السابق، هذا بجانب تعدد الفرق

والمذاهب الدينية والفكرية، في ظل عدم وجود لغة موحدة تدخل في إطـار النسـيج القومي، حيث تضم (٩,٧ لغة) يتحدث بها سـكان الفلـبين، إلا أن المسـلمين في الجنوب أوجدوا لهم لغة خاصة بهم أطلقوا عليها " لغة المورو" وتضـم العديـد مـن الحروف العربية، وتعد اللغة العربية في الفلبين من اللغات الرسمية المعترف بها من قبـل الحكومة، حيث تمثل اللغة الثانية في البلاد، إذ يتحدث بها ما يقرب من (١٨) مليون نسمة (٥) .

ويذكر أن (ماجلان) وهو أحد الرحالة الذين حاولوا الكشف عن المناطق الجديدة في العالم، هبط إلى أرض الفلبين وكانت وقتها مقسمة بين أناس يؤمنـون بالإسـلام، وآخرون على وثنيتهم حتى إن الإسلام آنذاك كان أغلبية فى سلطنة صولوا ومينـدناو، مما يؤكد أسبقية دخول الإسلام أرض الفلبين قبل المسيحية واليهودية.

وكانت أول المصادمات بين الإسلام والمسيحية بمجرد وصول (ماجلان) إلى الفلبين، الذي يعد أحد كبار القساوسة المتعصبين للمسيحية، إلا أن المسلمين استطاعوا مقاومة حملة (ماجلان) عليهم، ثم الإسبان الذين قاموا عن طريق بث الرعب والخوف في قلوب المسلمين بالضغط على مئات المسلمين حتى يتخلوا عن ديانتهم واعتناق المسيحية بالقوة، إلا أن الإسبان لم يستمروا طويلا على سياستهم في الفلبين، وعقدوا صفقة شهيرة لم تحدث من قبل مع الأمريكان في ديسمبر (١٨٩٨م) تنص على خروج الإسبان من الفلبين مقابل (٢٠) مليون دولار تدفعها الحكومة الأمريكية للإسبان ، مع أن الإسبان ومع تواجدهم الزمني في الفلبين لم يتمكنوا من السيطرة الكاملة على كافة الاراضى الفلبينيـة ، ولكن عندما باعـوا الفلبين للأمريكـان باعوا ما كانوا يملكون ومالا يملكون (٦) .

وفى فترة الحكم الأمريكى للفلبين والتي استمرت (٤٧) عاما، كرست أمريكا جهودها لاستغلال المنطقة اقتصاديا وتجاريا وعقدت اتفاقا مع سلاطين المسلمين بموجبه تمنح الفلبين حكما ذاتيا تحت الإدارة الأمريكية إلا أن الرئيس الأمريكي آنذاك "روزفلت" لم يوافق صراحة على هذه المعاهـدة ، وشرع في تأسيس عدد من الهيئات والمؤسسات الموالية له، وسلمها زمام الحكم، وكانت بطبيعة الحال غير إسلامية بل كانت من المسيحيين وهو ما يعرف بحكومة الكومنولث عام (١٩٣٥)(٧) وقد استاء

المسلمون من الأمريكان نظرا لأنهم كانوا يمثلون الأغلبية في الفلبين، والمسيحيون أقلية صغيرة، مازالت في مرحلة النشوء والنمو.

وخلف اليابانيون الأمريكان في احتلال الفلبين الذي ظل ما بين عامي (١٩٤٢م- ١٩٤٦م) ، ثم عادت أمريكا مرة أخرى، لتضم الجنوب إلى حكومة (مانيلا) وتعقد مع الحكومة صفقات عسكرية وتجارية حتى اليوم، فالحكومة الفلبينية مطالبة الآن بأن تسلم لأمريكا بعض العناصر الإسلامية المتطرفة في منطقة الجنوب وتحديدا من جبهة تحرير مورو الإسلامية وجماعة أبو سياف، والمؤشرات تؤكد أن هناك تحالفا عسكريا مستمرا بين الولايات المتحدة وحكومات الفلبين على مر العصور.

ومع أن الولايات المتحدة لم تهم بالخروج من الفلبين إلا بعد أن استقرت الأوضاع في البلاد للحكومة النصرانية التي وضعتها، وأوعزت إلى الحكومة بالعمل على تغيير التركيبة السكانية في منطقة الجنوب، بترحيل مئات الأسر المسيحية إلى مناطق تجمع المسلمين حتى لا يستأثروا بالمنطقة ويطالبون بدولة مستقلة، إلا أن هذة المحاولات لم تحقق النجاح الذي كان متوقعا حتى الآن (٨) .

وكشفت حركة الطلاب التي تزعمها "نور ميسوارى "و "سلامات هاشم " عام (١٩٦٢م) هذا المخطط واستطاعوا أن يوقفوا التوغل المسيحي في الجنوب، وكونوا جبهة أطلقوا عليها جبهة تحرير مورو الوطنية عام (١٩٦٨م) .

المقاومة الإسلامية في الفلبين:

بدأت عمليات المقاومة تأخذ طابع العنف بين المسلمين والحكومة في الفلبين بعد إعلان جبهة تحرير مورو الوطنية سنة (١٩٦٨م) وجبهة تحرير مورو الإسلامية سنة (١٩٧٨م) مهمة الدفاع عن الجنوب والمطالبة باستقلال الجنوب عن الشمال، وتكوين دولة مستقلة في منطقة مورو، وكانت أول حالة تصادم بين الحكومة والمقاومة الإسلامية عندما خفضت الحكومة من عدد الطلاب المسلمين في المدارس والجامعات مقابل تزايد عدد الطلاب غير المسلمين، وأسفرت المواجهة عن مذبحة قامت بها قوات الجيش وراح ضحيتها أكثر من مائتي مسلم، مما دفع المقاومة على حمل السلاح والخروج من حالة السلم والمظاهرات واللافتات إلى حمل الذخيرة والمقاومة بالمثل.

وفى عام (١٩٧١م) اشتدت عمليات الصراع بين الحكومة والمقاومة الإسلامية في الجنوب، وأغلقت جماعات الأغا النصرانية التي انضمت للقوات الحكومية، واقتحمت أحد المساجد وأمعنت قتلا بجموع المصلين وهم يؤدون صلاة المغرب، فقتل (٦٥) مسلما وجـــرح العشرات منهم ، ثم تجددت الاشتباكات من جديد في أكتوبر ونوفمبر (١٩٧١م) وسقط المئات من المسلمين في أعقاب مقتل أحد التجار المسيحيين واتهام أحد المسلمين بأنه كان وراء قتله[٩] .

ومع بداية (١٩٧٢م) أعلن "ماركوس " رئيس الفلبين حالة الطوارئ في مدن الدولة، ورغم ذلك قام بالعديد من الإصلاحات في مناطق تجمع المسلمين، بما في ذلك إعادة ترميم بعض المساجد التي انهارت نتيجة أعمال العنف المتبادل بين المسلمين وقوات الجيش، وكان ذلك في أعقاب زيارة وزراء خارجية الدول الإسلامية لمنطقة الجنوب للوقوف على أحوال المسلمين هناك، ومحاولة البحث عن صيغة تفاهم بين الحكومة والمعارضة الإسلامية.

وقد تم الاتفاق بين "ماركوس" و "نورميسوارى" زعيم جبهة تحرير مورو الوطنيـــة على استقلال الجنوب (١٣ إقليما في جنوب الفلبين) وحاول "ماركوس " اللعـــب بورقة المسيحيين في عملية الاستفتاء على استقلال الـــ (١٣) إقليما، وجاءت النتـــائج والمؤشرات مؤيدة باستقلال (١٠) أقاليم فقط وليس (١٣) إقليما ممـــا أدى إلى تعثـــر المفاوضات بين الجانبين[١٠] .

وخلال زيارته لإيران ولقائه مع آية الله الخميني عام (١٩٧٩م) تم الاتفاق على استقـــلال الجنوب، والمطالبة بتكوين دولة إسلامية في جنوب الفلبين بدلا من الحكم الذاتي – انتهت فترة حكم "ماركوس" دون أن تتقدم القضية نقطة إلى الأمام.

وفى عام سنة (١٩٨٧م) بدأت المباحثات الثنائية تأخذ طريقها نحو منح مسلمي الجنوب حكمـــا ذاتيا ، حيـــث التقت رئيسة الدولة " كارزان أكوينو " مـــع " نور ميسوارى" ، حيث وعدت بعرض القضية كلها على البرلمان للتصويت، ومنح ميندناو الحكم الذاتي، وخضع القرار للتصويت وجاءت النتائج مخيبة للآمال حيث أيدت الحكم الذاتي لأربعة أقاليم فقط من (١٣) إقليما، كما قاطع الاستفتاء جبهة تحرير مورو الإسلامية والوطنية معا[١١] .

وتدخلت منظمة المؤتمر الإسلامى وبذل الرئيس الليبي "معمر القـذافى" جهـودا لتسوية الأزمة بين الشمال والجنوب، وكان من نتائجها مطالبة "ميسوارى " بالموافقـة على الحكم الذاتي لأربعة أقاليم كمرحلة أولى، وأيدت إندونيسيا هذا الاتفاق مقابـل العفو البرلماني عن "نور ميسوارى"وتكوين لجنة سلام مشتركة عام (١٩٩٤م) . وعلى الجانب الآخر كانت جبهة تحرير مورو الإسلامية كأحد عناصر المقاومة الإسلامية في الجنوب ترفض الاتفاق الذى عقده "ميسوارى" مع "راموس" ، وتطالب بالاسـتقلال الكامل للجنوب الإسلامى وتشكيل حكومة إسلامية لإدارة شؤون الجنـوب في ذات الوقت وبموجب الاتفاق الذي عقده "ميسوارى " مع حكومـة الفلـبين لم توافـق الحكومة على دمج قوات "ميسوارى" مع قوات الجيش الحكومية بزعم أن ولاء هـذه القوات لن يكون لصـالح الدولة، وإنما لصالح الجماعـات الإرهابيـة والمتطرفـة في الجنوب[١٢] .

وعلى الرغم من تعثر الاتفاق بين "ميسوارى "وحكومة الفلبين إلا أن "ميسوارى " رفض الاعتراف بفشل المفاوضات وتمسك بما وصل عليه من تقارب في وجهات النظر بين الطرفين، الأمر الذي دفع بعض جنوده إلى الالتحاق بجبهة تحرير مورو الإسلامية الرافضة لما توصل إليه "ميسوارى "، ومجموعات أخرى انضمت لجماعة " أبو سياف "، كما لم تنفذ الحكومة وعودها بإصلاح أوضاع المسلمين في الجنوب والإفراج عن أعضاء الجبهة الإسلامية بالجنوب والكف عن تعذيبهم.

وحسب ما يشير "سلامات هاشم " وهو الرجل الثاني في جبهة تحرير مورو الوطنية أن هدف المفاوضات مع حكومة الفلبين على الرغم من عدم تحقيق أي تقدم تجاه استقلال الجنوب كان يستهدف ثلاث خيارات هي[١٣] :

- الحكم الذاتي الحقيقي والشامل لكل أراضى المسلمين وأقاليمهم الـ (١٣).
- الدخول في حلف فيدرالي مع الفلبين في حالة تعثر الاستقلال.
- الاستقلال الكامل وذلك من خلال استفتاء شعبي في المناطق ذات الأغلبية المسلمة في الجنوب بإشراف منظمة الأمم المتحدة ومنظمة المؤتمر الإسلامى.

إلا أن المفاوضات كشفت عن تمسك الحكومة بمنطقة مورو في الجنوب لما تتمتع به المنطقة الجنوبية من ثروات طبيعية ومعدنية، وزاد من هذا التمسك بعد مايو (٢٠٠٠م)

عندما تم الإعلان عن اكتشاف أكبر حقل للنفط والغاز الطبيعي في الفلبين بالقرب من جزيرة بالاوان الجنوبية ذات الأغلبية المسلمة يساهم هذا الحقل في تخفيض حجم استيراد الفلبين من النفط بنسبة (٢٠%)، أما ميندناو فهي تعد من المناطق السياحية ذات الطبيعة الجذابة، في الوقت التي تقوم فيه الحكومة بتخصيص معظم مشروعاتها لخدمة الشمال تحت زعم أن مناطق الجنوب غير آمنة، وأن المستثمرين لا يرغبون في استثمار أموالهم في مناطق تضم جماعات إسلامية إرهابية ومتطرفة[١٤] .

ورغم أن مسيرة التفاوض لم تنتهي مع حكومة الفلبين إلا أن المصادمات مستمرة بين قوات الحكومة في الشمال ومسلمي مورو في الجنوب، وحاول الرئيس "استيرادادا " رئيس الفلبين البحث عن سبل جديدة للتفاوض في خلال أربعين يوما - إلا أن الأزمة تفاقمت بصورة أكبر عندما انفجرت عبوة ناسفة في مناطق يسكنها المسلمون ، وأعقب ذلك حملات اعتقال للتعذيب وأعمال العنف، ثم تجددت أعمال العنف في أسبو ع واحد وكان معظم الضحايا من المسلمين، وقامت قوات الجيش بالقبض على بعض عناصر جبهة مورو الإسلامية واعتقالهم بتهمة القيام بأعمال تخريبية في مانيلا، مما أدى ذلك إلى تصعيد المواجهة بين الجبهة والحكومة ووصلت إلى طرق مسدودة.

ومرت فترة حكم الرئيس الفلبيني " استيرادادا " دون حدوث أي تقدم في مسيرة السلام بين الشمال والجنوب في الفلبين ، وخلقت فترة حكمه مزيداً من الضحايا والاعتقالات للعديد من المسلمين من جبهة تحرير مورو الإسلامية، ولمسلمين لم يشتركوا في أعمال المقاومة من قبل .

إلا أنه وبمجرد تولى "جلوريا " رئاسة الحكم في الفلبين - بدعم ومساندة من الكنيسة فى الفلبين التي أجبرت الرئيس السابق " استيرادادا " على تقديم استقالته لعدم تعاونه مع قيادات الكنيسة - حتى أسرعت بتشكيل حكومة جديدة، ضمت وزراء جدد من بينهم وزير مسلم — لأول مرة — في حكومات الفلبين على طول تاريخها ليتولى مهام المياه والأشغال العامة. وقد فتح ذلك صفحة جديدة في العلاقات الودية بين الحكومة ومسلمي الجنوب،كما رحبت جبهة تحرير مورو الإسلامية بالإجراءات الإصلاحية للرئيسة "جلوريا " [١٥] .

وعلى ما يبدو أن مشكلة المسلمين في جنوب الفلبين ليست في اختيار مسلم في تشكيل وزارى حكومى من عدمه،ولكن المشكلة أصبحت الآن في المطالبة بوقف الهجرات التي تشرف عليها الحكومة لمئات الأسر المسيحية لمناطق تجمع المسلمين في الجنوب، ووقف أعمال التنصير التي تقوم بها منظمات تبشيرية عديدة في المناطق التي تتمتع بأغلبية مسلمة بدعم من الحكومة التي تدين هي الأخرى بالمسيحية.

وفى محاولة لمد جسور التفاهم والثقة بين الحكومة ومسلمي الجنوب أعلنت الشرطة براءة المسلمين والجبهة الإسلامية من حوادث التفجيرات التي أفزعت العاصمة مانيلا في ديسمبر (٢٠٠٠م) ، والإعلان عن براءة الدين الاسلامى من أعمال العنف والإرهاب إلا أن ذلك لم يمنع من تجدد أعمال العنف بين قوات الجيش وجبهة تحرير مورو الإسلامية ، التي أعلنت عن رفضها للتفاوض إلا إذا أعلنت الحكومة صراحة استقلال الجنوب ذات الأغلبية المسلمة، وسحب قوات الحكومة من مناطق تجمعات المسلمين .

التحديات التي تواجه مسلمي الفلبين بعد أحداث ١١ سبتمبر (٢٠٠١م) :

المؤكد أن العلاقة بين الولايات المتحدة الأمريكية وحكومات الفلبين المتعاقبة الواحدة تلو الأخرى ، ممتدة لأكثر من مائة عام، عندما قامت إسبانيا التي كانت تحتل الفلبين آنذاك ببيع هذه الجزر لأمريكا مقابل (٢٠) مليون دولار، وعملت أمريكا منذ اليوم الأول لها في حكم الفلبين على الاجتماع مع القادة المسلمين في الفلبين والتفاوض معهم وكان ذلك في أغسطس عام (١٨٩٩م) وسميت باتفاقية باريس، وكانت الولايات المتحدة حريصة على أن تجعل من منطقة شمال الفلبين منطقة تجمع للمسيحيين بعيدا عن التجمعات الإسلامية التي ظهر تأثيرها الواضح بحكم تعاليم الإسلام السمحة، ورقة القلوب لآياته وأحكامه في المناطق الجنوبية، وشعرت الولايات المتحدة بالقلق من تزايد دخول المسيحيين في الإسلام مما اضطرها إلى وضع الحواجز بين مناطق الشمال المسيحي والمناطق الجنوبية التي يقطنها المسلمون لوقف هذا التأثير من ناحية، ولضمان عدم دخول مزيد من المسيحيين في الإسلام من ناحية أخرى.

ولذلك عندما أعلنت الولايات المتحدة عزمها ترك الفلبين والاستغناء عنها لفشلها في مقاومة الجماعات الإسلامية في الجنوب، بالسلاح والدعم لوقف نفوذ الاتحاد السوفيتى

في المنطقة،كما فعلت ذلك عندما جاء الاستعمار اليابانى لاحتلال الفلبين ، قامت الولايات المتحدة بتزويد المسلمين الذين كانوا في صراع معهم بالسلاح لوقف الاحتلال اليابانى لجزر الفلبين ، بل إن الولايات المتحدة لم تكتف بذلك فقط، بل قامت بعد حرب العراق وانسحاب القيادات العسكريـــة من أمام قوات التحالف الأمريكى – البريطانى بإرسال كتائب من قوات المارينز لتعقب الجماعات الإرهابية – الإسلامية – بمنطقة جنوب الفلبين.

إلا أن هذه القوات لم تتمكن من دخول منطقة الجنوب؛ نظرا للمقاومة العنيفة التي صادفت هذه القوات على الرغم من التعاون العسكري المشترك بينها وبين الجيش الفلبيني، مما اضطر الولايات المتحدة إلى سحب قواتها، والاكتفاء بتجميع معلومات سرية حول التنظيمات الإسلامية وبعض أفرادها الناشطين في الجنوب من خلال فرع وكالة المخابرات الأمريكية في مانيلا.

ولا شك أن حكومة الفلبين استطاعت مثل غيرها من الحكومات الآسيوية إثارة قضية صراعها مع بعض الحركات الإسلامية على أرضها لزيادة حصتها من الدعم الذى تقدمه الولايات المتحدة بعد الحادي عشر من سبتمبر، مستغلين في ذلك روح الانتقـــام لدى الولايـــات المتحدة بعد التفجيرات التي هزت نيـــويورك وواشنطن عام (٢٠٠١م) ، لذلك لم يكن هناك حرجا عند الرئيس الفلبيني "استيرادادا " من أن يطلب من الولايات المتحدة معونات ومساعدات لمواجهة ما يسمى بالإرهاب الاسلامى في منطقة جنوب الفلبين.

وكذلك لم يكن مستغربا أن يطلب رئيس الوزراء الهندى " فاجبائى" من الكونجرس الأمريكى ومجلس الشيوخ مساعدته في القضاء على المجاهدين الإسلاميين في إقليم كشمير واضطرت الولايات المتحدة تحت هذا الزعم إلى منح هذه الدول ما تحتاج إليه من معونات وذخائر وأسلحة، وبلغت جملة المساعدات العسكرية الأمريكية للفلبين ما يقرب من (٨٠٠) مليون دولار على صورة أسلحة ومعدات حربية، ثم أقامت الولايات المتحدة فرعا إقليميا لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية في مانيلا تستهدف الآتي:

- تجميع المعلومات حول منطقة شبه القارة الهندية والحركات الإسلامية في الصين والهند، وجنوب تايلاند.

- تجميع المعلومات حول الحركات الإسلامية في الفلبين وخاصة في منطقة ميندناو وصولوا.
- مراقبة أي تحركات صينية ، ورصد أية اتفاقيات عسكرية تعقد بين الصين وروسيا اللذين يرفضان السياسة الأمريكية بعد الحرب الباردة.

ومن هنا يمكن القول أن الفلبين تعد قاعدة أمريكية في جنوب شرق آسيا، كما كانت في السابق مع أنها أعلنت رسميا مغادرة الفلبين عام (١٩٩٢م) بعد (٩٩) عاما من شبه الاحتلال- إلا أنها ما تزال تدعم حكومة الفلبين بغض النظر عن الأشخاص الذين يقومون عليها مقابل المعلومات السرية التي تحصل عليها الولايات المتحدة عن دول المنطقة.

كما أن الولايات المتحدة تنظر لجنوب الفلبين وتحديدا جبهة تحرير مورو الإسلامية نظرات شك وريبة وخاصة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر واحتمال تورط بعض عناصرها في التفجيرات الأخيرة حيث أشار الرئيس الأمريكى "جورج دبليو بوش" في حديث له لشبكة (C.N.N) الإخبارية الأمريكية أن هناك منظمات وجماعات إرهابية تحصل على معونات من تنظيم القاعدة التي يتزعمها أسامة بن لادن ، ومن هذه المنظمات ، جبهة تحرير مورو الإسلامية.

لذلك كانت الولايات المتحدة حريصة كل الحرص على منح الفلبين (١٠) ملايين دولار دعما لقوات الشرطة والجيش لمقاومة الحركات الإسلامية في الجنوب ، وقامت بإرسال خبراء عسكريين إلى منطقة الجنوب لمساعدة قادة الجيش الفلبيني في القضاء على العناصر المتمردة – المسلمين – في المنطقة [١٨] .

أما وضع المسلمين في الفلبين بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر (٢٠٠١م) في الولايات المتحدة الأمريكية،فهي تعكس بصورة واضحة موقف أمريكا من الإسلام والجماعات الإسلامية ،والمقاومة الإسلامية في العديد من الدول ، ووصفها بأنها جماعات إسلامية أصولية متطرفة يجب تصفيتها من قبل حكومات الدول التي تؤويها ، وإن لم تستطع هذه الدول تنفيذ سياسة واضحة للقضاء على هذه التنظيمات، فإن الولايات المتحدة يصبح لها الحق في التدخل لتصفية هذه الجماعات بنفسها.

ولعل جماعة " أبو سياف " وجهة تحرير مورو الإسلامية التي تقاوم القوات الحكومية الفلبينية في الجنوب من ضمن المنظمات المطلوب القضاء عليها ، والتي تحتل رقماً في قائمة المنظمات الإرهابية التي أعلنت عنها المخابرات الأمريكية عقب أحداث التفجيرات بنيويورك وواشنطن، الأمر الذي أعطى لحكومة الفلبين الضوء الأخضر فى استخدام مزيد من العنف لتدمير مواقع المقاومة وتصفية عناصر معينة من جبهة تحرير مورو الإسلامية بغض النظر عن حقوق الإنسان كما كان الاهتمام بها قبل أحداث (١١) سبتمبر .

وفى إطار ذلك أعلنت الولايات المتحدة أن المخابرات المركزية وبعض قادة الجيش الأمريكي تقوم بحملات تفتيشية للبحث عن بعض الأفراد الذين ينتمون إلى تنظيم القاعدة في منطقة الجنوب ذات الأغلبية المسلمة، في ظل تعاون حكومي فلبيني علني لم يحدث من قبل، قامت الحكومة الفلبينية بتسليم قائمة تضم مئات العناصر الإسلامية التي تقلقها وتزعجها على مدار سنوات طويلة من المقاومة.

فأحداث الحادي عشر من سبتمبر كانت فرصة لحكومة الفلبين حتى تستخدم أشد أنواع العنف والاضطهاد الديني ضد مسلمي الفلبين، وهى في ذلك ضامنة ألا ينتقدها أحد من منظمات أوهيئات دولية أو إقليمية بتهمة انتهاك حقوق الإنسان، أو اضطهاد الأقليات الإسلامية على أرضها، ويتأتى لها بعد ذلك القضاء على عناصر المقاومة الإسلامية في جنوب الفلبين، وإن استدعى الأمر مطالبة القوات الأمريكية التدخل بذاتها لتصفية هذه الخلايا، في إطار حملتها الدولية على الإرهاب.

ثانيا: أحوال الأقليات الإسلامية في تايلاند قبل وبعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر (٢٠٠١م)

تقع تايلاند في جنوب شرق آسيا، وتأخذ اسمها من اسم الجماعات البشرية التي تسكنها، ويسمون " الثاى " أو " التاى " وهم أنفسهم يطلقون على أرضهم اسم (موانج ثاى) أي أرض الأحرار، وعرفت هذه البلاد فيما مضى باسم (سيام) ثم بتايلاند وعاصمتها بانكوك [١٩]، ويصل عدد سكان تايلاند حوالي (٥٥) مليون نسمة يمثل المسلمون فيها (١٠) ملايين مسلم بنسبة مئوية تقدر بـــ (١٥%) من الإجمالي العام للسكان[٢٠]، وقد اتخذ الإسلام أثناء دخوله تايلاند مسارين مهمين:

الأول : عن طريق التجار العرب وذلك بحكم صلتهم القديمة بهذه المنطقة منذ زمن بعيد .

والثاني : عن طريق الشمال من جنوب الصين من منطقة يوونان، حيث انتشر الإسلام في منطقة عريضة وسيطر على مساحة واسعة، وأطلق الصينيون على المسلمين في المنطقة المشار إليها (الهوى) [٢١].

ويتركز المسلمون في فطامي، ويمثلون فيها الأغلبية، حيث يوجد بها ثلاثـة آلاف مسجد ، أما على المستوى الاقتصادي فتخصص الحكومة للمسـلمين (١٠%) ممـا يخصـص للبوذيـن من ميزانيـة الدولـة مـع أن نسبـة المسـلمين في الجنـوب تصل لـ (٨٥%) [٢٢]، ومع أنهم أغلبية فإنهم يتعرضون لصنوف عديدة من الإيـذاء على أيدي البوذ، تصل أحياناً إلى حد إجبارهم على التجنيد في العصابات البوذية ضد المسلمين، في ظل تعتيم إعلامي مقصود حول الممارسات التي تقوم بها الحكومة البوذية ضـد المسلميـن زادت درجة تصعيده بعد أحداث الحادي عشـر مـن سـبتمبر (٢٠٠١م) [٢٣].

أما مشكلات الأقليات الإسلامية في تايلاند فتتمثل في:

- تزييف الكتب الإسلامية حتى ظهرت بعض ترجمات للقرآن الكريم وبها آيات كثيرة محرفة ومشوهة، تبين بعد ذلك أن الذين قاموا على هذه الترجمات بعض

المثقفين البوذيين لإفساد أحكام الشريعة الإسلامية التي يلتزم بتطبيقها مسلمي تايلاند في المناطق الجنوبية.

- تشجيع الإرساليات التبشيرية في المناطق التي غالبية سكانها من المسلمين، مع أن معظم سكان تايلاند من البوذيين، ولكن نظراً لعدم فعالية التعاليم البوذية داخل الشعب التايلاندى تم الاستعانة- بالدين المسيحي- في الوقت الذي سمحت فيه الحكومة لبعض المسلمين بتولى مهام بعض الوزارات، بل ورئاسة الوزراء أحيانا وتشكيل الأحزاب لضمان الاستقرار السياسي داخل تايلاند.
- إلغاء لغة "الملايو" التي يتحدث بها المسلمين في الجنوب، وفرض اللغة القومية على كل نواحي الحياة في تايلاند من مدارس وجامعات ورياض أطفال، وتكليف البوذيين بالإشراف على كافة المدارس حتى المدارس الإسلامية الخاصة.
- وضع تمثال (بوذا) داخل المدارس الحكومية، وأداء الطلاب مسلمين وغير مسلمين الصلوات والطقوس أمام التمثال يومياً، كأحد الممارسات القومية الواجب أداؤها بشكل مستمر ودائم.
- محاربة التعليم الإسلامي وتعقب المدرسين الذين يقومون على العملية التعليمية بالطرد والتشريد والفصل من العمل، وعدم السماح بوجود أي نشرة أو صحيفة إسلامية يطلع عليها مسلمو تايلاند لمتابعة ما يحدث لإخوانهم في العالم، أو حتى لإبراز أنشطتهم المختلفة.
- إجبار المسلمين على تغيير أسمائهم بأخرى بوذية، وقابل هذا الطلب رفضاً من جانب عدد كبير من المسلمين، إلا أن هذا لم يمنع الآلاف من المسلمين لأن يرضخوا للأمر ويبدلوا أسماءهم الإسلامية بأخرى، تفاديا للأذى والاضطهاد الذي سيقع عليهم إن أصروا على الرفض .
- الهجرة الإجبارية للبوذيين إلى مناطق تجمع المسلمين في الجنوب، حتى يضيعوا الفرصة على المسلمين في استقلال الجنوب أو الحصول على حكم ذاتي لدينهم هناك.

- التضييق على المسلمين في الالتحاق بالجامعات ، ومنع الزى الإسلامي من الشوارع أو في المناسبات، أو في قاعات العلم والدراسة.

أما عن وضع الأقلية المسلمة في تايلاند بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر (٢٠٠١م) فقد أخذت أبعادا أخرى غير المتعارف عليها، فالنظام الحاكم في تايلاند منذ أكثر من عشر سنوات، وهو يطالب باتخاذ إجراءات صارمة ضد الجماعات الإسلامية التي تتزايد في المناطق الجنوبية من تايلاند ، لذلك أعلنت تايلاند تعاونها غير المشروط مع الولايات المتحدة ضد الإرهاب والتطرف الإسلامى، وشنت أعنف حملاتها ضد من وصفتهم بالإرهابيين المسلمين، وسارعت بمصادرة أموال الجماعات الإسلامية الموجودة داخل البنوك في بانكوك وفطانى، هذا بجانب القيام بالمزيد من الاعتقالات للعديد من المسلمين بزعم أنهم قد يكونوا على علاقة بتنظيم القاعدة و " أسامة بن لادن " .

ثالثا: أحوال الأقليات الإسلامية في بورما
قبل وبعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر (٢٠٠١م)

بورما هي إحدى دول جنوب شرق آسيا، استقلت عن الهند في عـــام (١٩٣٧م) حيث كانت ضمن الولايات التي تتكون منها الهند سابقاً ويبلغ عددا سكان بورمـــا أربعة ملايين نسمة يتم توزيعهم كالتـــالي: (٧٠%) مســـلمون، (٢٥%) بوذيـــون، (٥%) أديان أخرى [٢٤].

ويتعرض المسلمون في بورما إلى صنوف عديدة من الاضطهاد والتعصب والإخلاء الإجباري من أراضيهم ومنازلهم، هذا بجانب إلغاء الدراسات الإسلامية من الكليـــات النظرية، كما تمت مصادرة الممتلكات الإسلامية ومنع المسلمين مـــن أداء الصـــلوات، وإقامة شعائرهم التعبدية، كما يحظر على المسلمين في بورما أن يتقلـــدوا أي منصـــب سياسي كبير .

وقد يختلف سكان بورما من حيث التركيب العرقي واللغوي فيما بينـــهم وذلـــك بسبب تعدد العناصر المكونة للدولة حيث تضم بين سكانها عناصر مغولية وإندونيسية وهندية، وهؤلاء ساهموا في انتشار الإسلام في هذه البلدان، أما عمليات العنف والإبادة التي يتعرض لها المسلمون في بورما فهي جزء من خطة (التنين) التي تقوم علـــى طـــرد المسلمين (الروهنجيين) تحت زعم أن المسلمين في بورما ليسوا من السكان الأصـــليين وخاصة المسلمين الموجودين في "أراكان" [٢٥].

وفي مطلع عام (١٩٩١م) شهدت بورما أكبر مأساة تعرض لها المسلمون في آسيا، حيث شملت الحملة هـــدم المنازل وإقامة المجازر والمذابح التي تجاوزت الحد، فلم ترحم رضيعاً أو امـــرأة أو شيخاً مسناً. الأمـــر الذي دفع بهؤلاء المسلمين إلى الهجرة الإجبارية حيث قـــام أكثر من (٣٠٠) ألف مسلم بالهجرة إلى حدود بنجلاديش وظلوا في العـــراء لشهور دون أن يشعـــر بهم أحد أو أية منظمـــة إغاثـــة ، إسلامية أو غير إسلامية [٢٦] .

مشكلات الأقليات الإسلامية في بورما :

- إلغاء الجنسية للمسلمين الروهنجيين؛ إذ إن السلطات البورمية تعتقد أن المسلمين ليسوا من مواطني بورما الأصليين. وبالتالي لا حق لهم في التواجد على أرضها أو التجنس بجنسية البلد.
- التضييق على المسلمين حرية السفر والانتقال داخل البلاد وخارجها في أحوالهم المعيشية ، ومنعهم كذلك من ممارسة أية حقوق مدنية أو دينية في بورما.
- اعتقال المسلمين بدون تهمة معينة ، بل والقبض على شيوخ المساجد وإجبار المسلمين على فتح مساجدهم أمام البوذيين لممارسة طقوسهم وشعائرهم واحتفالاتهم بداخلها.
- إجبار المسلمين على القيام بالأعمال الشاقة، بعكس البورميين، الذين يعتقدون بأنهم هم الأصل ، وبالتالي على غير البورمي الطاعة والخضوع والمثول لأوامرهم.
- تهجير المسلمين وتوطين البوذيين في مساكنهم ، وشن حملات عنف ضد التجمعات الإسلامية في " أراكان " لتوطين البوذيين مكانهم وطرد المسلمين على الحدود مع بنجلاديش، في الشتاء مما أفقد منهم الكثير نظراً للأمراض والأوبئة والبرد القارص.
- مصادرة أوقاف المسلمين وسلب أراضيهم وأموالهم بالقوة، بل وإصدار الفتاوى البوذية التي تؤكد أن أموال المسلمين كلها حلال لغير المسلم [٢٧].
- الجهل الذي يسيطر على أبناء الأقليات الإسلامية المهاجرين وتفشى ظاهرة الأمية بينهم، ورفض حكومة بورما دخول أبناء المسلمين المدارس والجامعات الحكومية.

أما عن وضع الأقليات الإسلامية في بورما بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر فقد كان مأساويا ؛ اذ قامت قوات الشرطة بإطلاق الأعيرة النارية على المسلمين في المساجد والشوارع وفى قاعات اجتماعاتهم التي يلقون فيها الدروس الدينية للمسلمين الجدد، والاعتداء عليهم دون أن ينال المعتدى أي عقاب.

كما قام بعض المتعصبين الهندوس بتخريب عدد كبير مـــن المســاجد والمحـــلات التجارية التي تؤول ملكيتها إلى بعض المسلمين تحت زعم أن هذه المحلات تخصص جزء من ربحها لتمويل الجماعات المتطرفة في دول الشرق الأوسط .

رابعا : أوضاع الأقليات الإسلامية في سرلانكا قبل وبعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر (٢٠٠١م)

سر لانكا أو سيلان، اسمان لجزيرة صغيرة مساحتها (٦٥,٦١٠) كم٢ تقع على المحيط الهندي عند الطرف الجنوبي لشبه القارة الهندية في جنوب آسيا.

ويعود تاريخ الإسلام في سرلانكا إلى عهد الخليفة الثاني "عمر بن الخطاب" الذي استقبل وفدا من هذه الجزيرة في مكة وآمنوا بالدين الجديد، وتعلموا الإسلام على أيدي الصحابة وعادوا ينشرونه في بلادهم [٢٨]. ويبلغ تعداد السكان في سر لانكا وفق إحصاء (١٩٩٤م) حوالي (١٨) مليون نسمة، يمكن توزيعهم كالتالي: (٦٤%) بوذيون (٢٠%) هندوس (٥%) نصارى (١٠%) مسلمون، ويصل عدد المسلمين بسرلانكا حوالي (٢,٥) مليون مسلم موزعين في أكثر من مدينة في كولومبو: إمباراى، كاندى، ترينكو مياني، كيوربونجالا [٢٩].

كما منح الدستور الصادر عام (١٩٤٧م) والمعروف بدستور (سوليرى) حقوقا للأقليات الموجودة في سرلانكا ينص على عدد كبير من البنود ، وقد تم تطبيق بعضها، والبعض الآخر كانت قوانين تم إطلاقها نوعا من الدعاية وتنص على :

- لا يجوز تحريم أو منع الممارسة الدينية لأي دين، فالكل سواسية وكل أفراد الشعب لا يجب أن يفرقهم الدين الذي يدينون به، أو المذهب الذي يعتقدون في صحته.
- عدم منح أي شخص من أي طائفة أو دين أي امتياز ما لم يحصل عليه غيره من أبناء الديانات الأخرى، من باب المساواة في الحقوق بين الأديان.
- لا يجوز التعديل في حقوق أي طائفة ما لم توافق الطائفة ذاتها على هذا التعديل.

والملاحظ أن الحرية في التدين أدت إلى دخول العشرات من البوذيين في الإسلام، الأمر الذي أوجد استياءا الطوائف الأخرى، فكانت المطالبة بإلغاء دستور(١٩٤٧م) بآخر وتم تعديله بدستور (١٩٧٢م) ، وحذفت منه كل المواد المتعلقة بحماية الأقليات مما أدى إلى ممارسة العنف والاضطهاد ضد المسلمين هناك.

كما تعد جماعة (نمور التاميل) من أبرز الجماعات الهندوسية التي تقف حجر عثرة أمام المد الإسلامي في سرلانكا، وهى جماعة ترغب في الاستقلال بالمنطقة التي يقطنون عليها لتأخذ صورة من صور الحكم الذاتي ، وفى أغسطس (١٩٩٠م) شن (التاميـــل) هجمات متكررة على القرى المسلمة في المناطق الشمالية والشرقية، وقتلوا عشـــرات المسلمين، ثم هاجموا خمس قرى مسلمة أخرى وقتلوا (١٨٠) صيادا مـــن المســـلمين، وبعد أسبوعين فقط أبادوا (٣٨٧) مسلما آخرين وأصبحت هذه الحمـــلات تمـــارس بشكل يومي [٣٠] ، وكان من الطبيعي إزاء حالة التصعيد ضد المسلمين في سرلانكا أن تتجمع كل الحركات الإسلامية للرد على هذه الأعمال العنيفة والإعلان عـــن عـــدم موافقتهم على ما يحدث لأخوانهم المسلمين، حيث تكونـــت أول خليـــة للجماعـــة الإسلامية في عام (١٩٥٤م) على يد الأمير "عبد القادر الجيلانى" الذي درس وتعلـــم على يد " أبو الأعلى المودودى" في الهند، وهذه الجماعة تتبنى فكر الإمام "حسن البنا" مؤسس جماعة الإخوان المسلمين عام (١٩٢٨م) في مصر حيث قامت هذه الجماعـــة بمقاومة الهندوس، والرد على اعتداءاتهم المتكررة ضد المسلمين .

وتقوم خطة جماعة نمور التاميل على تفريغ الأراضي الشمالية الشرقية من الأقليـــة الإسلامية، وطردهم من أراضيهم، وهدم مساجدهم، لإقامة دولتهم المســـتقلة الـــتي يزعمون إقامتها في هذا المكان، كما أن أكثر من ألفى مسلم لقوا مصرعهم من جـــراء أعمال عنف قامت بها نمور التاميل في عام (١٩٩١م)[٣١] .

إلا أنه ومع حملات العداء التي يشنها نمور التاميل ضد المســـلمين فـــإن الأقليـــات الإسلامية في سرلانكا ليست بعيدة عن السلطة الحاكمة، حيث يشـــترك المســـلمون بحزبين هما الحزب الوطني الموحد، وحزب التحرير، وحصل المســـلمون علـــى (١٩) مقعدا في البرلمان من جملة (٢٢٥) مقعدا [٣٢] ،ولكن هذا التمثيل لم يمنع من حـــدوث عنف ضد الأقلية المسلمة هناك، من منظمة " نمور التاميل " على الرغم مـــن إعـــلان الحكومة السرلانكية كثيرا عن إعداد الخطط لتصفية هذه المنظمة، في الوقت الذي تقوم فيه الحكومة ذاتها بطرد آلاف المسلمين من أراضيهم وإخراجهم من بيـــوتهم لإخـــلاء مناطق المسلمين تماما، وإعادة تسكين الهندوس مكانهم، في الوقـــت ذاتـــه شـــجعت الحكومة السرلانكية المسلمين على التمسك بأراضيهم وبيوتهم، ولعلها تهدف من وراء ذلك ألا تظهر دولة مستقلة في سرىلانكا يحكمها " نمور التاميـــل "، وأمـــام هـــذه

الحملات من الاضطهاد تم تشريد أكثر في (٥٠) ألف مسلم في سرلانكا إلى الدول المجاورة، هروبا من بطش المتمردين التأميل الذين يستهدفون القضاء على الأقلية المسلمة فى سرلانكا.

أما أبرز مشكلات الأقليات الإسلامية في سرلانكا فهي:

- النزاعات الطائفية بين الجماعات الإسلامية بعضهم البعض، فالشيعة لهم مساجدهم وأعيادهم وطقوسهم التعبدية، والسنة على العكس تماما منهم، ولكل منهم الرغبة في فرض ما يقول به على الآخر.
- الحروب الأهلية بين ثوار نمور التاميل والقوات الحكومية، والضحية بين الاثنين دائما – الأقلية المسلمة – المشردون من أراضيهم وبيوتهم.
- ظهور طائفة تنكر الحديث الشريف وهم طائفة (القرآنيين) الذين يؤولون النص القرآني ولا يأخذون بأحاديث الرسول ﷺ حتى أصبح لها أتباع كثيرون.
- انتشار المذاهب الهدامة مثل : (الماسونية والبهائية والقاديانية) حيث تعمل هذه الفرق على القضاء على الإسلام وتصفيته من المدن السرلانكية.

أما عن الوضع السياسي والاجتماعي للأقليات الإسلامية في سرلانكا بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، فقد جاء حاملا بعض أعمال العنف ضد الأقلية المسلمة المغلوبة على أمرها، خاصة وأن المسلمين هناك من أكثر الأقليات تنظيما، فهم يتمسكون بأداء الشعائر الدينية في جماعة مما جعلهم عرضة للاعتداء من جانب المتعصبين الهندوس ، كما تم القبض على العديد من أبناء المسلمين واحتجازهم في أقسام الشرطة، وحبس أكثر من مائتي مسلم تحت زعم أنهم ملتحون ويتمسكون في مظهرهم بالشكل الذي يظهر عليه " أسامة بن لادن "، هذا بجانب إغلاق كل المراكز الإسلامية التي كانت تمول من دول الخليج، وإحراق ما بها من مصاحف وكتب إسلامية، ووقف كل الجمعيات التي تعتمد في ممارسة نشاطها على بعض الدول الإسلامية الأخرى مثل: ماليزيا وإندونيسيا وباكستان.

ومن هنا يمكن القول :إن الإسلام تأثر سلبا بما حدث منذ أحداث الحادي عشر من سبتمبر في سرلانكا وحتى الآن، فالاضطهاد ما يزال على أشده ضد المسلمين دون غيرهم من الطوائف والأديان الأخرى، والقبض العشوائى من قبل الشرطة هناك على

كل من يدون فى هويته بأنه مسلم هذا بجانب قيام العديد مـــن الجماعـــات المتطرفـــة بالاعتداء على الأقليات المسلمة، والسطو على ممتلكاتهم تحت سمع وبصر قوات الشرطة دون عقاب أو قصاص ،أو حتى اعتراض من جمعيات ومنظمـــات حقـــوق الإنســـان المنتشرة في سرلانكا .

خامسا :أوضاع الأقليات الإسلامية في قبرص
قبل وبعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر(٢٠٠١م)

تمثل قبرص بؤرة صراع بين تركيا ذات التاريخ الإسلامي واليونان ذات التوجه المسيحي وكلا الدولتين كانتا في السابق إمبراطوريتين عظيمتين الدولة العثمانية والإمبراطورية البيزنطينية حيث تقسم الجزيرة حاليا بين تركيا واليونان ، فتوجد قبرص التركية في الشمال وقبرص اليونانية في الجنوب ولكل قسم رئيس وحكومة وأقليات مسلمة تتعرض للاضطهاد على الجانبين، إلا أنه ومع تدخل المنظمات والهيئات الدولية في الأزمة ما تزال قبرص محل صراع وخلاف تصل في أحيان كثيرة إلى استخدام السلاح والتحركات العسكرية على الحدود بين الطرفين بدعم من تركيا واليونان، فالصراع في جوانبه مغلف بالغلاف الديني العقائدي أو بين الإسلام والمسيحية [٣٤] .

وتقع جزيرة قبرص في الزاوية الشمالية الشرقية للبحر المتوسط بين آسيا الصغرى وسوريا وتبلغ مساحتها ٩,٢٥٠ كيلو مترا مربعا ، كما ارتبطت قبرص باثنين من أعضاء حلف شمال الأطلنطي هما تركيا واليونان ، إلا أن الحلف لم يتمكن من البت في فض هذا النزاع وفشلت الأمم المتحدة هي الأخرى في إيجاد حل لهذه المشكلة، وظلت القضية متداولة على المستوى السياسي والاعلامى نظرا لادعاء كل طرف من أطراف النزاع بأحقيته في الجزيرة .

قبرص : الموقع والأهمية:

يعود تاريخ الإسلام في قبرص إلى زمن الدولة الأموية، فقد فتح معاوية بن أبي سفيان قبرص عام (٢٨) هجرية ثم ارتد أهلها وكاتبوا الروم ، فعاد معاوية لغزوها عام ٣٣ هجريا واستوطن فيها المسلمون بل وجعل فيها حماية إسلامية عسكرية، ثم وقعت تحت السيطرة العثمانية وتم تقسيمها لشمال وجنوب ويصل عدد مسلمي قبرص حوالي مليون مسلم فيما يسمى بقبرص التركية أو القبارصة الأتراك الذين استوطنوا شمال الجزيرة.

وجزيرة قبرص على الرغم من صغر مساحتها إلا أنها ذات أهمية استراتيجية كبرى فهي تعد نقطة انطلاق للقوى البحرية والجوية الدولية باتجاه تركيا والمضايق ونحو المنطقة العربية حيث الصراع العربي الاسرائيلى كما كانت هي نقطة الانطلاق في العدوان الثلاثي على مصر عام (١٩٥٦م) ثم حرب (١٩٦٧م) ، هذا بجانب أنها محطة بحرية للأسطول السادس الأمريكي وخاصة في فترة السبعينيات عندما نزل الأسطول البحري السوفيتي بقوة إلى البحر المتوسط، وبرزت أهميتها على السطح في تنافس القوتين العظميين [٣٥] .

أما بالنسبة للأتراك فما تزال تعتبر قبرص بالنسبة لهم دولة إسلامية بداية من عام (٢٨) هجرية وفتحها على يد معاوية بن سفيان، ثم تبعيتها للدولة العثمانية من عام (١٥٧١م) وحتى عام (١٨٧٨م) ، وآلت الجزيرة لبريطانيا بموجب اتفاقية القسطنطينية عام (١٨٧٨م) وأصبحت ضمن المستعمرات البريطانية بشكل رسمي عام (١٩١٤م) إلا أنها تخلت عنها عام (١٩٥٩م) حيث أعلنت جمهورية قبرص المستقلة بعد معاهدة لندن من نفس العام ، والتي حضرها ممثلو بريطانيا وتركيا واليونان وممثلو عن الجاليتين التركية واليونانية بقبرص وبدأت الاضطرابات بالجزيرة وعدم الاستقرار السياسي بها بداية من عام (١٩٦٣م) حول حجم التمثيل بين الجالتين في المجالس النيابية والوزارات والمناصب العليا بالدولة ، فالقبارصة الأتراك الذين لا يزيد عددهم عن (٢٠%) مقابل (٧٥%) من القبارصة اليونانيين يريدون حقهم في التمثيل المناسب وترفض القبارصة اليونانيين إعطاء هذا الحق لهم، فالعاصمة نيقوسيا مثلا ما تزال مقسمة بين الأتراك واليونانيين والشارع الواحد مقسم إلى شارعين، وما تزال تركيا هي الدولة الإسلامية الوحيدة التي تتبنى قضايا ومشكلات المسلمين في قبرص[٣٦] أيا كان عددهم حيث يعود لبريطانيا سبب تعثر الأزمة ، فبمجرد أن سمحت تركيا لبريطانيا بالإشراف على الجزيرة (١٨٧٨م) سعت إلى تهجير مزيد من اليونانيين إلى قبرص ، حتى زاد عدد اليونانيين ليصبح ضعف عدد المسلمين الذين كانوا يمثلون الأغلبية في قبرص آنذاك بل كانت قبرص ذاتها دولة إسلامية واليونانيون يمثلون الأقلية.

بداية الأزمة القبرصية:

كانت العلاقة بين اليونان وتركيا يسودها الهدوء واحترام كل منهما للآخر باعتبارهما دولتين كبيرتين ويدخلان معا في حلف شمال الأطلنطي ، إلا أنه وبعد أحداث عام (١٩٦٠م) في جزيرة قبرص دخلت العلاقة نفق مظلم زاد من سوء العلاقة إعلان الرئيس "مكاريوس" بتعديل دستور (١٩٦٠م) الذي يوصى بخضوع قبرص لإدارة اليونان ، الأمر الذي أغضب " عصمت أينونو" رئيس وزراء تركيا وأكد أن قرار "مكاريوس" يخالف معاهدتي زيورخ ولندن (١٩٥٩م) وأشار إلى التزامه بحماية القبارصة الأتراك ودعي إلى إقامة نظام فيدرالي لإدارة شؤون الجزيرة ، وأكدت بريطانيا والولايات المتحدة ما اقترحه "عصمت أينونو" بحل المشكلة على نمط سويسري، بإنشاء مقاطعات يونانية وتركية منفصلة تحت رئاسة حكومة فيدرالية إلا أن اليونان لم ترحب بالاقتراح وعادت القضية مرة أخرى إلى نقطة البداية .

إلا أن الولايات المتحدة حاولت عام (١٩٦٧م) إيجاد تسوية سلمية لمشكلة قبرص واستطاعت الوساطة الأمريكية أن تقيم لقاء يجمع بين وزيري خارجية تركيا واليونان عام (١٩٧١م) إلا أن الاجتماع لم يتم التوصل فيه لحل المشكلة، وانتهى بعرض الولايات المتحدة على الطرفين ضرورة إيجاد مقر دائم للأسطول السادس الأمريكي بهدف إقامة ثلاثة آلاف جندى من الرعايا الأمريكيين وأسرهم في المنطقة لحماية مصالحها ، وحاولت مرة أخرى إزالة حدة التوتر بين الجانبين إلا أن الرئيس "مكاريوس" كان يعرقل ما توصلت إليه الولايات المتحدة من نتائج لحل الأزمة.

وأساء الرئيس "مكاريوس" قمص الكنيسة اليونانية سابقا- معاملة المسلمين الأتراك وأثار بعض المسيحيين ضد التواجد الإسلامى في جزيرة قبرص، الأمر الذي دفع تركيا إلى تهديد اليونان بالحرب بل وأظهرت تركيا نيتها الدفاع عن الجالية التركية الإسلامية في الجزيرة ضد الحكومة العسكرية اليونانية، وان ذلك قد يؤدى إلى حدوث حرب مع الطرف اليوناني ، ولما زادت حدة التوترات في جزيرة قبرص ضد القبارصة الأتراك عام (١٩٧٤م) وحدث انقلاب ضد الرئيس " مكاريوس" ، وسادت الفوضى في الجزيرة اضطرت تركيا إلى التدخل لحماية رعاياها المسلمين في قبرص، وقامت بإنزال (٤٠) ألف جندي تركي إلى الجزيرة واحتلت الجزء الشمالي منها، والذي تقطنه الغالبية التركية أو ما يعرف الآن بقبرص التركية مما دفع اليونان إلى التقدم بسحب

عضويتها من حلف الأطلنطي احتجاجا على عملية إنزال القوات التي قامت بها تركيا والموقف السلبي من الولايات المتحدة وأوربا، وكذلك حلف الأطلنطي نفسه، الأمر الذي عكس بوضوح تأييد الولايات المتحدة للتصرفات التركية في الجزيرة.

بيد أنه من الملاحظ أن الولايات المتحدة اضطرت إلى تأييد تركيا في موقفها من قبرص ، وإن كانت تجتهد في البحث عن حلول سلمية للأزمة من أجل مصالحها في منطقة البحر المتوسط وقواعدها العسكرية هناك نظرا لقوة تركيا في المنطقة، واستغلت روسيا موقف الولايات المتحدة من الأزمة، وعرضت على اليونان كافة السبل لضمان حقوقها في جزيرة قبرص مما أثار ذلك غضب الولايات المتحدة من تدخل روسيا في الأزمة القبرصية.

وشعرت الولايات المتحدة بالقلق من التواجد الروسي في المنطقة، وأقلقها بشدة رغبة روسيا في إقامة قاعدة عسكرية لها في جزيرة قبرص، الأمر الذي ينعكس بصورة سيئة على الوضع الأمني لكل من تركيا واليونان وحلف شمال الأطلنطي، لذلك عاقبت الولايات المتحدة الرئيس "مكاريوس" إزاء سعية لاستضافة روسيا في الأزمة القبرصية بتدبير الانقلاب العسكري ضده عام (١٩٧٤م) ، وقامت بريطانيا حرصا على استمرار حكم "مكاريوس" بتجهيز طائرة خاصة أقلته إلى مالطا لحين انتهاء الأزمة الداخلية ، ثم عاد "مكاريوس" لحكم الجزيرة من جديد بتأييد من الولايات المتحدة وبريطانيا معا حيث إن الولايات المتحدة سعت من وراء الانقلاب إلى ضم الجزيرة إلى حلف شمال الأطلنطي ثم إجراء تفاوض بعد ذلك .

أما روسيا ونظرا لحالة التقارب بينها وبين تركيا(١٩٧٦-١٩٨٠م) فقد أعلنت أنها تؤيد استقلال جزيرة قبرص ، ومنح الحقوق الشرعية للقبارصة الأتراك والقبارصة اليونانيين (٣٧) .

الصراع الأمريكي على قبرص :

تعود نقاط الخلاف بين الولايات المتحدة وحليفتها في منطقة البحر المتوسط (تركيا) إلى رفض الولايات المتحدة إرسال مزيد من القوات التركية لجزيرة قبرص بعد عملية الإنزال التي قامت بها تركيا عام (١٩٧٤م) ، وهذا ما لم تكن تتوقعه تركيا من حليفتها وخاصة وأن اليونان شعرت بقوة خصمها، وأعلنت عن رفضها دخول حرب

مع تركيا لعدم استعدادها العسكري الكافي في تلك الفترة ، وجاء الرفض الامريكي ليعطل الحلم التركي من السيطرة الكاملة على جزيرة قبرص[٣٨] .

وإزاء التطورات الدولية التي شهدها العالم بعد سقوط الاتحاد السوفيتي وانهيار الشيوعية في عام (١٩٩١م) ، حاولت الولايات المتحدة من جديد خوض تجربة التفاوض مرة أخيرة مع اليونان وتركيا ، وخاصة بعد عزم حلف شمال الأطلنطي التدخل لحل بعض الأزمات الدولية التي أعقبت حقبة التسعينيات من القرن العشرين في منطقة البلقان، وأن ذلك من الممكن أن يتم دون الرجوع للأمم المتحدة ومجلس الأمن، إلا أن الولايات المتحدة لم تنجح بقوة الحلف الأطلنطى في التسوية نظرا لظهور حالات من التوتر بين اليونان وتركيا بشأن الصواريخ الروسية التي زودت بها روسيا اليونان لمقاومة تركيا إذا ما تدخلت مرة أخرى في شؤون قبرص، ولما زادت المشاحنات بين طرفي الصراع ، أوفدت الولايات المتحدة مبعوثها الخاص بالمنطقة (هولبروك) وزار اليونان أملا فى إيجاد صيغة تفاهم بين القبارصة الأتراك واليونانيين بعيدا عن القطبين الكبيرين اليونان وتركيا.

إلا أن تركيا أسرعت وأعلنت ضرورة توقف روسيا عن تزويد اليونان بالصواريخ والأسلحة المتطورة ووافقت اليونان على الطلب التركي، وبدأت حالات التوتر في الزوال، بل وتم فتح الحدود بين الدولتين وعقد اتفاقيات سياحية ودبلوماسية وتجارية بينهم، إلا أن هذه الأوضاع لم تستمر طويلا، وعادت الأزمة لتدخل في جو من التوترات بعد أحداث الحادي من سبتمبر في الولايات المتحدة وانشغال الإدارة الأمريكية بالحرب على الإرهاب وضرب قواعد الإرهاب في الدول التي ترعى عناصر تنظيم القاعدة وحركة طالبان، ويظل وضع مسلمي قبرص كما هو اضطهاد وعنف ضد مصالح المسلمين في الجزيرة.

هوامش الفصل السابع

(١) قيـــصر أديـــب : المسلمون فى الفلبـــين (بيروت : مؤسسة الرســـالة١٩٩٠م) ص ١١،١٢ .

(٢) صابر طعيمة : محنة الأقليات الإسلامية والواجب نحوها، مرجع سابق ، ص٥٩ .

(٣) المسلمون في الفلبين (مجلة الأمة القطرية، عدد رجب ١٤٠٦هـــ) ص٦٧ .

(٤) محمود شعيب : نشرة أخبار الفلبين: جبهة تحرير مـــورو الإســـلامية ١٩٩٩م) ص١٢ .

(٥) الفلبين (جريدة الأهرام : عدد ١٩٩٢/٣/٢٢م) ص٦ .

(٦) صلاح هريدى : تاريخ أوربا الحديث (الإسكندرية : دار الوفاء لدنيا الطباعـــة ٢٠٠٠م) ص٩٩ .

(٧) أحمد على إسماعيل : العالم الإسلامى، مرجع سابق، ص٤٦، ٤٧ .

(٨) ممدوح الشيخ : المسلمون ومؤامرات الإبادة، مرجع سابق ، ص٩٢ .

(٩) صهيب جاسم : مسارات الحرب والسلام فى الفلبين (إسلام أون لاين . مقالات سياسة٢٠٠١م) .

(١٠) صابـــر طعيمة : محنة الأقليات الاسلامية والواجب نحوها، مرجـــع ســـابق ، ص٦١ ، ٦٢ .

(١١) صهيب جاسم : مسارات الحرب والسلام، مرجع سابق ، ص٢ .

(١٢) محمد نصر مهنا : انتشار الإسلام في آسيا، مرجع سابق ، ص٤٤ .

(١٣) المسلمون في الفلبين (مجلة الأزهر: عدد رمضان) ص ١٥ .

(١٤) صهيب جاسم : مسارات الحرب والسلام، مرجع سابق ، ص٢ .

(١٥) مسارات الحرب والسلام، مرجع سابق ، ص٣ .

(١٦) محمد عدس : الفلبين (القاهرة : دار المعارف، ١٩٦٩م) ص ١١٦ .

(١٧) محمد عبد الله السمان : محنة الأقليات المسلمة، مرجع سابق ص١١٩.

(١٨) صهيب جاسم : الفلبين والولايات المتحدة من مواجهة الشيوعية إلى محاربة الإسلام (إسلام أون لاين نت ٢٠٠٣ م) .

(١٩) محمد على ضناوى : الأقليات الإسلامية في العالم، مرجع سابق ، ص١١٨ .

(٢٠) صابر طعيمة: محنة الأقليات الإسلامية، مزجع سابق ، ص٣١ .

(٢١) محمد على ضناوى : الأقليات الإسلامية في العالم ، مرجع سابق ، ص١٨٩ .

(٢٢) سيد عبد المجيد بكر : الأقليات الإسلامية في آسيا ، مرجع سابق ،ص١٨٧ .

(٢٣) صابر طعيمة : محنة الأقليات المسلمة ، مرجع سابق ، ص٣٣ .

(٢٤) الإسلام في بورما (الإمارات: مجلة الضياء ، مارس ١٩٩٨م) ص٢٥ .

(٢٥) سيد عبد المجيد بكر : الأقليات الإسلامية في العالم، مرجع سابق ، ص٢٠٠ .

(٢٦) الإسلام في بورما، مرجع سابق ، ص٥٥ .

(٢٧) الإسلام في بورما، مرجع سابق ، ص٥٧.

(٢٨) صابر طعيمة: محنة الأقليات الإسلامية، مرجع سابق ،ص٢٠٥.

(٢٩) مأساة سر لانكا (مجلة الدعوة السعودية، مايو ١٩٩٢م) ص١٦ .

(٣٠) صابر طعيمة : محنة الأقليات المسلمة، مرجع سابق ،ص٢٠٢.

(٣١) مأساة سر لانكا، مرجع سابق ،ص٦٦.

(٣٢) المسلمون في سرى لانكا (مجلة كشمير:عدد مايو ١٩٩٩م) ص٢٦ .

(٣٣) سيد عبد المجيد بكر: الأقليات الإسلامية في العالم، مرجع سابق ص٧٠ .

(٣٤) عبد الغنى سعودي : الجغرافيا السياسية المعاصرة، مرجع سابق، ص١٨٣ .

(٣٥) محمد نصر مهنا : قبرص (القاهرة : دار المعارف ١٩٨٥م) . ص٢٦٠ .

(٣٦) قبرص ، مرجع ، سابق ص٢٧٥ .

(٣٧) سيد عبد المجيد بكر : الأقليات الإسلامية في العالم ، مرجع سابق ، ص١٨١ .

(٣٨) محمد عبد الله السمان : محنة الأقليات المسلمة ، مرجع سابق ، ص١٦٠.

الفصل الثامن

أحوال الأقليات الإسلامية فى قارة أوربا

قبل وبعد أحداث ١١ سبتمبر (٢٠٠١م)

الفصل الثامن

أحوال الأقليات الإسلامية فى قارة أوربا

قبل وبعد أحداث ١١ سبتمبر (٢٠٠١م)

مدخــل

أوربا ليست بلداً واحداً ، ولكنها من أكثر القارات تعددية فى عالم اليوم، حيث تتميز بقدرتها على استيعاب ودمج القوميات التي حلت على أراضيها منذ زمن بعيد، ومع أن أوربا تعد الموطن الأصلي للديانة المسيحية، إلا أنها مرت بمراحل عصيبة عبر تاريخها الطويل والممتد من الصراع حول السلطة الزمنية والسلطة الدينية، زمن ما كان يعرف بالعصور الوسطي ، واستطاعت بعد النهضة أن تتخذ العلمانية ديناً قومياً لها، مع الاحتفاظ للديانة الأخرى - المسيحية - ببعض الممارسات والطقوس التي تؤدى في مناسبات معينة[1] .

فمجرد أن تطرح كلمة أوربا يتذكر الكثيرون من أبناء العالم الإسلامى خلفيات الماضي بكل ما يحمله من مآسٍ وحروب وصراعات وهزائم وانتصارات، واضطهاد، وعنف، وطرد، وإبادة، حيث الحروب الصليبية التي قامت بها أوربا ضد العالم الإسلامى، وهى رافعة شارة الصليب للقضاء على الإسلام في موطنه، مع أن الشعارات قد تبدلت وحلت العلمانية بدلا من الدين المسيحي عند الكثير من الأوربيين ، بل إنه في الوقت الذي كانت فيه الحملات الصليبية تشن أعنف حملاتها على العالم الإسلامى، كانت هناك هجرات من المسلمين إلى أوربا، وعبرت العديد من الأسر المسلمة البحر المتوسط إلى فرنسا، وهولندة وبلجيكا، حيث كانوا الغرس الذي نمت عليه ملايين الأقليات المسلمة هناك في العصر الحديث.

ففي الوقت الذي تحولت فيه أوربا للعلمانية، وتجردت من كل ما خلفته الحضارة الإسلامية من تعاليم روحية وفضائل خلقية ومبادئ إنسانية وسلوكية، أصبحت لا تؤمن في الحياة الشخصية إلا باللذة والمنفعة، وفى الحياة السياسية إلا بالقوة، وفى النواحي الاجتماعية إلا بالوطنية والرأسمالية الجائرة والوجودية البائدة من جهة، وجماعة

الاشتراكيات الطوباوية الحالمة والشوفينيات الطاغية، والشيوعية المستبدة من ناحية أخرى،لتعطينا مجرد شواهد على ما شهدته الساحة الأوربية من تضاد بين الأفعال والقوانين، وبين حرية التدين والتضييق على الإسلام هناك .

والشعوب الأوربية في الأساس هي قوميات من شعوب مختلفة، يختلط فيها أجناس وأعراق عديدة، كل قومية لها هويتها، وثقافتها، وتراثها الحضاري الذي يخرج عبر سلوكيات يقوم بها بعض أفرادها، والارتباط ببعض العادات التي تعد من الأصول التي تتمسك بها الأقلية دوناً عن الأقليات الأخرى، إلا أن الأقليات الإسلامية في أوربا، ورغم تزايدها المستمر - عدداً لا تأثيرا - أصبحت قوة لا يستهان بها، ورغم ذلك فهي تواجه يومياً عشرات الصعوبات وأعمال العنف ضد أفرادها، وقد ظهر ذلك علناً، وبوضوح، بعد التفجيرات الأمريكية الأخيرة أو ما يعرف بأحداث الحادي عشر من سبتمبر (٢٠٠١م) .

لكن وعلى ما يبدو من قراءة الواقع : أن الأقليات المسلمة وبعد أحداث ١١ سبتمبر (٢٠٠١م) زادت معدلات الاضطهاد والعنف ضدها عن المرحلة التي سبقتها، ولكن بتفاوت ملحوظ بين دولة وأخرى، في إطار الحملة الدولية ضد الإرهاب، أو حملة الغرب ضد الإسلام . والسؤال : لماذا يضطهد الغرب الأقليات الإسلامية على أرضه بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر ، بل كيف دخل الإسلام أوربا ؟

الإسلام يعبر الشرق إلى أوربا :

دخل الإسلام أوربا عبر منافذ متعددة كان أبرزها مضيق جبل طارق وجزيرة صقلية من جهة الجنوب ، ومضيق الدردينال والبوسفور وشمال البحر الأسود من جهة الشرق ، ويسجل التاريخ للقائد طارق بن زياد دخول الإسلام الأندلس عام ٧١١هـ ، ثم قام عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك الأموي بإقامة دولة بنى أمية في الأندلس عام ٧٥٦هـ.

كما كانت هناك منافذ أخرى عَبَرَ خلالها الإسلامُ أوربا على فترات متباعدة أيضاً ، حيث قام السلاجقة في القرن الحادي عشر الميلادي بالتوسع في أوربا وخاصة في منطقة آسيا الوسطي وشمال القفقاس وسيبيريا ، وكذلك قام المغول في القرن

الثالث عشر الميلادي بنشر الإسلام هناك، وزاد عدد المسلمين في حوض نهر الفولا وشمال البحر الأسود، وشبه جزيرة البلقان وفى بلغاريا ويوغوسلافيا ورومانيا والمجر، هذا بجانب الدور المهم الذي لعبته الدولة العثمانية في التوسع بالإسلام في شرق أوربا عبر مضيق الدردينال وكان ذلك في القرن الرابع عشر الميلادي .

وفى عام (١٤٥٣م - ٨٥٧ هـ) فتح محمد الفاتح القسطنطينية وتوجه الخلفاء العثمانيون نحو توسيع سلطانهم بفتح الدول المسيحية مثل : بلغاريا والمجر ورومانيا وتشيكوسلوفاكيا وألبانيا والصرب وسلوفانيا وكرواتيا والبوسنة والهرسك ومقدونيا والجبل الأسود واليونان وباقي شبه جزيرة البلقان ، فتكونت بذلك إمبراطورية إسلامية واسعة الأطراف ازدهرت في القرن الخامس عشر (٢) .

ومن هنا ، فإن انهيار الحكم العثماني وإعادة توزيع السكان في دول البلقان، قد خلف من بعده تركة من المتناقضات القومية، والعرقية، والدينية، واللغوية تؤدى بين الحين والآخر إلى صراعات سياسية وعسكرية بين دول الجوار، تحركها الرواسب التاريخية ضد الدولة العثمانية التي كانت تحكم باسم الإسلام، الأمر الذي ينعكس بصورة مباشرة على وضع الأقليات الإسلامية - هناك الآن - من اضطهاد وعنف ، وكبت للحريات ، وحرمان من أداء الشعائر الدينية، أو ممارسة أي سلوكيات تدخل في إطار العبادات المفروضة على المسلم ، والجدول التالي يوضح حجم الأقليات الإسلامية في قارة أوربا، والنسبة التي يمثلونها بين الأديان والمعتقدات الأخرى (٣) :

الدولة	عدد المسلمين	النسبة
روسيا الاتحادية	٢٩,٦٠٨,٠٠٠	%٢٠
روسيا البيضاء	١,٠٢٥,٩٠٠	%١٠
أوكرانيا	١,٢٩٩,٠٠٠	%١٠
مولدافيا	٢٥٠,٠٠٠	%٥,٧

جورجيا	٨١٨,٤٠٠	١٥%
أرمينيا	٣٢٩,٣٠٠٠	١٠%
أسبانيا	٤٥٠,٠٠٠	١%
ألمانيا	٥,١٠٠,٠٠٠	٣%
إيطاليا	٤٥٠,٠٠٠	٣%
البرتغال	٧٥,٠٠٠	٢%
بلجيكا	٥٥٠,٠٠٠	٥%
بلغاريا	٢,٥٠٠,٠٠٠	٢٠%
بولندا	٥٤,٠٠٠	٣%
سلوفاك – التشيك	١٧,٠٠٠	١%
الدنمارك	٦٥,٠٠٠	١%
رومانيا	٢٩٠,٠٠٠	٢%
السويد	٢٢٠,٠٠٠	١%
سويسرا	٨٥٠,٠٠٠	١%
فرنسا	١٠,١٠٠,٠٠٠	١١%
فنلندا	١٥,٠٠٠	١%
مالطا	٤٦,٠٠٠	٢٠%
بريطانيا	٤,١١٠,٠٠٠	٨%
النرويج	١١,٠٠٠	١%
النمسا	١٧٠,٠٠٠	٤%

المجر	٩,٠٠٠	١%
هولندا	٧٥٠,٠٠٠	٤%
البوسنة	٢,٠٧٠,٠٠٠	٥٢% ذات أغلبية مسلمة
سلوفانيا	٢١,٦٧٠	١%
صربيا والجبل الأسود	٢,٣٧٠,٠٠٠	١٩%
كرواتيا	٧٢٦,٢٤٠	٤٠%
مقدونيا	٩٢٧,٠٠٠	١١%
اليونان	٣٧٦,٠٠٠	٢,٥%
جبل طارق	٧,٢٠٠	٨%
كوسوفا	١,٠١٣,٠٠٠	٨٥%
ألبانيا	٣,٧٥٠,٠٠٠	٩٠% ذات أغلبية مسلمة

والملاحظ من بيانات الجدول السابق تزايد عدد المسلمين فى القارة الأوربية يومًا بعد الآخر، بل إن الكثير من المقالات الصحفية التي نشرت في صحف عالمية كبرى — مثل : الواشنطن بوست ، والتايم - تؤكد تزايد إقبال الأوربيين على قراءة القرآن الكريم والتعرف على الإسلام عن قرب ، بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر (٢٠٠١م) ، وصاحب ذلك إعلان الكثير منهم اعتناق الإسلام عن اقتناع وبعد دراسة متأنية.

الدين والدولة في أوربا :

إن المسلمين في أوربا ليسوا من أجناس أو أعراق واحدة، حيث إن أوربا من القارات الشديدة التعقيد دينياً ولغويًّا وعرقياً ، فعلى مستوى اللغة - باستثناء ألمانيا والنمسا - لا توجد دولتان تتكلمان لغة واحدة ، وإن كان الامتداد اللغوي لدولة ما قد يظهر في دولة

أخرى، وليس شرطاً أن تكون المجاورة لها، كما هو الحال في امتداد اللغة الفرنسية إلى بلجيكا وسويسرا ، والإيطالية إلى سويسرا ، والألمانية إلى تشيكوسلوفاكيا وبولندا وفرنسا ، وتسود مجموعة اللغات الرومانية في غربي وجنوبي غربي أوربا ، وجنوبي الوسط ، بينما تسود السلافية في الشرق.

وتعتبر مشكلة الأقلية الألمانية في الإلزاس واللورين من المشكلات المعقدة حتى الآن، حيث يسمح للطفل عندما يذهب إلى المدرسة أن يدرس اللغة الفرنسية لثلاث سنوات دراسية فقط، بعدها يقوم بدراسة الألمانية بعد ذلك حتى يتقن الطفل ويصبح لديه لغتان (الفرنسية – والألمانية) ، ومع أن الوطن الأصلى لهذه الأقلية ألمانيا، إلا أن الإلزاس واللورين حالياً تخضعان للسيطرة الفرنسية.

أما الدين في أوربا فهو أيضاً له طابع مختلف، فبالإضافة إلى كون الإسلام لا يحتل الترتيب الأول وسط الأديان في أوربا، إلا أنه يتسم بمكانة عالية عند من يؤمنون به ، فهو أغلبية في ألبانيا، والبوسنة الهرسك، وكوسوفا ، وأقليات في معظم البلدان الأوربية، ولكن بنسب عالية حيناً كما في فرنسا، وألمانيا، وبريطانيا، وأقليات صغيرة جداً كما في الفاتيكان، وايطاليا، واليونان .

وأوربا مع أنها ليست مسيحية -كما أشرنا سابقا- إلا أنها شئنا أم أبينا ورغم ادعاء الحكومات الأوربية بتطبيق العلمانية ، فإن المسيحية ما تزال تمثل الأغلبية في أوربا ، وتتوزع ما بين الكاثوليك والبروتستانت ، فالمسيحية الكاثوليكية تصل لـ٧٥% في كل من فرنسا، وأسبانيا ، والبرتغال ، والنمسا وبلجيكا ، أما المسيحية البروتستانتية فتصل لنفس النسبة ، ولكن فى الدول الإسكندنافية وإنجلترا وألمانيا وهولندة ، أما الأرثوذكسية فتصل لنسبه أكبر فى منطقة البلقان وشرق أوربا ، وتتزايد البروتستانتية في الولايات المتحدة لتصل إلى (٦٥%) وفى كندا لـ (٦٠%).

وعلى هذا يدخل العامل الديني ضمن العوامل التي تؤدى إلى حالة من الفوران إذا ما تصادمت ديانتان في مجتمع واحد[٤] حيث يرغب الأول في إزاحة الآخر، وكان ذلك واضحاً في أزمة البوسنة والهرسك وكوسوفا حيث ارتفع العامل الديني (الأرثوذكس) ليصل إلى أعنف حالاته ضد المسلمين في منطقة البلقان، بل إن قادة

الجيــوش ورؤساء الوحدات الصربية ذكروا أهم بادوا المسلمين الأتراك، بغض النظر عن كون هؤلاء المسلمين من نفس العرق الذي ينتمون إليه من عدمه، وهــذا أيضــاً يفسر ما حدث في الأندلس من تعقب المسلمين وطرد بعضهم خارج أسبانيا، والبعض الآخر تم القضاء عليه في مذابح لم يسجل التاريخ مثلها عبر صفحاته التي لم تطو حــتى الآن .

ومراحل اضطهاد المسلمين في أوربا سلسلة لم تنته حلقاها ، بل زادت من حدهّا في أعقاب التفجيرات داخل الولايات المتحدة الأمريكية الأخيرة والمعروفة بأحداث الحادي عشر من سبتمبر (٢٠٠١م) .

الأقليات المسلمة فى قارة أوربا :

أما تواجد الأقليات المسلمة في القارة الأوربية فقد أخذ بعض المسارات، استطاع خلالها أن يثبت أقدام الإسلام في هذه البلدان بعد أن قام المسلمون الأوائل بوضع الجذور منذ فتح الأندلس، وحتى الفتح العثماني لمنطقة البلقان ، ويمكن تقسيم وضع المسلمين في أوربا لفئات أربع هي (٥) :

الأولى: وهى تمثل فئة الوافدين الذين يمثلون النسبة الأكبر حجماً، وهذه الفئــة لم تطرح على ذاهّا الارتباط بالبلاد الأوربية بعقد المواطنة، واكتفت بالرباط الاقتصــادي معها، وقد تحولت إقامة المهاجرين المؤقتة إلى إقامة دائمة بالتدرج، وبمرور الزمن، ومن بين هذه الفئة العديد من السياسيين والمثقفين وطلبة العلم ورجال الأزهــر والــدعوة الإسلامية، حيث اختاروا الاستقرار في أوربا عن قناعة رغم التباين العقدى – فكريًّــا ومذهبيًّا – وكانوا ينظرون إلى أوربا باعتبارها امتداداً حضارياً بين الشرق والغــرب، وبين الإسلام والأديان الأخرى، أما بقية هذه الفئة فتربط العوامل الاجتماعية بينــهم وبين هذه البلاد الأوربية، حيث يلاحظ لدى الجيل الأول – خاصة– نزعة للاكتفــاء بالحصول على بطاقات الهوية وجوازات السفر والاستفادة منها على المستوى الخــاص أو العائلي.

الثانيــة: ويمثلها اللاجئــون لأسباب سياسية ، وقد شهد هذا الصنف نمواً عددياً في السنــوات الأخيرة ، وخاصة من بلدان شمال إفريقيا مثــل : تــونس، والجزائــر،

والمغرب ، وموريتانيا ، ولبنان وسوريا ، ومصر حيث ساهمت هذه الفئة في إيجاد ترابط حضاري وثقافي مع أوربا، والتفاهم مع الآخر بصورة من الندية ، وحوار الثقافات.

الثالثة : ويمثل هذه الفئة السكان الأصليون من أبناء الدولة والمنتمون إليها عرقيًا، وجنسيًا، وسياسيًا، أما دينيًا فقد تخلوا عن ديانة الدولة واتبعوا عقيدة أخرى، وخاصة في منطقة البلقان، التي كانت تتمتع بأغلبية مسيحية أرثوذكسية، إلا أنه وبمجرد أن تعرف أهل هذه المنطقة على الإسلام حتى تحولوا عن عقيدتهم وأعلنوا إسلامهم عن رغبة واقتناع؛ لذلك عندما سئل الرئيس الصربي السابق " سلوبودان ميلوسوفيتش" عن الدافع وراء جرائمه في البوسنة والهرسك أمام محكمة مجرمي الحرب عام (١٩٩٩م) ، أشار إلى أن هؤلاء المسلمين كانوا في الأصل أرثوذكساً ، وأنه يجب أن يعودوا إلى ديانتهم الأصلية مرة أخرى وأن يتخلوا عن الدين الإسلامى الذى ينادى بكراهية الغرب المسيحي، ويتخذ في سبيل انتشاره – منذ ظهوره – الطابع الدموي والعنيف مع الدول التي دخلها في السابق، وخاصة الفترة التي اقتحم فيها الأتراك أوربا المسيحية.

الرابعة: ويمثل هذه الفئة المسلمون الجدد الذين يتمتعون بخصوصية من حيث العلاقة بين الإرث المسيحي والانتماء العقدى الإسلامى ومتطلباته على مستوى الشعائر ونوعية العلاقة مع المحيط ، حيث إن بعض هؤلاء أعلنوا إسلامهم لمجرد أن به من السلوكيات ما لم يجدها في ديانته السابقة، وكذلك هروبا من الحياة المادية القاتلة، أو الفراغ الروحي الذي كان يبحث عنه و لم يجده إلا في الإسلام.

ومن هذا كله يتضح أن العلاقة بين الشرق والغرب– أو بين المسيحية والإسلام– علاقة يسودها التوتر وعدم الانسجام، وعدم الصفاء القلبي بين الطرفين على طول الخط ، فالغرب لم ينتظر حتى فرصة التأكد من مرتكبي أحداث سبتمبر، وأعلن عداوته للإسلام والمسلمين على أرضه بمجرد أن أعلنت الولايات المتحدة عن تورط تنظيم "بن لادن " في التفجيرات الأمريكية الأخيرة ، وأن هذه التنظيم يأخذ فكره من " أسامة بن لادن" الذي يأخذ مبادئه من الإسلام . والسؤال الذي من المنتظر أن يجيب عنه الكتاب

في هذا الجزء هو : ماذا عن أحوال المسلمين الأقلية في دول أوربا الآن وبعد أحـــداث الحادي عشر من سبتمبر(٢٠٠١م)؟

أولا: الوضع السياسي والاجتماعي للأقليات المسلمة في البوسنة والهرسك

شعوب منطقة يوغوسلافيا السابقة من أصل عرقي واحد، وكانت تمثل - سابقاً - نموذجاً للدولة الاتحادية التي تضم داخل حدودها مزيجاً من الأعراق والقوميات، حيث ضمت - بالإضافة إلى إقليمين يتمتعان بالحكم الذاتي- ستة جمهوريات هي صربيا، الجبل الأسود، كرواتيا، سلوفينيا، مقدونيا، البوسنة والهرسك ، أما الإقليمان فهما كوسوفا وفويفودينا ، وقد لعب الانقسام الكنسي دوراً كبيراً في تبلور الصراعات فيما بينها (مسلمون، أرثوذكس ، كاثوليك) ، كما أن الموقع الاستراتيجي الذي تتمتع به شبه جزيرة البلقان يعد شيئاً مهمًّا في سياسات القوى السياسية الكبرى، حيث تشكل المنطقة حلقة اتصال ووصل بين الشرق والغرب، هذا فضلاً عن وقوع يوغوسلافيا في مدخل البحر الإدرياتيكى (٦) .

كما كان لموقع منطقة البلقان بين الإمبراطوريتين العثمانية والنمسا والمجر قبل الحرب العالمية الأولى له أثره في أنها كـانت تمثل خط المواجهة بين الإمبراطوريتين من ناحية، ومن ناحية أخرى تعدد فيهـا الأديـان : الإسـلام والمسيحية بفرعيها الكاثوليكي والأرثوذكسي .

ومن هنا ، فإن اندلاع أو نشوب أية خلافات في هذه المنطقة على وجه التحديـد من شأنه أن يحول البلقان إلى قطعة من الجحيم، حيث إن الصراع سوف يدور بـين مناطق داخل الجمهورية المحاطة بباقي جمهوريات الاتحاد اليوغوسلافي، ومن ثم فإن من الممكن أن تتدخل كل جمهورية - أو إذا شئنا الدقة : كل دين وعقيـدة - لصـالح امتدادها في البوسنة والهرسك ، فصربيا والجبل الأسود إلى جانب صـرب البوسـنة، وكرواتيا إلى جانب كروات البوسنة، ويظل المسلمون في البلقان دون سند خـارجي، حيث لا يسمح لتركيا أو أية دولة إسلامية أخرى أن تتدخل؛ إذ إن هذا السلوك غـير مسموح به أوربيًّا ودوليًّا، الأمر الذي يعنى أن أي صراع في المنطقة سـيكون علـى حساب المسلمين، وهذا ما حدث بالضبط عام (١٩٩٢م) عنـدما أعلنتـا البوسـنة وكوسوفا استقلالهما.

ويعيش في يوغوسلافيا - التي تبلغ مساحتها (٢٨٨) ألف كيلو متر مربع - حوالي (٢٥) مليون نسمة ينقسمون إلى أكثر من (٢٠) جماعة وأقلية عرقية (صربية، سلوفاكية، كرواتية، سلوفينية، مقدونية، ألبانية، بلغارية، تركية) ، ويتحدثون أكثر من (١٤) لغة ولهجة مختلفة(٧) . ويتمتعون بخلفيات دينية (مسيحية، وإسلامية) مع ديانات عديدة أخرى، الأمر الذي جعل من هذه المنطقة بؤرة فوران ديني وعرقي يتصاعد طالما دعت الظروف إلى ذلك، حيث لعب الدين دوراً مهماً في هذه المنطقة التي تناطحت فيها الكاثوليكية والأرثوذكسية والإسلام، وأثار إقبال النبلاء في يوغوسلافيا على الدخول في الدين الجديد (الإسلام) مخاوف أصحاب العقائد الأخرى، من أن تتحول المنطقة لدولة إسلامية كبرى داخل أوربا، في ظل الانقسامات الحادة المشتعلة بين الكاثوليك والأرثوذكس.

وتنقسم الكنيسة في يوغوسلافيا إلى مذاهب متعددة ، فيصل عدد الأرثوذكس الصرب حوالي (٤) ملايين نسمة .أما عدد أتباع المذهب الكاثوليكي في كرواتيا وسلوفينيا فيصل لـ (٦) ملايين نسمة، في الوقت الذي تصل فيه نسبة أتباع الكنيسة الأرثوذكسية المقدونية (٤) ملايين نسمة(٨) . ويرجع الصراع الأخير في البلقان إلى مطلع عام (١٩٩٠م) حينما انهار سور برلين، وعزلت دول أوربا الشرقية حكوماتها الشيوعية، وتصدع حلف وارسو وتفسخ الاتحاد السوفييتي(٩) .

وبالتالي ، فالصراع بين الإسلام والمسيحية - إذا أطلقنا عليه تجاوزاً : بين الشرق والغرب - هو صراع أزلي بين ديانتين، استطاعت كل منهما أن تحقق لنفسها أتباعاً كثيرين يؤمنون بها من ناحية، وأقليات يتبعونها في بقع أخرى من ناحية أخرى .

لذلك كانت مشاعر الأوربيين - وهم يخوضون حروبهم ضد المسلمين في البوسنة والهرسك- أنهم يقومون بواجب مقدس فرضته عليهم عقيدتهم، وأن ما يقومون به في البلقان هو الامتداد المعاصر للحروب الصليبية، وعبر عن ذلك صراحة الجنرال الفرنسي الشهير (غورو) عندما دخل القدس في عام (١٩٢٠م) بعد معركة (ميسلون) وكان أول عمل قام به : أن زار قبر صلاح الدين الأيوبي، ووقف أمام القبر قائلا له: "ها نحن عدنا يا صلاح الدين" ، ولعل المقصود من العبارة عادوا للقدس مرة أخرى"(١٠) .

ومن هنا يمكن القول بأن حرب البوسنة والهرسك وكوسوفا، هي حلقة من حلقات الهجمة الصليبية الصهيونية على الإسلام، وأن هذه الحلقة لن تكون الأخيرة، فالصراع يتفاقم بين لحظة وأخرى، ومن إقليم إلى آخر؛ لذلك فإن من دلالات هذه الأزمة: أن ملف "المسألة الشرقية " قد أعيد فتحه من جديد بعد (٦٠) عاماً من الطي والنسيان ، فبرغم الاضطهاد وحروب الإبادة المُعلنة ضد مسلمي البلقان، فإن الإسلام ما زال أخطر تهديد يواجه الديمقراطية الليبرالية والمجتمعات الإمبريالية في القرن الحادي والعشرين، والألفية الثالثة بعد الميلاد (١١) .

والأقليات والقوميات في أوربا – من الأطلنطي وحتى الأورال – أقليات وقوميات متشابكة ، وكل واحدة لها شبكة اتصالات دولية، بحيث لا تستطيع أمة بمفردها أن تهيمن على أمم أخرى ، وقد تصبح أي محاولة لتغيير هذا الوضع — مثل الذي تقوم به صربيا في منطقة البلقان – نقطة اشتعال وتنادى إلى نداء إقليمي غير مستقر أكثر من ذي قبل (١٢) .

كما لم تقم صربيا بمثل هذه الممارسات من العنف والوحشية في حربهم مع البوسنة والهرسك وكوسوفا، إلا بعد أن أدركت يقيناً أن النداء الديني لن يكون له صدى عند الدول الإسلامية، أو حتى العربية، بعكس حربها مع كرواتيا، فقد أنهى (بابا الفاتيكان) هذا الصراع بعبارة واحدة وهو جالس على كرسيه – في الفاتيكان – مخاطباً الصرب والكروات قائلا:"عليكم بعدوكم الحقيقي" ، وانتبه الاثنان المتصارعان إلى التواجد الإسلامي في المنطقة ونسى كل منهما ما كان بينهما بالأمس.

وكان من أهم أسباب الأزمة التي أحلت بمسلمي البلقان : أنهم آمنوا بأوربا، فقد ظن البوسنيون أن الاعتراف بدولتهم يتضمن نوعاً من المساندة من جانب المجتمع الدولي، بل تحول الصديق الذي اعترف (بالبوسنة والهرسك) إلى عدو لدود ، وتبين أن الغرب المسيحي لا يرغب عادة في وجود الآخر معه على أرض واحدة ، حتى وإن كانوا يمثلون الأقلية على هذه الأرض.

وعلى الرغم من أن الأمم المتحدة – ومع مطلع التسعينيات وإزاء تفكك الاتحاد اليوغوسلافي – أعلنت اعترافها بثلاث جمهوريات جملة واحدة كدول مستقلة في

البلقان لها حق السيادة على أرضها ، وهذه الدول هي :(البوسنة والهرسك ، وكرواتيا ، وسلوفينيا) إلا أن صربيا أعلنت عدم الاعتراف بهذه الدول جميعها، وقامت بمناورات شكلية مع كرواتيا حيث استطاع (بابا الفاتيكان) وقف هذا الصراع من بدايته كما أشرت سابقاً على اعتبار أن المتنازعين مسيحيون؛ فالصرب (أرثوذكس) ، والكروات (كاثوليك)، أما السلوفان فقد غضت صربيا الطرف عنها حيث تعتنق نفس مذهبها وهو (الأرثوذكسية).

وتكمن مشكلة البوسنة والهرسك في كون سكانها خليطاً من (مسلمين – صرب – كروات) وكل من الصرب والكروات لهم دولهم وأصولهم في جمهورية (صربيا – وكرواتيا) ، أما المسلمون فليس لهم سوى البوسنة، ويشكلون فيها الأغلبية (٥٠%) من إجمالي السكان ، وأعلنت صربيا تمسكها بالبوسنة نظراً لأهميتها بالنسبة لها، بل ومنطقة البلقان كلها فمن يسيطر عليها يستطيع أن يهدد وسط وشرق أوربا، ويستطيع أن يهيمن على البحر الأسود، كما يستطيع أيضاً أن يتحكم في شرق البحر المتوسط، وبالتالي يضمن السيطرة الكاملة على طريق تجارة البترول إلى أوربا الغربية (١٣) .

ويوغوسلافيا اسم حديث، أطلق على عدد من ممالك أوربا الشرقية بعد الحرب العالمية الأولى، فبعد هزيمة الجيوش النازية أمام المقاومة الشعبية اليوغوسلافية في نهاية الحرب العالمية الثانية، برزت إلى الوجود جمهورية يوغوسلافيا الاشتراكية ذات التوجه الإلحادي، وتحولت يوغوسلافيا إلى دولة شيوعية مع مطلع عام (١٩٤٦م) ، وقامت الحكومة بإغلاق جميع المدارس الإسلامية سواء التي تخضع لإشراف الحكومة أو الخاضعة للهيئات والمراكز الإسلامية بدول الاتحاد، وفى ١٧ أبريل ١٩٦٣م أعلنت يوغوسلافيا جمهورية فيدرالية شعبية مكونة من جمهوريات ست وإقليمين يتمتعان بالحكم الذاتي ، وهم وفق ما يشير إليه الجدول التالي (١٤) :

م	الدولة	العاصمة	عدد السكان	غالبية السكان
١	صربيا	بلجراد	٨,٧٥٤,٠٠٠	مسيحيون أرثوذكس
٢	كرواتيا	زغرب	٥,٦٦٧,٠٠٠	مسيحيون كاثوليك
٣	البوسنة والهرسك	سراييفو	٦,٤٢٩,٠٠٠	مسلمون
٤	سلوفينيا	لوبليان	٢,١١٥,٠٠٠	مسيحيون أرثوذكس
٥	الجبل الأسود	تيتوجراد	٨٠٠,٠٠٠	مسيحيون أرثوذكس
٦	مقدونيا	سكوبيا	٢,٥٦٠,٠٠٠	مسيحيون أرثوذكس
	أقاليم الحكم الذاتي بيوغوسلافيا			
١	كوسوفا	برشتينا	٢,٥٨٤,٠٠٠	٩٨% مسلمون
٢	فويفودينا	نوفى ساد	٢,١٥١,٠٠٠	ثلث السكان أرثوذكس

ويشير العامل الجغرافي للمنطقة : أن جمهورية البوسنة والهرسك تقع شمال غرب شبه جزيرة البلقان، يحدها من الشمال نهر (صافا) ومن ورائه كرواتيا وإقليم فويفودينا التابع لصربيا والمتمتع بالحكم الذاتي ، ومن الشرق جمهورية صربيا ، ومن الجنوب الغربي جمهورية الجبل الأسود ، وهما يفصلانها عن إقليم كوسوفا الذي يتمتع بالحكم الذاتي، ويلاصق كلا من ألبانيا ومقدونيا ، كما تطل المنطقة الغربية الوسطي مـــن الجمهورية على بحر الإدرياتيك، ويفصل جمهورية البوسنة والهرسك عن بحر الإدرياتيك، حيث يحدها من الشمال الغربي إقليم (دلماسية) الذي كان في السابق إقليما (بوسنيا) فصار تابعا لكرواتيا (١٥) .

أما كلمة البوسنة ، فهى تنسب إلى نهر البوسنة الذي يبلغ طولـــه حـــوالي (٢٧٣) كم، أما الهرسك فهي كلمة محرفة من كلمة "هرتزوج" ومعناها "الـــدوق" نســـبة إلى الدوق " ستيبات فوكتشيتش " الذي حكم هـــذه المنطقـــة في عهـــد الإمبراطوريـــة النمساوية (١٤٤٨م) ، أما العاصمة (سراييفو) فتنسب إلى (إيفو) أحد قادة الصرب، وكانت تسمى فى العهد العثماني الإسلامي (سراي البوسنة) (١٦) ، وأثبتت الدراسات : أن الصراع في البوسنة بدأ مع مطلع عام (١٩٩٠م) وكان صراعا محدودا في البدايـــة،

ولم يأخذ صورته العنيفة إلا مع بداية عام (١٩٩٢م) عندما أعلنت البوسنة والهرسك استقلالها، وأصبحت دولة لها حقوقها السياسية ولها رئيسها وحكومتها.

واستطاع الإعلام الغربي والصربي إثارة وتهييج المشاعر الأوربية ذات النزعة المسيحية، وزعم أن البوسنيين يخططون لإقامة دولة (أصولية) في أوربا [١٧]، فكانت الحرب على المسلمين في البوسنة، وإن كان البعض يؤكد بأنها حرب عرقية، إلا أن الشواهد تشير إلى أنها حرب دينية حقيقية بين المسلمين والأرثوذكس والكروات، يصاحبها عوامل أخرى كالعوامل السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، وإن هذا لا ينفى أن العامل الديني على قائمة الدوافع التي دفعت صربيا لخوض حربين متتاليتين: الأولى مع البوسنة ، والأخرى مع كوسوفا، وإن كان سبقهما حرب صربيا مع كرواتيا، إلا أن هذا لم يتعدَ مناوشات واعتداءات لم تأخذ طابع العنف الذي تعرضت له البوسنة وكوسوفا ، فقد وضعت القوات الصربية شروطاً لنجاة المسلمين من القتل أو التعذيب ، وكان أول هذه الشروط: التبرؤ من الإسلام والإيمان بالمسيحية، وأن يطلق المسلم على نفسه اسماً مسيحيًّا ، في هذه الحالة فقط لا يُقتل مسلم، ولا تُغتصب فتاة [١٨] .

وإزاء هذا الصراع أصدرت الولايات المتحدة تصريحاً هزيلاً يهدد حكومة بلجراد بفرض عقوبات اقتصادية عليها، إن لم تتراجع عن الممارسات العنيفة التي تقوم بها ضد المسلمين في البوسنة والهرسك ،ووصف الصرب ما يقومون به من حرب وإبادة ضد المسلمين في البوسنة، بأنه جزء من محاولة احتواء الظاهرة الإسلامية الراديكالية في وسط أوربا، أما (هيرويه أسلوك) زعيم الحزب الشيوعي البوسنوى في اجتماع الحزب عام (١٩٨٢م) قال نصًّا [١٩] : " إن الصربيين يحاولون تمييز أنفسهم بالأرثوذكسية، والكرواتيين يميزون أنفسهم بالكاثوليكية، أما المسلمون كأقلية عددية ، فهم يحاولون اكتساب الهوية الإسلامية من الدول الإسلامية فى الشرق الأوسط وإيران وباكستان وأفغانستان" فقد أسفر انهيار الشيوعية فى يوغوسلافيا عن ضعف الكيان السياسي الحاكم،وعدم قدرته على امتصاص الأقليات التي يضمها الاتحاد، فأعلنت رابطة الشيوعيين اليوغوسلاف (١٩٩٠م) إفساح المجال لإقامة نظام متعدد الأحزاب، وأجريت في النصف الثاني من عام (١٩٩٠م) أول انتخابات ديمقراطية حرة بنظام التعددية السياسية ، وجاءت نتائجها بهزيمة الشيوعيين في جمهوريات أربع من دول الاتحاد

اليوغوسلافي: (البوسنة والهرسك، مقدونيا، سلوفينيا، كرواتيا) وفوز أحزاب اليمين القومي الليبرالي، وأعلنت كرواتيا وسلوفينيا الاستقلال في يونيه (١٩٩١م) وأسرعت صربيا بضم ثلثي أراضي كرواتيا يدفعها إلى ذلك ترسانة الأسلحة التي ورثتها عن الاتحاد اليوغوسلافي السابق [٢٠].

كما أعلن " علي عزت بيجوفيتش" استقلال جمهورية البوسنة والهرسك عن الاتحاد اليوغوسلافي بعد استفتاء (٢٩ فبراير ١٩٩٢م) حيث أيد (٩٩,٤٣%) ممن أدلوا بأصواتهم استقلال الجمهورية من المسلمين والمسيحيين على جد سواء، إلا أن صربيا لم توافق على انفصال البوسنة، ودخلت في حرب معها في ٤مارس (١٩٩٢م) بعد يوم واحد من الاستقلال [٢١] .

والثابت تاريخيا : أن العداوة بين المسلمين والمسيحيين في البلقان تعـود إلى زمـن الفتح العثماني الإسلامي للمنطقة ، وهنا يجدر التساؤل عن الفـتح العثمـاني لمنطقـة البلقان : هل كان العثمانيون حقاً يضطهدون الأقليات المسيحية هناك آنذاك ؟ وهل ما يحدث في منطقة البلقان في هذه العقد رد فعل طبعي لما كان يقوم بـه العثمـانيون في تلك المنطقة في القدم ؟

الفتح العثماني لمنطقة البلقان:

يرجع العداء الصربي للمسلمين في البوسنة إلى عهد الفتح العثماني لمنطقة البلقان، فالعداء ليس وليد اللحظة، بل يرجع في حقيقته إلى مئات السنين، عندما غزت القوات العثمانيين أوربا الشرقيـة عـام (١٣٨٩-١٥٦٦م) واستيـلاء الأتراك العثمانيين على مقدونيا ثم ألبانيا فالبوسنة والهرسك، والصرب وكرواتيا وبلاد المجر وأجزاء من بلغاريا حتى أصبح بحر (إيجة) بحراً إسلاميًّا [٢٢] .

ونظراً للتنوع العرقي الموجود في البلقان، وحتى تستقر الأوضاع للعثمانيين في هذه المناطق، سمح " محمد الفاتح " بعد أن فتح بلاد البوشناق في (١٤٦٣م) للكاثوليك من خارج الدولة العثمانية بالقدوم لتعمير الأراضي التي تحتاج إلى استصلاح ، وأصدر قانوناً لذلك عرف بـ"عهد نامة" لسكان ميلودرازوة [٢٣] .

وتوالت الانتصارات العثمانية في البلقان بفتح كل بلاد البوشناق (١٤٨١م) ، ثم معظم كـرواتيا (١٥٢٦م) ، ووصـل العثمانيون إلى سلوفينيـا (١٥٦٦م) إلا أنهـم لم يفتحوها، كما لعب أهل البوسنة دوراً مهماً بجانب الأتراك في منطقة البلقان وخاصة

في حروبها ضد النمسا والبندقية، حيث تأثرت أوضاع البوسنة ذاتها بكثير من هذه الحروب، بل لقد دارت الحرب ضد النمسا (١٦٦٣، ١٦٦٤م) من أرض البوسنة، وأحرقت القوات النمساوية مدينة سرايفو عام (١٦٩٧م)، وأدى تراجع النفوذ العثماني في البلقان بعد مؤتمر برلين (١٨٧٨م) والذى أعاد النظر في المسألة الشرقية من جديد، وأشارت بنود المؤتمر إلى استقلال الصرب والجبل الأسود وضم البوسنة الهرسك إلى النمسا باسم السلطان العثماني ، وأصبحت منطقة البلقان منطقة صراع عالمية بين كل من روسيا – نصيرة الصرب منذ الأزل، حيث كانت أولى الدول في العالم التي اعترضت على توجيه ضربة عسكرية من قبل حلف الناتو للجمهورية الصربية – وكذلك النمسا نصيرة الكروات حتى اندلاع الحرب العالمية الأولى والتي بدأت من (سرايفو)[٢٣] ، كما عانى المسلمون كثيراً في ظل الإمبراطورية النمساوية المجرية من عمليات التنصير والاضطهاد ، و لم يرضخ المسلمون في البوسنة لهذه الممارسات الوحشية ، بل ثاروا على الحكم النمساوي عام (١٩٠٠م) بزعامة "على فهمي جابيج" ، واستطاعوا أن يحصلوا على الحكم الذاتي في الجوانب الدينية عام (١٩٠٩م) [٢٤] .

وبعد الحرب العالمية الأولى الهزمت الإمبراطورية النمساوية — المجرية ، وتأسست في أعقابها الدولة اليوغوسلافية، وبدأت تشتعل من جديد الحرب في البوسنة، فكانت حرب البلقان الأولى (١٩١٢م) بين تركيا وبلغاريا من جهة، صربيا والجبل الأسود واليونان من جهة أخرى، أما حرب البلقان الثانية فكانت بين بلغاريا وبين صربيا والجبل الأسود أيضاً، وفى الحرب الأولى والثانية كان الانتصار حليف صربيا والجبل الأسود [٢٥] .

وقد تعرض المسلمون في الحربين العالمية (الأولى والثانية) إلى أشد حالات التعذيب والاضطهاد من جانب المسيحيين الأرثوذكس، كما تعرضوا أيضاً لأشد درجات العنف من المسيحيين الكاثوليك بعد الحرب العالمية الثانية على يد " تيتو " الذي قضى على أكثر من ربع مليون مسلم في الفترة من (١٩٤١–١٩٤٥م) [٢٦] . ومع أنه سبق وأن وعدهم – في حالة وقوفهم بجانبه في حرب التحرير الشعبية اليوغوسلافية – أن يمنحهم حقوقهم الدينية، فإنه وفور توليه الحكم صادر كل أوقافهم الإسلامية، وأغلق جميع مساجدهم، وراح يحولهم من مواطنين أصليين إلى لاجئين، وطردهم خارج حدود الدولة [٢٧] .

واستمرت معاناة المسلمين من الاضطهاد والعنف والتضييق عليهم في ممارسة شعائرهم إلى أن انهارت الشيوعية في الاتحاد السوفييتي السابق، الأمر الذي هز كيان الشيوعية في أوربا الشرقية كلها، بما فيها الاتحاد اليوغوسلافي، مما دفع المجلس النيابي الأول للأقليات المسلمة في جمهورية يوغوسلافيا في أبريل (١٩٩٠م) إلى الإعلان عن دستور للمسلمين ينضم إليه جميع المسلمين في يوغوسلافيا [٢٨] .

وفكرت البوسنة في أن تستقل بنفسها عن الاتحاد اليوغوسلافي، إلا أن صربيا ساندت مواقف صرب البوسنة في عدم الانفصال باعتبار أن المسلمين هم في الأصل من الصرب، واعتنقوا الإسلام خلال الحكم العثماني، وهذا الانتماء الديني المخالف لعقيدة صربيا (الأرثوذكسية) لا يستوجب إعطاء المسلمين الحكم الذاتي في يوغوسلافيا، فالصرب والكروات لهم دعاوى قديمة في أراضي البوسنة وإن كان يرى اليوغوسلاف – الحزب والحكومة– أن تعدد القوميات واختلاف الديانات أحد عوامل الانقسام الذي يؤثر على وحدة الدول السياسية، فضلاً عن أن يوغوسلافيا بلد شديد التعقيد من ناحية الموزايك القومي، ثم أصبحت أكثر تعقيداً حين دخلت حلبة الصراع مع المسلمين في منطقة البلقان.

وعندما تم السماح بإجراء الانتخابات العامة الحرة عام (١٩٩٠م) كان الاستثناء هو جمهورية الصرب والجبل الأسود، والسبب : أن قيادة (قومية، صربية) تولت مقاليد الحكم في الصرب بزعامة "سلوبودان ميلوسوفيتش" ، وكان هذا التحول من الشيوعية إلى القومية،هو الذي جعل الحزب الشيوعي يحتفظ بالسلطة وتحديات الأحزاب القومية الجديدة،حيث أجاز القانون تشكيل الأحزاب السياسية بموجب طلب موقع من (١٥٠) عضواً على الأقل، واشترط : ألا تكون الأحزاب قائمة على مبادئ عنصرية أو دينية. وبمجرد أن تم الإعلان عن فوز حزب العمل الديمقراطي بأكبر عدد من المقاعد في برلمان البوسنة والهرسك أثار ذلك غضب الشيوعين ، وكتب بعضهم فى الصحف والمجلات عن تحول البوسنة إلى إيران جديدة في قلب أوربا، الأمر الذي جعل أوربا تنتبه إلى خطر الأصولية الإسلامية في البلقان، ساعد على تنامي هذا التوجه نتائج الانتخابات بفوز حزب العمل الإسلامى بزعامة على "عزت بيجوفيتش" [٢٩] .

وطعنت صربيا في نتائج حزب العمل وكذلك شرعية الرئيس " على عزت بيجوفيتش" وادعت أن حزبه قام على أساس ديني إسلامي ، وهذا مخالف للقانون

الجديد،مع أن حزب العمل لم يكن أول حزب يؤسس للمسلمين في البوسنة والهرسك ، فقد سبقه الحزب الإسلامي اليوغوسلافي بزعامة الدكتور " محمد سباهو " (١٩١٩م) الذي تولى رئاسة أكثر من حكومة بوسنية بين الحربين الأولى والثانية [٣٠] .

وظهرت النوايا الصربية مبكرة على لسان زعيم الصرب "سلوبودان" الذي قال في خطابه الشهير في نهاية عام (١٩٨٨م) وفى الاحتفال بذكرى معركة سهل كوسوفا والتي وقعت أحداثها قبل (٦٠٠) عام وذلك في ٢٨ يونيه (١٣٨٩م) : "على كل صربي ألا ينسى المجزرة التاريخية التي أنزلها أبناء الأتراك المسلمين هنا على أرض كوسوفا ، فعلينا أن نحشد جميع قواتنا لنثأر لأجدادنا من أعداء تاريخنا، وعلينا أن نطرد المسلمين من أرضنا ، وأن نلحق بهم العار الذي ألحقوه بنا في الماضي" [٣١] .

وقامت القوات الصربية بأبشع أنواع التعذيب التي لم يشهد التاريخ مثلها من قبل حيث بلغت جملة النساء المسلمات اللائي تم اغتصابهن في العام الأول من حرب البوسنة والهرسك (٥٠) ألف فتاة، وأحيانا كانت هذه العمليات تتم بصورة جماعية، حيث تقول وثائق الجمعية الإغاثية الألمانية : إن امرأة في الأربعين من عمرها كانت معتقلة في معسكر (ترنو بولوجي) الصربي تقول: "لا أدرى كم مرة أخذوني من النوم ليغتصبوني جميعا " [٣٢] .

كما نقلت صحيفة بريطانية عن أحد المقاتلين الصرب قوله : " إن العالم الإسلامي لا يبالى بما يجرى هنا في البلقان، فدعنا نتخلص منهم إلى الأبد" [٣٣] .

و لم تكتف القوات الصربية بأعمال القتل أو تمزيق جثث ضحاياهم، بل رسموا عليها الصلبان ،كما كانت الجثث تنقل في شاحنات كبيرة لمصانع الأعلاف، حيث كان يتم إدخال الجثث في فرامات وطحانات مع إضافة بعض المواد الكيميائية لتصبح جثث المسلمين غذاءً طازجاً للحيوانات ، وهذا ما أعاد إلى أوربا مأساة ما عرف بجنون البقر [٣٤] .

وبلغت وحشية الصرب وعداؤهم الدفين للمسلمين عندما نقلت شبكة (C. N. N) الإخبارية الأمريكية – عبر نشرتها الإخبارية– لقطات لوزير الإعلام الصربي وعضو بالبرلمان يلعبان الكرة بجماجم المسلمين بطريقة متعمدة واستفزازية [٣٥] أمام مراسلي محطات التليفزيون العالمية ، مما يؤكد نجاح مراحل خطة الصرب في تصفية الوجود الإسلامي في منطقة البلقان.

وكان نجاح الصرب في عمليات إبادة شعب البلقان يعود لأسباب أهمها :

- استفادة صربيا كثيراً من الحزب الشيوعي المنهار، فكانت نسبة الصرب في الجيش (٨٠%) ونفس النسبة تقريباً في السلك الدبلوماسي، حتى إن رؤساء الجامعات وعمداء الكليات والقائمين بالتدريس من الصرب، وحرمت دول الاتحاد من هذه المزايا.
- بعد الانهيار الفعلي للاتحاد اليوغوسلافي أعلنت الحكومة اليوغوسلافية عن خطتها لإقامة دولة (كونفدرالية) أي علاقة تعاهدية قائمة على رضا كل دولة بالبقاء في الاتحاد، كما ورثت صربيا عن الاتحاد كل الأسلحة والعتاد الحربي الذي كانت تملكه دوناً عن بقية دول الاتحاد.
- يغلب على القيادة الصربية الطابع الطائفي ، ورغبتها في القضاء على الآخر، وتذكير الجنود الصرب بمعارك حدثت بين الصرب والأتراك المسلمين منذ (ستمائة) عام.
- الحرب الإعلامية التي بثتها محطات التلفزة الصربية وإطلاق عبارات تسيء إلى الإسلام من ناحية والمسلمين من ناحية أخرى مثل (الأصوليون، المتعصبون، الخمينيون ، الإرهابيون ... إلخ).

ومن هنا ، فالشواهد والأحداث تؤكد أن سبب حرب البوسنة والهرسك، ومأساة هذا الشعب المسلم لم يكن اختلاف أعراق، أو ثقافات أو أطماع صربية في أراضي دولة مجاورة، بل كان دينيا وذلك من منطلق عدد من التساؤلات المنطقية ، فبماذا نسمى ذبح المسلمين في البلقان - المسلمين فقط - وإحراقهم والتمثيل بجثثهم حتى بعد قتلهم ، ورسم الصلبان على صدورهم وبطونهم ، إن لم تكن حرباً صليبية ، فماذا تكون إذن ؟

وماذا نسمى اغتصاب الآلاف من النساء البوسنيات — المسلمات فقط — وتقطيع أثدائهن، وبقر بطون الحوامل منهن والتمثيل بالأجنة إن لم تكن حرباً ضد الإسلام فما هو التوصيف المنطقي إذن ؟!

وبماذا نسمى تصفية الشباب البوسنوى— المسلم فقط — وقطع أعضائهم التناسلية وذبحهم كالشاة أو إجبار الغالبية منهم على اعتناق الأرثوذكسية ، فماذا نسمى هذه

الحرب إن لم تكن حرباً دينية، الهدف منها إبادة الأقلية المسلمة في البلقـــان ، فبمـــاذا نسميها إذن ؟!

ومن هنا ، فالوضع في منطقة البلقان بعد اتفاقية دايتون (١٩٩٦م) ما يزال علـــى فوهة البركان، ومن الوارد أن تنفجر الأحداث في المنطقة بين الحين والآخر، طالما أنـــه لا يوجد إلى الآن حلٌ عادلٌ يعطى لشعب البوسنة حقه في الاســـتقلال مثـــل غـــيره، كالكروات والسلوفان وبقية القوميات التي حصلت على استقلالها في بلـــدان العـــالم المختلفة .

ثانيا: أوضاع المسلمين في كوسوفا
قبل وبعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر (٢٠٠١م)

أدى تحلل يوغوسلافيا الاتحادية في النصف الأول من عقد التسعينيات كأحد تداعيات تفكك الاتحاد السوفييتي القديم، الذي يشترك معه في الأيديولوجية (الشيوعية) إلى عودة شبح العنف وعدم الاستقرار إلى منطقة الفوران الأوربية أو البلقان من جديد ، حيث تسبب تنامي ظاهرة النزاعات القومية (التي غلفت بغلاف الدين) إلى تفكك الاتحاد اليوغوسلافي نفسه.

والملاحظ أنه وبمجرد أن أوشكت مشكلة البوسنة والهرسك على الانتهاء - بعقد اتفاقية دايتون - حتى ظهرت مشكلة أخرى من نفس النوعية السالف ذكرها، وتحولت (كوسوفا) إلى بؤرة مزمنة للنزاع بين ألبان كوسوفا وصربيا ؛ إذ إن الصرب يعتبرون كوسوفا أرضاً لمهد حضارتهم ؛ لأن فيها تكونت ملامح القومية الصربية من لغة ودين ، وبها مقر البطريركية الأرثوذكسية التي تم بناؤها في القرن الـ (١٣) الميلادي .

كما كان حلم الصرب القديم قائماً على أساس إقامة (صربيا الكبرى) التي كان من المزمع أن تضم البوسنة والهرسك ومقدونيا والجبل الأسود وألبانيا وكوسوفا، فما حدث في إقليم كوسوفا هو حلقة من سلسلة حلقات تقوم بتنفيذها صربيا، بمجرد أن تنتهي من الأولى تكون الثانية على وشك الانفجار، وهنا تبرز عدة تساؤلات تفرض نفسها على مجال البحث، فإذا كانت مشكلة كوسوفا بدأت بالفعل مع نهاية عام (١٩٨٩م) عند إلغاء الحكم الذاتي لكوسوفا، فلماذا تأجلت إلى ما بعد المذابح وأعمال العنف التي شهدتها البوسنة والهرسك؟ بل لماذا كانت أزمة كوسوفا ؟ وما هي الأسباب التي دعت إليها ؟

وبداية ، فإن كوسوفا اسم قديم للتعبير التركي (قوصى أوه) ومعناه : السهل الواسع، وقد تكتب (قوصوه) ، وقد سكنها الألبان منذ زمن بعيد ، ووقع الإقليم تحت الحكم العثماني لأكثر من (٤٣٠) عاما[٥٠] . ويقع إقليم كوسوفا في القسم الجنوبي من جمهورية صربيا، ويمثل (١٢%) من المساحة الكلية لها، ويعد الإقليم أخصب مناطق يوغوسلافيا بالنسبة للزراعة بشكل عام.

ومن أوائل صادراتها المعدنية: الذهب الخام، والفحم، والنيكل ، والرصاص ، والزنك الذي يصل احتياطيه (٤٥%) من احتياطي إنتاج يوغوسلافيا، كما يقدر عدد السكان داخل الإقليم حوالي (مليونين ومائة ألف نسمة) يشكل الألبان فيه نسبة (٩٨%) ، بينما يشكل الصرب والغجر والأتراك النسبة الباقية، وبالتالي يكون الألبان هم ثاني أكبر قومة في يوغوسلافيا الاتحادية بعد الصرب، في الوقت الذي يمارس فيه الصرب أعمالهم الوحشية واستفزازاتهم المتكررة بمشاعر الألبان بقولهم : إن كوسوفا تنجب القنابل البشرية، وإن هناك أوامر قد صدرت من أئمة المساجد تطالب النساء المسلمات إنجاب المزيد من الأطفال، وحيث يقول "سلوبودان" في خطابة التاريخي في بلجراد ١٩نوفمبر (١٩٨٨م) : "لم أشاهد امرأة ألبانية في كوسوفا إلا وهى حامل، فقد تكون في السبعين من عمرها ولكن بطنها منتفخة ، فهم يحاربوننا بالأطفال حتى يتحول الإقليم إلى إقليم إسلامي (١٠٠%) ، وبالتالي يطالبون بالاستقلال عن صربيا أو ينضمون إلى إخوانهم (الألبان) المسلمين "[٣٦].

وقامت وسائل الإعلام الصربية بشن عدد من الحملات ضد المسلمين الألبان في كوسوفا تحت زعم أن المسلمين يضطهدون الأقلية الصربية بسبب عقيدتهم الأرثوذكسية كما فعلوا منذ ستمائة عام مضت، وعلى الرغم من مرور مئات السنين على معركة كوسوفا – والتي انتصر فيها العثمانيون على الصرب بعد قتل "لازار" ملك الصرب – لا يزال "سلوبودان " بل والصرب أيضاً يتحدثون عن هذه المعركة، وكأنها وقعت بالأمس .

وفي الاحتفال بالذكرى المئوية السادسة لمعركة كوسوفا في ٢٨يونيه (١٩٨٩م) قال "مومتشياوترا " الزعيم الصربي لحزب بريشتينا الشيوعي: "إن الصربيين لا يحتفلون بالزعيم، بل يريدون التأكيد على أن باستطاعتهم البقاء على قيد الحياة رغم قرون عديدة من السيطرة التركية" ، وطالب قادة الصرب بالثأر لأجدادهم، حيث قامت القوات الصربية بمظاهرات في شوارع بلجراد تطالب بإحكام القبضة على كوسوفا وفويفودينا المتمتعتين بالحكم الذاتي، وقدر عدد المتظاهرين بحوالى مليون ونصف المليون صربي.

كما أدى إضراب عمال مناجم الزنك والرصاص إلى تدخل حكومة بلجراد في الشؤون الداخلية للإقليم، وأجبرت السلطة الصربية البرلمان في إقليم كوسوفا على تغيير الدستور – أي التخلي عن استقلالية الإقليم– وفى ٢٣ مارس (١٩٨٩م) حضر جميع

أعضاء البرلمان بكوسوفا بالقوة وتم التصويت على تعديل دستور (١٩٧٤م) ، بحيث تضمن صربيا سيطرتها الكاملة على الإقليم ضد التزايد العددي للسكان الألبان المسلمين، وبالمثل إقليم فويفودينا المتمتع هو الآخر بالحكم الذاتي، والواقع تحت سيطرة صربيا ، واعترض ألبان كوسوفا على تعديل الدستور ، وقاموا بمظاهرات شعبية شملت العاصمة، ورد عليها الصرب بذبح أكثر من (٣٠٠) مسلم في بريشتينا، وقامت القوات الصربية بإخمادها بالقوة والعنف[٣٧] ، وساد الجمهوريات اليوغوسلافية قلقٌ بالغٌ من الأطماع الصربية والرغبة في تحقيق حلم صربيا الكبرى مما دفع هذه الجمهوريات إلى التعجل بالانفصال عن يوغوسلافيا عام (١٩٩١م) .

وكان ألبان كوسوفا قد أعلنوا الاستقلال في ١٩٩٠/٧/٢م ، وأعقبوها بإعلان الجمهورية في ١٩٩٠/٩/٧م وفى أواخر سبتمبر (١٩٩١م) وعلى مدى خمسة أيام أجرى شعب كوسوفا استفتاءً بشأن استقلال الإقليم أسوة بجمهوريات الاتحاد اليوغوسلافي، وأثمرت نتائج الاستفتاء في كوسوفا عن إجراء انتخابات برلمانية ورئاسية وتم انتخاب " إبراهيم روغوفا " الذي يرأس حزب الاتحاد الديمقراطي في كوسوفا رئيساً لدولة كوسوفا المستقلة التي لم تعترف بها إلا ألبانيا أثناء تولى " صالح بريشا " رئاسة ألبانيا، الأمر الذي أثار غضب صربيا ضد "صالح بريشا "، واستغلت الاضطرابات التي حدثت في ألبانيا (١٩٩٦م) وأيدت سقوط حكومة " صالح بريشا " ، الذي كان يدعم ألبان الإقليم ويعمل على تدويل قضية كوسوفا عالمياً، لتصبح دولة إسلامية مجاورة لألبانيا في أوربا[٣٨].

ومن هنا تجدر الملاحظة إلى أن مشكلة كوسوفا لم تظهر فقط منذ عام (١٩٩٧م)، بل من أواخر (١٩٨٩م) عندما ألغت صربيا الحكم الذاتي للإقليم، وبدأت تتدخل في شؤونه الداخلية ووصلت الأزمة إلى أعلى درجاتها عام (١٩٩٨م) عندما قامت المظاهرات داخل الإقليم تطالب بالاستقلال والانفصال الفعلي والحقيقي عن صربيا.

وهذا ما يؤكد أن أزمة كوسوفا سبقت أزمة البوسنة والهرسك بسنوات عديدة، إلا أن البوسنة تم تقديمها أولاً ، وعادت صربيا لتصفى حساباتها من جديد مع إقليم كوسوفا بعد أن هدأت الأوضاع واستقرت نسبياً في البوسنة والهرسك عن طريق معاهدة دايتون في ديسمبر (١٩٩٥م) .

كما أن الواقع يشير إلى أن هناك أكثر من مغزى من التقدم والتأخير في مآسي شعوب البلقان وتكمن بالتالي جذور مشكلة كوسوفا في عاملين[٣٩]:

- **أولهما:** التدخل الإثني المرتبط بتميز ثقافي تاريخي، يمتد إلى زمن الغزو العثماني للإقليم وهزيمة الصرب وانهيار مملكتها في معركة كوسوفا عام (١٣٨٩م).
- **ثانيهما:** يتمثل في تنامي ظاهرة الشوفينية القومية، أو ظاهرة التعبير المفرط عن الشعور الذاتي القومي، واعتبار الجنس الصربي هو أصل الكون، وأصل الأجناس البشرية كما يزعم اليهود.

وكما أشرت سابقاً إلى بداية الصراع في كوسوفا ، فإن صربيا احتلت إقليم كوسوفا بالقوة العسكرية في ١٩٩٧/١٢/٦م الأمر الذي عجل بظهور جيش تحرير كوسوفا الذي بدأ في مقاومة الاعتداءات الصربية ، ليأخذ الشق العسكري من الأزمة من عام (١٩٩٣م) حيث ظهرت المجازر الوحشية للصرب على المستوى الإعلامي في كوسوفا في مارس (١٩٨٨م) في دريتنسا، ودوكاجين مايو(١٩٩٩م) ، إلا أنه ومع تزايد الأعمال الوحشية في الإقليم لم يصدر عن الأمم المتحدة قرار إدانة واحد لما يقوم به الصرب إلا في ١٩٩٨/١٠/١م عندما قام حلف الأطلنطي بضرب بعض القواعد العسكرية في بلجراد في مارس (١٩٩٩م) أثر رفض الرئيس الصربي "سلوبودان" الموافقة على اتفاق السلام في كوسوفا (رامبوييه)، ومنع أعمال العنف ضد الألبان العزل داخل الإقليم[٤٠] .

هكذا اتخذ الصراع في كوسوفا منحى آخر يتميز بطابعه العنيف والدموي، وفى هذا الإطار أخذت أعمال العنف في التصاعد بين قوات الأمن الصربية وعناصر من جيش تحرير كوسوفا منذ مطلع (١٩٩٨م) ، وانفجر الوضع في الإقليم بصورة واضحة مع نهاية شهر فبراير من نفس العام وفى أعقاب مقتل أربعة من رجال الشرطة الصربية في كوسوفا، واتهم فيها جيش تحرير كوسوفا، ادعت صربيا أنها تدخلت في الإقليم لتأديب المتمردين الألبان، إلا أن هذا الطرح لم يكن كافياً لأسباب منها :

- حجم العملية العسكرية التي قامت بها القوات الصربية، حيث استخدمت فيها الطائرات والمدافع والأسلحة الثقيلة بمختلف أنواعها، والتي أثبتت ضعف

التسليح العسكري لدى جيش تحرير كوسوفا، أمام ترسانة الأسلحة الصربية الحديثة والمتطورة في الوقت ذاته.

- طبيعة العملية وارتكاب أعمال عنف ضد الشيوخ والنساء والأطفال ، واغتصاب الفتيات المسلمات، وإطلاق النار عشوائياً على اللاجئين الفارين على الحدود من بطش القوات الصربية، هذا بالإضافة إلى المقابر الجماعية التي تم الكشف عنها والتي تضم العشرات من كبار السن والأطفال، ومحاولة تفريغ إقليم كوسوفا من سكانه، بل لقد تم إحراق مئات المنازل وتدمير قرى بأكملها، ونزوح أكثر من مليون لاجئ من كوسوفا إلى الدول المجاورة، وبالتالي تشير كل هذه الممارسات إلى أن العملية العسكرية أو الحرب التي شنتها قوات صربيا ضد مسلمي كوسوفا لم يكن الهدف من ورائها تصفية جيش تحرير كوسوفا الذي لا يتجاوز عدد أفراده عن (٣٠٠) فرد وبأسلحة قديمة ، وإنما اتخذتها صربيا ذريعة لتقوم بتصفية التواجد الإسلامي الألباني داخل الإقليم.
- استمرار عمليات القتل والإبادة لمسلمي كوسوفا، على الرغم من ردود الفعل الدولية، ومطالب المجتمع الدولي بالوقوف ضد ما يقوم به الرئيس الصربي "سلوبودان" من انتهاك لحرية الإنسان، والاعتداء على الغير، وعلى الرغم من التحذيرات الدولية بفرض عقوبات اقتصادية على صربيا - إزاء تعنتها وممارستها الوحشية ضد المسلمين الألبان - كانت ضربات حلف الأطلنطي من ناحية يقابلها قتل وذبح للمسلمين العزل في كوسوفا من ناحية أخرى[(٤١)] . وحسب المفهوم الجديد للحلف، فإن الحلف لن يتوسع جغرافياً فقط، وإنما وظيفياً أيضاً، وهذا ما رفضته أوربا وروسيا والصين في آن واحد.

أما لماذا تم تأجيل أزمة كوسوفا إلى ما بعد تصفية الوجود الإسلامي في البوسنة والهرسك ، فإن لذلك أسباباً نوجزها في العناصر الآتية:

- أن صربيا لم يكن هدفها الاستيلاء على إقليم كوسوفا ؛ لأنه بدون حرب يخضع لها مع أن الصرب في كوسوفا أقلية ضئيلة جداً، ووزنهم السياسي أكبر من أي قومية أخرى.

- أن صربيا كانت تنوى أولاً أن تضم البوسنة والهرسك إليها بعد استقلالها على يد "على عزت بيجوفيتش "، ثم يكون من السهل عليها بعد ذلك ضم إقليم كوسوفا دون حرب، وخاصة بعد فشل مباحثات (رامبوييه) الفرنسية بين الصرب والألبان.
- أن إقليم كوسوفا يمثل المسلمون فيه (٩٨%) بينما الأرثوذكس الصربيون أقلية، في الوقت الذي تصل فيه نسبتهم في البوسنة حوالي (٣٣%) من عدد السكان، حيث ستجد صربيا من يقف معها أثناء تدخلها في البوسنة أو في كوسوفا أو في مقدونيا إن هي أرادت ذلك، أو لعبت بورقة (الدين).
- أن أغلبية سكان كوسوفا ألبان، وبالتالي ستكون ألبانيا النصير الأول لشعب كوسوفا إذا ما تم الاعتداء عليها من جانب الصرب، بينما البوسنويين لم يكن لهم من ينصرهم في البلقان غير الأتراك، الذين تحولت حكوماتهم إلى حكومات "علمانية " لا يعنيها ما يحدث للمسلمين في البلقان أو في غيرها من مناطق العالم التي كانت في يوم من الأيام خاضعة لسلطانها .
- أن استقلال الإقليم أو انفصاله لا يحظى بتأييد دولي، وخاصة دول منطقة البلقان ؛ إذ إن السماح لألبان كوسوفا بالاستقلال من شأنه أن يفتح الطريق أمام كل الأقليات في البلقان بأن تطالب بحقها في الانفصال، وهذا يعنى بداية مرحلة انفراط عقد كل دول البلقان.

وبالإضافة للعناصر السابقة يتضح أن صربيا كانت تعتبر دائماً أن المقاومة الألبانية في كوسوفا لن تهدأ طالما أن ألبانيا المجاورة موجودة وتدعمها ؛ لذلك كانت تعمل بالتعاون والتنسيق مع اليونان منذ زمن بعيد، والتي كان لها أطماع في ألبانيا الجنوبية عند اقتسام ألبانيا وإعادة رسم الحدود في البلقان من جديد.

وتشير العديد من الدراسات والبحوث إلى فشل سياسة حلف " الناتو " في كوسوفا، وخاصة وأن الحلف وَجَّهَ كل إمكانياته لضرب قواعد الصواريخ والمباني الحكومية في بلجراد، في الوقت الذي كان يتدفق فيه آلاف اللاجئين إلى الدول المجاورة وخاصة مقدونيا، حيث تضاعفت عملية الانتقام الصربي مما دفع ذلك القوات الصربية لأن يقوموا بإطلاق الرصاص على مئات الألبان الذين خرجوا من بريشتينا متوجهين إلى مقدونيا، وأمعنوا فيهم قتلاً وتشريداً .

وقد عالجت الأمم المتحدة هذه المشكلة بمشكلة أكبر منها، وخاصة عندما رفضت السلطات المقدونية استقبال لاجئين جدد بعد أن استوعبت طاقتها من لاجئي كوسوفى والذين وصل عددهم حوالي (١٢٠) ألف كوسوفى ، الأمر الذي وضع مفوضية اللاجئين في مأزق صعب ، ودفعها ذلك إلى إعداد آلاف الخيام على الحدود لإيواء اللاجئين الذين كان معظمهم من الأطفال والنساء في وقت كانت فيه موجات البرودة أعلى من معدلاتها ، ووفاة مئات الأطفال وعشرات النساء الحوامل نظراً لنقص الدواء والبرد القارص [٤٢] .

كما أدى نقص الغذاء إلى قيام اللاجئين بأكل لحوم القطط والكلاب والحشرات الزاحفة بعد أن أوشكوا على الهلاك، ونفد الطعام من بين أيديهم ، وتأخرت المساعدات الدولية، حيث أغفلت أوربا ذلك و لم تسارع إلى نجدة المشردين، وأظهرت عجزاً واضحاً في عمليات الإغاثة، حيث إن نشوب المعارك كان يقتضى استيعاب قضية اللاجئين أولاً بشكل فعال ومدروس، للحد من محنة شعب كوسوفا بعد رفض العديد من الدول استقبال لاجئين آخرين من كوسوفا، كما أعلنت بعض الدول الأوربية عن موافقتها استقبال أعداد محدودة من اللاجئين، وكانت نهاية الصراع وتسكين الآلام فى المنطقة : اتفاق هزيل بين البوسنة وصربيا (١٩٩٦م) بشأن استقلال البوسنة ، واتفاق أكثر هزلاً من الأول عقده "إبراهيم روغوفا" مع القيادة الصربية بموجبه يتم بحث مسألة استقلال إقليم كوسوفا مع نهاية (٢٠٠١م) ولكن جاءت أحداث الحادى عشر من سبتمبر بالولايات المتحدة لتعصف بأحلام هذه الشعوب فى الاستقلال وتقرير المصير ولكن متى ذلك ؟

أوضاع المسلمين فى البوسنة والهرسك وكوسوفا
بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر (٢٠٠١ م)

منذ وقوع التفجيرات في الولايات المتحدة الأمريكية المعروفة بأحداث الحادي عشر من سبتمبر (٢٠٠١م) وتداعيات الأزمة تتوالى الوحدة تلو الأخرى ، بداية من إسقاط نظام " طالبان" بأفغانستان ، وتدمير القواعد العسكرية لتنظيم القاعدة بها، مروراً بضرب العراق وإسقاط نظام "صدام حسين" الحاكم واستبداله بنظام ديمقراطى من خلال حكام موالين للولايات المتحدة الأمريكية ، مروراً أيضا بالتهديدات الموجهة إلى سوريا وإيران، وتخفيف حدة التهديدات للسودان – نسبيا – بعد أن أظهر نظام البشير فى السودان مرونة في الاتفاق مع "جون جارانج " المعروف بـ " مشاكوس" إلا أن مشكلة "دار فور" أعادت القضية إلى نقطة الصفر [٤٣] .

على الجانب الآخر كانت هناك قضايا ومشكلات كان من المفترض أن توجد لها الولايات المتحدة حلولا قبل عام (٢٠٠١م) ، وخاصة الوضع في البلقان (البوسنة والهرسك، وكوسوفا) إلا أن أحداث ١١ سبتمبر (٢٠٠١م) أيضا عطلت كل المشاريع المزمع فتح ملفاتها إلى ما بعد التئام جراحها، ونهاية تداعيات الأزمة.

فاتفاق دايتون (١٩٩٦م) واتفاق "إبراهيم روغوفا " مع صربيا (١٩٩٨م) كان من المتوقع إيجاد حلول لهما مع نهاية عام (٢٠٠١م) فاتفاقية دايتون لم تأت للبوسنة والهرسك بحقها المسلوب، ولا حتى حقها في الاستقلال وتقرير المصير، حيث يقسم الاتفاق البوسنة إلى كيانين : أحدهما : الاتحاد الفيدرالي للمسلمين والكروات، والثاني : دولة اسمها صربيسكا ، وتعني جمهورية الصرب،ويعطى الاتفاق الحق لكل كيان الاحتفاظ بخصوصياته ، وموروثه الثقافي ، وله رئيس خاص وبرلمان بجانب الأجهزة الفيدرالية المماثلة والتي لا تستطيع القيام بواجباتها إلا برضاء أطراف النزاع الثلاثة (صرب – مسلمين – كروات) ،كما يعطى الاتفاق الاعتراف بعلاقة كونفدرالية تربط بين الجزء الإسلامى الكرواتى بدولة كرواتيا، في الوقت الذي يسمح فيه لدولة صربيسكا بعلاقة خاصة مع صربيا .

والصيغة التي يقدمها اتفاق دايتون هي في حقيقتها قليل من الهدوء لقليل من الوقت، وأن الوقت الذي كان محددا لبحث مسألة تكوين دولة البوسنة والهرسك بعيدا

عن الاتحادات الفيدرالية والكونفدرالية هو نهاية عام (٢٠٠١م) ، وعلى الجانب الآخر كانت اتفاقية كوسوفا تنص فى بنودها على البحث في استقلال إقليم كوسوفا مع نهاية عام (٢٠٠١م) أيضا،وكذلك الوضع في الشيشان الذي ارتبط مشروع استقلاله أيضا بنهاية عام (٢٠٠١م) .

والسؤال: ماذا حدث في نهاية (٢٠٠١م) ليجعل كل هذه المشاريع الاستقلالية في طى الكتمان ، بل لا يستطيع أصحابها في ظل التوتر القائم أن يطالبوا بها، أوأن يتم تناولها عرضا في ظل الأزمة الحالية إلا أننا نستطيع أن نضع أيدينا على بعض النقاط المهمة فى هذا الشأن أهمها :

الوضع المتردى في منطقة البلقان:

منذ يوم ١١ سبتمبر لا تكاد توجد مطبوعة (صحيفة — أو مجلة) في أي دولة ما إلا وفيها خبر أو موضوع أو تقرير عن الإرهاب والتطرف ، وبلغت هذه الحملة حدها في أوربا،حتى صحف دول البلقان جاءت تمشيا مع الركب الأوربى، والتنديد بما حدث في نيويورك وواشنطن من تفجيرات ودمار، وعلى الصعيد الرسمي وجدت القيادات البلقانية نفسها أمام خيارين لا ثالث لها: إما الإعلان عن رفض الإرهاب والتطرف والتبرؤ من هذه الممارسات التي تقوم بها بعض الفصائل الإسلامية الممثلة في نظام "طالبان، وتنظيم القاعدة" ، أو أن تجد نفسها ضمن الدول التي تضمها قائمة "محور الشر" ،وهى تلك الدول التي لم تندد بما حدث للولايات المتحدة في سبتمبر (٢٠٠١م) ، أو تلك الدول التي ترفض سياسة الولايات المتحدة الجديدة بعد أحداث سبتمبر ، مع أن قادة دول البلقان معظمهم ما يزالون على ولائهم القديم للشيوعية والمبادئ الاشتراكية.

وجاءت البيانات الصادرة عن دول البلقان (البوسنة — كوسوفا — ألبانيا — الجبل الأسود — مقدونيا — كرواتيا — صربيا — سلوفينيا) مؤيدة لما تنوى الولايات المتحدة القيام به ، بغض النظر عن الخطوات المرحلية والخطط المعدة للرد على ما حدث، وبالتالي كان من المؤكد ألا تفتح كوسوفا ملف استقلالها عن صربيا ، والمشار إليه وفق الاتفاقية التي أبرمها " إبراهيم روغوفا " مع القيادة الصربية،وكذلك استقلال جمهورية الجبل الأسود عن صربيا ، وانفصال البوسنة والهرسك عن التحالف مع كرواتيا،وفك الحصار الصربي عن تقرير مصيرها إلى الوقت الملائم.

وحتى تثبت دول البلقان للولايات المتحدة صدق نواياها قامت أجهزة الشرطة والمخابرات في كل من البوسنة والهرسك ، وكوسوفا ، وألبانيا ، وبلغاريا، وتركيا بإيقاف كل الهيئات والجمعيات الخيرية والإغاثية التي كانت تقوم على رعاية ضحايا حرب البوسنة وكوسوفا ، بل والاستيلاء على مدخراتها وميزانياتها تحت زعم بأنها أموال تم الحصول عليها من تنظيم القاعدة.

بل إن السلطات الأمنية في البوسنة و كوسوفا أوقفت نشاط جمعية طبية — إحدى الجمعيات التي حققت نجاحا في مجال الإغاثة الإنسانية، وإعادة تعمير المنشآت الإسلامية من مدارس ومساجد، ومراكز إسلامية — و التي يتولى تمويلها رجل الأعمال السعودي " ياسين القاضي " الذي اتهمته المخابرات الأمريكية بأنه يتعامل مع "أسامة ابن لادن "ويشاركه العديد من مشاريعه الإسلامية، الأمر الذي دفع الولايات المتحدة لأن تجمد كل أمواله المودعة في البنوك الأمريكية والسويسرية، وكذلك الأموال الخيرية التي رصدها لخدمة أبناء المسلمين في البوسنة ورعايتهم بالبنوك البوسنية.

كما إن الحملة على الهيئات الإسلامية والخيرية في دول البلقان وإن كانت قد استطاعت أن تحقق نجاحا في تصفية كل الأنشطة الإسلامية التي كانت تقدم لمسلمي البوسنة وكوسوفا، إلا أنها سببت أزمات عديدة على المستوى الإغاثى، حيث تولت جمعيات ومنظمات تنصيرية هذه المهمة خلفا للمنظمات الإسلامية والخيرية ومعظم هذه المنظمات أمريكية — مخابراتية، حتى المؤسسات الإسلامية الوطنية في ألبانيا وبلغاريا ومقدونيا والمجر باتت مهددة بأن توقف كافة أنشطتها ؛ لأنها تقوم على رعاية أطفال من المسلمين سيكونون في المستقبل أكبر تهديد لأوربا عندما يصلون إلى مرحلة الشباب؛ إذ إنهم تربوا على كره الغرب، ورفض السياسة الأمريكية منذ ولادتهم، هكذا يتصور رئيس تحرير صحيفة صربيا اليومية .

بل لقد أدت عمليات العنف الاضطهاد إلى قيام بعض الإسلاميين نتيجة الضغط النفسي والعصبي عليهم بإدانة ما قام به " أسامة بن لادن ، وتنظيم القاعدة " واتهام تنظيم القاعدة بأنهم مجموعة من الكفار والمارقين عن الإسلام، وقد تأتى مثل هذه التصريحات لتعطى نوعا من الهدوء نتيجة الحملات العنيفة التي تشنها وسائل الإعلام في معظم دول البلقان بصورة استفزازية ، يضطر المشايخ والأئمة إزاءها لأن يدلوا بتصريحات تليفزيونية تشوه صورة بعض المسلمين ، وتكفر بعض التيارات والمنظمات

الإسلامية مقابل ألا تتهمه السلطات بأنه أحد الذين ثبت تعاونهم مع تنظيم القاعدة ويكون مصيره داخل معسكرات الإرهابيين في (جوانتاناموا) .

وطرد العديد من الجنود العرب - ومن الدول الإسلامية - الذين كانوا قد انخرطوا مع المقاومة الإسلامية في البوسنة والهرسك وكوسوفا ، بل تم القبض على العديد منهم بتهم لا تخرج من انتمائهم لتنظيم القاعدة أو تلقيهم أموالاً من " أسامة بن لادن" زعيم تنظيم القاعدة مع سحب الجنسية من البعض الآخر ومطالبتهم بمغادرة البلاد.

الموقف من الأزمة الأمريكية:

وعلى المستوى السياسي ، فقد بات واضحاً أن الخطاب السياسي في البلقان قد تحول في مضمونه من رفض الهيمنة والسيطرة والغطرسة الأمريكية في العالم قبل أحداث سبتمبر إلى خطاب مرن يحمل الكثير من مشاعر التعاطف والود للولايات المتحدة ، والمواساة في الحادث الأليم الذي راح ضحيته أبرياء في مركزي التجارة العالمي والبنتاجون والوقوف مع الولايات المتحدة في حربها ضد الإرهاب ، والغريب أن كل القوى السياسية في البلقان - التي كانت في صراع وشد وجذب بين أطرافها حول معظم القضايا السياسية والدينية - لم تتوحد على قضية إلا في تأييد الولايات المتحدة في حربها ضد الإرهاب.

كما جاءت التصريحات السياسية لقادة وزعماء دول البلقان متفقة مع التصريحات السابقة للإدارة الأمريكية حتى في مفرداتها وتراكيبها اللغوية ، حيث توجد فقرات كاملة في تصريحات بعض زعماء دول البلقان منسوخة من تصريحات الرئيس الأمريكي " بوش " ، و " كولن باول " وزير الخارجية و " كونداليزا ريس " مستشارة الأمن القومي في الإدارة الأمريكية والبيت الأبيض آنذاك .

وبالتالي ، فقد أدرك الألبان ومسلمو البوسنة أن الموقف الدولي لن يكون في صالحهم بشأن المقاومة والمطالبة بحقوقهم السياسية المشروعة وخاصة بعد أحداث سبتمبر ودخول الجماعات الإسلامية والمتطرفين الإسلاميين في بؤرة الصراع ، أي هناك قاسم مشترك بين الألبان ومسلمي البوسنة ومن قاموا بالتفجيرات في واشنطن ونيويورك " هو الإسلام " مما زاد من صعوبة الفصل بين الإسلام كدين و بين من ينتمون إليه من مختلف الفصائل .

وإزاء ذلك استطاعت الصحافة في البوسنة وكوسوفا وألبانيا أن تكون رأيا عاما مؤيدا للموقف الأمريكي في حربه على الإرهاب والتنظيمات الإرهابية في بلدان العالم المختلفة ، الأمر الذي دفع بعض الكتاب السياسيين في (الواشنطن بوست) لأن يؤكد أن تعاون ومؤازرة مسلمي البلقان في الأزمة التي تمر بها الولايات المتحدة كان أكثر إيجابية عن نظرائهم في العالم العربي والإسلامى .

ولعل وجهة النظر في البوسنة والهرسك وكوسوفا كانت أكثر اتفاقا بشأن ما أعلنته الولايات المتحدة في حربها على الإرهاب ؛ إذ من المنتظر أن يجد هذا الموقف المؤيد للسياسة الأمريكية صدا ورد فعل من جانب الإدارة الأمريكية في سعى البوسنة والهرسك وكوسوفا لنيل حقوقهما في الاستقلال كدول تتمتع بأغلبية مسلمة.

إلا أن القراءة المستقبلية للوضع في البلقان والذي صاحب أحداث سبتمبر (٢٠٠١م) أن استحسان الإدارة الأمريكية لموقف دول البلقان - ذات الأغلبية المسلمة - لا يعنى البتة لأن يتحول هذا الموقف إلى موقف سياسي مؤيد لدعم مطالب هذه الدول في منحها الاستقلال الكامل عن صربيا، بل إن الإدارة الأمريكية لن تسمح بوجود أحزاب إسلامية سواء في دول البلقان أو في غيرها ، أو حتى السماح للمنظمات والجمعيات ذات النشاط الخيري المدعوم من عناصر وجماعات ذات توجهات دينية بممارسة نشاطها كما كان قبل الحادى عشر من سبتمبر (٢٠٠١م) .

وهذا ما يفسر بوضوح قيام حكومات كلا من البوسنة ، وألبانيا ، وكوسوفا، وصربيا،وكرواتيا،والجبل الأسود،وسلوفينيا بتسليم قائمة مطولة بأسماء بعض الناشطين من الإسلاميين المطلوب القبض عليهم ، والذين يعتقد بأن لهم علاقات وصلات مع تنظيم القاعدة الذي يتزعمه السعودي " أسامة بن لادن " بل إن الولايات المتحدة طلبت بصراحة من دول البلقان ذات الأغلبية المسلمة إغلاق مكاتب كافة المنظمات والجمعيات الإسلامية الخليجية وخاصة السعودية تحديدا ؛ نظرا لأن المتهم الأول في التفجيرات الأمريكية هو " أسامة بن لادن" وهو رجل أعمال سعودي كانت له علاقات مع الكثير من هذه المنظمات والجمعيات واشتراكهم معا مع الأعمال الخيرية وتدعيم عناصر المقاومة الإسلامية في دول البلقان ضد الصرب للحصول على الاستقلال بقوة السلاح.

وبالتالي ، فإن الوضع في البلقان يؤكد حقيقة واضحة وهي النية الأمريكية في إبقاء الوضع في البوسنة والهرسك، وكوسوفا ، والجبل الأسود ومقدونيا كما هو ، وإن استقلال كوسوفا من صربيا لن يجد طريقه إلى التطبيق الفعلي، إلا إذا تغيرت السياسة الأمريكية الحالية ، وهذا غير وارد في الفترة القادمة حيث تتجه النية إلى الإبقاء على الوضع في البوسنة والهرسك والاتحاد الفيدرالي المشاكل بينها وبين كرواتيا.

أما مقدونيا وصربيا فيعدان الورقة الرابحة لمرحلة ما بعد سبتمبر (٢٠٠١م) إذ تعول الولايات المتحدة وأوربا عليهما في استمرار الوضع كما هو ، في منطقة البلقان ، ومن هنا يمكن القول : إن أحداث سبتمبر (٢٠٠١م) أثرت بالفعل على قضايا المسلمين في البوسنة والهرسك ، وكوسوفا ، وألبانيا سياسيًّا واقتصاديًّا حتى على المستوى الإغاثى بإغلاق مكاتب الهيئات الخيرية والإسلامية ، وتشجيع عشرات المنظمات التنصيرية لأن تقوم بدورها في رعاية أبناء المسلمين باسم "يسوع المخلص " .

ثالثا: أوضاع الأقليات الإسلامية في اليونان وقبرص قبل وبعد أحداث ١١ سبتمبر (٢٠٠١م)

يذكر التاريخ : أن الأتراك حكموا اليونان عدة قرون ، وقد هاجر إليها الكثيرون من مسلمي الأتراك والبلغار والألبان واستوطنوا هناك، وتم اعتبارهم من سكان البلد الأصليين، كما أشارت إلى ذلك المواثيق الدولية ، حيث نصت معاهدة (لوزان) على تبادل السكان بين الدولتين ، فطردت الدولة المنتصرة – وهى اليونان- المسلمين الألبان والمقدونيين حتى بلغت هجرة المسلمين إلى تركيا وحدها أكثر من (مليون وربع المليون) من المسلمين، وتعرض المسلمون الباقون لاضطهاد ديني لم يحدث من ذي قبل[٤٤] .

ويتمثل العداء بين الأتراك واليونانيين حول عدد من القضايا الخلافية أبرزها جزيرة قبرص المقسمة حاليا إلى: جزء شمالي ويسكنه المسلمون الأتراك، وجنوبي ويسكنه المسيحيون اليونانيون، وكل منهم يستند في رأيه على الجذور الممتدة لكل منهما في الجزيرة، حيث يعود فتح المسلمين لقبرص لأول مرة عام (٢٨هـ) ثم عادوا وفتحوها عام (٣٤هـ) وذلك في عهد عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وظلت الجزيرة محلا للتراع، وبؤرة للصراع بين المسلمين والروم في العهد العباسي، ثم احتلها الصليبيون إلى أن فتحها العثمانيون، وظلت تحت حكمهم قرابة أربعة قرون، حتى احتلتها بريطانيا (١٨٨٨م)، لتبدأ الأزمة القبرصية بين الأتراك واليونانيين تأخذ مسارات عديدة[٤٥] ، ولعبت الكنيسة الأرثوذكسية دورا مهما في تصعيد الأحداث بين الجانبين، وتؤكد الأحداث حقيقة أن العامل الديني لايزال يتحكم في سلوك اليونانيين السياسي إزاء الأقليات الإسلامية في اليونان.

وتعد الفترة من (١٩٩٠ – ٢٠٠٠م) أشد فترات الأزمة القبرصية تصعيدا بالنسبة للأتراك واليونانيين على حد سواء، وسعيا في إنهاء هذا الصراع قامت لجان وزارية لإرساء أسس التفاوض بين الدولتين؛ حيث أذاعت وسائل الإعلام العالمية نبأ توصل حكومة " أجاويد" إلى صلح مع الحكومة اليونانية بشأن تسوية الأزمة القبرصية وخاصة بعد أن أصبحت تركيا عضوا في الاتحاد الأوربي وحلف الأطلنطي[٤٦]، ورغم التدخل الدولي لإنهاء الصراع حول قبرص بين الأتراك واليونانيين، فإن نقاط الخلاف

بين الطرفين ما تزال تطل برأسها بين الحين والآخر، تاركة وراءها أعمال عنف ضد الأقلية المسلمة في اليونان وقبرص ، وخاصة بعد أن أعلنت روسيا تأييدها الكامل لليونان، بل وصل الحد إلى تزويد روسيا القبارصة اليونانيين بأحدث الأسلحة المتطورة والصواريخ ذات المدى البعيد ، وتم استخدامها في إدارة الحرب في الجزيرة ضد القبارصة الأتراك.

وكانت اليونان أول الدول التي شهدت النهضة الإسلامية في الوقت الذي كانت أوربا تعيش عصر الظلمات، أو عصر القرون الوسطي وسيطرة الكنيسة على حياة الأوربي ، وبالتالي لم يكن صعبا على الأتراك العثمانيين احتلالها والسيطرة عليها لقرون طويلة امتدت لأكثر من (٣١٩) عاما.

وبعد الفتح العثماني لها هاجرت أفواج عديدة من مسلمي تركيا وبلغاريا وألبانيا، واستوطنوا هذه البلدان، وتم اعتبارهم من سكان البلد الأصليين، وبعد انهيار الحكم العثماني هناك تم إعادة توزيع السكان في دول البلقان، فطردت الدولة المنتصرة (اليونان) المسلمين الألبان والمقدونيين حتى بلغت جملة الذين هاجروا اليونان متوجهين إلى تركيا وحدها حوالي مليون وربع المليون مسلم وفق معاهدة (لوزان) التي وقعت عليها الدولة العثمانية مع الدول الاستعمارية الكبرى ، وتم تفريغ اليونان من الغالبية المسلمة التي كانت بها ، وتم استجلاب المسيحيين من الجزر المجاورة ، ليستوطنوا اليونان، وتحولت الغالبية (المليوني مسلم) إلى (٢٠٠) ألف مسلم فقط ، وتتعرض هذه الأقلية إلى أعمال عنف واضطهاد ضد مصالح المسلمين ، وتعد أزمة قبرص من المسائل شديدة التعقيد بين تركيا واليونان ، بعد تقسيم الجزيرة إلى قبرص اليونانية وقبرص التركية.

و لم يتخل السكان اليونانيون يوما عن العداء التاريخي مع الإسلام و المسلمين، حيث تلعب الكنيسة الأرثوذكسية تاريخيا القيادة الرئيسية المؤثرة في التحولات والمتغيرات السياسية والاجتماعية، إذ يمثل المسيحيون حوالي (٩٨%) من إجمالي السكان في اليونان، ولا يمثل المسلمون أكثر من (١,٣%) من السكان ، ويدين اليونانيون بالولاء الكامل للكنيسة الأرثوذكسية [٤٧] مما يؤكد أن الكنيسة الأرثوذكسية مؤسسة دينية لها نفوذها الكبير فى العالم كله وخاصة فى الولايات المتحدة، واستطاعت أن تصوغ انطباعا قويا بين اليونانيين، بأنه لا يمكن أن يكون اليوناني مسلما، فالإسلام

عند اليونانيين يعنى الأتراك، والمواطن التركي هو الإنسان المعادى لليونان، وهذا الانطباع يمثل الصورة الذهنية التي قامت عليها حملات العداء للأتراك والذي انعكس بصورة مباشرة على المسلمين في اليونان .

كما لم تكتف قوات الشرطة بمطاردة المسلمين والسعي نحو إبعادهم إلى أية دولة مجاورة، بل قامت بمطاردة المشايخ وأئمة المساجد، حيث تم القبض على مفتي الأقلية المسلمة في شمال شرق اليونان " محمد أمين أغا " (١٩٩٣م) ، وأصدرت المحكمة حكمها بالسجن عشرة شهور بسبب اتهامة لليونانيين بأنهم يعاملون الأقلية المسلمة معاملة سيئة، تحمل مشاعر الكره للإسلام والمسلمين ، وقد وضحت هذه المعالم من مساندة اليونان لصربيا في حربها على البوسنة والهرسك، وكوسوفا، وتصفية الوجود الإسلامى من البلقان.

وقام الإعلام اليوناني بشن أعنف حملاته على تركيا منذ سنوات طويلة، وما تزال الصحف اليونانية تنشر في ملفاتها ما قام به المسلمون الأتراك في اليونان على مدار سنوات بعيدة، متهمين الأتراك بإجبار المسيحيين الأرثوذكس على اعتناق الإسلام بالبطش والعنف والإرهاب، وهذا ما جعلهم أغلبية عددية في بعض الدول والجزر المجاورة، بل ووصف الاحتلال التركي بأنه كان احتلالاً استعماريًّا دينيًّا ، وتم تصوير هذا السلوك بشكل درامي يرتبط بقطع أجزاء من أثداء النساء اليونانيات المسيحيات لصناعة مسابح للولاة المسلمين، وهذا بالطبع تصوير مبالغ فيه، يحمل دلالات الكره القديم للأتراك المسلمين، وتشويه معالم الصورة عند اليونانيين والمتعاطفين مع الحق التركي في جزيرة قبرص.

ويذكر التاريخ أن اليونانيين يمثلون الصورة الأعنف في معاملة الأقليات المسلمة، بل واستغلالها لصالحها في وقت الأزمات، ففي عام (١٩٤٧م) وفي أعقاب الحرب الأهلية في اليونان – بين الشيوعيين ونظام الحكم الملكي– استغلت الحكومة المركزية اليونانية مشاعر المسلمين ضد الشيوعية ، وجندت المسلمين لمحاربتها، وعاملت الدولة المسلمين آنذاك معاملة جيدة، ولكن وبمجرد أن انتهت الحرب الأهلية حتى عادت قوات الشرطة تتعقب المسلمين والزج بهم في السجون بدون تهمة، أو جريمة يعاقبون عليها، وخاصة في منطقة (تراقيا الغربية) ذات الأغلبية المسلمة .

إلا أن النظام الملكي الذي استطاع مطاردة الأقليات الإسلامية في اليونان لم يهنئ طويلاً بالسيطرة على الحكم والعرش ، حيث شهدت اليونان انقلاباً عسكرياً عام (١٩٦٧م) ضد النظام الملكي، ثم تم إعلان الجمهورية عام (١٩٧٤م) ، وأصبح نظام الحكم في اليونان برلمانياً رئاسيًا تدعمه مجموعة من الأحزاب السياسية تنتمي بعضها للتيار الليبرالي، والبعض الآخر للتيار الاشتراكي مثل حزب التجديد الديمقراطي، والحزب الديمقراطي الجديد، ويمثل التيار الاشتراكي الحركة الاشتراكية اليونانية، والحزب الشيوعي، والحزب الاغريقى اليساري(٤٨) إلا أن كلا التيارين أظهر عداءً صريحاً للإسلام والمسلمين في اليونان، وإن كان الاختلاف بينهما واضحاً في مختلف القضايا السياسية والاقتصادية التي يتم تناولها فى البرلمان.

فالاضطهاد اليوناني المدفوع برغبة الأرثوذكس في تصفية الإسلام من اليونان المسيحية ما يزال يمارس بعنف، وإن كانت أحداث سبتمبر جاءت لتغطي عشرات الجرائم التي ترتكبها الشرطة اليونانية ضد المسلمين يوميًّا، وسكتت الأقلام الصحفية التي كانت تطالب الحكومة اليونانية بدمج الأقلية المسلمة في النسيج القومي اليونانى، حتى لا يكون هناك مجرد التعاطف مع إخوانهم الأتراك في قبرص التركية، إلا أن الحكومة ترفض بشدة أي مفاوضات مع الأقلية المسلمة وتطالبها بالرحيل عن أرض اليونان ، واللجوء إلى تركيا أو دول شمال إفريقيا الذين ينتمون إلى نفس الدين.

هوامش الفصل الثامن

(١) عبد الغني سعودي : الجغرافيا السياسية المعاصرة (القاهرة : الأنجلو المصرية ، ١٩٩٧م) ص ١٦٢ -١٦٦ .

(٢) سيد عبد المجيد بكر : الأقليات الإسلامية (جدة : هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية ١٩٩٢م) .

(٣) محمود أبو العلا : جغرافية العالم الإسلامى (القاهرة : الأنجلو المصرية ٢٠٠٠م) ص١٢٨-١٤٠ .

(٤) منظمة المؤتمر الإسلامى ، تقرير بشأن وضع الأقليات في العالم ٢٠٠٠م) ص٢ .

(٥) عبد الغني سعودي : الجغرافيا السياسية، مرجع سابق ، ص ١٦٥ .

(٦) جعفر عيد المهدي : توظيف العامل الديني في الأزمة اليوغوسلافية (بيروت: المستقبل العربي، عدد (٢١٨) ١٩٩٥م) ص ٤٩ .

(٧) السيد عوض : الأزمة اليوغوسلافية (بيروت : الفكر الاستراتيجي العربي، عدد (٤٠) ١٩٩٢م) ص ٧ .

(٨) مجدي نصيف : حرب البوسنة والهرسك (القاهرة : دار المستقبل العربي ١٩٩٣م) ص ١٩.

(٩) فوزي طايل : مذابح البوسنة و الهرسك (القاهرة : الزهراء للإعلام العربي ١٩٩٤م) ص ١٠٤.

(١٠) الإسلام ودعوة التحرير (مؤتمر الجماعات الإسلامية في لندن،دار الزهراء للإعلام العربي ١٩٩٠م) ص ١٤٢، ١٤٣ .

(١١) جريدة التايم البريطانية : الإسلام في الولايات المتحدة (العدد (١٥) يونيو ١٩٩٢م) ص ١٨- ٢٧ .

(١٢) مجدي نصيف : حرب البوسنة والهرسك، مرجع سابق ، ص ٢٠٢ .

(١٣) فوزي طايل: مذابح البوسنة و الهرسك، مرجع سابق ، ص ١٢٠.

(١٤) ملف يوغوسلافيا (منشورات وزارة الإعلام : بلجراد ١٩٩٦م) .

(١٥) فوزي طايل : مذابح البوسنة والهرسك، مرجع سابق ، ص ١٧ .

(١٦) جمال الدين سيد : البوسنة والهرسك، مرجع سابق ، ص ١١ .

(١٧) البوسنة والهرسك (جريدة الحياة اللندنية ١٩٩٢/٩/١٤م) ص ٦ .

(١٨) الإسلام في يوغوسلافيا (الإمارات : مجلة منار الإسلام ، عدد أبريل ١٩٩٤م) ص ٦٣ .

(١٩) رحمة الله أحمد : (جريدة العالم الإسلامى السعودية :عدد ٣ يوليو ،١٩٨٩م) ص ٣ .

(٢٠) أزمة البوسنة والهرسك (القاهرة : مركز الدراسات الحضارية، ١٩٩٥م) ص ٨٨ .

(٢١) فوزي طايل: مذابح البوسنة والهرسك، مرجع سابق ، ص ١١٠ .

(٢٢) زهدي بكر : المسلمون في يوغوسلافيا (مجلة الحرس الوطني السعودية،عدد ديسمبر ١٩٩١م) ص ٣٦ .

(٢٣) أزمة البوسنة والهرسك ،مركز الدراسات الحضارية ص ٧٥، ٧٦.

(٢٤) زهدي بكر : المسلمون في يوغوسلافيا، مرجع سابق ، ص ٣٦ .

(٢٥) جعفر عيد المهدي : توظيف العامل الديني، مرجع سابق ، ص ٥٠ .

(٢٦) صابر طعيمة: محنة الأقليات الإسلامية، مرجع سابق، ص ١٤٠ .

(٢٧) جمال الدين سيد: البوسنة والهرسك، مرجع سابق ص ١٨ .

(٢٨) أزمة البوسنة والهرسك (القاهرة : مركز الدراسات الحضارية، ١٩٩٥م) مرجع سابق ص ٨٨ .

(٢٩) زهدي بكر: المسلمون في يوغوسلافيا، مرجع سابق ص ٤١ .

(٣٠) البوسنة والهرسك (مجلة منبر الإسلام: عدد يناير ١٩٩١م) ص ٨٥ .

(٣١) رحمة الله أحمد : المسلمون في البوسنة، مرجع سابق ص ٣ .

(٣٢) ممدوح الشيخ: المسلمون ومؤامرات الإبادة ، مرجع سابق ص ٤٩ .

(٣٣) أحمد رمضان: حرب إبادة المسلمين في البوسنة (الكويت :مجلة الوعي الإسلامى ، عدد أكتوبر ١٩٩٣م) ص ٢١ .

(٣٤) حرب إبادة المسلمين في البوسنة، المرجع السابق ص ٤٤ .

(٣٥) محمود عبد الرازق: محنة الأقليات الإسلامية في أوربا (القاهرة : مطبعة أولاد عبد العال ١٩٩٦م) ص ١٤٦، ١٤٧ .

(٣٦) مليون كوسوفى مشردون (مجلة الخيرية: عدد يونيو ١٩٩٩م) ص ٤٤ .

(٣٧) رحمة الله أحمد: المسلمون في البوسنة، مرجع سابق ص ٣٣ .

(٣٨) مجدي نصيف : حرب البوسنة والهرسك، مرجع سابق ص ١١١ .

(٣٩) مالك عوني : كوسوفا صراع الطموحات القومية (مجلة السياسة الدولية :عدد (١٣٧)، يونيو ١٩٩٩م) ص ١٠٣ .

(٤٠) مليون كوسوفى مشردون ، مرجع سابق ، ص ٣٤ .

(٤١) مالك عوني : كوسوفا، صراع الطموحات، مرجع سابق ص ٢٠٧ .

(٤٢) طارق البكرى : مأساة كوسوفا ، (مجلة الخيرية ، عدد يونيو ١٩٩٩م) ص ٣٥ .

(٤٣) حمزة زوابع : البلقان بعد أحداث سبتمبر (إسلام أون لاين ، شؤون سياسية ٢٠٠١/١٢/٣٠م) .

(٤٤) محمود عبد الرازق : محنة الأقليات الإسلامية في أوربا، مرجع سابق ص ٧٤، ٧٥ .

(٤٥) عبد العزيز صقر : الدين والدولة في الواقع الغربي، مرجع سابق ، ص ١٩٧ .

(٤٦) سيد حنفي : في قضايا الفكر ومشكلات المسلمين، مرجع سابق ص ٢٠٦، ٢٠٧ .

(٤٧) المسلمون في اليونان (مجلة منار الإسلام : عدد مارس (١٩٩٥م) ص ١٢٦ .

(٤٨) سيد حنفي : في قضايا الفكر ومشكلات المسلمين، مرجع سابق ، ص ٢٠٠ .

الفصل التاسع

أوضاع الأقليات الإسلامية فى وسط وغرب أوربا

قبل وبعد أحداث ١١ سبتمبر (٢٠٠١م)

الفصل التاسع

أوضاع الأقليات الإسلامية فى وسط وغرب أوربا

قبل وبعد أحداث ١١ سبتمبر (٢٠٠١م)

أولاً: أوضاع الأقليات الإسلامية في بريطانيا

قبل وبعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر (٢٠٠١م)

لا يختلف وضع الأقليات الإسلامية في بريطانيا عن وضع الأقليات الإسلامية في أوربا عموماً، وإن كانت هناك سمات تميز مسلمى كل دولة على حدة ، وكان التمييز العنصري ضد الأقلية المسلمة هو السائد في غالبية دول أوربا.

ويقدر عدد المسلمين في بريطانيا بنحو أربعة ملايين مسلم، وتأبى هذه الأقلية الاندماج في التقاليد القومية الغربية التي تعيش فيها ، وتحافظ على تقاليدها الخاصة المنبثقة من العقيدة الإسلامية، فالمسلمون في بريطانيا لهم مساجدهم ومراكزهم الثقافية والروحية وجمعياتهم الخاصة التي ترعى شؤونهم، وقد يرجعون في شؤون دينهم إلى لجنة الفتوى التابعة للمجلس الإسلامي بلندن (١) .

كما تضم بريطانيا ثلاث جماعات دينية كبرى هي: أتباع الكنيسة الإنجليكانية- التي انفصل بها "هنرى الثامن" عن أوربا الكاثوليكية عام (١٥٣٤م) وتأخذ الطابع الرسمي هناك - والكاثوليك،وأتباع الكنائس الحرة.وتأتى بعد ذلك جماعات دينية صغيرة الحجم كالمسلمين واليهود،ومعظمهم من المهاجرين،وليسوا من أهل البلد الأصليين.

وعلى الرغم من أن الجماعة البروتستانتية بصفة عامة تشكل أغلبية مطلقة في بريطانيا إلا أنها أقل الجماعات الدينية مشاركة في الحياة السياسية، حيث إن بريطانيا تصنف على أنها دولة مسيحية بروتستانتية أنجليكانية بحكومتها وملكها، وقانونها، ونظام تعليمها، كما تعد الأنجليكانية الدين القومي المسيطر على الحياة السياسية في بريطانيا، والذي تصطبغ به كافة النشاطات والوظائف ابتداءً من مراسم تتويج الملك، وانتهاءً بمراسم الزواج ودفن الموتى .

ويتميز المسلمون في بريطانيا بالمشاركة النشطة في الحياة العامة، فقد سمحت السلطات الحكومية بتكوين الحزب الإسلامي في أوائل التسعينيات حيث أصبح يضم آلافاً من الأعضاء من أبناء الجاليات الإسلامية هناك.

أما المشكلات والعقبات التي تواجه المسلمين في بريطانيا فبعضها ناتج عن التمييز العنصري من الأغلبية المسيحية، والبعض الآخر يرجع إلى تخلف المسلمين وتدني مستواهم الفكري والثقافي، واختلافاتهم المذهبية، وأهم المشكلات نلخصها في (٢) :

التعصب والعنصرية ضد الأقلية المسلمة:

ويشتمل هذا العنصر على ممارسات تقوم بها الأغلبية المسيحية ضد الأقلية المسلمة منها:

- منع الدين الإسلامي من أن يدرس بالمدارس الحكومية أو غير الحكومية مساواة مع الأديان والمذاهب الأخرى، أو حتى بالديانات الوضعية المنتشرة هناك .
- تشجيع الزواج المختلط بين المسلمين وغير المسلمين والعكس، وذلك لطمس الهوية الإسلامية التي يتمسك بها المسلمون هناك .
- تزايد العداء القادياني واليهودي للإسلام والتضييق على المسلمين في أعمالهم ووظائفهم ومعاملاتهم كطائفة بشرية من درجة متدنية عنهم.
- تزايد حملات التبشير بين المناطق التي تضم تجمعات إسلامية كبيرة وإغراؤهم بالأموال والهبات والهدايا والمزايا الوظيفية، والدورات المجانية، ومن أشهر المنظمات التي تعمل ضد الإسلام في بريطانيا: منظمة (Y.W.A.M) و(منظمة أعلام الشرق الأوسط) التي يبلغ عدد المنتمين إليها مليون عضو، هدفها القضاء على الإسلام في بريطانيا والمطالبة بعودته إلى الشرق مرة أخرى.
- التضييق على التعليم الإسلامي حيث ما زالت الحكومة البريطانية تميز بين المدارس الإسلامية والمدارس غير الإسلامية في المعونات، والمساعدات السنوية، والنظر إلى الإسلام وكأنه دين عنف وإرهاب وتطرف، ومن هنا يتضح أن بريطانيا ما تزال تمارس تمايزاً عنصرياً ضد المسلمين الأقلية الذين يعيشون على أرضها ، حيث أكدت صحيفة (الديلى تليجراف) اللندنية : أن المدارس الدينية – غير

الإسلامية - تحصل على معونات مادية كبيرة من الحكومة من بينها (٢٣٠٠) مدرسة كاثوليكية و (٢٠٤٠) مدرسة تابعة للكنيسة الإنجليزية و (٣٢) مدرسة يهودية[٣].بينما رفضت الحكومة تقديم الدعم الحكومى لإحدى المدارس الإسلامية في مدينة (بافلى) الواقعة في (بوركشير) الغربية بسبب أنها مدرسة خاصة بالطالبات المسلمات المحجبات ولا تسمح بالاختلاط بين الجنسين.

- التضييق على المسلمين في ممارسة شعائرهم الدينية. حيث لا يسمح للطلاب المسلمين بممارسة - أى عبادة - غير الإنجليكانية داخل الكنائس الملحقة بالمدارس والكليات. وقد أدت هذه الممارسات مجتمعة إلى حدوث العديد من المصادمات بين الطلاب المسلمين ونظرائهم المسيحيين، وذلك في مدينة (ديربى) عندما عزمت إدارة المدرسة على أن يقوم الطلاب المسلمون بالصلاة داخل الكنيسة مع أصدقائهم المسيحيين، حيث أدى ذلك إلى استياء الطلاب المسلمين، واعتبروا ذلك اضطهاداً للدين الإسلامي ، الأمر الذى جعلته إدارات المدارس البريطانية اختياريا بعد ذلك وليس إجباريًا.
- قصر العمل الوظيفي على أتباع الكنيسة الإنجليكانية، ويحظر على غيرهم ، فرئيس القضاة وعمداء الكليات وأساتذة اللاهوت ، والمدرسون بالمدارس والكليات من الكنيسة الإنجليكانية .
- الإعلان عن رفض أحكام الشريعة الإسلامية في مسألة ذبح الماشية، واعترضت الهيئات الحكومية البريطانية وجمعيات الرفق بالحيوان من طريقة المسلمين في الذبح بدعوى أن هذه الطريقة قاسية وخالية من الرحمة .
- تشجيع بعض الكتابات التي تطعن في الإسلام والتي كان أبرزها كتاب (آيات شيطانية) لمؤلفه "سلمان رشدي"، الذي أصدر في حقه الإمام الخوميني فتوى أباح فيها دمه، وكان من نتائج ذلك: أن قطعت بريطانيا علاقاتها مع الدول التي انتقدت الكتاب، بل وسحبت سفيرها من إيران تحت زعم أن ما قام به المؤلف حرية رأى وتعبيراً .
- الافتقاد إلى الدور السياسي والاقتصادي للأقليات الإسلامية في بريطانيا، وتعطيل المشاريع الخاصة بهم في الوقت الذي قرر فيه مجلس العموم البريطاني منح المسلمين الأقلية الحق في إقامة كلية إسلامية في بريطانيا، لتدريس الشريعة الإسلامية باللغة

العربية، وقال مدير قسم التسجيل بالكلية " على مرسل " : إن الكلية تم وضع حجر الأساس الخاص بإنشائها في (١٩٩٠م) وتتخذ من لندن مقراً لها، وتم التصديق على افتتاحها في أكتوبر (١٩٩٨م) بعد أربع سنوات من المماطلة والتصريح بالموافقة، وآخر بعدم الموافقة، إلى أن وافقت الحكومة نهائياً على الافتتاح.

ومن هنا ، فإن ما يحدث بالنسبة للكليات الإسلامية في لندن، يحدث للمدارس والمعاهد والجمعيات ؛ حيث يتم التضييق على مثل هذه المشروعات لمحاصرة المد الإسلامي في لندن (٤) . وقد يكون من النادر أن تقوم مثل هذه المشروعات دون أن تقف الحكومة ضد بعضها، معترضة على نشاط البعض منها والتيار الإسلامي الذي تنتمي إليه.

أوضاع الأقليات الإسلامية في بريطانيا
بعد أحداث ١١سبتمبر (٢٠٠١م)

تجدر الإشارة في البداية إلى أن بريطانيا تتميز عن الدول الأوربية ذات التوجه العلماني بأنها تؤمن بالتعايش بين الجماعات المختلفة التي طورتها منذ نشوء الإمبراطورية الكبرى، ولا تزال تحافظ عليها.

ويتمتع العرب والمسلمون بقدر كبير من الحرية والتسامح، وحرية التدين والثقافة ، فالدولة تشجع على اندماج الجاليات العربية والإسلامية في إطار سياق عام يجمع بينهم ؛ لذلك كان انتشار العديد من المدارس الإسلامية والجامعات ، وتدريس اللغة العربية بهما، أمراً طبعياً من منطلق الخصوصية لكل جماعة دينية أو عرقية، هذا فضلاً عن إصدار عدد كبير من الصحف العربية في إطارها القانوني وإن كان بعضها لا يجد حرجاً في توجيه النقد للسياسة البريطانية مثل جريدة (الشرق الأوسط،والحياة اللندنية، والقدس العربي ، والعرب ، والأهرام ، والوطن) بجانب العديد من الدوريات والمجلات العامة والمتخصصة مثل مجلة (الوسط، والعالم، والمستقلة، وفلسطين المسلمة، والنور، ومجلة المجلة) .

وتجدر الإشارة هنا إلى إيجابية التنظيم العربي في بريطانيا، ويأتي على قائمة هذا التنظيم النادي العربي الذي تم تأسيسه في يونيو (١٩٨٠م) ولعب دوراً مهماً في تجميع المنظمات والهيئات العربية والإسلامية في إطار واحد من الوحدة والوفاق، حول مختلف القضايا المطروحة، السياسية منها والدينية.

وتتعدد الاتجاهات السياسية للجاليات والأقليات الإسلامية في بريطانيا بشكل كبير، فمنهم العلمانيون، والدينيون، والمتشددون، والمعتدلون على غير ما عليه الدول الأوربية الأخرى، فالعلاقة بين بريطانيا والعالم الإسلامى علاقة ممتدة عبر القرون وتحديداً من القرن السادس عشر ، عندما كانت الإمبراطورية العثمانية تتمتع بالقوة والمهابة والنفوذ القوى ، وتسيطر على القسم الأكبر من أوربا في الوقت ذاته كانت بريطانيا فى مرحلة

النشوء والتكوين، واستفادت من الدولة العثمانية الإسلامية وقربها منها، وخاصة بعد أن أصابها الضعف، وفقدت السيطرة على مستعمراتها في أوربا.

أما المرحلة الثانية ، فقد كانت في النصف الثاني من القرن الثامن عشر مع التوسع البريطاني في مناطق ودول غالبيتها من المسلمين مثل شبه القارة الهندية، ومصر، والسودان ، ومناطق غرب وشرق إفريقيا ثم فلسطين ، والعراق ، والأردن في بداية القرن العشرين .

أما المرحلة الثالثة والأخيرة والتي فيها استقلت كل الدول التي كانت خاضعة في السابق للإمبراطورية البريطانية، وأصبح هناك تواجد إسلامى لا يمكن تجاهله بعد التزايد المستمر في عدد المسلمين هناك عاما بعد الآخر،

ولعل بريطانيا كانت أكثر الدول الأوربية تسامحا مع المهاجرين عن فرنسا وألمانيا ؛ وذلك نظرا لما يتمتع به القانون البريطاني من مرونة والذي ينص على حرية العقيدة، واعتبار أن مصطلح (بريطاني) يعنى بشكل أساسي المواطن الذي يحمل جواز السفر البريطاني دون أن يكون هناك تمييز في العرق ، أو الجنس أو اللون، أو العقيدة، أو بين الثقافات المختلفة، فلا فرق في الحقوق بين المسلم الأسكتلندي والمسلم الباكستاني أو الإيرانى،حيث إن منح جواز السفر يعد مؤشرا على المواطنة، هذا بالطبع كان دافعا لهجرة العديد من التنظيمات الدينية والسياسية إلى بريطانيا، واتخاذها مستقرا لإقامتها وانطلاقاتها الدعوية في أوربا، وبلدان العالم المختلفة، فبريطانيا يتمركز بها اتحاد المنظمات الإسلامية في أوربا، وهو أضخم مؤسسة إسلامية في القارة الأوربية، ويتبعه مئات المنظمات والهيئات الخيرية والإسلامية المنتشرة في العديد من البلدان الأوربية (٥) .

هذا فضلا عن إيواء العناصر الإسلامية التي – وصفها الإعلام الغربي – بالعناصر المتطرفة، حيث كانت بداية نشاط "عمر عبد الرحمن " زعيم الجماعة الإسلامية ، و"أسامة بن لادن" زعيم تنظيم القاعدة تحت ستار حق اللجوء السياسي المسموح به وفق القانون البريطاني، وبالتالي فإن علاقة الدولة البريطانية مع مواطنيها المسلمين – الذين يحملون جواز السفر البريطاني – تبدو ملائمة لهم، فهي تمنحهم حق الحفاظ على ممارساتهم وعاداتهم ، وقد نجحت بريطانيا في السماح للمسلمين بأن

يحافظوا على الهوية الجماعية لديهم، وأن ينموها، ولكنها كانت أقـل نجاحـاً في أن تضمن مشاركتهم شعور المواطنة مع الآخرين، فامتلاك جواز السفر البريطاني لا يعـني الشعور بالمواطنة الكاملة والإحساس الوطني الكامل، وتبقى الجنسية البريطانيـة هـي المدخل الرئيسي للهوية البريطانية على أن يصاحبها شيء مـن الاحتـرام والتسـامح وحقوق الإنسان وحرية التدين .

وعلى الرغم من ذلك توجد هناك العديد من التجـاوزات مـن بعـض الأفـراد والمؤسسات التى تسيء إلى الإسلام والمسلمين،فالمحكمة البريطانية حكمت بالسـجن على صاحب عمل بريطاني رفض منح أحد المسلمين الذين يعملون لديه إجازة عيـد الفطر المبارك،بينما أيدت المحكمة ذاتها قرار رجل أعمال رفض تشغيل بعض المسلمين في مزرعته الخاصة،واعتبرت المحكمة أن هذا حقه،أما حرمان المسلم من أجازة العيـد ، فهذا عمل عنصري يحاسب عليه القانون البريطاني.

وفى أعقاب أحداث ١١ سبتمبر نشأت في بريطانيا حركـات عنصـرية تطالـب باستحداث تشريع يحظر التمييز الديني، وهناك اتجاه للعمل بقـانون عـدم المسـاس بالمقدسات الدينية ليطال الديانات الأخرى إلى جانب المسـيحية، في الوقـت الـذي تطالب فيه حركة عنصرية أخرى بضرورة حذف " حرية العقيـدة " مـن القـانون البريطاني،وهذا يعكس مقدار تأثير ما حدث يوم ١١ سـبتمبر علـى الأمـن العـام البريطاني،والاتجاه ناحية توفير الأمن حتى لو كـان ذلـك علـى حسـاب الحريـة والديمقراطية [٦] .

ويبدو أن التركيز على الظاهرة الإسلامية بعد أحداث سبتمبر (٢٠٠١م) أصـبح أمراً جوهريًّا لبناء النمطية فى بريطانيا ؛ لأنها أدخلت في نطـاق التغطيـة الصـحفية للأحداث مجموعة من الموضوعات هذه الصورة المتعددة مثل : الحريات المدنية، حقوق الأقليات، التعددية الثقافية، حقوق الإنسان ، ويبرز الدين كذلك كعنصر سائد، حيث يتم التركيز على صور من تاريخ الأديان سواء كان تاريخاً إسلاميًّا، أو مسيحيًّا، ويـتم استدعاء تلك الصورة عن الإسلام وتوظيفها لتدعيم مقولات ووجهات نظـر معينـة مثل[٧] : "الإرهاب الإسلامى "، " المحاربين الإسلاميين " ، " الإرهابيين الإسلاميين" ، والديكتاتور الإسلامى"، و"الهجمات الإسلامية "، و " الإرهاب الإسلامى المقدس " ، و " التطرف الإسلامى" ، و " المسلمون المتطرفون " ، "الغضب الإسلامى المتطرف "،

حيث كانت هذه المضامين هي عناوين الموضوعات المنشورة في الصحف البريطانية في أعقاب ١١ سبتمبر، نظرا لوضع بريطانيا الحساس من كونها الحليف الأوربي الأوحد للولايات المتحدة في الحرب على الإرهاب وعلى أفغانستان ونظام طالبان، وأخيرا حرب العراق وإسقاط نظام صدام حسين.

موقف بريطانيا من المسلمين بعد أحدث ١١ سبتمبر:

تعاملت بريطانيا مع الأقليات الإسلامية على أرضها بصورة مختلفة تماما عن الفترة التي سبقت أحداث سبتمبر (٢٠٠١م) ، وأخذت الصورة تتشكل عبر مجموعة من المحاور، منها ما هو على المستوى الشعبى ، ومنها ما هو على المستوى الرسمى ، ومنها ما هو على المستوى الإعلامى :

أولا: على المستوى الشعبي:

نظرا للتزايد الإعلامى في بريطانيا، وحرية إصدار الصحف وامتلاك الوسائل الإعلامية الأخرى ، فقد استطاع الإعلام تشكيل صورة كاملة عن الإسلام والمسلمين في بريطانيا لم تكن في كل الأحوال إيجابية، حتى أن الإسلاموفوبيا - الخوف المرضى من الإسلام - لعب دورا كبيرا في قيام الكثير من المتعصبين بالاعتداء على المصلين وهم يؤدون الصلوات، وقذف نوافذ المساجد بالحجارة والتبول على جدرانها، فضلا عن قيام البعض بقذف حافلات الأطفال المسلمين بالحجارة مما أدى إلى إغلاق معظم المدارس الإسلامية في بريطانيا، وتشديد الإجراءات الأمنية على البعض الآخر منها، هذا بجانب الإيذاء الجسدي واللفظي الذي كان يتعرض له كل من تظهر سماته وهويته بأنه مسلم ، و لم تفرق هذه الجماعات المعتدية بين المسلم البريطاني والمسلم المنتمى لدوله عربية أو إسلامية ، في الوقت ذاته قام زعيما حزب العمال والأحرار بإصدار بيان مشترك يؤكدان فيه عدم المساس بالإسلام ، كما أصدر حزب المحافظين بيانا آخر أشاد فيه بدور المسلمين في بريطانيا على المستوى الاقتصادي والسياسي.

ثانيا : أما على المستوى الرسمي:

فقد شدد " تونى بلير " رئيس الوزراء البريطاني في البداية على مسؤولية المسلمين كافة عما حدث من تفجيرات بالولايات المتحدة الأمريكية، واتهم الإسلام بأنه دين يحمل مشاعر الكره والبغضاء للآخر، إلا أنه عاد وعدل من توجهات خطابه مؤكدا أن

الحرب على أفغانستان ونظام طالبان المتطرف ليس معناه حربًا على الإسلام ، وإنما ضد أنظمة فاسدة تتستر وراء الإسلام الحنيف لارتكاب جرائم بشعة باسمه، وأن ما يحدث في بعض الدول الإسلامية من صراع بين المذاهب الدينية المختلفة لا يخرج عما يحدث في ايرلندا الشمالية بين الكاثوليك والبروتستانت.

وحذر "تونى بلير" الصحف البريطانية من اللعب بورقة الدين في تصفية حسابات مع بعض الأنظمة العربية والإسلامية ، وإن في بريطانيا ملايين المسلمين الذين نحرص على مشاعرهم حرصنا على مشاعر أبناء عشيرتنا المسيحية، ورغم ذلك أفردت الصحف البريطانية في صدر صفحاتها العناوين الضخمة الملونة والتي وصفت الإسلام بالإرهاب والعنف والحث على احتقار الدين الإسلامي.

ثالثًا : على المستوى الإعلامي:

وهنا تبرز الصحف البريطانية كمحور من محاور الصراع حيث جاء التناول الصحفي في العديد من الصحف البريطانية حاملاً الكثير من مشاعر العداء للإسلام والمسلمين في العالم ، وكذلك الأنظمة الإسلامية التي ترعى الإرهاب مثل النظام الإيراني والعراقي والسوري والليبي والسوداني والمصري...إلخ) ، والتركيز على بعض العناصر المتشددة مثل آراء (أبو حمزة المصري ، وأسامة بن لادن ، وأيمن الظواهري ، وعمر عبد الرحمن مؤسس الجماعة الإسلامية).

وجاءت عناوين "التايمز ، والديلى ميل ، والجارديان " على هذا النحو:

- المسلمون البريطانيون يُرْسَلُونَ إلى معسكرات تدريب إسلامية.
- إيطاليا تشدد من إجراءات الأمن بعد تحذير بعمل إرهابي إسلامي.
- فرنسا تتوقع عملية إرهابية إسلامية طويلة المدى.
- متعصبون إسلاميون قتلوا بريطانياً في حمله إرهابية على أحد الملاهي.
- المسلمون المتطرفون ينتقدون العلمانية الأوربية.
- هل شارك المسلمون البريطانيون في تفجيرات الولايات المتحدة ؟
- تجميد أرصدة مشايخ التطرف الإسلامي الحل المؤقت لوقف الإرهاب فى أوربا.

وكانت هذه هي بعض العناوين التي جاءت في أعقاب ١١ سبتمبر في إطار الحملة الأوربية ضد الإسلام كما وصفتها الصحف البريطانية اليومية ، كما قامت بعض

الصحف بنشر استطلاعات وهميه مؤيده لما قام به " أسامة بن لادن " في الولايات المتحدة.

أما الاستطلاع الذي نشرته (الصنداى تايمز) فقد أظهر تأييد (٤٥%) من العينة التي أجرى عليها الاستطلاع ما قام به " أسامة بن لادن" ضد الغطرسة الأمريكية في الوقت ذاته أظهرت هيئة الإذاعة البريطانية (B.B.C) أن (٨٠%) من عينة استطلاعها تؤيد ما قام به " أسامة بن لادن" في الولايات المتحدة ، وأن الحرب على أفغانستان ليس لها سند قانوني في إطار ميثاق الأمم المتحدة.كما تبنت الصحف البريطانية حملة واسعة ضد القرارات البريطانية التي لا تمانع من إقامة المدارس الإسلامية على أرضها، وأكدت الحملة التي تبنتها جريدة (الديلى تليغراف) أن هذه المدارس ومن يقومون بالتدريس بها والمواد التي تدرس للطلاب يجب أن تراجع من جديد وتوضع مثل هذه المنشآت تحت الرقابة ؛ لأنها المكان الذي يفرخ سنويا مئات الإرهابيين في غفلة من الحكومة البريطانية.

أما رد الفعل الإسلامي البريطاني تجاه ما يتعرضون له من إساءة عبر وسائل الإعلام ، وبعض المثقفين البريطانيين وكذلك العرب المقيمون في بريطانيا الذين اتهموا إيران والعراق وحكومة طالبان الأفغانية بإرهاب أوربا من خلال الإسلام مستخدمين بعض آيات القرآن الكريم لتبرير ما يقومون به من اعتداءات على المصالح الغربية وأعمال القتل والتخريب للمنشآت والمباني.

وتفاعل في إطار ذلك خطاب عدائي قديم يستمد تبريراته من حروب صليبية قديمة بين العالم الإسلامي وأوربا الذي تبناه البعض بعد أحداث سبتمبر ، وتباينت التوجهات التي حاولت الربط بين الإسلام والإرهاب مع الصورة النمطية التي صاغتها وسائل الإعلام الأوربية على مدى سنوات عن الإسلام والمسلمين وجماعات العنف في الشرق الأوسط.

فقد جاءت عمليات رد الفعل عبر العديد من المنظمات و الهيئات الإسلامية المتواجدة في بريطانيا ، ولم يكن لها خطاب واحد يعبر عن التوجه العام للمسلمين برفض الزج بالإسلام وقيمه السماوية ، وبما حدث من خراب وتفجيرات بالولايات المتحدة، وأصدرت كل المنظمات بيانات خاصة بها ، فبعضها اتهم أمريكا وبريطانيا بأنهما كانتا السبب في الماضي لكونهما دعما الجماعات المتطرفة في حربها الباردة مع

الاتحاد السوفييتي القديم ، ودعمت هذه الجماعات بالسلاح والأموال ، وسهلت لهـا كافه الإجراءات للدخول والخروج عبر أراضيها دون أية شروط أو قيود.

أما البيان الذي أصدره المجلس الإسلامي في لندن ، فقد جاء حاملا عبارات الحزن والألم لما أصاب الأبرياء من تفجيرات نيويورك وواشنطن ، مؤكدا أن الحـرب علـى أفغانستان وتدمير الشعب الأفغاني هي عملية مماثلة لما قام به " أسـامة بـن لادن " في الولايات المتحدة والاختلاف فقط فى أن هذه الحملة قام بها مجموعة أفراد قليلي العدد محدودي الإمكانيات،بينما الحرب على أفغانستان تقوم بها مجموعة دول كثيري العـدد غير محدودي الإمكانيات متفوقة العتاد العسكري والتسليح إلا أن الاثنين اتفقا على أن ما قام به "أسامة بن لادن" وما قامت به الولايات المتحدة وبريطانيا في أفغانستان كان خارج إطار الشرعية الدولية [٨] .

في حين قامت منظمه إسلامية بريطانية أخرى بتنظيم ما أسمته " أسـبوع الـوعي الإسلامي " وقامت فيه عبر تأجير مدد زمنيه بالقنوات التليفزيونية والفضائية بتوضـيح رؤية المنظمات الإسلامية من أعمال العنف التي أصابت الولايات المتحـدة، وإظهـار صورة الإسلام الحقيقية أمام الرأي العام الأوربي ،وجاء في إطار هذا الأسبوع احتفالية تحولت لمناقشات حادة حول صدام الحضارات حضرها وزير الخارجية البريطاني "جاك أسترو " وزعيما حزب المحافظين والليبرالي الديمقراطي .

وفي ذاك الأسبوع رصدت هذه المنظمة أكثر من (٤٥٠) حالة اعتداء على المسلمين في بريطانيا وفى مقاطعات مختلفة، مما دفع وزير الخارجية إلى الوعـد بعـدم تكـرار الاعتداءات على المسلمين في بريطانيا ، وتحذير القنوات التليفزيونية من الإسـاءة إلى الإسلام.

ثانيا: أوضاع الأقليات الإسلامية فى هولندا قبل وبعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر(٢٠٠١م)

يعد أفضل وضع للأقليات الإسلامية في أوربا، الذي عليه الحال بالنسبة للأقلية المسلمة في هولندا، حيث تسعى الحكومة إلى دمج المهاجرين في الحياة العامة، وتسوية أوضاعهم بما يمكنهم من الاندماج الطوعي في المجتمعات الجديدة، أما من الناحية الثقافية ، فالثابت أن العرب والمسلمين عموما في هولندا يتمتعون بحرية واسعة كان من مظاهرها : أن نشأت ظاهرة بناء المساجد الأهلية التي يقوم بتمويلها المهاجرون من عرب وأتراك، وتخضع مباشرة لإدارتهم وإشرافهم بعكس المساجد المركزية التي تشرف عليها الدولة تمويلا ورقابة، كما سمحت السلطات الهولندية للمسلمين بالأذان في المساجد مرة كل أسبوع في يوم الجمعة، إلا أن هولندا لم تعترف بالإسلام إلى الآن كدين سماوي مثله في ذلك مثل الأديان الأخرى(٩) ، وتشير الإحصائيات الرسمية إلى ارتفاع عدد المسلمين في هولندا ليصل إلى (٦٢٧,٩٠٠) ألف مسلم يمثلون (٤,٥%) من إجمالي عدد السكان، ويعد الإسلام الديانة الثالثة في هولندا (١٠) .

كما أن معظم المسلمين في هولندا ينتمون إلى أصول أندونيسية ؛ ذلك لأن هذه الأخيرة كانت مستعمرة هولندية في القرن الماضي ، وحصل المسلمون هناك على الكثير من الامتيازات في الخمس سنوات الأخيرة مثل : تخصيص قناة تليفزيونية ومحطة إذاعية لخدمة التجمعات الإسلامية البعيدة عن العاصمة (أمستردام) .

كما صدر قانون في هولندا يسمح للمسلمين بذبح الماشية على الطريقة الإسلامية، و لم تمانع من إعطاء التصريحات والرخص المطلوبة لإقامة دور العبادة لأي ديانة، وإن كان القانون ينص صراحة على أن تكون ممارسة الشعائر الدينية في أماكن محدودة ومغلقة.

ولما أظهر المسلمون كفاءة في التدريبات العسكرية والمناورات المشتركة بين القوات، إستعانت بهم هولندا للروح القتالية العالية التي يتصفون بها للخدمة فى الجيش الهولندي، حيث بلغ عدد المسلمين الهولنديين في الجيش إلى ما يزيد على خمسة آلاف مسلم، كما قام بعض أفراد الجيش من المسلمين بالإضراب في أعقاب اعتراف أحد ضباط الجيش الهولندي لشبكة (News) التليفزيونية الهولندية بأنه تواطأ وكتيبته العسكرية التي

شاركت تحت راية الأمم المتحدة في عملية التطهير العرقي عام (١٩٩٨م) في جيب (سربرينتشا) بشرق البوسنة ، ونتج عن هذا التواطؤ مقتل (٧) آلاف مسلم بدون ذنب، وكانوا من الشيوخ والنساء والأطفال [١١] .

أما من الناحية الإعلامية فبالإضافة إلى القناة التليفزيونية الإسلامية توجد مجلة "القبلة" الشهرية – الإسلامية، والتي تهتم بشؤون المسلمين في هولندا ، وتعمل على ربط المسلمين بعضهم البعض ، وتهتم بنشر الفتاوى التي تهم المسلمين في كل المقاطعات الهولندية [١٢] .

مشكلات الأقلية الإسلامية في هولندا:

تتعدد وتتنوع مشكلات الأقليات الإسلامية في هولندا، حيث يظهر التمييز العنصري واضحاً في معاملة الأغلبية للأقلية، وعملية التحامل والاضطهاد الذي يظهر من جانب بعض المسيحيين المتعصبين، ومن هذه المشكلات الآتي [١٣] :

- تهميش الوجود الإسلامي داخل الدولة، وخاصة بعد أن أصبحت لهم محطة تليفزيونية وإذاعية يبثون من خلالها تعاليم الدين الإسلامي السمحة، وبالتالي الكشف عن زيف المعتقدات الأخرى.
- ندرة المراكز الإسلامية في هولندا وقلة الوازع الديني لدى الأقلية المسلمة هناك حيث إن ذهابهم إلى المسجد للصلاة قد يكون نادراً برغم وجود (٣٥٠) مسجداً في المقاطعات الهولندية.
- محاربة الزى الإسلامي " الحجاب "، حيث يتم وصفه بأنه رمز الإرهاب والتعصب الديني البغيض، ومنع إقامة المزيد من المدارس الإسلامية.
- تشويه الإعلام الهولندي وتعمد الإساءة إلى المسلمين والاستهزاء بما يقومون به من شعائر وفروض من خلال البرامج الموجهة ضد كل ما هو إسلامي.
- الانقسام بين المسلمين، حيث الاختلاف اللغوي، والانقسام المذهبي بينهم، كما أن الخلافات العربية والإسلامية تنتقل إلى الأراضي الهولندية لتسبب كثيراً من الإساءة للمسلمين هناك.
- ضعف الدعم الإسلامي المقدم للمسلمين هناك مادياً ومعنوياً، حيث إن فئة صغيرة هي التي تشتغل بالتجارة والاستثمار، أما الباقون من المسلمين فهم فقراء ولا يجدون لقمة العيش إلا بصعوبة بالغة.

أوضاع الأقليات الإسلامية في هولندا
بعد أحداث ١١سبتمبر (٢٠٠١م)

هولندا من الدول المسيحية صاحبة التراث العريق[١٤] ، وهى جزء من أوربا جغرافيا، وتاريخيًّا،ودينيًا ثم سياسيًّا واقتصاديًّا،فالرجل الهولندي شأن كل الآخرين يؤمن بالحضارة الأوربية المسيحية، وتاريخيا تعتبر هولندا من الدول الاستعمارية القديمة، فقد كانت تحتل بعض سواحل الخليج في القرن الثامن عشر واحتلت أندونيسيا أكبر دولة إسلامية عددًا الآن.

كما ترتبط هولندا فكريًّا وثقافيًّا وسياسيًّا بالمعسكر الغربي ،وعلى الخصوص الولايات المتحدة الأمريكية ، حيث توجد مصالح مشتركة بين البلدين، وتأخذ وجهة نظرها في القضايا الدولية من وجهة النظر الأمريكية، وهى عضو في حلف "الناتو" ، واشتركت في حرب الخليج وقوات حفظ السلام في البوسنة والهرسك ، وتضم داخل أراضيها قواعد عسكرية أمريكية.

ويذكر أن هولندا – نظراً لتبعيتها السابقة والحالية للولايات المتحدة – كانت الدولة الوحيدة في العالم التي أرسلت متطوعين هولنديين إلى إسرائيل أثناء حربها مع مصر عام ١٩٧٣م ، مما اضطر الدول العربية أن تعاملها مثلما تعاملت مع الولايات المتحدة في حظر تصدير النفط إليها، مما أثر على اقتصادها آنذاك.

كان في مقابل ذلك أن سمحت لوسائل إعلامها بأن تشن هجوماً إعلاميًّا على العرب والمسلمين وبث روح الكراهية ضد كل ما هو إسلامى، بما في ذلك الاعتداء على المسلمين الهولنديين لمجرد أنهم مسلمون، هذا فضلاً عن عشرات الحالات التي تم رصدها ، وبلغت في حدتها قيام قوات الجيش بهدم العديد من المساجد والمراكز الإسلامية وحرق مزارع المسلمين ومنازلهم.

ومع بداية الثمانينيات وتحول الوجود الإسلامى في هولندا من حالة الهجرة إلى حالة المواطنة بفعل تغيرات كثيرة تتعلق بالسياسة الهولندية والأوضاع المتأزمة في الدول الأصلية، وتحول تفكير المسلمين أيضاً من حالة الشعور بالإقامة المؤقتة إلى حالة الشعور بالاستقرار ، وما يتبع ذلك من ضرورة السعي إلى توفير شروطه وتأمين تبعاته ، ومن ذلك تفكير البعض في الانخراط في الحركة الاقتصادية والتجارية للوطن الجديد ،

فأقاموا المشاريع التجارية والاستثمارية وشركات التصدير والاستيراد، وتتفاوت المشاريع الاقتصادية للمسلمين في هولندا في مستوى النجاح والقدرة على الصمود في محيط اقتصادي شديد التنافس ، وخاصة من الجانب اليهودي الذي يمتلك (٤٠%) من الاقتصاد الهولندي،ويشغل (٥) يهود حقائب وزارية من بين (١٥) حقيبة وزارية،هي عدد الوزارات في هولندا.

ونظرا لتزايد نسبة الضريبة المفروضة على الشركات الهولندية تضطر الكثير من شركات المسلمين إلى إعلان إفلاسها بعد أقل من ثلاث سنوات من تأسيسها[١٥] .

أما الوضع الحالي للأقليات الإسلامية في هولندا بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م ، فهو يميل إلى التأييد الكامل لكل ما تتخذه الولايات المتحدة من قرارات تعيد إليها هيبتها ومكانتها الدولية، حتى لو اضطرت في سبيل ذلك إلى إعلان الحرب على بعض الدول المتورطة في دعم الجماعات الإرهابية.

ومن هنا ، فإن هولندا - وبعد الأحداث مباشرة - قامت بالإعلان عن توفير كافة إمكاناتها لمساعدة الولايات المتحدة في حروبها المزمع القيام بها ضد الدول التي ترعى الإرهاب، وقامت هي من جانبها باتخاذ العديد من القرارات المعادية للوجود الإسلامي على أراضيها،حيث أصدرت قانونا سريعا بمصادرة أملاك المهاجرين المسلمين من أصل تركي ومغربي ،كما قامت بقطع المساعدات الشهرية التي كانت تمنحها الحكومة الهولندية للعاطلين عن العمل واللاجئين ومستحقي الإعانة من المسلمين ، والتي كانت تقدر بـ (٩٠٠) دولار شهريا، يتم صرفها من خزينة وزارة الشؤون الاجتماعية الهولندية.

إلا أنه من الواضح أن القانون الهولندي الجديد لا يستهدف تجريد المهاجرين المغاربة والأتراك - من أبناء الجيل الأول - من ممتلكاتهم أو حرمانهم من المساعدات الاجتماعية ، وإنما يهدف إلى الضغط على هؤلاء المهاجرين من المسلمين للعودة إلى بلادهم في إطار ما يسمى بقانون العودة التي أصدرته الحكومة الهولندية في أعقاب أحداث سبتمبر (٢٠٠١م) .

وقامت بقطع المساعدات عن (٢٥٠) عائلة تركية و (٧٢٠) عائلة مغربية، مع إسقاط الجنسية عن بعض المسلمين القدامى، والضغط عليهم لتصفية مشاريعهم ومتاجرهم ، والعودة إلى بلادهم الأصلية، واستمرارا لحالات التضييق على الأقليات الإسلامية في هولندا أعلن المسلمون عن استيائهم من حكم المحكمة الجنائية في

(أوترخت) بشأن قضية الطفلة المسلمة "ياسمين حبشي" من أصل مغربي، حيث قام يهودي عمرة (١٤) عاما باغتصابها ثم قتلها.

وجاء حكم المحكمة بالسجن لمدة عام مراعاة لصغر سنه، ليزيد من شعور المسلمين بالاضطهاد الذي لم يكن له وجود قبل التفجيرات الأمريكية، وأن التفجيرات والأحداث مع أنها كانت فى واشنطن ونيويورك إلا أن آثارها امتدت لتشمل مسلمي هولندا.

ووفق القانون الهولندي في هذا الشأن تصرف إعانة أسبوعية للقاتل تقدر بـ (٥٠٠) دولار، مع تجهيز الغرفة التي سيقضى فيها مدة سجنه بالديكورات والألوان التي يختارها مع تزويد الغرفة بتليفزيون ، وثلاجة، وبعض الأجهزة الرياضية (١٦) .

و لم يمر أسبوع على تنفيذ الحكم على الشاب اليهودي البالغ من العمر (١٤) عاما حتى تكررت الجريمة ذاتها بصورة أبشع من الأولى ، حيث قامت عناصر مجهولة بخطف (١٢) فتاة لم يتجاوز أعمارهن العشرينات وقتلهن بعد ارتكاب جريمة الاغتصاب في كل الفتيات، ولما لم يظهر لهذه الجريمة فاعل ، حفظتها المحكمة وطويت هذه الصفحة بكل ما تحمله من مرارة وألم، ثم فتحت صفحة أخرى لشاب مسلم يبلغ من العمر (٢٩) عاما قام القاتل – وهو مسيحي كاثوليكي – بالتسلل إلى غرفة نومه، وذبحه بالسكين، وعندما سأله المحقق عن جريمته، قال بأنه كان مأمورا من الله بأن يقتل مسلما يوم الجمعة ، وكان هذا من حظ هذا القتيل .

ونظرا للفصل المتشدد بين الدين والدولة في هولندا، فإن وزارة التعليم هناك لا تقر بتدريس الدين الإسلامى للتلاميذ المسلمين في المدارس العامة، شأن غيره من الأديان، وكانت في السابق تسمح بذلك، ولكن بعد أحداث سبتمبر حدث تغير كبير في ملامح الصورة عند الهولنديين،وفى المقابل يجرى طرح مادة للتربية الأخلاقية والروحية، كحصة إلزامية للتلاميذ في المدارس الابتدائية، وهى تشتمل على تعريف بنشأة الأديان، مع حذف الإسلام من هذه المقررات الدراسية.

وعلى الرغم من الميزات التي يتمتع بها مسلمو هولندا، ورغم العدد السكاني الذي قارب على المليون مسلم هناك، وبعد أن أصبحت هناك إذاعة خاصة بالمسلمين لا يستطيعون فعل شيء ، ورغم تزايد عدد المساجد في العاصمة الهولندية (أمستردام) التي يقطنها (٢٥٠) ألف مسلم (٤٠) مسجدا ، أبرزها مسجد "آيا صوفيا، والنصر،

ونورى، ومسجد مولانا، ومسجد الرحمة" [١٧]، إلا أن هذه المساجد وضعت تحت حراسات أمنية مشددة من قبل السلطات الهولندية ، والسماح لبعضها فقط لأداء بعض الصلوات فقط وليس كل الصلوات المفروضة.

وكذلك التضييق على المدارس الإسلامية البالغ عددها (٣٠) مدرسة ابتدائية ، والمدرسة الثانوية الوحيدة ، والجامعة الإسلامية في (بروتردام) والحد من نشاط رابطة الجامعات الإسلامية في هولندا، ومجلس مسلمي هولندا، والمجلس الإسلامى بهولندا .

ومن هنا يمكن القول : إن وضع الأقليات الإسلامية في هولندا ازداد سوءًا بعد أحداث سبتمبر (٢٠٠١م) ، وإن عودة العلاقات لما كانت عليه قد تمتد لسنوات أخرى .

ثالثا: أوضاع الأقليات الإسلامية في بلجيكا قبل وبعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر(٢٠٠١م)

يبلغ عدد المسلمين في بلجيكا (٤٠٠) ألف مسلم من مجموع السكان البالغ (١٠) ملايين نسمة ، وهم بذلك يشكلون نسبة (٥%) من إجمالي السكان ، معظمهم من بلاد المغرب ومصر ولبنان ، ومع قدم الإسلام في بلجيكا إلا أنه لم يتم الاعتراف به كدين ضمن الأديان المسموح بها في بلجيكا من قبل مجلس الشيوخ البلجيكي إلا عام (١٩٧٤م) ، وبذلك يعتبر أول اعتراف أوربي رسمي بالدين الإسلامي ، والإسلام هو الدين الثاني من حيث عدد المنتمين إليه بعد الكاثوليكية والبروتستانتية في هولندا، وبالتالي ، فإن العامل الديني يلعب دوراً مهماً في الحياة العامة هناك وفق عدة اعتبارات [١٨] :

- الدور القوى للدين والذي تمثل في الصراع بين الكاثوليكية والهولنديين الكالفينيين بسبب اختلافهم في المذهب على الرغم من وحدة اللغة.
- النشأة الدينية لبعض الأحزاب السياسية وهيمنة الأحزاب المسيحية على مختلف الأنشطة السياسية في بلجيكا .
- مشاركة رجال الدين في النشاط السياسي وفى تشكيل جماعات ضغط نجحت في تعديل موقف الحكومة إزاء بعض القضايا مثل: قضية علمنة التعليم ، وقضية نشر الأسلحة النووية في بلجيكا.
- خضوع المواطن البلجيكي في سلوكه السياسي لمتغيرات مستمرة تنبع معظمها من مفاهيم دينية تأخذ الطابع المقدس ، وأن الخروج عنها خروج عن الدين.

ومن هنا وعلى الرغم من الاعتراف الرسمي بالدين الإسلامي في بلجيكا ، فإن البلجيكيين ما يزالون ينظرون إلى الأقلية الإسلامية كمصدر خطر ينذر بحرب صليبية جديدة [١٩] إذا ما اصطدموا بالطوائف المسيحية إزاء قضية ما من القضايا، في الوقت الذي وافقت فيه الحكومة على إدخال دروس التربية الإسلامية في المدارس الإسلامية، وأحالت كل المقررات على المركز الإسلامي في (بروكسل) لمراجعتها مع التزام الحكومة بدفع نفقاتهم نظراً لكون المركز الإسلامي بـ (بروكسل) أكبر المساجد في أوربا والمؤسسة الدينية الإسلامية المعترف بها من قبل الحكومة ، ويصدر المركز نشرة

شهرية تحت مسمى (رسالة المسجد) تتضمن الأنشطة المختلفة للمركز ، والجاليات الإسلامية في بلجيكا ، كما ينظم دورات دينية للمسلمين،ويقدم الفتاوى الصحيحة لهم ،مع توثيق عقود الزواج وإقامة الأفراح والمناسبات الدينية المختلفة [٢٠] .

وبالإضافة إلى المركز الإسلامي الذي يقوم على تقديم الخدمات الروحية للمسلمين في بلجيكا توجد على الجانب الأخر أيضاً فرق هدامة تعمل ضد الإسلام كالقاديانية والماسونية، بجانب التمييز العنصري الواضح في بلجيكا ومعظم الدول الأوربية، واعتبار المسلمين سكان من الدرجة الثانية أو ما دون ذلك.

رابعا: أوضاع الأقليات الإسلامية في ألمانيا
قبل وبعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر(٢٠٠١م)

لم تعترف ألمانيا بعد بالإسلام كدين رسمي، مع أن العرب والمسلمين هناك يمارسون نشاطا ثقافيا وفكريا كبيرا، ويشرفون على العديد من المراكز الثقافية والعلمية الألمانية ربما كان أبرزها المركز الإسلامي في (أخن) [٢١] .

ويبلغ عدد المسلمين في ألمانيا (٥) ملايين مسلم وفق آخر الإحصائيات الواردة عن المراكز الإسلامية في ألمانيا [٢٢] يتوزعون على فئات عديدة ، فبعضهم عرب أقاموا في ألمانيا وحصلوا على الجنسية الألمانية واتخذوها وطنا ثانيا لهم، والبعض الآخر جاؤوا من الدول الإسلامية المجاورة ومن الدول والآسيوية والأفريقية ليعملوا في ألمانيا، والبعض الثالث طلاب العلم ورجال الأعمال التي تعد هجرتهم لألمانيا هجرة مؤقتة وغير مستقرة، أما البعض الآخر فهم الألمان الذين تركوا الكاثوليكية ودخلوا في الإسلام طواعية دون اضطهاد أو إجبار، ويتشكل المسلمون هناك من جنسيات مختلفة، فالأتراك يصل عددهم ما يزيد على المليوني نسمة بجانب المسلمين من أصول يوغوسلافية والذين تركوا بلادهم هربا من بطش الأغلبية الأرثوذكسية وأقاموا في ألمانيا ويصل عددهم لـ (٢٠٠) ألف مسلم، أما المغاربة فيتراوح عددهم في ألمانيا نحو (٣٥ ألف)، والإيرانيون (٢٥ ألف)، والتونسيون (٢١ ألفا)، بجانب آخرون من أفريقيا وآسيا[٢٣] .

والملاحظ أن نسبة الأتراك في ألمانيا تكاد تكون هي أعلى نسبة في تعداد المسلمين في أوربا، ويفسر البعض ذلك برغبة ألمانيا قديما لأن تصبح تركيا قطعة من أوربا، وخاصة بعد انسلاخ تركيا الرسمي عن الإسلام واعتناقها العلمانية وتحالفها مع ألمانيا في الحرب، كما يوجد في ألمانيا العديد من المراكز الإسلامية مثل المركز الإسلامي التركي في مدينة (هامبورج) والتي تضم ٦٠ ألف مسلم من الأتراك و٢٠ مسجدا ومركزين إسلاميين.

كما تؤدى منظمة الرأي الإسلامي العالمي التي أسسها "نجم الدين أربكان " رئيس وزراء تركيا الأسبق والتي ضمت (٣٠٠) فرع لها داخل وخارج ألمانيا، وتتخذ من

(قون قولنيا) مركزاً رئيسياً لها، وتؤدى دوراً مهماً في تقديم المعلومات التي يحتاج إليها المسلمون في ألمانيا، كما قامت تركيا بإصدار جريدة إسلامية ألمانية تصدر من تركيا وتوزع في ألمانيا لخدمة الأقلية المسلمة هناك [٢٤] ، بالإضافة إلى المركز الإسلامي في مدينة (ميونخ) الذي يعد المقر الرئيسي للجماعة الإسلامية بجنوب ألمانيا ، ويهدف المركز إلى الحفاظ على عقيدة الجاليات الإسلامية ولغتها وتراثها في الخارج [٢٥] .

كما تسمح الحكومة الألمانية برعاية مؤتمر الجاليات الإسلامية على أرضها، والذي ينظمه الاتحاد الإسلامي للطلاب المسلمين بألمانيا الذي يتابع باهتمام مشاكل المسلمين في العالم ، وفى آخر اجتماع للاتحاد ، طالب المؤتمر بأن تصحح وسائل الإعلام العربية والإسلامية المفاهيم المنقولة عبر وكالات الأنباء العالمية عن الإسلام والمسلمين في الخارج، ومطالبة الحكومة الألمانية بأن تسمح للطالب المغترب بأن يصطحب معه زوجته وأولاده .

الأجيال الإسلامية في ألمانيا:

تتمثل هذه الأجيال في المسلمين الذين يعيشون في ألمانيا والذين أصبح لهم كيانٌ ملموسٌ يمارس نشاطاته في كل مجالات الحياة المختلفة، وهم [٢٦] :

الجيل الأول: وهم الذين هاجروا شباباً أو رجالاً أو شيوخاً، وجاؤوا بعقيدة راسخة، ولم يتأثروا بما في المجتمع الغربي من عادات وتقاليد تختلف في شكلها ومضمونها مع دينهم الذي يؤمنون به.

الجيل الثاني: وهم الذين جاؤوا لألمانيا من أوطانهم صغاراً ولم يولدوا في ألمانيا، مع أنهم أقاموا بها واستقروا فيها.

الجيل الثالث: وهم الذين ولدوا في ألمانيا بالفعل منذ طفولتهم، وبالتالي قد يصبح ولاء الطفل الأكبر لبلده التي ولد فيها، بجانب عقيدته التي يؤمن بها.

وقد ترجع هذه الزيادة إلى كون ألمانيا كانت ضمن دول غرب أوربا التي اعتمدت بعد الحرب العالمية الثانية على الأيدي العاملة الأجنبية لتحقيق نهضتها الاقتصادية، فكما اعتمدت فرنسا على المسلمين العرب من شمالي إفريقيا في نهضتها، وبريطانيا على الهنود والباكستانيين ومواطني جزر الهند الغربية، اعتمدت ألمانيا الغربية على "عمال" من

العديد من الدول العربية والإسلامية في مقدمتها : تركيا والمغرب وتونس وبعض بلدان جنوبي أوربا في تحقيق نهضتها الاقتصادية.

وأدت الاستعانة بالمسلمين في هذه المجالات وسد عجز دول أوربا في العمالة إلى عدم وجود كيان اقتصادي أو سياسي للمسلمين في ألمانيا ؛ ولذلك فإن طبيعة المشكلات التي تواجههم في هذا المجال تنشأ عن تطور الأوضاع الاقتصادية والسياسية الألمانية؛ في الوقت الذي لا تكاد السفارات التابعة لدولهم تؤدي دورا فعليا على هذا الصعيد.

التحديات التي تواجه الأقليات الإسلامية في ألمانيا:

بعد أن توحدت الديانة المسيحية مع اللغة الألمانية، أضحى المسيحي وحده هو الألماني الحقيقي، أما اليهودي أو المسلم أو البوذي ، فإن كان يمكنه أن ينتمي إلى الدولة الألمانية، فإنه لا يستطيع أن يستوعب في الأمة الألمانية أو في الشعب الراسخ الذي يجب أن يكون مسيحيا.

وهكذا أضحى الدين أحد أهم مقومات الهوية القومية الألمانية ، فالألمان يعتقدون أن المسيحي وحده هو الذي يستطيع أن يكون ألمانيا، وأن المسيحية وحدها هي الديانة المتوافقة مع القومية الألمانية، وتتعدد الصعوبات والعقبات التي تواجه الأقليات الإسلامية في ألمانيا ، ولعل أهم مظاهر هذه التحديات تتمثل في:

- **استمرار الفزع الأوربي من النمو الديموجرافى للمسلمين** - الذي أدى بدوره إلى العنصرية - فلا تزال بيوت اللاجئين المسلمين يتم تدميرها ، ولا يزال الاضطهاد للمسلمين موجودا مع تجاهل تام لحقوق الأقليات العرقية أو الدينية في ألمانيا ، وإن كانت تعد نفسها رائدة في الحفاظ على حقوق الإنسان.
- **التشويه المتعمد في مناهج التعليم ضد الإسلام** ، على اعتبار أن الإسلام لا علاقة له بالفكر أو الثقافة أو بالعلم ، فما يزال العالم الإسلامي متخلفا علميا ويعتمد في تقدمه على مراكز البحوث في أوربا وأمريكا.
- **تولى المؤسسات الرسمية والكنسية جهودا كبيرة لتحقيق ما يسمى بدمج الناشئين المسلمين في المجتمع الألماني للقضاء على هوية الأطفال المسلمين بالمدارس الألمانية** ، وكما تشير التقارير الرسمية في ألمانيا إلى أن الجهد الأكبر سيوجه في المرحلة القادمة لهذه الفئة من المسلمين - بصورة خاصة - بعد أن

ثبت لرجال الكنائس الألمانية أن الجيل الأكبر سنا لم يعد من الممكن دمجه في المجتمع الألماني، لوجود حصانة عقدية لديه[٢٧]، وبالتالي فقد أحدث قرار إدخال الدين الإسلامي في مناهج التعليم بولاية (نورد راين ويستفالن الألمانية) ردود فعل متباينة في يناير (١٩٩٥م) وقالت أوساط الكنائس والأحزاب المحافظة: إن هذا القرار يشجع على النشاط المتطرف الذي يتفق مع ما تمارسه الجماعة الإسلامية في ألمانيا، بينما أيدت الكنيسة الكاثوليكية هذه الخطوة ، وأعلنت "ريتافاشيوس" رئيس اللجنة الكاثوليكية الألمانية عن تأييدها هذا القرار؛ وذلك لمحاربة الفكر المتطرف وتقديم صورة حقيقية عن الإسلام [٢٨] ، وفي إحصاء رسمي لعدد الطلاب المسلمين في ألمانيا بلغ (١٢%) من إجمالي عدد الطلاب في الألمانيتين (الشرقية، والغربية) اللتين اتحدتا في ١٩٩٠/١٠/١٣م لتصبح هناك ألمانيا ، لا شرقية ولا غربية.

- **تشويه الإعلام الألماني لصورة الإسلام ووصفه بالعنف والإرهاب**، وقد تزايدت هذه الحملة مع مطلع التسعينيات عن طريق جماعات العنف التي نمت في المنطقة العربية، وهاجرت إلى أوربا بعد التضييق عليها والقبض على قادتها وإيداعهم في السجون بتهمة التخريب وأعمال العنف التي يمارسونها ضد الأديان الأخرى، وتستخدم وسائل الإعلام الألمانية أدوات كثيرة لمحاربة الظاهرة الإسلامية في ألمانيا، عن طريق نشر التقارير التي تشير من خلالها إلى تزايد معدلات الجريمة بين الأجانب في ألمانيا وتخص المسلمين مع أن تقارير المراكز الإسلامية تؤكد جميعها أن المسلمين من أولى الجاليات الملتزمة، ولعل الحملة ضد الإسلام والمسلمين قد بلغت مداها بعد اعتناق بعض الأسر الألمانية للإسلام بصورة متزايدة من ضباط الجيش ورجال الفكر والثقافة، مما دفع ألمانيا لأن تقف بالمرصاد لوقف المد المطرد لهذا الدين داخل أراضيها، واستخدمت في ذلك سياسة التمييز العنصري ضد المسلمين.
- **الخلافات العرقية والفكرية بين الجاليات الإسلامية** ، حيث تكمن هذه الخلافات حول المذاهب التي يعتنقها المسلمون الألمان، فمنهم السنة وآخرون يمثلون الشيعة ،وهؤلاء لهم عاداتهم وتقاليدهم في ممارسة العبادة، والآخرون يختلفون معهم في ذلك، وخضع الدين في أوربا للعامل المذهبي، وإن كانوا يتفقون في الأصول والثوابت،ولكن تكاد تكون معظم خلافاتهم في المسائل الفرعية

والأمور التي تحتاج إلى الاجتهاد إن لم يكن هناك نص صريح في الدين بالضرورة، ويبلغ عدد المساجد في ألمانيا ما يزيد على (ألف مسجد) موزعين بين مساجد روادها من السنة، وأخرى روادها من الشيعة، ولا توجد بألمانيا مساجد تضم المذهبين [٢٩] .

- **التنشئة الاجتماعية للأطفال المسلمين ظل مجتمع غربي غريب عنهم تماماً،** مشكلات كثيرة تتمثل أبرز هذه المشكلات في أوضاع الناشئة البالغ عددهم نحو (١٠٠) ألف مسلم على الأقل ما بين (١٤ - ١٨) سنة معظمهم ولدوا في ألمانيا وفق إحصاء السكان بألمانيا عام (١٩٨٠م) ، بينما تشير إحضائيات عام (١٩٩٠م) أن عدد هذه الفئة السالفة الذكر تقدر بـ (مليون ونصف المليون مسلم)، ووفق ما تؤكده تقارير المراكز الإسلامية في ألمانيا : أن عدد الناشئة المسلمين في ألمانيا وفق إحصاء (١٩٩٨م) جوالي مليوني مسلم، وهؤلاء يواجهون ضغوطاً أكبر بكثير مما يواجهه الأكبر سناً من المسلمين، فهم على علاقة مباشرة وعميقة تميزهم في سنهم من الناشئة الألمان، وبطريقة حياتهم الغربية، بعيداً عن توجيه الأسرة في معظم الأحيان، ومع تزايد عدد الهيئات والجمعيات الإسلامية التي ترعى وتهتم بأحوال المسلمين في ألمانيا ، فإن نشاطها ما يزال ضعيفاً والتي تقدر عددها بنحو (٢٢٠٠) مؤسسة إسلامية مسجلة رسمياً لدى السلطات الألمانية أهمها[٣٠] : المجلس المركزي للمسلمين في ألمانيا ويتبعه (١٢٠٠) مؤسسة إسلامية تعمل في خدمة الإسلام والمسلمين هناك ، واتحاد المراكز الثقافية الإسلامية ويضم ما يزيد على (٢٥) ألف مسلم .

وفى ظل الحرب الإعلامية على الإسلام أقام المسلمون بألمانيا دعوى قضائية ضد مجلة (لوب) الألمانية التي تهتم بالموسيقى والفنون المختلفة لنشرها صوراً لفتيات عاريات عليهن آيات من القرآن الكريم، وقد رفضت المجلة الاعتذار للمسلمين من منطلق أن المجتمع الألمانى يقدس حرية التعبير عن الرأي و لم تتدخل الحكومة إزاء تعرض الإسلام للإساءة ، بل أكدت أن القضية عادية و لم يكن دافع الإساءة موجوداً في البداية، ومن هنا فإن ألمانيا وعلى الرغم من إيمانها الكامل بحقوق الإنسان وبحرية التدين والعقيدة ، فإنها ما تزال تخلط بين أوراق الدين والسياسة، وتبنيها للقضايا والمشكلات له مردود ديني عند قادتها السياسيين.

المسلمون في ألمانيا

بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر (٢٠٠١م)

يذكر تاريخيًا : أن الهجرة العربية والإسلامية جاءت متأخرة نسبيًّا إلى ألمانيا بالمقارنة بالهجرة إلى فرنسا وبريطانيا التي تمتد لقرون بعيدة.

وقد انطلقت الهجرة الإسلامية لألمانيا من منتصف الستينيات من المغرب العربي، والمشرق العربي في ذات الوقت، وظلت الأقليات الإسلامية في تنامي وتزايد عددي مستمر حتى بلغت جملة تعداد المسلمين هناك لـــ (٥,١٠٠,٠٠٠) مليون مسلم بما يعادل (٣%) من إجمالي عدد السكان.

وقبل سبتمبر (٢٠٠١م) لم يكن هناك مشكلات جديدة على مجتمع الأقليات الإسلامية في ألمانيا غير المتعارف عليها من حرمان المسلمين من بعض الحقوق، والتمييز العنصري ضد بعض المسلمين ، وعدم السماح بفتح مزيد من المدارس والمساجد إلا بموافقات رسمية من السلطة، التي عادة ما تضع العراقيل في الإجراءات حتى ينصرف المسلمون عن طلبهم .

أما بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر وما حدث من تفجيرات بواشنطن ونيويورك، فقد اتجهت وسائل الإعلام العالمية تجاه منطقة صغيرة تقع في إحدى ضواحي ألمانيا (هامبورج)، حيث اقتحمت قوات الشرطة الألمانية وعناصر من المخابرات المركزية الأمريكية إحدى الشقق في شارع (٥٤) في منطقة (مارينشتراسه) وكانت تتبع عربيين، تعتقد المخابرات الأمريكية أنهما اشتركا في الهجوم الانتحاري على مركزي التجارة العالمي والبنتاجون.والشخصان العربيان أحدهم يدعى: محمد عطا ٣٣ عاما " ، والآخر " مروان الشيحى ٢٣ عاما "، وكان الطالبان يدرسان الهندسة الإلكترونية وبناء السفن فى الجامعة الفنية الشهيرة في (هامبورج) ، الأمر الذي انعكس بصورة واضحة على الأقلية المسلمة في (هامبورج) ، والأقلية المسلمة في ألمانيا بشكل عام، وتغيرت النظرة الألمانية عن الإسلام عما كانت عليه في السابق ، وأصبحت ألمانيا مطالبة بتحديد موقفها من هذه التجمعات الإسلامية المتواجدة على أراضيها، وتخطط وتنفذ عمليات إرهابية وانتحارية في الولايات المتحدة الأمريكية.

وقامت عشرات الفرق التابعة للشرطة الألمانية بحملات تفتيش واسعة،شملت المساجد والمحلات التجارية التي يمتلكها مسلمون، بل قامت بفتح سجلات المهاجرين من المسلمين والبحث عن معلومات تفيد الإدارة الأمريكية في بحثها عن مرتكبي التفجيرات، بل قامت بتسليم الولايات المتحدة جميع المشتبه فيهم من أبناء الجاليات الإسلامية لمجرد أن بعضهم قال : إنه تعرف على " محمد عطا ، والشيحى " في يوم من الأيام.

وقد شملت حملة الاعتقالات أئمة المساجد، وأعضاء في المراكز الإسلامية في (هامبورج، وأخن) ، بل تمت مصادرة الأوراق والكتب التي كانت قوات الشرطة قد عثرت عليها أثناء تفتيشها في منازل المسلمين [٣١] زاد من تلك الممارسات والاضطهادات – التي يتعرض لها مسلمو ألمانيا – شهادات بعض الجيران الذين لا يعرفون اللغة العربية، ولا عن هذين الشخصين العربيين شيئا ، فقد قال أحدهم : إنه كان يسمعهما في ساعات متأخرة من الليل وهما يرتلان القرآن الكريم، وقال آخر : إنهما يترددان على المسجد القريب من مكان إقامتهما، ولما لم تعثر الشرطة الألمانية على أية أوراق، أو أدلة تؤكد تورط "عطا ،والشيحى" في تفجيرات واشنطن ونيويورك، وقدمت للمخابرات الأمريكية ما توصلت إليه من معلومات وصور من التحقيقات التي أجريت مع بعض المسلمين الذين تم إخضاعهم للتحقيقات . و لم تنته العلاقة بين مخابرات البلدين عند هذا ، بل عادت المخابرات الأمريكية لتطرح معلومات جديدة حول إحدى الشقق في (هامبورج) أيضا وهى لسيدة عربية، وأم لطفلين، حيث قامت قوات الشرطة الألمانية بمداهمة الشقة في ساعات متأخرة من الليل ، واقتادوا السيدة إلى قسم الشرطة وهناك خضعت للتعذيب والضرب للاعتراف بشيء لا تعلم عنه شيئا ، وعن صلتها بالإرهابي "محمد عطا"، ومع نفيها القاطع بأنها لم تسمع عن هذا الاسم من قبل، زادت درجات العنف حتى توفيت من التعذيب والضغط عليها ، وتركت طفليها يلقيان المجهول في وسط أجواء مشحونة بالتوتر والقلق .

وأعرب الكثيرون من أبناء الجاليات الإسلامية في (برلين) عن خوفهم من بطش الشرطة الألمانية التي قامت بإخضاع كل مسلم تعثر عليه لتحقيقات مطولة، وإجباره على الإدلاء بمعلومات لا يعرف شيئا عنها، فمع أن الأقلية المسلمة في (برلين) تصل

لـــ (٤٥٠) ألف مسلم إلا أن هذا العدد الكبير نسبيًّا من المنتظر استجوابه في طابور نصب أمام أقسام الشرطة ووحدات المخابرات.

كما قامت الصحف الألمانية بشن أعنف حملاتها ضد الأقليات الإسلامية الموجودة في ألمانيا،وظهر العديد من التوجهات بشأن تواجدها، فأشار البعض بطردها من ألمانيا حتى لا تعرضها للإحراج مع الولايات المتحدة،كما حدث في حالة "محمد عطا ، ومروان الشيحى" .

واتجاه آخر طالـــب بالتضييق عليهـــم ، وترقب تحركات العناصر النشطة منهم، والكشف عن أرصدهم في المصارف والبنوك الألمانية، ورصد المركز الإسلامى في (أخن) أكثر من (٣٠٠) حالة اضطهاد تعرض لها مسلمون في ألمانيا، منها البصق على وجه المسلمين أثناء شراء مستلزمات منازلهم في محلات البقالة والمتاجر العامة، بجانب تعرض الفتيات المحجبات لنزع غطاء الرأس من عليهن ليكشف عن وجوههن ثم البصق عليهن ، باعتبارهن مسلمات – إرهابيات تتستر ن وراء هذا الغطاء – بجانب فصل العشرات من المسلمين من وظائفهم وإغلاق المراكز الإسلامية والمساجد بعد رشقها بالحجارة من بعض العناصر الغاضبة على المسلمين، وتعاطفاً مع الولايات المتحدة فى محنتها والألم الذي أصابها.

كما لم يغن تصريح رئيس المركز الإسلامى في (برلين) من أن المتهمين لا ينتميان إلى أية منظمة إسلامية في ألمانيا،وكانا يعيشان منعزلان بعيداً عن التجمعات الإسلامية،وأن على الشرطة الألمانية أن تعلم أن مسلمي ألمانيا لا علاقة لهم بما حدث،كما أن الإسلام برىء من جرائم العنف وما ألصق به من اتهامات.

خامسا: أوضاع الأقليات الإسلامية في بلغاريا قبل وبعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر (٢٠٠١م)

يصل عدد سكان بلغاريا إلى حوالي (١١,٥) مليون نسمة، يشكل المسلمون منهم (٢,٥ مليون) نسمة بما يعادل (٢١%) من إجمالي عدد السكان ، وتؤكد بعض المصادر بأن عدد السكان المسلمين تعدى الـ (٣) مليون مسلم، وقد دخل الإسلام بلغاريا مع مطلع القرن الثامن الهجري، عن طريق التجار والطرق الصوفية، وينقسم مسلمو بلغاريا إلى عدد من القوميات منهم : التركية والتترية ، ويمثلون (٦٠%)، والسلافية، (٢٢%)، والغجرية (١٧%) (٣٢) .

وتتمثل التحديات التي تواجه المسلمين في بلغاريا في عدد من العوامل المهمة ، أهمها:

- سياسة البلغرة وإلغاء كل مظهر إسلامي، وتصفية الوجود الإسلامي في بلغاريا.
- انتهاج سياسة التهجير وإخلاء الأرض البلغارية من التجمعات الإسلامية.
- هدم المدارس والمساجد، وتنصير المسلمين بالقوة، وخطف الأطفال وبيعهم للكنائس، للقضاء على هويتهم الإسلامية، وإذابة هذا الجيل في حياة الرذيلة والإباحية.
- تدريس الدين المسيحي للتلاميذ المسلمين ومنحهم الهدايا إن هم دخلوا في المسيحية، وتفوقوا في علومها.
- التضييق على المسلمين في المهن والوظائف وقصر وظائف المسلمين على بعض المجالات والتخصصات التي لا تدر ربحا عليهم، وتجعلهم دائما في حاجة لأصحاب المعتقدات الأخرى.

والملاحظ هنا : أن وضع المسلمين في بلغاريا لا يختلف عن وضعهم في نيوزيلاندا لكسمبورج وايرلندا والمجر وبولندا فكل هذه الدول تتعرض الأقلية المسلمة فيها لاضطهاد وعنف وتمييز عنصري،وقد قامت الحكومة البلغارية الشيوعية بالعديد من الإجراءات التعسفية ضد المسلمين ومحاولات عديدة من أجل احتوائهم ودمجهم في المجتمع الشيوعي ، إلا أن الرفض كان الرد الطبيعي على الممارسات البلغارية، وقابلت بلغاريا هذا الرفض بأن أصدر قادتها قرارا بتأديب الأقليات الإسلامية على أرض

بلغاريا، وتوغلت القوات البلغارية في أماكن تجمع المسلمين وهدموا المنازل وقتلوا ما يزيد على (١٥٠٠) مسلم في يوم واحد (٣٣) . الأمر الذي دفع تركيا لأن تطالب المجتمع الدولي بالتدخل لإنقاذ المسلمين البلغار بعرض القضية بتفاصيلها على مؤتمر الأمن والتعاون الأوربي، حيث أعلنت بريطانيا تقديم مساعدات مالية للمسلمين البلغار الذين هاجروا من بلادهم ، في الوقت ذاته لم يصدر عن منظمة المؤتمر الإسلامي بيان تدين فيه ما يحدث للأقليات الإسلامية في بلغاريا من الأغلبية المسيحية والعقلية الشيوعية التي ما تزال تتحكم في مقاليد السلطة في بلغاريا برغم سقوطها.

سادسا : أوضاع الأقليات الإسلامية في سويسرا قبل وبعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر(٢٠٠١م)

يعود تاريخ المسلمين في سويسرا إلى القرن العاشر الميلادى وذلك عبر الأندلس، فعندما سقطت الدولة الإسلامية في قرطبة، هاجرت مئات الأسر من وجه البطش والعنف الذي كانت تمارسه الجماعات العنصرية المسيحية، واستقرت العديد من هذه الأسر في المناطق الهادئة في أوربا، وربما كانت سويسرا – قديما وحتى الآن – دولة هادئة، ليس فيها صراعات، ولا تقام على حدودها حروب أو منازعات.

ويتسم وضع المسلمين في سويسرا بتعدد الأعراق والأجناس وتباين الثقافات بين الأقليات المسلمة، إلا أن عدد المسلمين هناك في تزايد مستمر، وأن الهجرات العربية والإسلامية لا تتوقف، وهي في تزايد وتنام مستمر ، ويصل عدد المسلمين في سويسرا حاليا (٣٧٠) ألف مسلم من مجموع السكان،ويحتلون الترتيب الثالث وسط قائمة الأديان التي تضمها سويسرا،فالكاثوليكية في الترتيب الأول (٤٧ %)، ثم البروتستانتية (٤٠%) والمسلمون (٥ %) و (٨%) أديان ومعتقدات أخرى [٣٤] .

وقد تتعدد الدوافع التي دعت المسلمين للهجرة إلى سويسرا ما بين البحث عن فرص عمل ، أو لاجئين سياسيين، أو الدراسة بالجامعات السويسرية التي تفتح أبوابها لكافة الطلاب الوافدين وتدعمهم ماليا لإنجاز أبحاثهم ، بجانب عدد من رجال الأعمال العرب الذين يقيمون إقامة شبه دائمة لمتابعة استثماراتهم في البنوك السويسرية.

ونظرا للتزايد الإسلامى في العديد من المدن السويسرية مثل (جنيف، وزيورخ، ولوزان، وبازل) كان الدافع لإقامة العديد من المراكز الإسلامية لرعاية هذه الأقليات، وجاء الدكتور "سعيد البوطى والعلامة أبو الحسن الندوى، والشيخ محمد حميد الله" لوضع حجر الأساس للمركز الاسلامى فى (جنيف)، الذي سرعان ما تحول إلى مركز إشعاع حضاري مؤثر في سويسرا، وشعر المسلمون هناك بأنه أصبح لهم مركز لرعايتهم دينيا، وثقافيا، واجتماعيا، وأصدر المركز صحيفة (المسلمون) لنشر أخبار العالم الإسلامى، ومتابعة الأنشطة التي يقوم بها المسلمون في سويسرا.

أما في عام (١٩٧٢م) فقد أقامت رابطة العالم الإسلامى المعهد الإسلامى الذي يضم ثاني المساجد البارزة في الاتحاد السويسري، ثم أعقبه المؤسسة الثقافية الإسلامية

بـــ (جنيف) ، والمساجد التابع لها، وتضم سويسرا حاليًا أكثر مـــن مـــائتي مســـجد ومركز إسلامي.

وبعد أعقاب أحداث سبتمبر (٢٠٠١م) طرأت على الوضع بين النظام السويسري وبين الأقلية المسلمة بعض التوترات، نظرا للتمييز العنصري الذي ظهرت مؤشراته بعد أحداث الولايات المتحدة، وحرمان الطالبات المسلمات من ارتداء الحجاب أو حتى الخروج به إلى شوارع (جنيف) ، حيث تتعرض المسلمات للإهانة والسخرية، والتجريح بالألفاظ النابية.

كما قامت إدارة المستشفيات الجامعية في (برن) بمنع ثلاث طالبات محجبات أخريات من الاشتراك في الدورة التدريبية الإلزامية المؤهلة إلى السنة التالية، بجانب الكشف عن أرصدة رجال الأعمال المسلمين بالبنوك السويسرية التي يشترط فيها السرية، زاد من حدة القلق والتوتر إعلان الولايات المتحدة تجميد أرصدة بعض الشيوخ الإسلاميين في سويسرا أمثال " الدكتور يوسف القرضاوى ، ويوسف ندا ، وأشرف السعد " ومنظمات وجمعيات مثل : وأنصار السنة ، ورابطة العالم الإسلامى، والهيئة الخيرية الكويتية، وجمعية الإصلاح الإماراتية وغيرها.

سابعا: أوضاع الأقليات الإسلامية في فرنسا قبل وبعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر (٢٠٠١م)

" غالة " أو " الفرنجة " أو فرنسا " كلها مسميات لبلد واحد، و هي فرنسا إحدى الدول الأوربية المهمة، يحدها من الشمال الغربي بحر المانش وبحر الشمال، ومن الشمال الشرقي لكسمبورج وألمانيا وبلجيكا ، ومن الشرق سويسرا ، ومن الجنوب الشرقي إيطاليا، ومن الجنوب البحر الأبيض المتوسط وأسبانيا، ومن الغرب المحيط الأطلسي ، ويبلغ عدد سكانها حوالي (٧٥) مليون نسمة ، يمثل المسلمون منهم (١٠) ملايين مسلم ، أي ما يعادل (٧%) و(٩٠ %) مسيحيون كاثوليك و(١ %) بروتستانت [٣٥] .

وتشير بعض الدراسات التاريخية : أن المسلمين لو تحقق لهم النصر في معركة بلاط الشهداء (٧٣٢ هـ) والتى قادها " عبد الرحمن الغافقى " لانتشر الإسلام في ربوع فرنسا كلها، وانطلق منها إلى سائر أوربا وبجانبه اللغة العربية.

وعلى الرغم من وجود صعوبة في حصر تعداد الأقليات الإسلامية في فرنسا، إلا أن الثابت وفق البيانات الرسمية : أن الإسلام هو الدين الثاني بفرنسا بعد الكاثوليكية، ويزيد على العشرة ملايين مسلم كما أشرت سابقًا، ويمثل دول المغرب العربي منهم حوالي (٥٠ %) و الـ (٥٠ %) الباقية من دول إسلامية عربية وغير عربية ومن جنسيات مختلفة وترتيباً : الجزائر ، المغرب، تونس ، السنغال ، مالي ، زائير، الكاميرون، ساحل العاج ، مدغشقر، موريتانيا، مصر، ومن أوربا : البرتغال ، تركيا، إيطاليا، أسبانيا، ومن منطقة الشرق الأوسط تأتى لبنان كأعلى نسبة تواجد بفرنسا يليها سوريا، وإسرائيل، وعلى مستوى قارة آسيا تأتى باكستان فى الترتيب الأول لعدد المهاجرين لفرنسا والأقلية المسلمة فى فرنسا هي بلغة الخطابات السائدة في فرنسا بل وفى أوربا حاليا، وبعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر بالولايات المتحدة ٢٠٠١م — تمثل مشكلة Commumoute a Probleme [٣٦] .

فإذا كان الخطاب الرسمي يواجهها بما يمكن أن نطلق عليه (استراتيجية التحاشي) لأسباب كثيرة منها علاقة فرنسا بالعالم العربي والإسلامى، ومصالحها الاقتصادية المتزايدة في هذه الدول، وقبل ذلك ما يمثله المسلمون الآن بفرنسا من قوة عددية

واقتصادية في معظم المهن والمصالح الإدارية ، فـ (٤٧ %) من الأيـدى العاملـة بفرنسا من المسلمين والعرب ، وهذا ما يؤكد حقيقة أن فرنسا تـدين للمسـلمين بالفضل في نهضتها الاقتصادية والتنموية الحالية.

وإذا كان هذا هو حال خطاب الدولة الفرنسية تجاه التواجد الإسلامى فى فرنسا، فإن خطاب زعيم الجبهة الوطنية للدين (ليبوان — lepon) يحمل الكثير من مشاعر العداء تجاه العرب والمسلمين هناك، فهو يحملها مسؤولية الانشطارات والأزمات والتوترات، وحالات القلق التي لم يكن يعرفها المجتمع الفرنسى قبل دخول الإسلام فرنسا ، ويتهم (ليبوان) المسلمين بفرنسا بأنهم " يأكلون خبز الفرنسيين " ، ويطالب بطردهم من فرنسا حفاظاً على الكيان العام للدولة من الانقسام و التفسخ.

فدستور فرنسا الصادر عام (١٧٩١م) أكد على حرية التدين، بينما جاء دستور (١٩٠٥م) ليفصل الدين عن الدولة والذي تم تعديله بدستور (١٩٥٨م) الذي يؤكد علمانية فرنسا ، وأنها لا تعترف بأى دين ولا تموله ، أما فئات المسلمين في فرنسا ، فهم جـاؤوا إلى أوربا في شكل تجمعات تحمل كل فئة مشاعر خاصة تجاه الغرب ، أهمها[٣٧] :

- **الفئة الأولى** : وتضم المهاجرين، وهؤلاء حصلوا على الجنسية، ويصل عدد المسلمين منهم (٤) ملايين مسلم .
- **الفئة الثانية:** المهاجرون الذين يتمتعون بإقامة شرعية من المسلمين ويزيد عددهم على مليوني ونصف المليون مسلم.
- **الفئة الثالثة:** وتشمل فئة المقيمين في الظل، ولا يملكون بطاقات إقامة دائمة وعددهـم غير معروف، وإن كانت بعض المصادر تؤكد أن عددهم يصل المليون مسلم .
- **الفئة الرابعـة:** وتضم هذه الفئة رجال الأعمال وطلاب العلم، والمهاجرين هجرة غير دائمة واللاجئين السياسيين، وتصل نسبـة المسلمين بينهم إلى مليون مسلم.
- **الفئة الخامسة:** وتشمل المسلمين من أبناء فرنسا، الذين أعلنوا اعتناقهم للإسلام وأصبح لديهم أبناء مسلمون، وتشير البيانات الرسمية أن تعدادهم حوالي ثلاثة ملايين مسلم[٣٨] .

ومع هذا التزايد الملحوظ في تعداد المسلمين في فرنسا، سواء الذين يهاجرون إليها، أو من بين أبنائها الذين دخلوا الإسلام، إلا أن فرنسا و منذ سنوات قليلة ماضية كانت تتردد في الاعتراف بالإسلام كديانة محلية، ذات حق في الإقامة، وترفض سياسة احتفاظ المهاجرين بثقافتهم ولغتهم الخاصة، وتمنع بناء المدارس أو المعاهد الدينية، وعادة ترتبط موافقتها بشروط تعجيزية يصعب على المسلمين تنفيذ بعض بنودها.

وهذا ما يؤكد حقيقة العداء التاريخي بين الإسلام والغرب، والذي كانت فرنسا أحد محاوره الأساسية، فمعظم الحملات الصليبية التي شنتها أوربا على العالم الإسلامى كانت فرنسا فى المقدمة، وهي صاحبة الفكرة والتخطيط حتى أسر ملكها "لويس التاسع " بدار ابن لقمان بمدينة المنصورة في مصر، ومن هنا فالسلطة في فرنسا تحاول أن تجد نوعا من التوازن بين موروثها العدائى القديم للإسلام، وبين المسلمين الذين يقيمون على أرضها، ويشتركون معهم في النسيج القومي والكيان المكتمل لفرنسا، وأصبحوا حقيقة لا يمكن تجاهلها.

وتسعى فرنسا إلى الحفاظ على التزايد العددى للكنيسة الكاثوليكية التي تعانى من الانحسار المتزايد في الأتباع على الإسلام، بل والطوائف المسيحية الأخرى من أرثوذكس وبروتستانت ، وأن ارتفاع نسبة الأقليات الأخرى ، وبخاصة الأقليات الإسلامية، فإن النتائج بلا شك ستكون خطيرة في الحياة السياسية الفرنسية وبصفة خاصة في ظل وجود هذا الوعي العنصري — والتعصب الديني – الذي بدا واضحا بمجرد حدوث التفجيرات الأمريكية في الحادي عشر من سبتمبر (٢٠٠١م).

المسلمون الأكثر نشاطا فى فرنسا:

الجالية الإسلامية في فرنسا من كبرى الجاليات في أوربا من حيث الحجم، حيث تتجاوز على مستوى الأيدى العاملة بفرنسا حوالي خمسة ملايين عامل مسلم، يعملون في مختلف القطاعات الإنتاجية والاستثمارية ، وعدديا فإن عائلات المهاجرين متعددة الأفراد، وهي بذلك عامل أساسى في تنشيط حركة الاستهلاك والرواج الاقتصادي، وتكفى الإشارة هنا إلى مناسبة عيد الأضحى المبارك، وعدد رؤوس الماشية (الخراف) التي يتم ذبحها كل عام.

وحسب تقرير المجموعة الأوربية فى (بروكسل) عن عام (٢٠٠١م) أن المهاجرين يساهمون بـ (١٥,٧ %) من الناتج المحلى الإجمالى بفرنسا ؛ لذلك عندما سئل زعيم الجبهة الوطنية والمرشح للرئاسة فى فرنسا "ليبوان" عن كيفية معالجته لهذه المعادلة في

برنامجه الذي أعلن عنه في الترشيحات الرئاسية لفرنسا (٢٠٠٢م) ، (وهو طرد المهاجرين) قال: إن العرب والمسلمين لا يساهمون بشيء في الاقتصاد الفرنسي، بل يمثلون عبئا على الاقتصاد القومي الفرنسي، حيث يميلون إلى توفير مرتباهم وثرواهم في مصارف وبنوك خاصة، تمهيدا للعودة بها إلى بلدانهم الأصلية [٣٩] .

ورغم حملات العداء التي لا يكف عن شنها " ليبوان " والحزب الذى ينتمى إليه ، والسعي نحو إصدار قرار بطرد كل المسلمين والعرب من فرنسا، إلا أنه وبلا شك الآن أصبح القرار في غاية الصعوبة، فحوالى (١٠) ملايين مسلم في فرنسا أصبحوا يشكلون اليوم قوة لا يستهان بها، وتستطيع أن تقف في وجه أية قرارات في غير صالحها.

كما أن إمام مسجد باريس أصبح اليوم يتمتع باحترام ديني كبير، وأن الرئيس الفرنسي "جاك شيراك" ينظم لقاءات معه على فترات ليست بالبعيدة ، واستشارته في بعض الأمور التى تخص المسلمين، مما يؤكد حقيقة الدور الذي أصبح يمثله الدين الإسلامى في المجتمع الفرنسي.

ولعل ذلك يرجع إلى أسباب منها : كون العرب والمسلمين هم الجالية الأكبر بين الجاليات المهاجرة، بحيث يرتبط كل رد فعل ضد المهاجرين بالعرب وينعكس عليهم بالدرجة الأولى، والثانية : لطبيعة هذه الجاليات المكونة أساسا من أغلبية كبيرة من العمال المهاجرين الذين يتمتعون بكفاءات مهنية عالية، والثالثة : للروح العدائية التى طبعت بقوة منذ عقود وقرون مضت ، والعلاقات القائمة بين فرنسا ومستعمراتها السابقة، بل وتشديد إجراءات تجديد إقامة المهاجرين ، وتقنين عمليات الطرد الجماعي والإدارى من دون العودة المسبقة إلى القضاء، وتشديد العقوبات على المخالفين ، وإلغاء التجنس التلقائي للجيل الثاني أو الثالث المولود على الأرض الفرنسية.

ويقوم مسجد باريس إزاء هذه الممارسات بدور الوسيط مع الإدارة الفرنسية لإيجاد حلول سريعة لهذه المشكلات ويمارس المسجد هذا الدور منذ أن تم إنشاؤه عام (١٩٢٦م) ، وقامت السلطات الفرنسية بإعطاء مكافأة للقوات الإسلامية التي شاركت في الحرب مع فرنسا أثناء الحرب العالمية الأولى ، وافتتح المسجد الرئيس الفرنسي آنذاك " دومارغ " ، و الرئيس المغربى " مولاي يوسف " وتضم فرنسا حاليا (٣٥٠٠) مسجد ، يوجد بالعاصمة الفرنسية وحدها (٣٣٠) مسجدا ومركزا إسلاميا [٤٠] .

المسلم الفرنسي بين ثقافتين:

أدى التوتر الذي شهدته العلاقات الفرنسية الإسلامية منذ عام (١٩٩٠م) إلى تطور مناخي قوى من العداء ، والشك المتبادل ، والتعصب الذي سقط ضحيته مئات الشباب من العرب والمسلمين ، وكثيراً ما تورطت قوات الشرطة في معظم هذه الحملات، بجانب الحملة التي شنتها وسائل الإعلام الفرنسية فيما عرف بأزمة "الفولار" أو الحجاب الإسلامى، فى إطار المحافظة على القيم الجمهورية والمبادئ العلمانية السائدة في المجتمع الفرنسي ، وأن بث مثل هذه القيم في الشوارع الفرنسية من شأنه أن يدفع الكثيرين من أبناء المعتقدات والأديان الأخرى للتعرف على مبادئ وقيم هذا الدين، وتفسير هذه السلوكيات التي يقوم بها المسلمون وحدهم في ظل حالات الفراغ الروحى ، والانتحار المتزايد من قبل العديد من أنصار العلمانية، الأمر الذي يولد عند البعض الميل تجاه الدين الإسلامى، وبالتالي يكون من السهولة الدخول فيه.

ومن هنا لا تميل السياسة الفرنسية – في حالة الهجرة العربية إليها – إلى تطبيق النموذج البريطاني الذي يقوم على تدمير روح الاندماج القومي من خلال السماح بتعايش جماعات قومية متميزة ومتباينة، تعيش كل منها في معزل خاص بها، في حين يقوم النموذج الفرنسي على العمل على انصهار جميع العناصر القومية والثقافية في بوتقة واحدة في إطار العلمانية والقومية الفرنسية، حيث إن تواجد المواطن غير الفرنسي على الأرض الفرنسية من شأنه أن يلغى ثقافته وقوميته التي جاء بها من بلده الأصلى، ليأخذ صفة جديدة ، وثقافة جديدة ، ومبادئ لم تكن معروفة في المجتمعات الشرقية أو الإسلامية من قبل .

وفي استطلاع أجرته مؤسسة (ايفوب) لأبحاث الرأي العام أظهرت النتائج أن المجتمع الفرنسى لا يبدى ارتياحًا لبناء مزيد من المساجد في فرنسا، وكان من مؤشرات نشر هذا الخبر : حملة دعائية ضخمة تبنتها جريدة (اللوموند) واستاءت فيها من المسلمين الذين يؤدون الصلوات في أى مكان على الأرصفة، وفي الحدائق، وفي المتاجر ، وفى ممرات المصالح الحكومية ، وفى مكان عملهم ، وأحياناً فى مواقف السيارات ، وأماكن غير لائقة وربما تكون غير نظيفة.

وتعجبت الجريدة من إقبال المسلمين على الصلاة بينما تخلو الكنيسة الكاثوليكية من مصلى واحد، رغم فخامتها والمناظر والصور الجميلة المريحة للعين المرسومة على

الجدران، وأن هذا مؤشر لأن تصبح فرنسا على المدى البعيد دولة إسـلامية كـإيران وأفغانستان ، هذا ما دعي إلى ظهور بعض التوجهات السياسية والدينية المعادية للعرب والمسلمين بفرنسـا، وتحقق العديد من النجاحات حيث ركزت في دعايتـها علـى الخطر الذي يمثله الإسلام على مستقبل فرنسا، والربط بينه وبين الإرهاب، والتطـرف وأعمال العنف، ولفت الأنظار تجاه المسلمين الفرنسيين باعتبارهم أقلية غير متجانسـة مع المجتمع القومي الفرنسي، بسبب عقيدهم التي تتعارض شكلا ومضـمونا مـع القوانين الفرنسية ، ورفضهم الاندماج في العلمانية، وإصرارهم على أن تكـون لهـم مدارسهـم الخاصة ومراكزهم الاجتماعية والثقافية التي لا تمت للمجتمع الفرنسـي بصلة (٤١) .

وقد أعطت هذه السلوكيات الفرصة للكثير من المسؤولين الفرنسيين لأن يتهموا مسلمي فرنسا بأهم يجندون ومستعملون بضرب الاقتصاد الفرنسي من طرف جهات أصولية ومتطرفة على رأسها تنظيم القاعدة الذي يتزعمه " أسامة بن لادن ، وأيمن الظواهري " ، وجماعة الجهاد الإسلامي للشيخ الضرير " عمر عبد الرحمن "،بل لقد اكتشفـت فرنسا أن الإسلام – عدديا وإحصائيا – هو الدين الثاني في الجمهورية الفرنسية ، وعلى الرغم من أن هذه الحقيقة كانت معروفه منذ سنوات ، إلا أهما لم تكن متداولة إلا في أوساط محدودة كالمستشرقين ومراكز البحوث والدراسات السياسية والاجتماعية .

و لم تزد أحداث الحادي عشر من سبتمبر (٢٠٠١م) بالولايات المتحدة الطـين إلا بلة، فقد أعادت إلى الأذهان شبح التطرف الإسلامي الذي يهدد العالم وفرنسا الـتي قادت الحملات الصليبية فى السابق ضد العالم الإسلامي، فكانت لحظات وصل فيهـا العداء الإعلامي والأكاديمي درجات متصاعدة، فكلمات مثل : التطرف ، الإرهاب ، الأصوليـة ، الإسلاموفوبيا،تنظيم القاعدة، حركة طالبـان، الجهاد الإسلامي، إيران، العـراق، الجماعـة الإسلاميـة ، الثوار الإسلاميين ، جيش محمـد ، أفغانسـتان ، غدت مفاتيح ومفردات أساسية في الإعلام الفرنسي عند تناوله للإسـلام بعـد ١١ سبتمبر (٢٠٠١م) .

كمـا أن الصحافة اليومية والأسبوعية مثل (اللوموند ، والفيجـارو ، وفـرانس سوار ، وليبراسيون ، ولوماتان) ركزت فى كتاباهما عـبر موضـوعاهما والمقـالات الأسبوعية بها على البعد العدائى الحربي للإسلام والمسلمين الفرنسـيين علـى وجـه

الخصوص، حيث تنافست عناوين الصحف ما بين الإثارة والتهويل وخلوها من الموضوعية حتى في التناول التحليلي للأحداث ، فظهرت عناوين منها " الصدمة " ، "الإسلام يعلن الحرب على الغرب " ، " هل يجب الخوف من الإسلام ؟ " ، " هل تصبح أوربا قارة إسلامية على المدى البعيد ؟" ، " لماذا يظل الإسلام فى أوربا والإسلام يكرهنا ؟" ، " بعد أمريكا الدور على أووربا " ، " الإرهاب باسم الله "، "المسلمون أعلنوا الحرب المقدسة على الغرب " ، " القنبلة الإسلامية هل تقضى على المسيحية في الغرب ؟ " ، " ابن لادن هل هو الإسلام ؟" ، " أما آن الأوان لطرد المسلمين من كل أوربا " .

ولا شك أن هذه العناوين هي مكونات أساسية في الصورة الموروثة عن الإسلام في فرنسا ، وبالتالي فلم تشعر فرنسا في التسعينيات من القرن الماضي بالارتياح في تعاملها مع جنرالات الجزائر وخصوصاً خلال عملية اختطاف الطائرة الفرنسية ، ولكن يفوق هذا الشعور مخاوفها آنذاك من قيام ثورة إسلامية في الجزائر وإمكانية امتدادها إلى الجالية المسلمة الجزائرية التي تقيم في فرنسا[٤٢] ، وبالتالي فإن استقرار الوضع في الجزائر ينعكس بصورة مباشرة على وضع المسلمين الجزائريين في فرنسا ، أما في حالة ما بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ، فكل الجاليات الإسلامية متهمة وعليها إثبات براءتها من الحدث نفسه وإما من الإسلام.

الإسلام الفرنسى الجديد:

كانت سنة (١٩٩٠م) حاسمة في نضج الأقليات الإسلامية ووعيها بأمور عقيدتها والحفاظ على هويتها في فرنسا ، فقضية الكاتب البريطاني "سلمان رشدي" صاحب كتاب (آيات شيطانية) ، وقضية الحجاب في فرنسا، وبروز الجبهة الإسلامية للإنقاذ في الجزائر، وإضراب عمال المصانع الفرنسية بسبب رفض إدارة المصانع تخصيص وقت للصلاة، شكلت منعطفات حاسمة سمحت للجاليات الإسلامية بتأكيد هويتها ، بل بتحويل الإسلام في فرنسا مما حدا بالكتاب الفرنسيين باكتابة عن الإسلام ، فكتب أحدهم : " إسلام فرنسا " وآخر يكتب : " الإسلام الفرنسي" وثالث يكتب : "الإسلام المهاجر " ، " إسلام ابن لادن " ، " الإسلام الشرقي "، " الإسلام الغربي " "الإسلام الأوربي "، " والإسلام الشيوعي "، الإسلام الإيراني "، " الإسلام الخميني ".

ويبدو أن تفضيل تسمية على أخرى تحكمه اعتبارات أيديولوجية أكثر منها أكاديمية ، أي أن المسلمين في فرنسا أصبحوا يعتبرون أنفسهم جزءا من المجتمع الفرنسي، ولكن بمعتقد وبنظرة تختلف عن معتقدات الفئات الدينية الأخرى ، فانفعالات مسلمي فرنسا تجاه أزمة ما أو مشكلة ما ليس معناه أن يتواجد لها صدى في المشرق العربي، كما أن مظاهرة في دولة إسلامية ما ليس معناه أيضا أن يقابلها انفعالات مماثله لدى المسلمين في فرنسا.

بل إن ما يخص مسلمي بريطانيا لا يؤثر بصورة مباشرة على مسلمي فرنسا أو أي دولة أخرى، وهذا ما ظهر بوضوح تجاه عملية ضرب العراق في أبريل (٢٠٠٣م) وإسقاط نظام "صدام حسين" ، حيث كانت أول المظاهرات الرافضة للاعتداء على العراق في الولايات المتحدة ذاتها، والبلدان غير الإسلامية ثم جاءت الدول العربية والإسلامية ، لتعلن على استحياء رفضها لضرب الشعب العراقي مع موافقتها على تغيير النظام العراقي بنظام ديمقراطي حديث.

الجمعيات والمنظمات الإسلامية بفرنسا:

في ضاحية (كورنيف) الواقعة شمال فرنسا يوجد مركز عملاق هو (اتحاد المنظمات الإسلامية في فرنسا) والمسجد التابع له ، وفي المسجد لا يمر أسبوع إلا ويأتيه أفراد من جنسيات مختلفة لإشهار إسلامهم، وذلك بفضل الدور الذي تلعبه الجمعيات والمنظمات الإسلامية هناك.

ويزيد عدد الجمعيات العربية الإسلامية في فرنسا عن ثلاثة آلاف جمعية ومنظمة مسجلة في الجريدة الرسمية الفرنسية، وتحمل صفة إسلامية في تسميتها، أما مجال نشاط هذه الجمعيات فهو منوع ومختلف ، فمنها ما ينشط المستوى المحلى ، ومنها ما ينشط على المستوى القومي ، ومنها نوع ثالث تغطى أنشطته مناطق الحضور الإسلامي كلها، وهذه الجمعيات تدخل في إطار بعض التكتلات الإسلامية الكبرى مثل (الفيدرالية الوطنية لمسلمي فرنسا، وجماعة التبليغ والدعوة، واتحاد المنظمات الإسلامية، وفيدرالية الجمعيات الإسلامية الإفريقية، والاتحاد الإسلامي الفرنسي الذي يضم الجمعيات التركية) كما تضم هذه الجمعيات مثقفين وطلبة وناشطين سياسيين ينتمون إلى أقطار عربية وإسلامية عديدة، أو ربما ينتمون لدولة واحدة [٤٣] ، والسمة الغالبة على هذه الجمعيات والمنظمات الإسلامية أنها غير مستقرة، فبعضها يظهر لفترة زمنية

معينة ثم يختفي، دون أن يشعر باختفائه أحد، وربما تم إشـــهار منظمـــات وجمعيـــات إسلامية في فرنسا وألغيت ، وأيضا لم يشعر بها أحد[٤٤] .

إلا أن الثابت تاريخيا : أن هذه الجمعيات يسود بينها التشرذم والخلاف ، ولكـــل منظمة ترى الإسلام من وجهه نظرها هي، والتي قد تأخذ ميلا تجاه الدولة القومية التي ينتمي إليها أعضاؤها، ويزيد ذلك من ضعفهم، ويطرح بحدة مشكلة تمثيل المسلمين في فرنسا، ومن هي المنظمة أو الجمعية الجديرة بأن تتولى هي إدارة شؤون المســـلمين في فرنسا أمام الجهات الرسمية الفرنسية ؟

ومن هنا يمكن القول : إن مسلمي فرنسا يلتقون مع بقية مسلمي أوربا والغرب في التطورو في الاهتمامات والبحث عن حلول فقهية من منظور إسلامى للإشـــكاليات الاقتصادية التي تعترضهم في الغرب مثل : الأسهم والاستثمار ، والتعامل مع البنـــوك، ويشترك بعض رموز العمل الإسلامى بفرنسا التفكير فى هـــذه القضـــايا ببعـــديها : التأصيلى الفقهي، والتطبيقي العملي، وذلك عن طريق مؤسسات معروفة مثل المجلـــس الأوربى للبحـــوث والإفتاء ، ومركز البحوث والدراسات التابع للكلية الأوربية للعلوم الإنسانية في باريس، ويشرف عليه الدكتور "عبد المجيد النجار" أحد علمـــاء الأزهـــر الشريف[٤٥] .

ولعل الوجود الإسلامى في فرنسا يعتمد على استمراره من خلال بعض الهيئـــات الأهلية التى تحمل الصفة الرسمية إلى حد ما، منها المعهد الإسلامى لمســـجد بـــاريس، حيث يعد مسجد باريس الكبير نقطة ثقل رئيسية كبرى من الناحية الدينية والسياسية والاجتماعية، كما أشرت سابقا ، فهو لا يمثل مركز عبادة فحسب، لكنه يعمل أيضا على تنظيم شؤون المسلمين باعتباره الممثل للجالية الإسلامية لدى السلطات الفرنسية الرسمية، ولدى الجاليات الدينية الأخرى، وهذا المسجد كان مكافأة فرنسية للمسلمين الأتراك والعرب، كذلك فإن المترددين عليه لأداء الشعائر الإسلامية معظمهـــم مـــن العرب، ولغة الصلاة وخطبة الجمعة باللغة العربية، حتى إدارة المسجد من بعض العلماء الذين تلقوا العلوم الشرعية في كبريات الجامعات الإسلامية، في مصر ، والســـعودية، والهند، وباكستان...إلخ .

وقد ازدادت أهمية هذا المسجد عندما زاره الرئيس الفرنسي "جاك شيراك" أثنـــاء حملته الانتخابية ودعوة إمام المسجد للتشاور مـــع المســـؤولين الفرنســـيين في قصـــر (الإليزيه) حول ما يخص المسلمين فى فرنسا، وجعلت منه المحاور الشرعي الوحيد عـــن

الجالية العربية والإسلامية في فرنسا، يأتي في الترتيب الثالث معهد العالم العربي بباريس الذي بدأ نشاطاته منذ عام (١٩٩٠م) [٤٦] ، ويعد مركزًا ثقافيًّا عربيًّا للفنانين والمبدعين-العرب، وينظم الندوات والمهرجات واللقاءات الفكرية والأدبية ويتبنى مناقشات حوار الحضارات بين المثقفين العرب والمثقفين الفرنسيين.

التحديات التي تواجة الأقليات الإسلامية بفرنسا بعد أحداث ١١ سبتمبر (٢٠٠١م)

يعاني المسلمون في فرنسا من أزمة تنظيمية يرثى لها، فلا يوجد تنظيم عام كما في شرق البحر الأبيض المتوسط، وليس للمسلمين مدارس، وإن كان لهم بعض الأماكن التي يؤدون فيها الصلاة والبعض الآخر مغلق لاتهام بعض أفراد إدارته بانتمائهم لتنظيم القاعدة،و "أسامة بن لادن" ، كما أن أداء الصلوات والأنشطة التي يقوم بها المسلمون الآن فى فرنسا تتم بمراقبة صارمة من السلطات الفرنسية، وظهر العداء والتعصب العنصري ضد المسلمين من خلال اعتداء بعض المتعصبين الكاثوليك على المسلمين في أماكن عملهم، وطردهم من الوظائف التي كانوا يعملون بها، وتسريح المئات من العمال المسلمين، وبدأت حملات الاضطهاد تتصاعد يوما بعد الآخر داخل المصانع الفرنسية عن الفترة السابقة لأحداث ١١ سبتمبر (٢٠٠١م) ، وكذلك التضييق على المسلمات في تحركهن وهن بالزى الإسلامى ، وإجبار طلاب المدارس على مقررات دراسية معينة، تحمل في معظمها الطابع العدائى الذي يكنه الغرب للإسلام والمسلمين، أما عن التحديات التي تواجه مسلمي فرنسا ، فهى عديدة ، أبرزها:

١- العمل على تنصير أبناء المسلمين :

كانت فرنسا ولا تزال هي راعية المذهب الكاثوليكي في أوربا، فهي الدولة التي دفعت أوربا للحملات الصليبية على العالم الإسلامى، كما أنها الدولة التي سعت من خلال مستعمراتها في إفريقيا وآسيا إلى تنصير التجمعات الإسلامية، ووقف النفوذ الإسلامى فى البلدان التى خضعت لها.

من هنا ، فان معظم حملات التنصير النشطة على المستوى الإفريقى، إما فرنسية، أو أمريكية ، والبعض الآخر منها يتبع الكنيسة الإنجيلكانية البريطانية ؛ لذلك فإن فرنسا تحظى بتأييد ومباركة ودعوات من بابا الفاتيكان على الدور الذي تقوم به لصالح الكاثوليكية في العالم.

تاريخيًا ومنذ العصور الوسطي والكنيسة تسيطر على الدولة في أوربا، وقد لا ترغب فرنسا الخروج من هذه البوتقة، وكانت من الدول التي حاربت حركة الإصلاح الكنسي التي قام بها "مارتن لوثر، وكالفن " حتى قامت الثورة الفرنسية، وتم تحطيم سجن

الباستيل، ورغم ذلك بقيت فرنسا كاثوليكية، تدين بالولاء الكامل لها، وترى أن هذا ما يميز فرنسا عن دول أوربا ، حيث يدين (٩٠%) من سكانها بالكاثوليكية[٤٧] . وبالتالي لم يكن مستغربًا أن تكون فرنسا على قائمة الدول التي تسعى لتنصير المسلمين خارج وداخل أراضيها، وكانت أبرز جمعيات التنصير فى العالم في فرنسا على مدار تاريخها وهى جمعية (كوفردى نتردام دى سالارات) ، وهي جمعية ظهرت مع ظهور التجمعات الإسلامية في فرنسا، وتم الإعلان عنها عام (١٩٥٧م) ، وتهدف إلى تنصير أبناء المسلمين في المدارس ودور الحضانة، وعبر تقديم الهدايا والمساعدات الإنسانية باسم " يسوع المسيح" .

ويرصد الفاتيكان والحكومة الفرنسية مبالغ ضخمة لهذه الجمعية نظرًا للهدف الحيوى الذي تقوم عليه من ناحية، والدور الذي لعبته في تنصير عدد كبير من أبناء المسلمين أثناء حرب البوسنة والهرسك وكوسوفا من ناحية أخرى، هذا بجانب مئات الجمعيات والمنظمات التي لا تسعى إلا لتنصير المسلمين داخل فرنسا وليس لها علاقة بالتنصير الدولي في إفريقيا، أو دول آسيا الوسطي.

٢- تشجيع التيارات المعادية للإسلام:

مع أن الكثيرين من المنصرين يؤكدون نجاح الحملات التنصيرية للمسلمين فى فرنسا، إلا أنه وعلى المستوى العام يعد نجاحاً محدوداً ، مقابل العدد الضخم الذى يعلن إسلامه بفرنسا سنويًا، حيث اعتنق الإسلام ما يقرب من (١٠) آلاف كاثوليكي فى أقل من عامين بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر (٢٠٠١م) ؛ لذلك اعتمدت الحملات التنصيرية على تشجيع بعض التيارات الهدامة التي تسعى لتشوية صورة الإسلام في الغرب كالبهائية والقاديانية والصهيونية من خلال توفير كافة الإمكانات التي يحتاجون إليها، والدعم المادي اللازم لإيجاد التنازع والشقاق بين الطوائف والحركات والفرق والتيارات الإسلامية فى الشرق والغرب معا .

٣- التميز العنصري ضد المسلمين:

الثابت أن الثقافة الإسلامية ليست في مجملها ضداً أو معادية للغرب، ولا لثقافة فرنسا كدولة راعية للكاثوليكية فى عالم اليوم ، وإنما لكل ثقافة خصوصيتها وسماتها المميزة، وبالتالي كان من الصعوبة مزج الثقافة الإسلامية بالثقافة الفرنسية في إطار علماني واحد ، لاختلاف الخصائص والسمات ومنطلقات وأهداف كل ثقافة منهما.

لذلك ثارت فرنسا عندما فوجئت بتزايد الزى الإسلامى على أرضها وفى العديد من المدارس الفرنسيـــة الحكومية ، وأن عدد الطالبات المحجبات في مدرسة واحدة تعدى الـــ (٢٥٠٠) طالبة من بين (٩) آلاف طالبة غير محجبة من مذاهب ومعتقدات أخرى ، وانتقل ذلك إلى الشوارع والحدائق، والمنتديات والنوادى مما أصبح يشكل ظاهرة واضحة للعيان [٤٨] .

كما أن اللحى – وهى ترك المسلم لحيته دون حلقها – كانت ظاهرة عادية قبل أحداث ١١ سبتمبر (٢٠٠١م) ، ولكن بعد الأحداث لم تعد ظاهرة عادية، وتم القبض على كل ملتحٍ وإخضاعه للتحقيقات لمعرفة صلته بتنظيم القاعدة و "أسامة بن لادن" ، بل يتعرض بعضهم للاعتداء من جانب بعض العناصر المتعصبة، وحرمان المسلمين من معظم حقوقهم التي كانوا يحصلون عليها قبل أحداث سبتمبر، الأمر الذي دفع المنظمات الإسلامية لأن تنظم مظاهرة ضخمة شارك فيها أكثر من مائتي ألف مسلم يطالبون فيها الحكومة الفرنسية بتخفيف الضغط وحملات الاضطهاد عن مسلمى فرنسا، حتى لا يظهر بفرنسا من هم أعنف من تنظيم القاعدة وأرجح عقلًا من " أسامة بن لادن" .

ويبدو أن هذه المظاهرات كان لها نتائجها الإيجابية الملموسة ، حيث خففت الشرطة الفرنسية من حدة العنف ضد المسلمين ، نظرًا للنفوذ الإسلامى المتنامى على المستوى السياسي والاجتماعي بفرنسا ، فالمسلمون بفرنسا لهم تأثيرهم الملحوظ على قصر الإليزيه ، ولهم أوراق ضغط كثيرة لإخضاع الحكومة الفرنسية لمتطلباهم كالإضراب عن الطعام ، والاعتصام، والامتناع عن العمل في المصانع الإنتاجية، والمظاهرات، وعقد الندوات ، والمؤتمرات واللقاءات مع المسؤولين الفرنسيين، وهم يطالبون الآن وبعد ١١ سبتمبر بأن يكون هناك حزب إسلامى لرعاية مصالح المسلمين بفرنسا على غرار ما حدث في بريطانيا، وتكوين هيئة لرقابة الشؤون الإسلامية، ومساواهم مع الأديان الأخرى في الحقوق والواجبات.

ومن هنا يمكن القول : إن فرنسا كانت أفضل كثيرًا في احتواء موجة العداء التي ظهرت عبر وسائل الإعلام بعد أحداث سبتمبر (٢٠٠١م) ، واستطاعت أن تأخذ طابع اللين والمرونة لكسب التأييد العربي في سعيها للعب دور سياسي على المستوى الدولي – مناهض للسياسة الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط.

هوامش الفصل التاسع

(١) عبد العزيز صقر: الدين والدولة في الواقع الغربي(القاهرة : دار العلم للجميـــع، ١٩٩٥م) ص١١٢ .

(٢) محمود عبد الرازق : محنة الأقليات الإسلامية في أوربا (القاهرة : مطبعـــة أولاد عبد العال ١٩٩٩م) ص٦٠ .

(٣) عبد العزيز صقر : الدين والدولة في الواقع الغربي، مرجع سابق، ص٩٧ .

(٤) المسلمون في بريطانيا (الوعي الإسلامي: عدد يناير، ١٩٩٩م) ص٣٩٧.

(٥) تيم نبلوك : المسلمون في بريطانيا (بيروت : المستقبل العربي عـــدد ســبتمبر، ٢٠٠٢م) ص١١٤ .

(٦) أحمد العيسوى : المسلمون في الغرب (شؤون خليجية: مركز دراسات الخلـــيج، مرجع سابق، ص٩٦ .

(٧) أميمة عبد اللطيف: الإسلام السياسي في الصحف البريطانية (إسلام أون لايـــن نت /مقالات /سياسة ٢٠٠٢/٧م) .

(٨) أحمد العيسوى : المسلمون في الغرب، مرجع سابق، ص٩٧.

(٩) عبد العزيز صقر : الدين والدولة في الواقع الغربي، مرجع سابق ، ص١٩٥.

(١٠) محمود عبد الرازق : الأقليات الإسلامية في أوربا ، مرجع سابق ، ص٧١.

(١١) المسلمون في هولندا (منار الإسلام: عدد أكتوبر ١٩٩٨م) ص ٥٨.

(١٢) هولندا والإسلام (مجلة الأزهر: عدد شوال ١٤٠٨هـــ) ص١٣١٤.

(١٣) بدر الماص: الإسلام في هولندا (مجلة الخيرية الكويتية: عـــدد ربيـــع الآخـــر، ١٤١٩هـــ) ص٤٣ .

(١٤) جعفر عبد الرازق: المسلمون في الإعلام الغـــربي (إســـلام أون لايـــن نـــت ٢٠٠١م).

(١٥) خالد شوكات: المسلمون فى هولندا (إسلام أون لاين نت ٢٠٠١م) .

(١٦) معاناة مسلمي هولندا (إسلام أون لاين نت ٢٠٠٢م).

(١٧) الإسلام في هولندا (إسلام أون لاين نت ٢٠٠٢م) .

(١٨) محمود عبد الرازق: محنة الأقليات الإسلامية فى أوربا ، مرجع سابق ، ص٧٣ .

(١٩) عبد العزيز صقر : الدين والدولة فى الواقع الغربى ، مرجع سابق ، ص١٦٤ .

(٢٠) محمود عبد الرازق : محنة الأقليات الإسلامية فى أوربا، مرجع سابق ، ص٧١ .

(٢١) برهان غليون: مستقبل الجاليات العربية فى أوربا (بيروت : المستقبل العربى ، عدد٢٠٩/٧/١٩٩٦م) ص٦١ .

(٢٢) الإسلام فى ألمانيا (الوعى الإسلامى : عدد مايو ١٩٩٨م) ص٩٢ .

(٢٣) الإسلام فى ألمانيا (مجلة الأمة القطرية : عدد نوفمبر ١٩٨٤م) ص٦٩ .

(٢٤) المسلمون فى المانيا (مجلة الخيرية : العدد السابع ١٤١٠هـ) ص١٩ .

(٢٥) المسلمون بألمانيا الواقع والطموح(منار الإسلام : عدد رمضان، ١٤١٠هـ) ص٥٥ .

(٢٦) المراكز الإسلامية في ألمانيا (مجلة الأمة القطرية ، عدد نوفمبر، ١٩٨٤م) ص٧٦ .

(٢٧) المراكز الإسلامية فى ألمانيا ، مرجع سابق ، ص٧٠ .

(٢٨) الإسلام في ألمانيا (مجلة الدعوة ، لندن : عدد مارس ١٩٩٥م) ص١١ .

(٢٩) محمود عبد الرازق : محنة الأقليات الإسلامية فى أوربا،مرجع سابق ، ص٦٨ .

(٣٠) المسلمون فى ألمانيا (مجلة الرابطة السعودية ، عدد ديسمبر ١٩٩٨م) ص٩ .

(٣١) كاتيا باور: مسلمو ألمانيا يعيشون أسوأ أيامهم (ميدل إيست أون لاين ، مايو ٢٠٠٢م) .

(٣٢) المسلمون فى بلغاريا (مجلة الدفاع الوطنى السعودية، عدد ديسمبر ١٩٨٩م) ص٧٠ .

(٣٣) محمود عبد الرازق : محنة الأقليات الإسلامية فى أوربا ، مرجع سابق ، ص٢٥ .

(٣٤) حسام شاكر : مسلمو سويسرا إحصاءات وأرقام (ميدل إيست أون لاين نت ، مايو ٢٠٠١م) .

(٣٥) المسلمون فى العالم، تقرير منظمة المؤتمر الإسلامى لعام ٢٠٠١م) .

(٣٦) محمد الغمقــى : مسلمو فرنسا مؤسسات وأرقام (إســلام أون لايــن نــت ٢٠٠٢م) .

(٣٧) رابح الصادق: الإسلام في فرنسا (المستقبل العربي: عــدد يوليــو، ١٩٩٨م) ص٥٧ .

(٣٨) مصطفى كسبة : المسلمون في أوربا ، مرجع سابق ، ص١٩١.

(٣٩)محمد الغمقى:مسلمو فرنسا شركاء لا أجراء (إسلام أون لاين نت ٢٠٠٢م) .

(٤٠) برهان غليون: مستقبل الجاليات العربية فى فرنسا، مرجع سابق ، ص٥٦ .

(٤١) رابح الصادق: الإسلام في فرنسا ، مرجع سابق، ص٥٦.

(٤٢) ناظم الجاسور : الموقف الفرنسي من الإسلام (بيروت :المستقبل العربي، عــدد يناير ٢٠٠٠م) ص٥٨ .

(٤٣) رابح الصادق : الإسلام في فرنسا، مرجع سابق ، ص٦٢ .

(٤٤) برهان غليون : مستقبل الجاليات العربية في فرنسا، مرجع سابق ، ص٦٥.

(٤٥) محمد الغمقى : مسلمو فرنسا شركاء لا أجراء ، مرجع سابق ، ص٥ .

(٤٦) برهان غليون: مستقبل الجاليات العربية في فرنسا، مرجع سابق ، ص٦٢ .

(٤٧) محمد الغمقى: مسلمو فرنسا شركاء لا أجراء، مرجع سابق، ص٧ .

(٤٨) تاريخ الدراسات العربية في فرنسا (الكويت: سلسلة عالم المعرفة، عدد " ١٦ " نوفمبر ١٩٩٢م) ص١١ .

الفصل العاشر

أوضاع الأقليات والجاليات الإسلامية فى أمريكا اللاتينية

قبل وبعد أحداث ١١ سبتمبر (٢٠٠١م)

الفصل العاشر
أوضاع الأقليات والجاليات الإسلامية فى أمريكا اللاتينية
قبل وبعد أحداث ١١ سبتمبر (٢٠٠١م)
مقدمة

قد يتصور البعض أن ما حدث في الولايات المتحدة الأمريكية فى الحادى عشر من سبتمبر (٢٠٠١م) ، لم يكن له صدى ولا تأثير على وضع الأقليات الإسلامية في أمريكا الجنوبية أو اللاتينية وأن تداعيات الأزمة التي تمر بها الإدارة الأمريكية لم تطل بصورة مباشرة أو غير مباشرة الأنظمة السياسية السائدة في تلك الجمهوريات، ولا حتى الأقليات الإسلامية التي تتواجد في تلك المناطق.

فما حدث من تداعيات نتيجة الصفعة المؤلمة التي وجهت للقطب الأوحد في العالم، أو قطب ما بعد الحرب الباردة وسقوط الاتحاد السوفييتي القديم امتدت تأثيراتها بكل جوانبها على كافة الأصعدة السياسية والإعلامية والثقافية والحضارية ، لتؤثر كذلك على وضع الأقليات الإسلامية الهادئة نسبيا فى قارات العالم الجديد قبل أحداث الحادي عشر من سبتمبر.

فما يحدث للمسلمين في العالم اليوم – أقليات وأغلبيات – يؤثر بالطبع على الكيان الإسلامى بشكل عام، إيمانا من الحديث الشريف الذي ذكر فيه الرسول ﷺ : أن الأمة المسلمة كيان واحد " إذا اشتكى منه عضو تداعت له سائر الأعضاء بالسهر والحمى "، وقال أيضا ﷺ : " المسلم للمسلم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا ".

لكن بالطبع لم تكن نسب التأثير على وضع المسلمين في دول القارة متشابهة في درجة الاضطهاد، أو العنف أو الاستقرار السياسي والديني الذي تنعم به، ومن هنا كان لزاما في البداية الإشارة إلى بدايات دخول الإسلام أمريكا اللاتينية ، ثم عرض لحالات دول القارة للوقوف على الوضع السياسي والاجتماعي للأقليات الإسلامية قبل وبعد أحداث سبتمبر (٢٠٠١م) ، وهل تغيرت النظرة عن المرحلة التي سبقت هذه الأحداث؟ وما هي نوعية المشكلات التي تصادف الأقليات الإسلامية في تلك القارة الهادئة؟ وهل بالفعل ظلت هادئة بعد أحداث سبتمبر والتفجيرات الأمريكية في

نيويورك وواشنطن ؟ أم كانت هناك تداعيات للأزمة أثرت بالفعل على وضع مسلمي قارة أمريكا اللاتينية؟

الإسلام في أمريكا اللاتينية:

دخل الإسلام أمريكا اللاتينية – كما تؤكد ذلك العديد من المصادر التاريخية – في القرن الخامس عشر مع العبيد الذين جاؤوا من شمال وشرق إفريقيا، واستقروا في البرازيل وكولومبيا وفنزويلا، كان معظم هؤلاء العبيد من المسلمين الأفارقة الذين أجبروا على ترك عقيدتهم، واعتناق أديان أسيادهم ، إلا أنه وفي القرن السادس عشر تحرر الكثير من هؤلاء العبيد[١] ، وأصبحوا أحرارا، تزامن ذلك مع الهجرات الإسلامية الوافدة من الهند وباكستان، فبدأ المسلمون في وضع نقطة التكوين الإسلامى بصورة أفضل من وضع الشتات الذي عايشته الأقليات الإسلامية في دول القارة لسنوات طويلة ماضية.

وفي عام (١٨٥٠ م) بدأت موجة من الهجرة تتجه ناحية أمريكا اللاتينية ، ولكن هذه المرة من بعض الدول العربية من أصل سوري ولبناني وفلسطيني، وصلت هذه الهجرات لأعلى معدلاتها في عام (١٩٥٠م) ، وانخرط المسلمون في المجتمع الجديد، وشكلوا في الإطار القومي كيانا مميزا عن الكيانات الأخرى، من أصحاب المعتقدات والمذاهب غير الإسلامية.

الجدول التالي يوضح حجم الأقليات الإسلامية في أمريكا اللاتينية

وفق إحصائيات عام ٢٠٠٠ م[٢]

الدولة	عدد الأقلية المسلمة
البرازيل	٢,٦٠٠,٠٠٠
الأرجنتين	١,١٥٤,٠٠٠
شيلى	٨٥,٠٠٠
فنزويلا	٢١٧,٠٠٠
أورجواى	١١٧,٠٠٠
باراجواي	٨٤,٠٠٠
بوليفيا	٣٤,٠٠٠

بيرو	٦٣,٠٠٠
إكوادور	٢٤,٠٠٠
كولومبيا	٣٧,٠٠٠
جويانا الفرنسية	٢٦,٠٠٠
جويانا	٢٤٧,٠٠٠
سورينام	١٦٢,٠٠٠
كوبا	١٩,٠٠٠
كوستاريكا	٧,٠٠٠
السلفادور	٩,٠٠٠
جواتيمالا	٧,٠٠٠
هندوراس	٨,٠٠٠
المكسيك	١٣٩,٠٠٠
نيكاراجوا	١٢,٠٠٠
بنما	١٤,٠٠٠
ترينداد	١٤٧,٠٠٠
جزر الأنتيل	٧,٤٠٠
بويرتوريكو	٣٤,٠٠٠
جامايكا	٦,٤٥٠
هاييتى	١٨,٠٠٠
الجزر العذراء	٥,٧٠٠
بربادوس	٧,٠٠٠
دومنيكان	٣,٠٠٠
جزر بهاما	٤,١٠٠
برامودا	٢,٠٠٠
جزر كراكاو	٧,٠٠٠
الإجمالى بالتقريب	٥,٤٦٥,٨٠٠

أولا: أوضاع الأقليات الإسلامية في البرازيل
قبل وبعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر(٢٠٠١م)

تعد البرازيل خامس دول العالم من حيث المساحة، وتشغل نصف مساحة قارة أمريكا اللاتينية، وتشترك فى حدودها مع كل دول أمريكا الجنوبية ماعدا شيلى، والإكوادور، وتطل من جهة الشرق والشمال الشرقي على المحيط الأطلنطي.

أطلق عليها قديما : أمريكا البرتغالية؛ نظرا للاحتلال البرتغالي لها والذي امتد معظم فتراتها التاريخية ، ولغتها الرسمية هي البرتغالية ، وقد حصلت على استقلالها عام (١٨٨٩ م) ، ويذكر أنه وبعد اكتشافها عام (١٥٠٠م) ووصول الأمير البرتغالي "بيدرو كابرال " إليها تم تقسيمها وفق معاهدة (١٤٩٤م) مع أسبانيا ، وحصلت أسبانيا على كل دول القارة عدا البرازيل، التي آلت ملكيتها إلى البرتغال، الذين جلبوا بها أكثر من (٦) ملايين افريقى إلى هذه المنطقة واستوطنوها باسم البرتغال ؛ لذلك فإن (٤٠%) من البرازيليين من السود و(٦٠%) خليط من الأوربيين والهنود الحمر والآسيويين[٣] .

ويبلغ عدد سكان البرازيل نحو (١٧٥) مليون نسمة، يمثل المسلمون منهم مليوني وستمائة ألف مسلم أغلبهم ينحدرون من أصول لبنانية، وسورية، وفلسطينية، وجنسيات أخرى[٤] بجانب المسلمين من أصل برازيلي ، ويتوزع المسلمون على مدن كثيرة إلا أن أغلبهم في ولاية (سان باولو، وبارانا ، وريودى) ، وتعد البرازيل من الدول الزراعية، حيث يعمل بالزراعة حوالي (٢٦ %) من السكان بجانب حرفة الرعي، والثروة المعدنية كالماس والكروم والفحم والألومنيوم.

الإسلام والمسلمون في البرازيل:

تشير بعض المصادر الواردة من المراكز الإسلامية في البرازيل — أبرزها الجمعية الخيرية الإسلامية بولاية سان باولو — أن المسلمين سبقوا الاكتشافات البرتغالية للبرازيل، حيث إنه في أعقاب سقوط الأندلس ، وظهور محاكم التفتيش في (قرطبة) هاجر المئات من أبناء الأندلس المسلمين إلى البرازيل سرا عبر الشواطئ البرتغالية واستوطنوها، ثم كانت تجارة الرقيق التي استقدمتها البرتغال من غرب إفريقيا للزراعة معظمهم - كما تؤكد المصادر - من المسلمين من مملكة غانا، ومالي، والهوسا، والفلاون[٥] إلا أنه ومع بداية

القرن العشرين جاءت الهجرات العربية إلى البرازيل إبان حكم الأتراك له وكان عددهم (٤٥٠) ألفا، ويذكر أن (٢٥ %) من سكان البرازيل يتأصل فيهم الدم العربي.

ولم يسلم المسلمون الأفارقة من العبودية واستغلال كل طاقاتهم لصالح مجموعة من الأفراد، ليسوا بأفضل منهم ، وقاموا بالعديد من الثورات والمظاهرات كان أعنفها ثورة (ماكندال وزومبي ١٧٥٨م) ، ثم (ماليز عام ١٨٣٥م) - بمنطقة (باهيا)، واستخدم البرتغاليون العنف في تفريق المتظاهرين، وتم القبض على بعضهم، وقتل المئات منهم تحت وطأة التعذيب الذي تعرض له ، إلا أنهم سجلوا النقطة الأولى في مشوار رفضهم العبودية ، وبمرور الزمن انتهت تجارة الرقيق في البرازيل، وأصبح للمسلمين كيانات خاصة ، جعلت منهم مجموعات متميزة عن مختلف سكان البرازيل .

وتعد مدينة (سان باولو) من أكبر الولايات البرازيلية والتي تضم وحدها ثلث عدد المسلمين في البرازيل، وتضم حوالي (١٥) مركزا إسلاميا و(١٢) مسجدا، ومدرستين إسلاميتين، وينحدر معظم مسلمي الولاية من سوريا ولبنان وفلسطين ومصر، يليها في كثافة عدد المسلمين ولاية (بارانا) وبها عدد كبير من الشيعة، وعدد من المدارس والمساجد وخاصة في جنوب الولاية مع الحدود بين البرازيل والأرجنتين والباراجوى وفي منطقة تسمى (فوزاغوسو) (٦) .

وعلى المستوى التنظيمي توجد العديد من الهيئات والمنظمات التي تقوم على رعاية ما يقرب من ثلاثة ملايين مسلم يصل عددها حوالي (٣٠) جمعية أبرزها جمعية الإصلاح الإسلامي في (سان باولو) والجمعية الخيرية الإسلامية والمركز الإسلامي بـ (سان باولو) والجمعية الإسلامية في (جانيرو) ، فضلا عن وجود عدد من المدارس والمعاهد الإسلامية تابعة للمراكز الإسلامية ، والمساجد تهتم في مضمونها بتدريس علوم الدين واللغة العربية لأبناء الجالية الإسلامية في الولايات البرازيلية (٧) .

ويقوم المسلمون في البرازيل بتأجير فترات زمنية في التليفزيون الرسمي لإلقاء بعض المحاضرات، وتغطية أحداث إسلامية كاستقبال شهر رمضان، والاحتفال بالأعياد الإسلامية ، والمولد النبوي ، وليلة الإسراء والمعراج، بجانب عدد ضئيل من الصحف والمجلات المتخصصة ذات التوزيع المحدود(٨) وتوزع على المراكز الإسلامية وأمام المساجد، وتضم أخبار المسلمين في العالم مع التركيز على الأنشطة التي تقوم بها

الجمعيات والهيئات الإسلامية في الولايات البرازيلية، وخاصة في ولاية (سان بـــاولو)، وأبرز هذه الصحف (الأنباء والنفير، وبرازيل لبنان) [٩].

ومن الأحداث المهمة التي أعطت الأمل في نفوس مسلمي البرازيل (١٤٠٦ هـــ) اهتمام رابطة العالم الإسلامي بمسألة الدعوة الإسلامية في الولايات البرازيلية، وبحث قضايا ومشكلات الأقليات المسلمة هناك ، وعقدت مؤتمرها السنوي في (سان باولو)، وكان من توصياتها : توحيد العمل المشترك بين الجمعيات والمنظمات الإسلامية في البرازيل ، ونبذ الخلافات بين الجاليات العربية، والعمل على الإسهام في إقامة المزيد من المساجد والمراكز الإسلامية، حيث إن عدد المراكز لا يكفي التزايد الإسلامي الملحوظ بين مسلمي البرازيل عامًا بعد آخر.

أما أحوال الأقليات الإسلامية في البرازيل بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، فهي لم تختلف كثيرًا عن المرحلة التي سبقتها إلا بالقدر الضئيل ، حيث تم تقزيم الأنشطة الإسلامية التي تقوم بها الجمعيات والمنظمات الإسلامية التي كانت تتلقى دعمًا لنشاطها، وتقوم على تمويلها منظمات سعودية وخليجية متهمة بأنها ترتبط بعلاقات وذات صلات بتنظيم القاعدة، هذا بجانب وقف منح العديد من العرب الذين تقدموا للحصول على الجنسية البرازيلية، إلا بعد الرجوع إلى المخابرات المركزية الأمريكية التي قامت بافتتاح فرع لها في البرازيل لمتابعة أنشطة الجماعات والتنظيمات الإسلامية المتشددة التي تقيم في البرازيل منذ سنوات بعيدة .

ثانيا: أوضاع الأقليات الإسلامية في الأرجنتين قبل وبعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر (٢٠٠١م)

الجالية الإسلامية فى الأرجنتين - ورغم ما أشرت سابقا - تعد أقدم الجاليات الإسلامية في الأمريكتين (الشمالية والجنوبية)، فالأرجنتين هي ثاني أكبر جمهوريات أمريكا اللاتينية بعد البرازيل ، استعمرها الإسبان، وأطلقوا عليها : الأرجنتين ؛ نظرا لكثرة معدن الفضة داخل أراضيها، ويحدها من الشرق المحيط الأطلنطى وفى الغرب شيلى، وبوليفيا وباراجواي من الشمال والبرازيل وبارجواى من الشمال الشرقي.

وفي الأرجنتين يشبه البحث عن المسلمين، البحث عن شيء نادر، فالأسماء هي : عمر، ومحمد، وأحمد، وخالد، وعبد المنعم، وعبدالله، ولكن الصليب على الصدور، والصلاة في الكنائس، واللسان لا يعرف شيئا عن اللغة العربية أو القرآن الكريم، فالعديد يحملون لقب أنهم مسلمون ، ولكن يؤدون معظم عباداتهم داخل الكنائس بصورة مختلفة عن أية أقلية إسلامية أخرى في دول العالم.

ويبلغ عدد سكان الأرجنتين حوالي (٤٣) مليون نسمة، يبلغ عدد المسلمين منهم حوالي (١,١٥٤,٠٠٠) نسمة ، ومعظم سكان الأرجنتين على المذهب الكاثوليكي، أما أهم التجمعات الإسلامية فهي تتركز في العاصمة (بيونس أيرس) وضواحيها، ثم (مندوسا، وتوكومان، وقرطبة، وخوخوى)[١٠] .

الإسلام والمسلمون في الأرجنتين :

يعود تاريخ المسلمين في الأرجنتين إلى هجرة العديد من العائلات المسلمة في الأندلس إلى الأرجنتين هروبا من البطش الذي تعرضوا له عن طريق الإسبان، ثم جاءت الهجرة من البلدان العربية والإسلامية في أواخر القرن الـ (١٩) ، ثم زادت معدلات الهجرة العربية والإسلامية بين الحربين العالميتين الأولى والثانية ، حتى أصبحت الأقلية المسلمة تمثل حاليا حوالي (٥%) من عدد السكان.

وغالبية المسلمين في الأرجنتين على المذهب السني، وقليل منهم من الشيعة جاؤوا من سوريا ولبنان، إلا أن الثابت أن معظم مسلمي الأرجنتين هم من أبناء الجيل الثاني الذين

ولدوا على أرض الأرجنتين، ورغم ذلك لم تعترف حكومة الأرجنتين حتى الآن بالإسلام على أرضها[١١].

ويقوم على رعاية مسلمي الأرجنتين عدد كبير من المراكز الإسلامية أبرزها المركز الإسلامى في (بيونس أيرس) ، ويعود تأسيسه إلى عام (١٩٢٢م) ويضم المركز مسجداً ضخماً ومدرسة ابتدائية وروضة أطفال، ويهتم بتعليم الدين الإسلامي واللغة العربية وإلقاء الندوات والدروس الإسلامية وعقود الزواج، وكذلك توجد الجمعية العربية الأرجنتينية الإسلامية وتتبعها مدرسة ابتدائية وروضة أطفال أيضاً.

هذا بجانب الجمعية الإسلامية العلوية الخيرية، والجمعية الإسلامية البيرودية (نسبة إلى قرية بيرود في سوريا)والعديد من المراكز الإسلامية ذات الأنشطة المحدودة، وكان آخر هذه المراكز، المركز الثقافي الإسلامى الذي أقامه الملك فهد بن عبد العزيز على نفقته الخاصة وافتتحه الرئيس الأرجنتيني" كارلوس منعم " والأمير"عبد الله بن عبد العزيز " ولى العهد السعودى في ٢٥ سبتمبر (٢٠٠٠م) ، وحضر حفل الافتتاح كبار المسؤولين في الأرجنتين، وأعضاء البعثات وممثلو السلك الدبلوماسي العربي والإسلامى ورؤساء المراكز والجمعيات الإسلامية في الأرجنتين ودول أمريكا الجنوبية.

ويوجد في الأرجنتين المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في العاصمة (بيونس أيرس)، يضم كل المنظمات والهيئات والجمعيات الإسلامية في الأرجنتين، ويقوم المجلس على توحيد الجهود المبذولة في الدعوة الإسلامية، وفتح قنوات اتصال مع الحكومة الأرجنتينية ؛ وذلك للسماح لأبناء المسلمين بأن يسموا بأسماء إسلامية[١٢] .

هذا بجانب توحيد التوقيتات الإسلامية بين المنظمات على توحيد أيام الأعياد الإسلامية، والاحتفال بشهر رمضان ، وعلى الرغم من هذا كله تواجه الأقلية المسلمة في الأرجنتين العديد من التحديات أبرزها زيادة المنظمات التنصيرية بين أبناء المسلمين والتعصب الكاثوليكي ضد الإسلام، وفرض عقوبات على الكاثوليكي الذي يعلن إسلامه ، مما دفع البعض لأن يؤمن بالإسلام ويخفى إسلامه في قلبه ويمارس طقوس وعبادات دين آخر، وبالتالي لم يكن مستغرباً أن يتواجد العديد من الشباب المسلم يمارسون الطقوس المسيحية، في الوقت الذى لا يدخلون فيه إلى المسجد لأداء الصلاة .

أما وضع المسلمين في الأرجنتين بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر في الولايات المتحدة ، فهو لم يختلف كثيرا عن الفترة السابقة على الأحداث ، وما يزال المسلمون يطالبون بحقوقهم في حرية التدين وممارسة الطقوس الإسلامية مثل غيرهم من أصحاب الديانات الأخرى ، وعلى المستوى الرسمي أعلن الرئيس الأرجنتيني تأييده لإعلان الولايات المتحدة الحرب على الإرهاب، وسلمت الحكومة الأرجنتينية للإدارة الأمريكية قائمة تضم المنظمات والجمعيات الإسلامية النشطة في الأرجنتيني والجهات التي تقوم بتمويلها، وكذلك بعض العناصر التي تمارس نشاطا دعويا في (بيونس أيرس)، ومن هنا فقد أغلقت العديد من الجمعيات مقراها لعدم قدرها على صرف مرتبات موظفيها، ورغم ذلك يزداد عدد الذين يدخلون الإسلام هناك يوما بعد الآخر.

ثالثاً: أوضاع الأقليات الإسلامية في المكسيك قبل وبعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر (٢٠٠١م)

تعد المكسيك هي ثالثة جمهوريات أمريكا اللاتينية مساحة بعد البرازيل ، وقد ظلت تحت الاحتلال الإسباني لأكثر من ثلاثة قرون ، واعتبرتها إسبانيا الجديدة، وتتكون في معظمها من (٣٢) ولاية، ويحدها من الشرق خليج المكسيك، ومن الغرب المحيط الهادي ومن الشمال الولايات المتحدة، ومن الجنوب الشرقي جواتيمالا، ولها حدود مشتركة مع الولايات المتحدة عبر كاليفورنيا [١٣] .

ويبلغ عدد سكانها (١١٠) مليون نسمة ، يصل عدد الأقلية المسلمة منها نحو (١٣٩) ألف مسلم، وتتميز المكسيك بكثرة غاباتها لذلك اعتمدت في اقتصادها من البداية على تجارة الأخشاب، ثم ظهر الحديد والنفط، ويقوم قطاع كبير من السكان بحرفة الرعي وتربية الأبقار [١٤] .

أما عن الإسلام في المكسيك فقد وصل هذه المنطقة من خلال الإسبان المسلمين، الذين استوطنوا المكسيك لحوالى ثلاثمائة عام تقريباً، هذا بجانب تجارة الرقيق من إفريقيا حيث قامت إسبانيا بجلبهم والاعتماد عليهم في الزراعة وحرفة الرعي، ومن أبرز القبائل المسلمة التى جاءت مع تجارة الرقيق للمكسيك الفولاني، والموسى، الماندنجو، والتكرور، ثم قامت بعد ذلك هجرات عديدة من الصين وبلاد الشام زاد خلالها تعداد المسلمين الذين لا يميلون إلى تنظيم أنفسهم، فهم مبعثرون ومشتتون على ولايات المكسيك كلها.

ويعد المركز الاسلامى المصري في المكسيك من أبرز المعالم الإسلامية هناك، حيث يقوم على رعاية أبناء المسلمين وخاصة من الجالية الإسلامية المصرية[١٥] ، وتقوم على رعايتهم علميًّا وثقافيًّا وتربويًّا، مع إعطاء محاضرات ودروس في اللغة العربية، وتلاوة القرآن الكريم ، إلا أن المركز ما يزال يعانى من قلة الموارد والدعم اللازمين للاستمرار في ممارسة أنشطته المختلفة، مما يضطر القائمون عليه إلى إغلاقه لشهور متتالية لحين توافر الدعم اللازم .

أما عن وضع الأقليات الإسلامية في المكسيك بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر (٢٠٠١م) بالولايات المتحدة، فهو يزداد سوءًا ، وخاصة وأن المكسيك الأقرب مكانيًا للحدث، وأن العديد من الأقلية المسلمة في الولايات فرت عبر الحدود إلى المكسيك في أعقاب التفجيرات؛ الأمر الذي دفع المخابرات المركزية الأمريكية إلى تعقب بعض الفارين في المكسيك واتهامهم بالتعاون مع تنظيم القاعدة، وأن عمليات القبض التي تمت على العديد من الأقلية المسلمة في المكسيك كانت تتم بصورة عشوائية ودون أدلة أو حقائق مؤكدة.

وعلى الرغم من أن الأقليات الإسلامية في المكسيك تتسم - كما أشرت سابقاً - بالتشتت وعدم التنظيم، إلا أن أحداث سبتمبر دفعتها لأن توحد صفوفها ضد الحملات التي تقوم بها المخابرات المكسيكية بالاشتراك مع المخابرات الأمريكية، كما زاد من الإقبال على شراء آلاف النسخ من القرآن الكريم من قبل الجاليات غير الإسلامية في محاولة للتعرف على الإسلام بعيدا عن صخب وسائل الإعلام التي لم تتوان عن تشويه صورة الإسلام عند غير المسلمين ، ومن هنا فإن وضع المسلمين في المكسيك يصدق عليه القول : " رب ضارة نافعة " ، فقد جاءت أحداث الحادى عشر من سبتمبر والتضييق على الأقلية المسلمة فى المكسيك لأن تقوم فئات عديدة من الشعب بقراءة أصول هذا الدين فى محاولة لفهم ما يقوم عليه وتبين ما ينشر فى وسائل الإعلام الغربية عن هذا الدين ، مما دفع العديد من المثقفين ورجال أعمال للدخول فى الإسلام ، وهم فى كامل اقتناع من أن هذا الدين هو الدين الحق الذى ينتشر رغم المحن والعقبات التى تعترض طريقه حيث تحركه قوى أكبر من قوى البشر.

هوامش الفصل العاشر

(١) حسين مؤنس : أطلس تاريخ الإسلام، مرجع سابق ، ص٤٢٦ .

(٢) المسلمون في العالم، تقرير منظمـــة المؤتمر الإسلامى لعام (٢٠٠٢م).

(٣) سيد عبد المجيد بكر : المسلمون في العالم، مرجع سابق ،ص٣٢٧ .

(٤) المسلمون في العالم، تقرير منظمة المؤتمر،مرجع سابق، ص٤٥.

(٥) صلاح الشامي : جغرافية العالم الإســلامى (الإســكندرية: منشــأة المعــارف ١٩٩٨م) ص٣٣١.

(٦) سيد عبد المجيد بكر : الأقليات الإسلامية في العالم، مرجع سابق ، ص٣٣٩ .

(٧) الأقليات الإسلامية في العالم، مرجع سابق، ص٣٦٠ .

(٨) طه عبد العليم : جغرافية العالم الإسلامى، مرجع سابق، ص ٢٣ .

(٩) سيد عبد المجيد بكر : الأقليات الإسلامية في العالم، مرجع سابق ،ص٣٦١.

(١٠) محمود أبو العلا : جغرافية العالم الإسلامى، مرجع سابق ،ص٥٤ .

(١١) سيد عبد المجيد بكر: الأقليات الإسلامية في العالم، مرجع سابق ، ص٣٢٨ .

(١٢) المرجع السابق ، ص٣٣٠ .

(١٣) المرجع السابق ، ص٣٢٥ .

(١٤) تعداد المسلمين في العالم، تقرير منظمة المؤتمر الإسلامى عــام ٢٠٠٢م) ص ٩، ١٠.

(١٥) محمود أبو العلا : جغرافية العالم الإسلامى، مرجع سابق ص٢٣-٣٣ .

الفصل الحادى عشر

أحوال الأقليات والجاليات الإسلامية فى العالم الجديد

قبل وبعد أحداث ١١ سبتمبر (٢٠٠١م)

الفصل الحادى عشر
أحوال الأقليات والجاليات الإسلامية فى العالم الجديد
قبل وبعد أحداث ١١ سبتمبر (٢٠٠١م)
مدخل

يعد التمييز العنصري إحدى السمات التي يتسم بها الوضع السياسي والاجتماعي للأقليات الإسلامية في قارات العالم الجديد، أو بمعنى أكثر تحديداً في الولايات المتحدة الأمريكية وكندا، حيث يتم التعامل مع الإسلام والمسلمين هناك على أنه دين عربي جاء ليغزو العالم بالسيف حتى يصبح جميع البشر أتباعاً له، بجانب كونه مطروحاً في هذه الحقبة من القرن الحادي والعشرين بقوة ليحل محل النظم السياسية والاجتماعية السائدة في عالم ما بعد الحرب الباردة، وعلى الرغم من تزايد عدد المسلمين هناك إلا إنهم يتعرضون للتمييز العنصري والتضييق عليهم في العديد من المجالات والأنشطة المختلفة.

كما تجدر الإشارة هنا إلى تزامن الصراعات الدينية والعرقية التي شهدها العالم في العشر سنوات الأخيرة من القرن العشرين مع أطروحة المفكر الأمريكي " صمويل هنتنجتون " صدام الحضارات ، والقلق الغربي والفراغ الإستراتيجي الذي أوجده الانهيار الشيوعي، فضلا عن تصاعد تيار الإسلام السياسي لدى العديد من الدوائر الفكرية والعلمية في أوروبا وأمريكا (١) ، حتى إن البعض وصف الإسلام وتأثيره على حركة الشعوب الإسلامية والعربية بأنه أخطر على الغرب من الشيوعية القديمة (٢).

وبالتالي كان سعى الولايات المتحدة الأمريكية إلى تطويق العالم الإسلامي والإطالة في وضع حلول لما يحدث في نطاقه الجغرافي من صراعات وفتن ودسائس واضطرابات، وكذلك ما يحدث للأقليات الإسلامية في أوربا، والمناطق المضطربة في شبه القارة الهندية، وآسيا الوسطى وبلاد ما وراء النهر.

وبعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر كان على الأقليات الإسلامية في الولايات المتحدة وكندا أن تستقبل الصدمة الأولى ، وأن يكون تفريغ الخوف والحقد الصليبي

الدفين فيها أولا، وقبل غيرها، فالتهديد بالإبادة والتصفية وتعقيد سبل الحياة فى نواحى الإقامة والجنسية والهجرة والمضايقات والتهديد بالقتل والتشريد أصبحت هي السمة الغالبة بعد التفجيرات التي هزت الولايات المتحدة بعنف، في واقعة لم تحدث من قبل و لم يكن أحد يتصورها.

وعلى هذا شكلت تفجيرات نيويورك وواشنطن تحديا بالغ الخطورة للأمن القومي الأمريكي، فهي المرة الأولى يتم فيها اختراق العمق الداخلي للولايات المتحدة بهذه الصورة، إذ إن جميع الحروب التي خاضتها الولايات المتحدة قد كانت خارج أراضيها ، و لم يحدث قط أن تعرضت الولايات المتحدة لهجوم مسلح من جانب أعداء خارجيين مثلما كان يوم الحادي عشر من سبتمبر (٢٠٠١م) ، كما اكتسبت هذه الأحداث أهميتها من العدد الضخم فى الضحايا والخسائر المالية الكثيرة والتي قدرت بما خسرته الولايات المتحدة في كل حروبها السابقة .

والسؤل المطروح الآن : ماذا عن وضع الأقليات الإسلامية في دول أمريكا الشمالية وأستراليا وتحديدًا في كندا والولايات المتحدة وأستراليا بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، حتى تتعرض لكل هذا الاضطهاد والعنف هناك ؟

أولا: أوضاع الأقليات الإسلامية في كندا
قبل وبعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر (٢٠٠١م)

تعد كندا من دول العالم الجديد، مع أن تاريخها ممتد إلى اكتشاف الأمريكتين عام (١٤٩٧م) ، وكانت محل أنظار الدول الاستعمارية الكبرى مثل بريطانيا وفرنسا، وخضعت لبريطانيا من (عام ١٨٦٧م وحتى عام ١٩٣١م) ، ويتحدث سكان كندا اللغتين الإنجليزية والفرنسية، فهي تركيب غريب نادرا ما يتحقق في دولة، فنصف السكان يتحدثون الإنجليزية والنصف الآخر يتحدث الفرنسية (٣) .

يحدها من الشرق المحيط الأطلنطى، والمحيط الهادي من الغرب، ومن الشمال المحيط المتجمد الشمالي، والولايات المتحدة من الجنوب، وولاية ألاسكا من الشمال الغربي، ويصل عدد سكانها حوالي (٢٩) مليون نسمة، يتوزعون على (١٢) ولاية، يبلغ المسلمون نحو (٨٧٠) ألف مسلم ، وتتميز كندا بتنوع محاصيلها الزراعية مثل القمح بجانب الثروة المعدنية والصناعات القائمة على النفط وقطع الأخشاب والصناعات الورقية (٤) .

أما وصول الإسلام إلى الأراضي الكندية ، فقد جاء في أعقاب اتجاه الهجرات العربية والإسلامية إلى كندا في أواخر القرن الـ (١٩) الميلادي ، وأغلبهم جاء من تركيا، وسوريا، ولبنان، وفلسطين ومصر.

وفى مطلع القرن العشرين تزايدت الهجرات إلى كندا بشكل ملحوظ فإحصاء عام (١٨٧١م) سجل (١٣) مسلما فقط، وفى عام (١٩١٠ م) زاد العدد لـ (٢٥٠٠) مسلم، وفى عام (١٩٨٠م) بلغ عدد المسلمين في الولايات الكندية حوالي مائتي ألف مسلم، أما إحصاء عام (٢٠٠٠م) فيشير إلى أن عدد المسلمين حاليا في كندا (٨٧٠) ألف مسلم نصفهم من الأصول الكندية، والنصف الآخر من العرب والدول الإسلامية، وقد يرجع هذا التزايد إلى ما تتسم به كندا من حرية التدين، وهذا ما ساعد العديد من المنظمات والجمعيات الإسلامية إلى تنشيط حركة الدعوة في هذه المنطقة ، التي لم تكن تسمع عن الإسلام قبل القرن العشرين (٥) .

ويتركز أغلب مسلمي كندا في ولاية (مانيتوبـا، ونيوفوندلانـد ، وكويبـك) ويصدرون صحيفة (إسلام كندا) بصفة شهرية منذ عام (١٩٧٢م)، وغالبية الأقلية المسلمة في كندا على المذهب السني، وعدد قليل من الشـيعة (٦) ، ووفـق القـانون الكندي لا توجد قيود على حرية العبادة، إلا أن القيود التي تفرض على المسلمين دون غيرهم هي في الواقع غير مكتوبة، وإن كان لها قوة القانون، وتأخذ أشـكالا منـها التمييز العنصري، والديني، واللغوي .

وهى تتنوع مابين صعوبات داخلية، حيث تمثل كل جماعة من المسلمين بمفردهـا مجتمعاً منعزلاً، وإن كانوا في النهاية ينتمون إلى عقيدة واحدة، فالمسلمون العراقيون لا يشعرون براحة لمسلمي إيران، أو الكويت، أو مصر بينما مسـلمو المملكـة العربيـة السعودية يعادون المسلمين الليبيين، وعلى هذا النحو يعيش ما يقرب من مليون مسلم في كندا حياة يسودها عدم الانسجام وعدم التوحد والتفسخ، وارتفاع النبرة القوميـة والعصبية عن الهوية الدينية.

كما يوجد تعصب مذهبي بين مسلمي كندا أنفسهم، فالمسـلمون السـنة لهـم مساجدهم واحتفالاتهم الخاصة، والمسلمون الشيعة لهم أيضا مساجدهم واحتفـالاتهم التي تختلف في معظمها عن الممارسات التي يقوم بها السنة، بما فى ذلك وضع الأطفـال والتعاملات التجارية ، فأطفال السنة لا يتعلمون في مدارس الشيعة، وأطفال الشـيعة محرم عليهم تلقى أية دروس في المدارس التابعة لأهل السنة، وكذلك المستهلك السـني لا يشترى شيئًا من المواد الغذائية أو حاجاته المترلية من تاجر شيعي، ويفضل أن يأخذ متعلقاته من تاجر مسيحي أو بوذي، وهذا ما أدى إلى ضعف شوكة هذا العدد الكبير من المسلمين مما سهل على التيارات المعادية للإسلام الاستفادة مـن هـذا التشـرذم والخلاف ، وخاصة القاديانية الماسونية، والبهائية في تورنتو، والمنظمـات التنصـيرية النشطة ؛ لأن تلعب الدور المؤثر وسط التجمعات الإسلامية في مونتريال، ويعلى مـن حدة الصراع عادة وسائل الإعلام المكتوبة والمرئية التي تؤول ملكيتها لرجال أعمـال من اليهود.

أما عـن وضـع الأقليات الإسلامية في كندا بعـد التفجـيرات الأمريكيـة الأخيرة (٢٠٠١م) ، فإن الوضع لم يتغير ، وما يزال الخلاف هـو السـمة المميـزة لمسلمي كندا ، فضلا عن عدم وجود منظمات إسلامية نشطة تطـرح كـل هـذه

الخلافات وراء ظهرها ، والنظر لمستقبل الإسلام في هذه الأرض البكر، فالذي تغير هو فقط الحد من أنشطة بعض المنظمات الإسلامية وإغلاق مكاتبها ، وقيام الشرطة الكندية بتسليم بعض الإسلاميين للمخابرات الأمريكية لمجرد الشك في انتمائهم لتنظيم القاعدة ، وقيام الشرطة بالتضييق على المسلمين عند أداء صلواقم، حيث تؤدى وسط حراسات مشددة ، فالصورة المشوهة التى طرحتها وسائل الإعلام بكندا عن الإسلام والمنتمين إليه، ووصفهم بالإرهاب في ظل غياب تنظيمي وإعلامى من جانب مسلمي كندا استطاعت أن تؤثر بالفعل على وضع الأقلية المسلمة هناك.

ثانيا: أوضاع الأقليات الإسلامية في الولايات المتحدة قبل أحداث الحادي عشر من سبتمبر(٢٠٠١م)

تختلف مشكلات الأقليات الإسلامية في الولايات المتحدة عن نظيراتها في بلدان العالم المختلفة، حيث إن الأقليات الإسلامية في إفريقيا وحسب ما أكدته الدراسة تسيطر عليها النصرانية من جراء حملات التبشير التي جاءت من أوروبا لهذا الغرض، بينما الأقليات الإسلامية في أوربا الشرقية كانت تسيطر عليها الشيوعية التي حاولت على مدى سبعين عاماً محو الثقافة الإسلامية، وسقطت الشيوعية دون أن تحقق ما كانت تتطلع إليه على الصعيد الداخلي والخارجي، وظل الإسلام رغم الاضطهاد والعنف الذي تعرضت له الأقليات المسلمة هناك ؛ بل إنه كان في مقابل هذا العنف في تزايد مستمر يوماً بعد الآخر.

أما الأقليات الإسلامية التي تقطن أوربا الغربية وأمريكا ودول الباسيفيك فهي تعاني أنواعاً مختلفة من التحديات تتمثل في الاضطهاد الديني والسياسي ، والتدني في مستوى الخدمات الأساسية التي تقدم لهم كالتعليم وممارسة كافة الحقوق السياسية والدينية(٧)، وقد يرجع ذلك إلى الطبيعة الديمغرافية للمجتمع الأمريكي الذي يتركب من خليط من الأجناس والأعراق والألوان واللغات المتباينة،حيث يجمع داخله- تقريباً- أغلب سكان الأرض معاً، في هذه الدولة " القارة " التي تسيطر الآن بنفوذها السياسي والعسكري على شعوب العالم، وتحاول منذ بداية التسعينيات أن تضع دستوراً عالمياً، وفق الرؤية الكونية لعالم ما بعد الحرب الباردة (٨) .

فالمسلمون في الولايات المتحدة يشعرون بالتحدي الحقيقي لهويتهم، وتناقض قيمهم الدينية ومسيرة الحياة من حولهم مع ما يعتقدون، وهم في هذه الحالة أمام خيارين: إما أن يعتزلوا الحياة في ظل هذه المجتمعات التي هي في نظر بعض الجماعات الإسلامية (كافرة) ، أو أن يغوصوا فيها بقيم دينية تتجاوب مع الواقع المعاش دون المساس بأصول العقيدة، خاصة وأنه لم يعد أمام الولايات المتحدة الأمريكية – بعد سقوط الشيوعية – غير الإسلام، إذ إن الفوران الذي تشهده مناطق عديدة من العالم اليوم يعد نابعاً من صراع الأديان والأيديولوجيات المختلفة.

وعلى هذا ما تزال الثقافة الغربية محملة منذ القدم بأوهام كثيرة تجعل من الإسلام عدوا تاريخيا للغرب، وتأخذ هذه الأوهام الطابع الديني أحيانا بجانب العوامل السياسية والاقتصادية المصاحبة للصراع ، وإن كانت في حقيقتها قائمة على التميز الثقافي والموروث الديني.

التنوع السكاني في الولايات المتحدة:

تحتل الولايات المتحدة الترتيب الرابع بالنسبة لدول العالم من حيث المساحة والسكان حيث تبلغ مساحتها (٩,٠١٦٠,٤٥٤) كم، ويقدر عدد سكانها (٢٤٦) مليون نسمة وفق إحصائية عام (٢٠٠٠م) تقريبا ، يمثلون أكثر من خمسين ولاية أمريكية [٩].

وقد بدأ التركيب الهيكلي للولايات المتحدة باتحاد ثلاث عشرة ولاية أعلنت استقلالها عن بريطانيا عام (١٧٧٦م) وتعد ولايتا (هاواي وألاسكا) آخر ولايتين انضمتا للولايات المتحدة، وكان ذلك عام (١٩٥٩م) [١٠] .

أما بالنسبة للأديان في الولايات المتحدة فيأتي الإسلام في المرتبة الثانية مباشرة بالنسبة للتركيب الديموغرافي للسكان بعد المسيحية؛ حيث يسبق الإسلام اليهودية في عدد المنتمين إليه، كما يعد أسرع الديانات نموا وانتشارا في العالم اليوم، وخاصة في الولايات المتحدة، وحسب ما تشير إليه العديد من الدراسات لا يزال هناك بعض الغموض حول حجم المسلمين الحقيقي في الولايات المتحدة [١١] ، إلا أن الثابت ووفق الإحصائيات الرسمية التي قامت بها المراكز الإسلامية هناك، أن عدد مسلمى أمريكا يقدر بـ (١٠) ملايين مسلم في الوقت الذي تؤكد فيها بعض مراكز البحوث والدراسات السياسية في أوربا أن عدد المسلمين في الولايات المتحدة لا يتجاوز الـ (٨) ملايين مسلم فقط [١٢] .

وعلى هذا ، فإن المجتمع الأمريكي ليس كله أوربيين بل شعوب هجينية اختلطت فيها دماء النازحين بدماء الهنود الحمر والزنوج من أمريكا اللاتينية[١٣] ، وإن غلبت فيها الدماء الأوربية، إلا أن شعب الولايات المتحدة وإن كان هو الآخر شعبا هجينيا، فإنه عزل نفسه من الاختلاط بالزنوج والهنود الحمر منذ زمن بعيد، وأصبح بمرور السنين شعبا جديدا، فى الوقت نفسه لم يمنع من قبول (الآخر) ، حيث جاءت جموع عديدة من العرب والمسلمين إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، ومن دول ذات أغلبيات

مسلمة، وعن طريق الهجرة وتزايد معدلات الإنجاب بين المسلمين والتحول العقدى عن الديانات الأخرى زادت نسبة المسلمين هناك [١٤] .

وأدى انتشار الإسلام في الولايات المتحدة إلى قلق واضح في مراكز البحوث والدراسات السياسية الأمريكية تجاه تنامي الظاهرة الإسلامية، والتناقض في القرارات التي تتخذها بشأن المسلمين في أكثر من منطقة من مناطق العالم التي تشتعل فيها الصراعات بين الإسلام وغيره من الأديان الأخرى، حيث إن المترسب في أذهان علماء ومفكري الغرب أن الإسلام يهدد النفوذ المسيحي في كثير من بلدان العالم[١٥] ، حيث تمكن من أن يسقط الإمبراطورية الرومانية المسيحية، ومن بعدها كانت القسطنطينية، ثم انهيار الشيوعية، وتفكك الاتحاد السوفيتي والاتحاد اليوغوسلافي ، ورغبة دول الاتحاد مثل البوسنة والهرسك وكوسوفا في الاستقلال وتكوين دولة إسلامية وسط أوربا، مثلها في ذلك مثل ألبانيا التي تتمتع بأغلبية مسلمة تقدر بـ (٩٥ %) من إجمالي عدد سكانها[١٦] ، فكلما وجدت صراعات في الدول النامية صاحبها صراعات في الدول المتقدمة ذاتها مثل الصراعات الإثنية والدينية التي تكاد تحركها العرقيات والقوميات والأديان من جانب ، وبين الفقراء والأغنياء، والمعزولين والمهمشين من جانب آخر، وأبرز هذه النوعية من الصراعات تلك القائمة بين أبناء البلاد الأصليين والمهاجرين والتي عادة ما تأخذ طابعاً حاداً وعنيفاً فى العلاقات، وخاصة فيما يتعلق بأمور العقيدة والدين[١٧] .

واستطاع المسلمون العرب ومن البلدان غير العربية أن يقيموا لهم تنظيمات خاصة بهم، ومع كل ذلك ورغم مرور مئات السنين على تواجدهم على هذه الأرض ما زال المسيحيون في أمريكا والقادمون من أوربا ينظرون إلى المسلمين على أنهم " رعايا عثمانيون " إلا أن الراجح أن المسلمين لهم سمتان تميزهم عن غيرهم من اتباع الديانات الأخرى وهما [١٨]:

- إن المسلمين الأمريكيين يتأثرون بأربع هويات أساسية هي: الوطنية، العرقية، الإسلامية، الأمريكية، ولعل هذا الترتيب يوضح أن العامل القومي أو الوطني يغلب على العامل الديني في كثير من الأمور، وخاصة في مجتمع الأقليات الإسلامية في الخارج، ويشترك المسلمون مع غيرهم من أبناء الديانات والمعتقدات الأخرى كاليهود مثلاً في عدم الخضوع الكامل للثقافة المسيحية

السائدة داخل المجتمع الأمريكي، ويظل كل منهم محتفظا بتراثه وهويته وبمذاهبه العقدية التي جاء بها من بلده الأصلي .

● تباين علاقة المسلمين الأمريكيين بكل من الحزب الديمقراطي والجمهوري بتباين القضايا المطروحة، ومدى اهتمام برنامج الحزب بقضايا الأقليات الإسلامية هناك.

الدين والسياسة في الولايات المتحدة :

لعب الدين دورا أساسيا ومؤثرا – وما يزال- في القرارات السياسية في الولايات المتحدة الأمريكية، وخاصة بعد انهيار الاتحاد السوفيتي الشيوعي السابق؛ حيث أصبح كسب أصوات الأقليات الإسلامية في المجتمع الأمريكي هدفا أساسيا لكل مرشح لمنصب الرئاسة في الولايات المتحدة حتى في الانتخابات المحلية، حيث كان الرئيس الأمريكي السابق " بيل كلينتون " حريصا عند إعادة ترشيحه للمرة الثانية عقد لقاءات واجتماعات مع الأمريكيين العرب والمسلمين — من أصول أمريكية — والاستماع إلى آرائهم، وذلك لكسب أصواتهم في الانتخابات الرئاسية[١٩] .

وبالتالى فقد تأثرت الحياة السياسية في الولايات المتحدة بالعامل الديني من جانبين :

أحدهما : يكمن في سيطرة البروتستانتينية التي يؤمن بها غالبية الشعب الأمريكي على معظم القرارات المصيرية في الولايات المتحدة، حيث تركت هذه السيطرة بصماتها وأرست ملامحها على الاتجاهات الرئاسية، وارتباط منصب الرئيس بمذهبه الذى يؤمن به[٢٠] ، والذي يستوجب أن يكون بروتستانتينيا ، وإن كانت هذه القاعدة قد تم التغاضي عنها عند تولىالرئيس (كنيدي) رئاسة الولايات المتحدة؛ حيث لم يكن بروتستانتينيا بل كان يعتنق المذهب الكاثوليكي، ومنتميا إلى الحزب الجمهوري الذي يدعمه المذهب البروتستانتي، هذا بالإضافة إلى شرط أن يكون المرشح لمنصب الرئاسة الأمريكية من ذوى البشرة البيضاء، إذ إن الأمريكيين يكرهون الزنوج، وينظرون إليهم نظرة متدنية حتى وإن كانوا يعتنقون نفس المذهب الديني الذي يعتنقه الأمريكان البيض جميعهم، أو حتى من أصول أمريكية.

ويشترط في المتقدم لمنصب الرئاسة في الولايات المتحدة – أيضا – أن يكون أنجلو ساكسونيا، وإن تم التغاضي عن هذا البند – أيضا – عندما قام القس الزنجي (جيسي

جاكسون) بترشيح نفسه لمنصب الرئاسة الأمريكية، حيث لم يكن أبيض البشرة، وكذلك لم يكن أنجلو ساكسونياً، وقام المسلمون في الولايات المتحدة بالوقوف بجانبه في الانتخابات الرئاسية، نظراً لكون برنامجه كان يحمل الكثير والعديد من الحقوق المشروعة للأقليات المضطهدة داخل المجتمع الأمريكي ، وخاصة الأقليات الإسلامية (٢١) .

ثانيا : في تركب المجتمع الأمريكي من أقليات وإثنيات عديدة، حيث أدى هذا التنوع بين الأقليات إلى حدوث صراعات وأعمال عنف بين العديد من الأطراف، إذ تكمن الرغبة عند كل أقلية فى فرض قيمها وتصورها الديني على كل المجتمع أو على المنتمين إلى مذهبها الديني على الأقل .

بيد أن الواضح وبعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر (٢٠٠١م) أن البروتستانتينية هي أكبر الجماعات الدينية في الولايات المتحدة من حيث العدد، إلا أن نفوذها السياسي غير ملموس في مجالات الحياة المختلفة، إلا في الجوانب الرئاسية مع أنهم يمثلون (٥٩%) من مجموع الشعب الأمريكي، وقد يرجع قلة نفوذ الأغلبية البروتستانتينية في المجتمع الأمريكي سياسياً إلى عدة أسباب هي (٢٢) :

- إن الجماعة البروتستانتينية تتمتع بأغلبية عددية، وبالتالي فهم لا يتعرضون لأي صنف من صنوف الاضطهاد سواء أكان ذلك سياسياً أم اجتماعيا أم دينياً.
- إن الجماعة البروتستانتينية لا توجد لهم زعامة دينية مثل الكاثوليكية، إذ استطاعت الكنيسة الكاثوليكية التفوق على كنائس العالم، وخاصة عندما حجب الكاثوليك أصواتهم عن الرئيس الأمريكي الأسبق "روزفلت" بعد قرارات بابا الفاتيكان في هذا الشأن، وساندت الفاتيكان "كنيدي" حتى تولى الرئاسة في أمريكا، مع أنه لم يكن بروتستانتينيًا.

وبارك بابا الفاتيكان ترشيح الرئيس " بيل كلينتون " عند توليه منصب الرئاسة الأمريكية لأول مرة، وكان في مقابل هذا النجاح استشارة بابا الفاتيكان في مختلف القضايا الدولية ، وخاصة المتعلق منها بالوضع في منطقة البلقان وآسيا الوسطي والقرن الإفريقي، وكذلك القضايا التي ترتبط بعلاقة الدين المسيحي مع غيره من الأديان الأخرى، ومن هنا كان طبيعياً أن يتعرض كلٌ من القس "جيسى جاكسون " وزعيم

المسلمين السود " لويس فراقان " لحملات اضطهاد واسعة بسبب انتقادهم للسياسة الأمريكية التى تدعم الرؤية الإسرائيلية على طول الخط، وبالتالى لم يكن مستغربا أن يتلقى المتحدث باسم المركز الإسلامى فى لوس أنجلوس الدكتور " ماهر حتحوت " تهديدا بالقتل بسبب دعوته لجموع المسلمين فى أمريكا إلى قيد أسمائهم في كشوف الانتخابات، وكذلك الإعلان عن رغبة المركز الإسلامى في الدفع بمرشح مسلم في انتخابات الكونجرس الأمريكي، والإعلان عن حق المسلمين في ممارسة حقوقهم الانتخابية والسياسية مثل غيرهم(٢٣).

ولعل ذلك جاء في الوقت الذي رفضت فية جماعة (الكويكرز) المشاركة في الحروب التي تخوضها الولايات المتحدة خارج أراضيها، كما رفضت جماعة شهداء الرب تقديم التحية للعلم القومي الأمريكي،وكذلك الحال بالنسبة للمسلمين الأمريكان، حيث رفض الجنود المسلمون داخل الجيش الأمريكي المشاركة في الحروب التي تشنها الولايات المتحدة ضد الدول الإسلامية في أوربا أو العالم العربي الاسلامى، ففي عام (١٩٨٤م) رفض بعض جنود البحرية الأمريكية – وكانوا مسلمين – الانضمام إلى وحدات الجيش في بيروت، من منطلق ديني ، حيث يرفض الدين الإسلامى الاعتداء على الغير– وان كان من غير المسلمين – وحتى لا يضطر الجندي الأمريكي المسلم، إلى إطلاق الرصاص على أخ له في العقيدة دون ذنب إلا لأنه يدافع عن أرضه وشعبه (٢٤) .

وكذلك فى حرب فيتنام رفض مئات من الجنود الأمريكان المشاركة في الحرب لكون الشعب الفيتنامي شعبا مسيحيا مثلهم(٢٥) ، ويذكر أنه عندما نزلت الجيوش الأمريكية منطقة الخليج فيما يعرف " بحرب الخليج الثانية " لإخراج قوات " صدام حسين" من أراضى الكويت، قامت بترحيل أكثر من ألفى جندي من قوى التحالف، بعد أن اكتشفت المخابرات الأمريكية تأثير " إسلامهم " عليهم في العمليات العسكرية ، ورفضهم أوامر القادة العسكريين بإطلاق الرصاص على الأسرى العراقيين في منطقة حفر الباطن بالسعودية عام (١٩٩٠م) وكذلك تأثيرهم على زملائهم من أفراد الجيش الأمريكي وتحول العديد منهم عن ديانتهم المسيحية إلى الإسلام؛ مما أثار غضب الكونجرس الأمريكي وطالب الأعضاء بإحالتهم للتقاعد من الجيش ، حتى لا يصبح ما حدث في حفر الباطن ظاهرة داخل الجيش الأمريكي تختفي على إثرها الهيبة الأمريكية.

وبرز الإسلام في المجتمع الأمريكي كدين يدعو إلى التسامح والتفاعل مع المجتمعات غير الإسلامية منذ زمن بعيد، فهو لا يؤمن بالعزلة، أو حصر الدين في طقوس وممارسات تعبدية،تؤدى مثل غيرها من العبادات غير الإسلامية،وإنما تعاظم دور المبلمين في جوانب مهمة أهمها (٢٦):

- الرغبة الجماعية للمسلمين في البقاء كأفراد وجماعات عن طريق المشاركة السياسية والاجتماعية مع الجماعات الأخرى، مثل جماعة أمة الإسلام، وحركة دار الإسلام، والحزب الإسلامي لأمريكا الشمالية،وأنصار الله،والمنظمات الإسلامية المهنية والقيام بأدوار متميزة داخل المجتمع الأمريكي.
- زيادة التواجد الثقافي الإسلامي داخل المجتمع الأمريكي، وهذا العامـــل يـــرتبط بالقوة الاقتصادية للجماعة المسلمة، حيث يمثل المورد المالي ركنـــاً أساســـياً في الانتشار الثقافي على مستوى الولايات المتحدة ومســـتوى الأفـــراد، في حـــين يتشكل مجتمع الأقليات الإسلامية في الولايـــات المتحـــدة في صـــورة هيئـــات ومنظمات واتحادات طلابية ومهنية، ومن أبرز الجماعات الدينية الإسلامية الـــتي انتقلت من مجتمع الأغلبية في بلدها الأصلى إلى مجتمع الأقلية في الولايات المتحدة نتيجة ظروف معينة ، جماعة التبليغ والدعوة ، وأنصار السنة، وجماعة الإخـــوان المسلمين، والجماعة الإسلامية والجهاد الاسلامى ، وتنظيم القاعدة الذي يتزعمه " أسامة بن لادن" .

١ — جماعة التبليغ والدعوة :

وتؤدى جماعة التبليغ دورين مهمين داخل المجتمع الأمريكي، فهي تقوم على دعوة المسلمين إلى التمسك بعقيدتهم بأداء الفرائض في المساجد جماعة، وكذلك دعوة غـــير المسلمين إلى الإسلام وحثهم عليه، واستطاعت هذه الجماعة – التي يعد أغلب أتباعها من الباكستانيين – أن تحقق نتائج إيجابيـــة على الصعيد الدعوى، حيث أســـلم عـــن طريقها المئات من الأمريكان المسيحيين ومعتنقي المذاهب الأخرى.

٢ — جماعة أنصار السنة المحمدية:

ويطلق عليهم في المجتمع العربي (السلفيون) وهم يقومون بدور مهم أيضا في مجال الدعوة للإسلام، وذلك من خلال المحاضرات والندوات والخطـــب داخـــل وخـــارج

المراكز الإسلامية بالولايات المتحدة ، والعمل على العودة بالإسلام إلى ما كان عليه الصحابة والخلفاء الراشدون.

٣- جماعة الإخوان المسلمين:

وجماعة الإخوان هى جماعة دينية سياسية أسسها " الإمام حسن البنا " فى نهاية العشرينيات من القرن العشرين ، ووضعت على قائمة أهدافها مناصرة الأقليات الإسلامية فى الخارج، ودعمهم مادياً ومعنوياً، واستطاعت على مستوى الولايات المتحدة أن تقيم عشرات المدارس والمساجد والمراكز الإسلامية، ولم يهتموا كثيراً بالدعوة المباشرة،وإن كانوا أكثر فعالية فى المجتمع الأمريكي في المجالات الاقتصادية والمهنية عن غيرهم (٢٧) .

٤ – الجماعة الإسلامية:

هي جماعة نشأت على الدعوة للإسلام، ودعوة غير المسلمين للدين الإسلامى، إلا أنها أصبحت صورة مشوهة للإسلام عبر وسائل الإعلام الغربية، وخاصة بعد اتهام زعيمها الدكتور " عمر عبد الرحمن " – أحد أساتذة جامعة الأزهر – في تفجير مركز التجارة العالمي بأوكلاهوما،كما كان أحد الأسباب التي دفعت الإعلام الأمريكي ؛ لأن يهاجم الإسلام ويطالب بتصفية الدين الإسلامى من أوربا وأمريكا واتهامه بالدموية، والإرهاب والبعد عن الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة.

أما المنظمات والهيئات والاتحادات الإسلامية التي تفاعلت داخل المجتمع الأمريكي منذ زمن بعيد ، فكان أبرزها الاتحاد الإسلامي العالمي والذي تأسس (١٨٩٥م) والجمعية الخيرية الأمريكية للمسلمين الأفارقة والتي أنشأها الإمام " محمد ماجد " عام (١٩٢٧م) وهو سوداني الأصل، كما قام الدبلوماسي الأمريكي " محمد ديب " بتأسيس الجماعة الإسلامية بأمريكا لتلعب دورا مهما في مجال الدعوة إلى الدين الإسلامى (٢٨) .

وقد ازدهرت هذه المؤسسات بعد الحرب العالمية الثانية، وأنشأت عدة جمعيات طلابية للمسلمين في جامعات الولايات المتحدة،وذلك بعد وصول الطلبة المسلمين الوافدين من بلدان العالم الإسلامي لتلقى علوم الدراسات العليا هناك (٢٩) ، وساعد على ازدهار نظام الجمعيات والمنظمات الإسلامية التعديلات التي أقامتها الولايات المتحدة في

قوانين الهجرة، بالإضافة إلى السماح بتعدد المذاهب الدينية داخل المجتمع وإن كانوا من أبناء الدين الواحد.

وعلى هذا تتنوع وتتعدد المنظمات الإسلامية التي تعمل داخل المجتمع الأمريكي، والتي بلغت أكثر من (٧٥٠) منظمة وهيئة إسلامية تمارس جميعها أهدافاً محددة من جملة مليون ومائتي ألف جمعية ومنظمة مصرح بنشاطها رسميا بالولايات المتحدة (٧٥%) من هذه المنظمات تنصيرية وتبشيرية، ففي العشر سنوات الأخيرة من القرن العشرين أنفقت الولايات المتحدة على التنصير داخل أراضيها فقط ما جملته (٢٢٠) مليار دولار،كما توجد (٤) آلاف محطة تبشيرية و(٦)مليون منصر تتولى الولايات المتحدة تمويلهم في آسيا وإفريقيا [٣٠] .

أبرز الاتحادات والمنظمات داخل المجتمع الأمريكي :

الاتحاد العام للجمعيات الإسلامية:

وقد تأسس هذا الاتحاد منذ عام (١٩١٢م) وتتمثل الصعوبات التي تواجهه في ظاهرة الزواج المختلط بين المسلمين وغير المسلمين ، والتطبع بالتقاليد والسلوكيات الغربية، والبعد عن الإسلام ، وكذلك العجز في نظم التعليم الإسلامي من جميع جوانبه (مدرسين، مناهج، مدارس).

الاتحاد الإسلامي لأمريكا الشمالية:

وقد تم إشهار هذا الاتحاد عام (١٩٦٤م) بمشاركة مجموعة من الطلبة الدارسين بالجامعات الأمريكية، ويضم الاتحاد حوالي (٣٥٠) فرعاً داخل الولايات المتحدة.

رابطة الطلاب المسلمين :

وقد نشأت الرابطة في أعقاب الحرب العالمية الثانية من عدة جمعيات للطلبة المسلمين في جامعات أمريكا، وتكونت رابطة (M.S.A) بعيدة عن التمييز العرقي عام (١٩٦٣م) إلا أن الأحداث التي طرأت على المجتمعات الإسلامية والعربية انعكست بدورها على وضع المسلمين داخل الرابطة ، فساد الخلاف حول المسائل السياسية ، وتم تهميش العامل الديني الذي يكفل عملية التوحيد [٣١] بين هذه الجماعات.

كما تضم الولايات المتحدة - أيضاً - عشرات المنظمات والاتحادات الإسلامية حيث تعمل كل واحدة من هذه المنظمات فى إطار تعصبها المذهبي والقومي، ومن أبرز

هذه المنظمات: جمعية الدعوة الإسلامية الأمريكية، ورابطة الشباب العربي المسلم، وجمعية الشباب المسلمين لأمريكا الشمالية، ورابطة المجتمع الإسلامي، والرابطة الطبية الإسلامية، وجمعية علماء الاجتماع المسلمين الأمريكيين، وجمعية العلماء والمهندسين الأمريكيين (٣٢).

أما عن الهجرات الإسلامية في الولايات المتحدة، فالأجيال الأولى والثانية والثالثة من المسلمين المهاجرين للولايات المتحدة يتفاعلون مع الأوضاع السياسية للمجتمع بطرق متباينة، وذلك وفق مجموعة من المتغيرات والدوافع المختلفة؛ حيث إن معظم المهاجرين المسلمين قد جاؤوا من بلدان تفتقد الديمقراطية والحرية في الرأي والتعبير تقريبا، ويظلون على حالتهم من الفتور والافتقاد إلى الحماس بشأن المسائل السياسية، وإن كانوا يبحثون عن دور سياسي مؤثر داخل عملية صنع القرار في المجتمع الأمريكي، حتى إن الصحف التي قام العرب بإصدارها داخل الولايات المتحدة لم تؤد الهدف المنشود من ورائها(٣٣)، و لم تخدم مجتمعات الأقليات الإسلامية هناك، وذلك لأسباب عديدة منها:

- تعدد المذاهب والطوائف التي انتقلت مع المسلمين والمسيحيين على حد السواء إلى المهجر ،وحاربت بعضها بعضا حول هذه المسائل الفقهية والفرعية في الإسلام.
- كان أغلب أصحاب هذه الصحف من (الشوام) المسيحيين الذين كانت لديهم الخبرة الصحفية في إصدار المنشورات والدوريات المختلفة، والذين هاجروا من مجتمعاتهم إما لأسباب سياسية أو اقتصادية أو دينية، كما أدت مثل هذه الانقسامات بين المذاهب الإسلامية في مجتمع الأقليات المسلمة في أمريكا إلى بروز وتنامي اللوبي الصهيوني الذي أصبح يلعب دورا مؤثرا وحيويا في السياسة الأمريكية ، يليه في قوة التأثير ودرجة النفوذ السياسي الكنيسة المسيحية (كاثوليك — وبروتستانت) في الوقت الذي يمكن أن يلعب فيه اللوبي الإسلامي دورا مؤثرا هو الآخر في عملية صنع القرار في المجتمع الأمريكي من خلال عدة اعتبارات أهمها:

١- استغلال الطبيعة الدينية للشعب الأمريكي، فالأمريكيون مجتمع متدين يؤمنون بالمسيح،والمسلمون يؤمنون أيضا بأن المسيح رسول من رسل الله بعكس اليهود.

٢- استغلال وضعهم كأقلية ثانية، حيث يتفوقون عدديا على اليهود، وبالتالي قد يكون من الممكن أن يصبحوا قوة لا يستهان بها، إذا توحدت كلمة المسلمين داخل

الولايات المتحدة وكانت لهم قيادة واحدة حكيمة يلتف حولها (١٠) ملايين مسلم في أمريكا.

٣- استغلال الروح الرأسمالية التي تسيطر على العمليات الاقتصادية في أمريكا والدخول في المشاريع الكبرى، والمساهمة الإسلامية في الأنشطة الاقتصادية المختلفة حيث يمثل المجتمع الأمريكي سوقاً لكل فئة تريد أن تحقق نمواً اقتصاديا متميزاً.

المشكلات التي تواجه الأقلية المسلمة
في الولايات المتحدة قبل أحداث ١١سبتمبر(٢٠٠١م)

المسلمون في المجتمع الأمريكي لا يختلفون كثيرا عن غيرهم من المسلمين في أوربا وآسيا؛ فهم يعانون من مشكلات عديدة، بعضها داخلية ، والبعض الآخر خارجية، وقد تتنوع هذه المشكلات لتأخذ الطابع الفردي أحيانا – وهذا هو الغالب – بجانب المشكلات الجماعية والاضطهاد ضد من ينتمون إلى الإسلام بدون تميز، فالقوى المعادية للمسلمين الأمريكيين لا تقتصر على اللوبي الإسرائيلي ، فهناك أيضا الجماعات الدينية المتطرفة ، واللوبي الهندي ، واللوبي العلماني المتطرف، كل هذه الجماعات تسعى لمنع تقدم المسلمين سياسيا وإعلاميا بمختلف الطرق وعلى رأسها تشويه صورة الإسلام ، ووصم صورة المسلم لدى المواطن الأمريكي بالعديد من الصفات السلبية كالإرهاب والتطرف الديني، وتلك القوى هي التي بدأت المواجهة مع المسلمين الأمريكيين ومنظماتهم، بل إن المنظمات المسلمة تعمدت تلافي المواجهة انطلاقا من رؤيتها الإسلامية الداعية إلى السلام والانفتاح على الآخر ، ورغبة منها في عدم تشتيت موارد جماعتها الجديدة الناشئة في مواجهات حددها الآخرون ، ومن أبرز التحديات التي تواجه المسلمين في الولايات المتحدة(٣٤) :

١ – الزواج المختلط :

حيث تؤدى هذه المسألة إلى اختلاط الأنساب، وقد يقدم المسلم على الزواج من فتاة غير مسلمة، ليس من أجل تكوين أسرة مسلمة ؛ وإنما من أجل الحصول على الإقامة والجنسية الأمريكية أو المزدوجة ، وقد يسفر هذا الزواج عن أولاد ، وعندئذ تكمن الخطورة، ويصبح المسلم أمام خيارين إما الطلاق، وإما الإبقاء على زوجته غير المسلمة وعلى الأولاد، والخيار الأخير دائما ما يكون هو الحل من وجهة نظر المسلم المغترب.

٢ – التنوع في الهوية القومية :

وتتسم بلدان العالم الإسلامي بتباين توجهاتها الفكرية، ودرجة التمسك بالعقيدة الدينية، حيث إن الإسلام في إيران ليس هو نفسه الإسلام في السعودية، أو في مصر، فالواضح أن الإسلام الشيعي يختلف كثيرا عن الإسلام السني برغم أن الأصل فى الاثنين واحد، وهو الدين الإسلامي المتكامل في كل أجزائه.

٣ – قلة الموارد المالية بالنسبة لحجم العمل الإسلامي:

والملاحظ أن الأقليات الإسلامية في الولايات المتحدة لا يمتلكون إلا شركات صغيرة برأس مال ضئيل جداً، قد لا يساوى شيئاً بجانب حجم الاستثمارات والأعمال التي تقوم بها الطوائف اليهودية والمسيحية، وبالتالي يتحكم اليهود والمسيحيون في الأسعار وحركة السوق هناك تقوم (٣٥) .

٤ – قلة علماء الدين الإسلامي في أمريكا:

تعاني المنظمات الإسلامية في الولايات المتحدة من عجز كبير في النشاط الدعوى داخل الولايات المتحدة، فمعظم الدعاة الذين يقوم الأزهر بإيفادهم إلى مجتمع الأقليات الإسلامية تكون إقامتهم – في الغالب – قصيرة، وذلك لإحياء مناسبة دينية بعينها مثل شهر رمضان ثم يعودون، وأغلبهم لا يجيدون لغة البلد الذى يدعون للإسلام فيه .

٥– مشكلة التعليم الإسلامي:

نادراً ما يتم السماح للمسلمين ببناء مدرسة إسلامية لأبناء الأقليات الإسلامية، مما يدفع أولياء الأمور إلى أن يلحقوا أولادهم بالمدارس المسيحية، فيتعلمون أصول الدين المسيحي وأساليب الرقص الحديث، في الوقت الذي لا يعرفون فيه شيئاً عن دينهم الذي ينتمون إليه، وتتسع الفجوة عند مقارنة عادات وتقاليد المسلمين مع عادات المجتمع الأمريكي،الأمر الذي يصبح خطراً على الأجيال الصغيرة والتي عادة ما تكون سريعة التأثر بما تشاهده وتراه يومياً.

٦ – المشكلات الثقافية:

وتتمثل في قله أدوات الثقافة وعدم وجود إعلام قوى، يحفظ للمسلمين هويتهم وثقافتهم من حملات التشويه والاتهامات الباطلة للإسلام في الليل والنهار دون مبرر، عبر إعلام صهيوني أكثر تنظيما من الإعلام الاسلامى الذي يقوم على العشوائية في غالبية مراحل إنتاجه، فالملاحظ أن المسلمين ليسوا وحدة واحدة أو كيانا واحدًا داخل المجتمع الأمريكي ، بل في نزاع وخلاف مستمر، بعكس الأقليات الأقل منهم، كاليهودية مثلاً والتي تعد أكثر تنظيماً وتخطيطاً لمستقبلها عن المسلمين، على الرغم من تاريخ الإسلام الطويل في الولايات المتحدة ، ونسبة المسلمين التي بلغت حوالي عشرة

ملايين مسلم، إلا أن الإسلام كدين والمسلمين كأتباع لهذا الدين كيان هامشي غير مؤثر في عملية صنع القرار الأمريكي .

٧ – عدم فعالية الأندية الاجتماعية :

تعتبر الأندية الاجتماعية مكانًا لتجمع والتقاء الأسر المسلمة، كما تعد مكاناً للترفيه والتعارف، إلا أن واقع المسلمين في أمريكا يكشف عن أن جماعة أنصار السنة لهم أنديتهم، والشيعة كذلك لهم أنديتهم، ليس هذا فقط بل يختلفون بسبب قومياتهم أيضاً، فالمصريون لهم أنديتهم ، والسودانيون لهم أنديتهم، وبالتالي يفتقد المسلمون في أمريكا إلى التنسيق والترابط فيما بينهم.

٨ – المكائد الصهيونية:

العداء اليهودي للإسلام عداء قديم ، وفقدان الثقة بين الطرفين الإسلام – اليهودية شيء ثابت منذ القدم ، حتى لو أقام الطرفان علاقات ودية وتطبيع فيما بينهما، ومع أن اليهود لا يمثلون فى المجتمع الأمريكي أكثر من (٦) ملايين يهودي ، فإن معظمهم من رجال السياسة والفكر والأدب والفن والإعلام ، ويتحكمون في أكثر من (٩٥%) من وسائل الإعلام في الولايات المتحدة وأوربا [٣٦] ، وبالتالي يشنون حملاتهم ضد الإسلام من خلال صحفهم ، ووسائل الإعلام المختلفة ، وخاصة بعد أن أعلن "بابا الفاتيكان " براءة اليهود من تهمة صلب " المسيح " الأمر الذي وضع نهاية للعداء الأزلي الذي كان بين الجانبين وتركز عداؤهما ضد الإسلام ، والعمل على تشويه علماء الإسلام والنيل منهم من ناحية أخرى ، ولعل أهم ما يميز اللوبي الإسرائيلي كمصدر التحدي الأساسي للقوى الإسلامية الأمريكية المتصاعدة، هو ما تتصف به عداوته للقوى الإسلامية الأمريكية من تطرف شديد، ويتضح هذا التطرف في عدة مظاهر منها :

- **أولاً:** معظم القوى المعادية للإسلام تحاربه في قضية محددة أو في دولة ما، مثل معاداة بعض الجمعيات المسيحية المتطرفة للإسلام في السودان، ومعاداة اللوبي الهندي للإسلام في كشمير وباكستان، ومعاداة قوى الانحلال الأخلاقي لموقف الإسلام من العلاقات الجنسية، ويبقى اللوبي الإسرائيلي الذي يمتلك أوسع أجندة

معادية للإسلام والمسلمين في أمريكا، فهي تكاد تشمل جميع الــدول المســلمة والعربية.

- **ثانياً**: محاولة اللوبي الإسرائيلي القضاء على القوى الإسلامية في مهدها ومنعهــا من الحصول على أبسط حقوقها التي يكفلها لها الدستور الأمريكي.
- **ثالثاً**: قدرة اللوبي الإسرائيلي على تطوير آلة الدعاية التى ضللت الــرأي العــام الغربي عموما والأمريكي خصوصا فيما يجــري بالشــرق الأوسط، وألصقت صورة المسلــم والعربي لدى المواطن الأمريكي بالعديد من المفــاهيم الســلبية كالإرهاب والعنف.
- **رابعاً**: دخل اللوبي الإسرائيلي في عدائه للقوى الإسلامية الأمريكيــة مرحلــة جديدة حيث تخلى عن أسلوب العداء غير المباشر، وبدأ حملة لمقاومــة نجــاح المسلمين السياسي على المستويات المحلية ونجاح منظماتهم الكبرى في واشنطن.

٩ – التحدي الصليبي المسيحي:

في الوقت الذي ينادى فيه المجتمع الأمريكي بالحرية في ممارسة الشعائر والعقائد الدينية دون اضطهــاد أو إهدار لحقوق الإنسان، تتعرض الأقلية الإسلامية داخل مجتمع الحريات – الولايات المتحدة – لأشد أنواع الاضطهاد، والمتمثل في التمييز العنصري، فالمسيحيون الآن لا يرغبون في وجود (الآخر) معهم على أرض واحدة، نظراً لتزايده يوماً بعد الآخــر، مما يهدد الكيان المسيحــي داخل الولايات المتحدة بالانقراض، وكان في مقابل ذلك أن عملت الطوائف المعاديــة للإسلام على تكوين جيل من أبناء الإسلام لمحاربة الإسلام من الداخل، بالفكر والثقافة وبالمذاهب الهدامة أيضاً، والتي أبرزها [٣٧] :

- **القاديانية**: والتي تنتمي إلى الإسلام شكلاً فقط، أما مضموناً فهى أشد عداوة له، وتسمى في الولايات المتحدة (بالطريقة الأحمدية) ويقدر عددهم بـــ (٥) آلاف قادياني،ويصدرون جريدة (شروق الشمس)التى تدعمها الكنائس في أمريكا وتبث فيها سمومها ضد الإسلام والمسلمين في أمريكا ومن ثم العالم كله [٣٨] .

ومن هنا يمكن القول : إن الأقليات الإسلامية في الولايات المتحدة – مع ما تعانيــه من تمييز عنصري – استطاعت أن تنشئ لها كياناً سياسياً واجتماعيــا مميــزاً، إلا أن

الملاحظ أن المشكلات الداخلية والقومية بين الأقليات الإسلامية في المجتمع الأمريكي تكمن وراء تراجع فعاليتهم السياسية ، فإذا ما توحدوا أصبحت لهم الغلبة في العديد من القضايا التى ترتبط بمستقبلهم فى المهجر.

ثالثا: أوضاع الأقليات الإسلامية في أستراليا
قبل وبعد أحداث ١١ سبتمبر (٢٠٠١م)

تعد أستراليا أصغر قارات العالم وأقلها كثافة للسكان في الوقت الذي تتساوى فيه مع الولايات المتحدة من حيث المساحة، ولكن تعداد سكانها أقل من (عشر) تعداد سكان أمريكا، كما أنها أكبر بخمس وعشرين مرة من بريطانيا وأيرلندا.

ويبلغ عدد الأقلية المسلمة في أستراليا وفق إحصائية (٢٠٠٠ م) نحو " ٢٩٠ " ألف مسلم من أصل (١٥) مليون نسمة [٣٩] ، تضمهم (٥٦) جمعية إسلامية ، ويبلغ عدد المساجد في أستراليا نحو (٧٠) مسجداً وخمس مدارس إسلامية أشهرها مدرسة الملك فهد في سيدني ومدرسة الملك خالد في ملبورن[٤٠].

دخل الإسلام أستراليا عن طريق ثلاثة من رجال المسلمين من كشمير حيث نزلوا ميناء (ملبورن) ثم جاء من بعدهم (١٢) رجلاً مسلماً آخرون ليكتشف المسلمون هذه الأرض الجديدة قبل الاكتشافات الأوربية بزمن بعيد، هذا بالإضافة إلى وفود المئات من الطلاب المسلمين القادمين من آسيا طالبين العلم في معاهد وجامعات أستراليا ، ومعظمهم من الهند، وباكستان، وإندونيسيا،والفلبين، وتايلاند ، والملايو [٤١].

النشاط الإسلامي للأقلية المسلمة بأستراليا:

استطاعت الأقلية الإسلامية الموجودة في أستراليا أن توسع من مجالات أنشطتها في كل الولايات، فأقاموا الجمعيات والمؤسسات الدينية، وكذلك العديد من المساجد والمدارس، مما ساعد على تزايد دخول الأستراليين وأبناء الجاليات الأخرى في الإسلام، كما يوجد بأستراليا " ١٠ " مجالس ولايات بمعدل مجلس لكل ولاية أو مقاطعة بما في ذلك مجالس كل جزيرة كريسماس وجزيرة كوكوس[٤٢].

ومع النمو الإسلامي المتزايد في المقاطعات الإسلامية على المستوى الدعوى ، توجد هناك تيارات معادية تعوق الدعوة الإسلامية والنمو الإسلامي ، وتسبب له كثيراً من المتاعب أخطرها الطائفة " القاديانية " الذين يدعون أن الرسول محمدًا ﷺ ليس بخاتم الأنبياء ، ويؤولون قوله تعالى : ﴿ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴾ [الصف :٦] على أن المقصود بالآية أحمد غلام زعيم الطائفة القاديانية الروحي،

مما يثير ذلك الفتنة بين المسلمين الجدد ، وكذلك الذين ليس لديهم الدراية الكاملة بأمور الدين والعقيدة .

التحديات التي تواجه الأقليات الإسلامية في أستراليا قبل أحداث ١١ سبتمبر (٢٠٠١م)

وتشير الإحصائيات عن أحوال المسلمين في أستراليا : أن الإسلام أسرع الأديان السماوية انتشارا هناك رغم التحديات التي تواجه الجمعيات والمؤسسات الإسلامية في كل الولايات الأسترالية تقريباً.

وتتنوع هذه العقبات لتأخذ صورا عديدة من أبرزها:

١ – الخلافات بين الهيئات والجمعيات الإسلامية نظراً للاختلاف المذهبي لكل جماعة ، والافتقاد إلى العمل الموحد والرؤية المشتركة والمصير الواحد.

٢ – تنامي نشاط التيارات المعادية للإسلام كالماسونية والقاديانية والباطنية، وانعكاس خلافات العرب السياسية والمذهبية في بلدانهم على وضع المسلمين في أستراليا واستقرارهم السياسي.

٣ – التعصب القومي ضد الأقلية المسلمة عن طريق جماعة " مكافحة الإسلام " بالولايات الأسترالية، وبدعم الطوائف المسيحية واليهودية في أمريكا، لطرد المسلمين من مناطق تجمعاتهم.

٤ – عشوائية تدريس المناهج الإسلامية بأستراليا وخضوعها للأهواء الشخصية[٤٣]، وعدم وجود مرجعية دينية للمسلمين في مسائل الفتاوى والأحكام.

٥ – تزايد ظاهرة زواج المسلمين من غير المسلمات والعكس، وتغيير أسمائهم فيصبح اسم مصطفى: مايكل، وخديجة : جوليا، وفاطمة : فاى ، وعائشة : ريتا ، وأحمد: ألن [٤٤] ليحصل كل من هؤلاء على فرصة عمل أو وظيفة يتعايش منها .

الإعلام المعادى للإسلام في أستراليا:

يعطى القانون في أستراليا حقوقاً متساوية لكل الأديان، كما أن الحكومة لا تتدخل في مثل هذه المسائل، بل تشجع الأديان على إقامة مزيد من المدارس، ودور العبادة لكل الطوائف دون تمييز، ويعد المجال الإعلامي استثماراً مفتوحاً للجميع، وتعبر الصحافة والإذاعة والتليفزيون عن اتجاهات وأيديولوجيات وخطابات عديدة بما في ذلك الخطابات المسيحية واليهودية والإسلامية في آن واحد.

ويظهر التفوق المسيحي واليهودي في الأنشطة الإعلامية المختلفة ، فالأقباط بأستراليا يصدرون العديد من النشرات والدوريات التي تطعن في الإسلام ، وتتهم القرآن بالتحريف والأخطاء النحوية ، وأنه دين معادٍ للأديان والمعتقدات الأخرى .

أما الاتحاد الإسلامي الأسترالي فيصدر هو الآخر عددًا من النشرات بأكثر من لغة مثل (المنار) وتصدر كل شهرين، ولا تمارس الحكومة الأسترالية أية ضغوط على أية وسيلة إعلامية ، بل حرية التعبير في الإعلام مكفولة لكل أصحاب المعتقدات الدينية(٤٥).

وضع مسلمى أستراليا
بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر (٢٠٠١م)

عانت الأقلية الإسلامية في أستراليا مثل غيرها من الأقليات الإسلامية في العالم من اضطهاد وعنف وتدمير للمنشآت الإسلامية، والقضاء على المشروعات الإسلامية، وإغلاق الجمعيات الخيرية والإسلامية في المقاطعات الأسترالية، وقام العديد من أصحاب الشركات بالاستغناء عن الموظفين والعمال المسلمين باعتبارهم من الإرهابيين والمتطرفين، والتضييق عليهم حتى يعودوا إلى أوطانهم التي جاؤوا منها.

أما على المستوى الرسمي فقد منعت الحكومة فترات البث التي سبق وأن منحتها للأقلية المسلمة هناك ، ومصادرة أموال الزكاة المخصصة لفقراء المسلمين.

وعلى هذا ينبغي على الأقليات الإسلامية إزاء هذه التحديات أن تكون أكثر تضامنا وتماسكا من ذي قبل، حتى يشكلوا تكتلا قويا أمام التيارات المناوئة، مما يمهد الطريق أمام الأقلية الإسلامية لأن يصبحوا قوة مؤثرة في القرن الحادي والعشرين.

ولكن ماذا عن أحداث الحادى عشر من سبتمبر ومن كسب فيها ومن خسر ؟ وما هو موقف العالم الإسلامى مما يراه أمام عينيه ؟ بل ما هو موقف العالم من الإسلام بعد التفجيرات التي أصابت الولايات المتحدة في سبتمبر (٢٠٠١ م)؟

وما هي تداعيات هذة الأزمة على كافة المستويات العربية والعالمية وتأثيراتها على الديمقراطية وحقوق الإنسان وحقوق الأقليات فى العالم؟

ومتى تنتهي وإلى أي مدى سيمتد تأثيراتها ؟ هذا ما سنحاول الإجابة عنه في الفصل القادم .

هوامش الفصل الحادى عشر

(١) محمد السعدي : الجنوب في الفكر الإستراتيجي الأمريكى (بيروت:المستقبل العربي، عدد ٢٣٦، أكتوبر ١٩٩٨م) ص ٧٠ .

(٢) سيد عبد المجيد بكر: الأقليات الإسلامية في الأمريكتين (السعودية: هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية، ط ١٩٩٢م) ص ١٥٥ .

(٣) حامد سليمان : مسلمون لا تغرب عنهم الشمس (القاهرة : الزهراء للإعلام العربي، ١٩٩٤م) ص ٥٨- ٧٩ .

(٤) سيد عبد المجيد بكر: الأقليات في الأمريكتين، مرجع سابق ، ص ١٦٦، ١٦٧.

(٥) محمد السعدي : الجنوب في الفكر الإستراتيجي الأمريكى (بيروت :المستقبل العربي ، عدد ٢٣٦، أكتوبر ١٩٩٨م) ص ٧٠ .

(٦) هانيس ديتر : هل الإسلام يمثل خطرا على أوربا (بيروت: مجلة النهج عدد ٤٠، صيف ١٩٩٥م) ص ٢٣٧ .

(٧) سيد عبد المجيد بكر: الأقليات في الأمريكيتين، مرجع سابق ص ١٧ .

(٨) الهادي بخاري: خطط وبرامج للأقليات الإسلامية (جدة : مؤتمرالأقليات الإسلامية في العالم، الندوة العالمية للشباب الإسلامى) ص ٢٤٦.

(٩) مجدي الداغر: المسلمون في أمريكا (الكويت: مجلة الخيرية عدد ٧٧، سبتمبر ١٩٩٦م) ص ٢١.

(١٠) إبراهيم موسى: جدل الأنا والآخر (القاهرة: مكتبة مدبولى ١٩٩٧م)ص ١١٢.

(١١) سيد عبد المجيد بكر: الأقليات في الأمريكتين، مرجع سابق ص ١٧ .

(١٢) كارل ستون: أعداد المسلمين في أمريكا(في أيفون يزبك) المسلمون في أمريكا، (القاهرة: مركز الأهرام للنشر والترجمة، ١٩٩٨م) ص ٤٠، ٤١ .

(١٣) أيفون يزبك: المسلمون فى أمريكا (القاهرة: الأهرام للتأليف والترجمة ١٩٩٨م) ص ٦٠- ٦٥.

(١٤) جون أن فول: المسلمون في أمريكا في أيفون يزبك، مرجع سابق ،ص ٢٥٨.

(١٥) على جريشة : حاضر العالم الإسلامى، مرجع سابق ،ص ٢٨ .

(١٦) عبد الله عبد الدايم : العرب والعالم بين صدام الحضارات وحوار الثقافات (بيروت : المستقبل العربي ، عدد ٢٠٣، يناير ١٩٩٦م) ، ص ٢٣.

(١٧) أيفون يزبك : المسلمون في أمريكا، مرجع سابق ، ص ٢٦٦ .

(١٨) جمال سلطان: المسلمون في أمريكا، (القاهرة :مجلة المنار الجديدة ، عدد (٣) ، يوليو ١٩٩٨م) ص ١٥٧ .

(١٩) فواز جرجس : السياسة الخارجية الأمريكية تجاه الوطن العربي (المستقبل العربي ،عدد (٢٣٣)، يوليو ١٩٩٨م) ص ٩٤ .

(٢٠) عبد العزيز صقر: الدين والدولة في الواقع الغربي (القاهرة : دار العلم للجميع، ١٩٩٦م) ص ٢٧٨ .

(٢١) إيستيف جونسون : النشاط السياسي للمسلمين في أمريكا في أيفون يزبك : المسلمون في أمريكا، مرجع سابق ،ص ١٤٤ .

(٢٢) عبد العزيز صقر : الدين والدولة في الواقع الغربي، مرجع سابق، ص ٢٦٢ .

(٢٣) مجدي الداغر: المسلمون في أمريكا (جريدة الزهراء،عدد سبتمبر ١٩٩٥م) ص٩.

(٢٤) سليمان. س نيانج : التحديات التي تواجه مسلمى أمريكا : في أيفون يزبك : المسلمون في أمريكا، مرجع سابق، ص ٢٩٥.

(٢٥) إيستيف جونسون : النشاط السياسي للمسلمين في أمريكا، مرجع سابق ص ٤٤ .

(٢٦) مجدي الداغر : الأصولية الإسلامية (جريدة الزهراء، عدد أكتوبر ١٩٩٥م) ص ١١ .

(٢٧) محمد عبد العزيز داود : الجمعيات الإسلامية في مصر، (طنطا : مكتبة البشير، ١٩٩٧م) ص ٢٠ .

(٢٨) السيد خاطر : أنكل سام والإسلام (منظمة الشباب الإسلامى في فرنسا، ١٩٩٢ م) ص ٣ .

(٢٩) قطبي مهدى : المنظمات الإسلامية في أمريكا، في أيفون يزبك :المسلمون في أمريكا، مرجع سابق ، ص ٢٣، ٢٤ .

(٣٠) السيد خاطر : أنكل سام والإسلام، مرجع سابق، ص ٣٥ .

(٣١) سيد عبد المجيد بكر : الأقليات الإسلامية، مرجع سابق ص ٢٩، ٣٠.

(٣٢) سليمان، س. نيانج : التحديات التي تواجه مسلمي أمريكا، مرجع سابق ص٢٩٩ .

(٣٣) جمال قاسم : العرب في أمريكا، (القاهرة: معهد الدراسات والبحوث العربية ١٩٩٠م) ص ١٧٢.

(٣٤) سيد عبد المجيد بكر: الأقليات الإسلامية، مرجع سابق ، ص ٦٨-٧٠ .

(٣٥) المرجع السابق ص ٦٠- ٨٠ .

(٣٦) غازي السعدي : الإعلام الإسرائيلى (بيروت: دار الجيل للنشر والطباعة، ١٩٨٧ م) ص ٢١٧.

(٣٧) حامد سليمان : غربة الإسلام (القاهرة :الزهراء للإعلام العربي، ١٩٩٤م) ص٢١، ٣٢ .

(٣٨) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة (جدة: الندوة العالمية للشباب الإسلامى، ١٩٨٦م) ص ٦١- ٧٠ .

(٣٩) المسلمون في أستراليا : مجلة منار الإسلام، العدد ٢٥، نوفمبر١٩٩٠م) ص ١٢٧ .

(٤٠) أستراليا (الإمارات : مجلة منار الإسلام، مارس١٩٩٣م) ص٢٨.

(٤١) عبد الودود شلبي : التزوير المقدس(القاهرة : دار الشروق، ١٩٩٣م) ص٢٠.

(٤٢) سيد عبد المجيد بكر: الأقليات الإسلامية في العالم، مرجع سابق ص٤١ .

(٤٣) عبد الودود شلبي : التزوير المقدس، مرجع سابق ص٤٠ .

(٤٤) سيد عبد المجيد بكر : الأقليات الإسلامية، مرجع سابق ص٣٩ .

(٤٥) عبد الودود شلبي: التزوير المقدس، مرجع سابق ص٥٠ .

الفصل الثانى عشر

أوضاع الأقليات والجاليات الإسلامية فى الولايات المتحدة الأمريكية

بعد تفجيرات ١١ سبتمبر (٢٠٠١م)

الفصل الثانى عشر

أوضاع الأقليات والجاليات الإسلامية فى الولايات المتحدة الأمريكية بعد تفجيرات ١١ سبتمبر (٢٠٠١م)

مدخــل

اتسم عالم ما بعد الحرب الباردة بالعديد من السمات التي اعتبرت مـن الـدلائل المؤكدة على سيطرة القطب الواحد على مقاليد الأمور في عالم اليوم ، كان أبرز هذه السمات ظهور الصراعات الإثنية، والدينية، والطائفية بصورة أكبر مما كان عليه الحال زمن ما قبل الحرب الباردة، وبالتالي فإن دراستها وفهمها قد أخذ اهتماما موازيا مـع الحروب التقليدية التي كانت تقوم بها دولة أو مجموعة من الدول على أخرى، ومن هنا فقد أصبح الربط بين قضايا السياسة الداخلية وقضايا السياسة العالمية قويا، وفى أحيان مختلفة يصعب الفصل بينها.

فبعد انتهاء الحرب الباردة اعتبرت الدول الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة أن المعادلة القديمة بين الأمن والحرية لم تعد ضرورية ، وحسم الأمر الآن لصالح الحريـة، ووصل التاريخ إلى نهايته كما أشار إلى ذلك المفكر فوكوياما، والتحول من الضـبط والسيطرة إلى تطبيق التعددية السياسية والاقتصادية، و لم يعد مقبولا مـن دول العـالم الثالث أن تتعلل بوجود مشكلات واضطرابات أمنية داخلية لتقلل من هامش الحريـة، وأصبحت المساعدات الخارجية مرتبطة بالتغيرات السياسية والاقتصادية داخـل هـذه الدول، و لم تعد السيادة الوطنية سياجا يحمى الدولة من أي نفوذ خارجي، فقد غدت سيادة الدولة مفهوما سياسيا، فبقدر ما تعطى الدولة رعاياها من أقليات وجماعات من حرية، تحمى نفسها من التدخل السياسي الخارجي، كلما كان ذلـك أفضـل علـى مستوى الاستقرار الداخلي.

ولكن تداعيات أحداث الحادي عشر من سبتمبر أدت إلى تعـديل بعـض هـذه التوجهات الجديدة، فبعد أن كان الحديث في مجال المعادلة بين الأمن والحريـة لـدول العالم الثالث يأخذ الطابع النظري، أصبح الحديث عن الولايات المتحـدة فى الواقـع العملي وما حدث فى يوم ١١ من سبتمبر، حيث أدى الحدث إلى وجـود مفـاهيم جديدة للحرية، والأمن، من واقع التجربة التى مرت بها الولايات المتحـدة حكومـة

وشعباً، وبالتالي كان يستلزم ذلك أيضا مجموعة من العوامل والأدوات يشترط توافرها لأية أقلية ترغب في أن تضطلع بدور سياسي فعال على الساحة السياسية الأمريكية، وتتمثل تلك الأدوات في العدد، والتنظيم، والوعي والثقل المالي، والنفوذ الإعلامي، والهوية الدينية[١] .

وبالنظر إلى الأقليات والجاليات الإسلامية في الولايات المتحدة الأمريكية فإن عددها كما أشرت سابقاً يزيد على (١٠) ملايين مسلم من مختلف القوميات والعرقيات والأجناس ، يمثلون كتلة تصويتية تقدر بـ (٢) مليون صوت، يتوقع أن يزيد هذا العدد لـ (٣) ملايين صوت عقب الحملة التي تقوم بها التنظيمات والمعاهد العربية لتسجيل أسماء الناخبين العرب والمسلمين في كشوف الناخبين الأمريكيين وخاصة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ م[٢] .

أما من الناحية التنظيمية ، فقد تشكلت منظمات ومعاهد، وجمعيات عديدة للتعبير عن الأمريكيين المسلمين والدفاع عن مصالحهم وحقوقهم، غير أن هذه التنظيمات وتلك الجمعيات تفتقد إلى التنسيق والتعاون فيما بينها، حيث تعد مرآة للخلافات المزمنة بين العرب في بلادهم التي هاجروا منها، بجانب الخلافات السياسية التي ساهمت في تعزيز الانشقاقات، والصراع بين أبناء الدين الواحد حول بعض المسائل الفقهية والدينية ، والقضايا الخلافية التي قد لا ترتبط بجوهر الدين والعقيدة وخاصة بين أنصار المذهب الشيعي، والطرق الصوفية التي قد تأخذ مناحي أخرى غير المتعارف عليها في أصول الدين، كالصوفية، والنقشبندية، والقادرية، والقاديانية والميرغينية.

واستطاع الإعلام الصهيوني الموجه أن يؤثر بصورة كبيرة على محور تفكير المحللين السياسيين عقب أحداث سبتمبر ، فإلقاء التهمة على العرب والمسلمين له معنى ، وله عواقب كثيرة ، مهما أعلنت الولايات المتحدة أنها لا تحارب الإسلام والمسلمين وأن الدين الإسلامي دين يحترم الأديان الأخرى إلا أن الواقع العملي يعكس غير ذلك، فاتهام الإسلام بالإرهاب والتطرف قد يفسح الطريق واسعاً لارتكاب المزيد من العنف ضد المسلمين ، ولذا فإن فترة ما بعد الحادي عشر من سبتمبر ليس تغيراً في السياسة الأمريكية تجاه الإسلام والمسلمين، ولكنه كشف عن تحول تكون بالتراكم والتدرج عبر نحو (١٥) عاماً سواء تجاه العالم الإسلامي، والمنطقة العربية والمسلمين عامة.

إن الأزمة الأمريكية ليست في معايير أيديولوجية، أومعايير توازن القوى ، ولكن معايير ذات أبعاد ثقافية وحضارية لا يستطيع مصطلح الإرهاب إخفاءها؛ لأن هذا التقسيم يضع عالم الإسلام والمسلمين في كفة قوى الشر، أو محور الشر الذي أطلقته الإدارة الأمريكية على بعض الدول ، ويضع الآخرين في كفة، وهو تقسيم يتأثر باعتبارات ثقافية حضارية يفرزها اليمين الديني الأمريكي الذي يلعب دوراً سياسياً محورياً فى الإدارة الأمريكية الراهنة[٣].

أما قضية الوعي ، فإن الأقلية المسلمة في حاجة ماسة إلى غرس الوعي بين أبنائها خصوصاً الذين ولدوا داخل المجتمع الأمريكي، قبل غرس قيم العروبة والولاء للقضايا العربية، فهناك الحاجة إلى تعريف العربي — المسلم — الأمريكى، وتحديد الوجهة التي يتعين عليه الولاء لها، إلى جانب كونه مواطناً أمريكياً، وتحديداً بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر (٢٠٠١م).

فاليهود في العالم — وخاصة فى الولايات المتحدة — يمنحون كل ولائهم إلى إسرائيل إلى جانب ولائهم للولايات المتحدة، ويستطيعون العيش كمواطنين أمريكيين ويهود في الوقت نفسه[٤] ، ومن الناحية المالية والنفوذ الاقتصادي ، فإن الجالية العربية والإسلامية في الولايات المتحدة تعانى من ضعف ملحوظ فى قدرتها المالية اللازمة لتمويل الحملات الانتخابية للمرشحين فى دوائر الولايات المتحدة، ومن ثم تعزيز التأثير العربي — والإسلامي في مجريات عملية الانتخابات، بجانب ضعف المساعدات المالية التى ترسلها الدول العربية والإسلامية للجماعات والمنظمات في الولايات المتحدة وهى فى الغالب غير منتظمة، وتخضع أيضا لمواقف حكومات تلك الدول إزاء القضايا المطروحة.

أما على المستوى الإعلامى ، فإن اليهود يسيطرون على (٧٥%) من المطبوعات القومية العامة فى الولايات المتحدة و(٨٥%) من إجمالى البرامج التليفزيونية والقنوات الفضائية، وليس من شك فى أن ملكية الوسيلة الإعلامية تلعب الدور الحاسم فى سياستها وتوجهاتها ومضامين خطابها الإعلامى، لكن الملكية وحدها قد لا تكفى إن لم تستند إلى قاعدة سياسية — تنظيمية تكون الإطار البشرى والثقافي الموجه لوسائل الإعلام[٥] .

قد يكون ما حدث في الداخل الأمريكي كان أقرب للمشهد الذي عرفته الولايات المتحدة عقب الحرب العالمية الثانية، حيث الخوف من الشيوعية وانتشارها في الواقع الأمريكي، الأمر الذي يهدد المشروع الأمريكي، ومن ثم انطلاق الحملة الترويعية ضد كل من يشتبه في أنه ينتمي أو يروج لأفكار تقترب من الشيوعية ، وهي الحملة التي أطلقها السيناتور" جوزيف مكارثي" الذي يعتبره المؤرخون بداية لتبلور تيار اليمين المحافظ الجديد ، ثم خلفه السيناتور "باري جولد ووتر" الذي قام في عام ١٩٦٤م بتأسيس كتلة قاعدية داخل الحزب الجمهوري لدعم سياسات محافظة(جمهورية) أصبحت قادرة على تشكيل الرأي العام وتعبئة الناس خاصة الطبقات الوسطى الدنيا ذات التوجه المسيحي اليميني، واستطاع الحزب الجمهوري وحتى الآن أن يكون ممثلا لهذين الاتجاهين (اليمين السياسي واليمين الديني) [٦] ، لذلك يعتقد الرئيس الأمريكي بوش أن ما يقوم به من حروب، وتهديدات مرجعه بعض التفسيرات الدينية الواردة في الإنجيل،وبالتالي لم يكن مستغربا أن يصر الرئيس الأمريكي بعد فوزه بالرئاسة في الولايات المتحدة أن يقلده منصبه أحد القساوسة،وأن يبارك عليه فترة ولايته الجديدة باسم يسوع المسيح، وتعهد أثناء حملته الانتخابية بأن يقيم دولة للمسيح في العالم، وكذلك عندما سئل عن فيلسوفه المفضل قال : إنه المسيح عليه السلام .

أما اللوبي اليهودي فقد كان يقيم إلى وقت قريب علاقة وثيقة مع الحزب الديمقراطي لكن منذ وصول ريجان إلى الحكم، اعتنق الكثير من المثقفين اليهود الأفكار المحافظة، وبدؤوا يعملون في أوساط اليمين المسيحي المتطرف الذي يؤمن بأن عودة المسيح تعتمد على عودة اليهود إلى الأرض المقدسة؛ ولذلك أصبح اللوبي اليهودي جزءا من قوة ضغط أكبر هي اللوبي الصهيوني الذي يضم قوى اليمين المسيحي ، وقطاعات من رجال الأعمال المحافظين الذين يدعون إلى سياسة عدوانية في العالم لتعزيز مصالح الولايات المتحدة.

وعلى الرغم من أن الدستور الأمريكي يفصل بين الدين والدولة، ولكن ليس معنى ذلك الفصل بين السياسة والدين، فالرئيس الأمريكي "جورج دبليو بوش" وهو رئيس الحزب الجمهوري الذي يوجد به يمين ديني قوي ومؤثر في صنع القرارات، كما أن الدولار الأمريكي مكتوب عليه عبارة " In God We Trust" أي: أن الأمريكيين يؤمنون بالله[٧] ، وبالتالي عندما تولى الرئيس الأمريكي الرئاسة عام (٢٠٠١م) أدى

اليمين ويده على الإنجيل، وأصر على أن يقلده المنصب قسيس أمريكى كما ذكرنـــا سابقا، يضاف إلى ذلك أنه وبعد أحداث سبتمبر مباشرة عقـــد الـــرئيس الأمريكـــي اجتماعا موسعا مع رجال الدين المسيحي بمجرد دخوله البيت الأبيض ، وقبل ظهوره للشعـــب الأمريكى بعد الحادث، وعلى هذا يتضح أن الفصل بين الدين والسياســـة شيء ، وعداء الغرب والولايات المتحدة للعرب والمسلمين شيء آخر .

العنصرية الأمريكية ضد المسلمين وحدهم :

تعرض المسلمون في أعقاب الحادي عشر مـــن ســـبتمبر (٢٠٠١ م) إلى حمـــلات عنصرية شملت التعذيب وسوءا فى المعاملة، ووزعت الولايات المتحدة قوائم المشتبه في تورطهم في التفجيرات التي هزت واشنطن ونيويورك في العديد من دول العالم لطلـــب القبض على كل من يشتبه فيهم، وجرى تجميد أرصدة العديد من الهيئات والمنظمات والجمعيات الخيرية، بل وحل بعضها دون إجراءات قضائية، أو اتهامات حقيقية.

كما قامت المخابرات المركزية الأمريكية باستجواب (٨) آلاف مسلم — عـــربي من المقيمين الجدد فى الولايات المتحدة الذين وصلوا البلاد من الشرق الأوسط وبلدان أخرى بتأشيرات غير المهاجرين منذ أوائل يناير (٢٠٠٠م) ،وقامت أكثر من (٥٠) دولة عربية وإسلامية، وأوربية بحملات اعتقال واسعة لعدد كبير مـــن الإســـلاميين ، وأطلقت الاتهامات المتعجلة والعنصرية التي بثها زعماء سياسيون فى الـــدول الغربيـــة والإعلام الدولي تجاه العرب والمسلمين فى الأسابيع اللاحقة للأحداث ، فضـــلا عـــن مئات الجرائم العنصرية ضد العرب والمسلمين في مختلف دول العالم شملت أعمال القتل والتهديد، والاضطهاد والاعتداءات بالضرب، وباللسان، والفصل من العمل، وحـــرق عشرات المساجد والتبول على جدرانها، والاستيلاء على الممتلكات الخاصـــة لرجـــال أعمال من المسلمين، بجانب الإهانات المتكررة مثل السب والقذف والبصـــق علـــى النساء المسلمات فى الشوارع والمتاجر والأسواق، كما تم منع العرب والمسلمين مـــن ركوب الطائرات إلا بعد تفتيش حقائبهم بصور استفزازية[٨] .

ووفقا لتقارير منظمات الأمم المتحدة المعنية بمكافحة التميز والعنصرية وكراهيـــة الأجانب، فقد استهدفت هذه الأفعال المسلمين والعرب، وغيرهم من المـــواطنين مـــن بلدان الشرق الأوسط في العديد من البلدان الأوربية وخصوصا (أســـتراليا، كنـــدا، الولايات المتحـــدة ، ألمانيا ، فرنسا ، بلجيكا ، البرتغال ، هولندا، السويد ، بريطانيا،

اليونان ، مالطة، وفى آسيا (روسيا، جورجيا، أرمينيا، الفلبين، الهند، الصين، بلغاريا، تايلاند، بورما) وفى إفريقيا (إثيوبيا، أريتريا، نيجيريا، السنغال، أوغندا، جنوب إفريقيا، سيراليون، الكونغو، وليبيريا ...) .

وكرست الإدارة الأمريكية سياسة الانفراد، ودأبت على توجيه أوامر خالية من معاني الدبلوماسية إلى أعضاء الأسرة الدولية وطلبت واشنطن - بدلاً من التشاور - انصياع الجميع لإدارتها والاصطفاف خلفها، وقد حاول بعض السياسيين البحث عن تبريرات لهذا التشنج في بواكير الأزمة، أو صدمة الواقع، باعتبار أن الحدث كان فوق الاحتمال، إلا أن توالى الأيام لم يؤثر فى الإدارة الأمريكية ويثنيها عن لهجتها الحادة ، وقد عبر عن ذلك صراحة الرئيس الأمريكى بوش في خطابه أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة قبيل حرب تحرير العراق " إن وقت التعاطف قد انتهى، وحان وقت العمل الفعلي ، وإنه لا يمكن لأي دولة أن تبقى محايدة في الوقت الذي يواجه فيه العالم التحدي الإرهابى "(٩) .

وفي إطار تعزيز ذلك استطاعت الولايات المتحدة استصدار قانون من مجلس الأمن لمكافحة الإرهاب ، وألزمت به دول العالم كله، بل رفضت التباحث مع أي منظمة أو دولة حول مضمون الإرهاب وسبل مقاومته، أو معرفة ما تنوى الإدارة الأمريكية القيام به لرد اعتبارها، والرد على صفعة ١١ سبتمبر (٢٠٠١م) .

وبالتالي كان هناك تبرير لاستخدام العنف ضد الجاليات والأقليات العربية والإسلامية في أوربا وأمريكا ،لجأ البعض من المسلمين فيها إلى تبديل أسمائهم بأسماء مسيحية فتحول سمير إلى سام، وخالد إلى كالا، وحاتم إلى تيم، وعبد الله إلى جورج، ومحمد إلى داود، وأحمد إلى جوزيف، وعلى إلى ميخائيل، ومحمود إلى بطرس .

وجاءت هذه الظاهرة في التحول عن الأسماء الإسلامية والعربية بعد الاستطلاع الذي نشرته صحيفة "الواشنطن بوست " بعد الأحداث مباشرة تشير إلى أن (٤٩%) من الشعب الأمريكى يطالب بأن يحمل العرب والمسلمون بطاقات هوية خاصة بهم ، بما فيهم الذين حصلوا على الجنسية الأمريكية في السابق،وأيد (٥٨%) من الأمريكان بأن يخضع العرب والمسلمون إلى تفتيش خاص قبل الصعود إلى الطائرة ، ورصدت بعض المنظمات الإسلامية عدد الذين تحولوا عن الإسلام في الثلاثة شهور الأولى من الأحداث منهم (١٠٨) بأمريكا و(٣٥) فى بريطانيا، و(١٧)

فى فرنسا و (٢) فى ألمانيا، حيث بدؤوا بالتوافد على الكنيسة، خاصة الكنيسة البروتستانتينية لأداء الطقوس المسيحية بداخلها[١٠] .

كما كان من تداعيات أحداث سبتمبر (٢٠٠١م) أيضا ما أعلن عنه الرئيس الأمريكى "جورج دبليو بوش" من أنه سيشن حملة صليبية على الإرهاب واستخدم كلمة Crusade ، تلك الكلمة التى أحدثت قلقا ونوعا من الإزعاج للمسلمين في العالم، من جراء عودة شبح الحرب الصليبية على العالم الإسلامي من جديد كما كان في القرون الماضية.

وبعد أسبوع من التصريح الخطير التقى بوش بالجالية العربية والإسلامية في المركز الإسلامى، وكانت هي المرة الأولى التى يدخل فيها رئيس للولايات المتحدة المركز الإسلامى بواشنطن، وتنقل وسائل الإعلام هذة الزيارة لـ (١٥٠) مليون أمريكى، كما فتحت الكنائس أبوابها للمسلمين كي يتحدثوا عن الإسلام ، و يشرحوا مبادئ الدين الإسلامى لمن لم يسمعوا عنه، وأدى ذلك إلى قيام بعض الكنائس بالدفاع عن الإسلام والمسلمين ، بل وإزالة آثار الاعتداءات التى قام بها بعض العنصريين من تدمير زجاج المساجد، والمراكز الإسلامية، وبعض العبارات التي كانت مكتوبة على الجدران وبعض المحلات التجارية تسيء إلى المسلمين والعرب.

هذا فضلا عن تزايد الإقبال من جانب الأمريكان على القراءة عن الإسلام والقرآن حتى نفدت نسخ مطبوعة من القرآن، ونسخ من كتب إسلامية كثيرة، وأصبح المسلمون يجدون تعاطفا كبيرا ، حتى إن مؤسسة نسائية تضم (٥) آلاف سيدة أمريكية أعلنت تخصيص يوم ترتدى فيه عضوات المؤسسة الحجاب الإسلامى كنوع من التضامن مع السيدات المسلمات المحتجبات في أمريكا اللاتى تعرضن للإهانة والسخرية . وقررت العديد من الجامعات الأمريكية على طلابها بعض الكتب الدراسية عن الإسلام، وزاد عدد الطلاب الذين يسجلون لحضور دروس حول العالم العربي والإسلامى منذ اعتداءات سبتمبر في الولايات المتحدة إلى عشرة أضعاف العدد السابق[١١] .

وقالت "كارول بارتد نشتاين " وهى أستاذة فى جامعة ميتشجان : إن الرغبة فى معرفة العدو فى أسوأ الحالات، أو فهم ما يمكن أن يبدو غامضا ، دفع العديد من الطلاب إلى التسجيل لحضور محاضرات حول الإسلام، والتاريخ ومجتمعات الشرق

الأوسط، فالعديد من الطلاب يريدون تأكيد الأفكار المسبقة والصورة السلبية التي كونها الأمريكان عن العالم العربي والإسلامى، في حين يريد آخرون منهم البحث عن إجابة لسؤال : من أين يأتي الإرهابيون ؟

وتقول "راسيتى روك " وهى تعمل مساعد مدير مركز الدراسات الشرق أوسطية فى جامعة شيكاغو : إن هناك زيادة كبيرة فى عدد طلاب السنة الأولى بالجامعة لدراسة الإسلام، مما اضطر الجامعة لأن تعلن عن حاجتها إلى أساتذة جدد فى العلوم الإسلامية لاستيعاب هؤلاء الطلاب، وفى جامعة (هارفارد) التحق ٢٧٠٠ طالب من ١٢٠ فى التخصصات المرتبطة بالدين الإسلامى ، وقضايا الشرق الأوسط.

أما "ليزا كيفرلى" وهى مسؤولة بمركز الدراسات العربية بجامعة جورج تاون، فتؤكد أن طلب المعلومات عبر الإنترنت أو الهاتف بشأن الدراسات حول العالم العربي زادت إلى الضعف بعد أحداث سبتمبر، كما نظمت الجامعة خمسة مؤتمرات عن الإسلام والولايات المتحدة والشرق الأوسط، وكانت القاعات مكتظة بالحضور، لرغبة الأمريكان فى معرفة المزيد عن الإسلام والعالم العربي.

كما طلبت حاكمة ولاية ماستشوستس — وهى أمريكية غير مسلمة– من بعض مسلمي الولاية بحث إدخال مادة لتعليم الإسلام الصحيح فى المدارس كمنهج دراسي لتوعية الشباب بالمبادئ الدينية والقيم الروحية التى تحث عليها الأديان السماوية ، ومحاربة العنصرية ضد المسلمين ، والناجمة عن جهل الشعب الأمريكى بالدين الإسلامى، كما نقلت قناة (C.N.N) الإخبارية الأمريكية صلاة وخطبة الجمعة من المركز الإسلامى بواشنطن وبعض المحاضرات لكبار رجال الدين فى العالم العربي والإسلامى فى سابقة لم تشهدها القناة من قبل.

وفى الجمعية الإسلامية ببوسطن قام أكثر من خمسمائة طالب وطالبة، وعدد كبير من أساتذة جامعة هارفارد، وبحضور سفيرة الولايات المتحدة فى فيينا بزيارة مسجد الجمعية الإسلامية وجلسوا يستمعون إلى إحدى المحاضرات عن سماحة الإسلام وعدله مع أصحاب الديانات الأخرى فى ساحة المسجد ، وعندما هم الشيخ بتلاوة آيات من القرآن الكريم انخرطوا فى بكاء شديد ، مع أنهم لم يتعلموا اللغة العربية، ولا يعرفون معاني ما يتلى عليهم ، وعلقت السفيرة الأمريكية عما حدث أمام القنوات الفضائية

الغربية التي كانت تنقل الزيارة " إنني لا أفهم اللغة العربية، ولكن ما نطق به الشيخ ودفعنا إلى البكاء هو من كلام الله بلا شك "[١٢] .

ويقول الدكتور" وليد فتيحي" وهو عضو هيئة التدريس بكلية الطب جامعة هارفارد، والذي كان أحد أبرز المدافعين عن الإسلام في وسائل الإعلام الأمريكية المطبوعة، والفضائية، وذكر أنه اجتمع مع عمدة بوسطن، وكامبردج لشرح رؤية الإسلام وأحداث سبتمبر، وما إن قام بتلاوة آيات القرآن الكريم في أكبر كنائس واشنطن حتى امتلأت العيون بالدموع، وتعالت الأصوات بالبكاء الذي استمر أكثر من ربع الساعة،بما فيهم القساوسة والرهبان، وقال: إن أحداث سبتمبر كانت محركا ؛ لأن يقرأ الشعب الأمريكي عن الإسلام ، بعيدا عن الدعايات المغرضة التي يدعمها ويمولها اللوبي الصهيوني اليهودي واليمين المسيحي المتطرف في الولايات المتحدة[١٢] .

كما برزت تساؤلات عديدة حول الأسباب التي تدفع العالم الإسلامي بما فيه منطقة الشرق الأوسط إلى كره الولايات المتحدة،وكان رد الرئيس بوش واضحا عندما قال: "إن الذين يهاجمون أمريكا يدفعهم الحسد والغيرة من الرفاهية والديمقراطية التي ينعم بها المواطن في الولايات المتحدة ، غير أن الذين ينتقدون أمريكا ويعيبون عليها سياساتها، لا يقتصر هذا المفهوم على أولئك الذين يرتكبون العنف ضدها" ، وعلى هذا فإن السخط على سياسة بوش يكاد يكون إجماعا عالميا، فأصدقاء الولايات المتحدة وخصومها معا يعترفون بتفوقها في كل المجالات المادية، ولكنهم إجمالا يرون أن الولايات المتحدة لا تملك آلية إدارة العالم بمفردها على الرغم من قوتها وترسانتها العسكرية والنووية الضخمة ؛ وذلك لأسباب كثيرة منها تفرد الولايات المتحدة بالقرارات التي تمس العالم، ولا تلجأ إلى الأمم المتحدة أو حتى الرؤية الموضوعية للخصوم .

هذا بالإضافة إلى رغبة الإدارة الأمريكية في فرض قوانين جديدة على دول العالم وهي الدولة الوحيدة المستثناة من تجاوزات هذه القوانين مثل انسحابها من معاهدة الصواريخ العابرة القارات — الباليستية الموقعة عام (١٩٧١م) ، واتفاقية كيوتو الخاصة بالبيئة، ورفضها التوقيع على إنشاء المحكمة الجنائية الدولية بعد أن صدقت على مشروع قانونها أكثر من (٧٠) دولة كبرى في العالم ، واشترطت أن يكون جنود وقوات المارينز الأمريكية مستثناة من الوقوف أمام أية جهات قضائية دولية، هذا فضلا

عن التجاوز فى حدة التهديدات لبعض الدول الضعيفة على حساب دول أخرى مثل إسرائيل ، وتعقبها للأنظمة التى تهدد حقوق الإنسان، ولا يحاسبها أحد على تجاوزات المخابرات المركزية الأمريكية من القبض على آلاف المسلمين والعرب وإخضاعهم للتعذيب والضرب والإهانة فى أعقاب تفجيرات واشنطن ونيويورك (١٤) .

ومن هنا نستطيع القول : إن السياسة الأمريكية بعد أحداث سبتمبر تقوم على مجموعة من المبادئ أعلنت عنها صراحة "كونداليزا ريس " مستشارة الأمن القومي الأمريكى، والمنشورة في مجلة فورين أفيرز في عددها الأول من عام (٢٠٠٠م) بعنوان (حمله ٢٠٠٠م) ، النهوض بالمصالح القومية " من أهم هذه المبادئ :

- دعم السياسات الاقتصادية الدولية التى تفعل مميزات الاقتصاد الأمريكى ، وتوسع أطر التجارة الحرة باعتبارهما أداتين مهمتين فى صياغة السياسة الدولية.
- أن تكون قوة أمريكا العسكرية أكيدة ومضمونة، باعتبار أن الولايات المتحدة هي الضامنة الوحيدة للسلام و الاستقرار العالمي.
- ضمان أن " القوى " الأمريكية فى ظل إدارة جمهورية يجب أن تمنع الحروب وتبرز السلطة وتقاتل فى سبيل حماية مصالحها إن لم تنجح فى تعويق الحرب.
- التعامل بشكل حاسم مع خطر الأنظمة المارقة (القوىالمعادية) التي تمارس الإرهاب، وتطور من أسلحة الدمار الشامل لديها.
- تركيز الطاقات الأمريكية على عقد علاقات شاملة مع القوى الكبرى ، وخصوصا روسيا والصين ، وهى علاقات تستطيع أن تصوغ طابع النظام السياسي الدولي الراهن.
- إقامة علاقات قوية ووثيقة مع الحلفاء الذين يشاطرون القيم الأمريكية، ويمكنهم بالتالي المشاركة فى حمل عبء نشر السلام والازدهار والحرية.

وتتحدث "كونداليزا ريس" عن رؤية الحزب الجمهوري فى الأنظمة المارقة والتي من بينها (العراق، إيران، السودان، ليبيا ، الصومال ، اليمن ، كوريا الشمالية)، والتي ترمى إلى اتجاه التاريخ نحو الأسواق والديمقراطية، في الوقت الذي تركت بعض الدول على جانب الطريق ، و (العراق) النموذج الأمثل لتلك الدول،هكذا تقول "كونداليزاريس" وتضيف أن نظام صدام حسين منعزل، وقوته العسكرية ضعفت إلى حد كبير ، ويعيش

شعبه في حالة من الفقر والرعب، ولا يملك موقعا مهما فى السياسة الدولية، لذا فهو مصمم بعد كل هذا الحصار على تطوير أسلحة الدمار الشامل، ولن يتغير أي شيء حتى يذهب صدام حسين، لذا يجب على الولايات المتحدة أن تحشد كل الموارد التى يمكنها حشدها بما فيها دعم معارضيه في سبيل الإطاحة به " [١٥] .

ومن هذه المبادئ التي تحدد طبيعة السياسة الأمريكية في مرحلة ما بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر يتضح أن الإدارة الأمريكية اتبعت أسلوبا وسطا في التعامل مع الأزمة التي تمر بها، وهى تجمع بين مبادئ " ويلسون " السابقة، ومبدأ القوة عند "تيودور روزفلت" ، فقد قام روزفلت بتطوير ما وضعه "مونرو" من مبادئ وقيم لصالح الشعب الأمريكى، والذي كان يقضى بمنع التدخل من الخارج إلى حماية مصالح الولايات المتحدة خارج حدودها.

أما بالنسبة للمبدأ الثاني فقد جاء"ويلسون" ويحمل رؤية جديدة وهي أن يصبح العالم كله نسخة مكررة من الشعب الأمريكى، حيث كان الدافع وراء مشاركة ويلسون فى الحرب العالمية الأولى الرغبة فى إعادة تشكيل العالم على الصورة الأمريكية [١٦] . أما إدارة الرئيس السابق بيل كلينتون فقد صنفت المصالح الأمريكية لثلاث فئات هي [١٧] :

- **المصلحة الملحة**: وهى ترتبط بالبقاء و يشمل الوجود المادي للولايات المتحدة وحلفائها فى الشرق والغرب، وضمان أرواح الأمريكيين والتفوق الاقتصادي، وتأمين المصالح الأمريكية فى كل مكان، فإذا ما تعرضت هذه المصالح للخطر ، فإن الولايات المتحدة لن تتردد فى استخدام القوة العسكرية ضد القوى المعتدية.
- **المصلحة المهمة**: وهي تتعلق ليس بالبقاء المادي للولايات المتحدة فحسب، وإنما بنمط الرفاهية الأمريكية و طبيعة العالم التي تتأثر به الولايات المتحدة، واختصارا هي المناطق التي للولايات المتحدة فيها مصالح اقتصادية، هذه المصالح قد تؤثر بصورة أو بأخرى على الاقتصاد الأمريكى ، وبالتالي يشعر المواطن الأمريكى بهذا العجز.
- **المصلحة الإنسانية**: وهي التي قد تدفع الولايات المتحدة إلى التحرك عند المساس بمصالحها مثل تبنيها قضايا حقوق الإنسان والدفاع عنها، وكذلك فى أوقات الأزمات، والكوارث وإنقاذ الشعوب المقهورة من سيطرة النظام السياسي

السائد فيها، أو الدول التى لا ترغب فى تطبيق الديمقراطية كما تراها الولايات المتحدة، أو الدول التى ترعى الإرهاب وتسبب الرعب والتهديد لجيرانها أو لدول العالم المختلفة.

كما كان من أكبر التأثيرات التي ظهرت بوضوح بعد أحداث سبتمبر، أنها جعلت القائمة الأمريكية للدول التي ترعى الإرهاب عديمة الجدوى، بل أصبح استخدامها يسبب نوعا من الحرج السياسي، ذلك أن معظم المتهمين فى أحداث سبتمبر جاؤوا من بلدان صديقة للولايات المتحدة .

وبالتالي فلا معنى بعد الآن لاستهداف الدول الموجودة على قائمة الإرهاب إلا لأسباب سياسية ستكون واضحة لعدم وجود أدلة عليها، لذا فإن الولايات المتحدة بدأت تحول اهتمامها ضمنيا من الدول المتهمة برعايتها للإرهاب إلى الشعوب المشتبه فيها أو المتورطة في تدريب الإرهابيين على أراضيها، وقائمة الدول الـ (٢٦) التي يطلب من مواطنيها اتباع إجراءات خاصة وطويلة لدخول الولايات المتحدة لتعقب المتهمين داخل أراضيها، مع أن طبيعة حرب الولايات المتحدة على الإرهاب، لا يمكن حصرها فى منطقة بعينها، مما يعنى أن الولايات المتحدة ستكون حذرة، وربما موجودة بقواتها لحماية مصالحها المنتشرة فى معظم دول العالم.

وعلى هذا لم تعد قضايا عدم الاستقرار الداخلي والحروب الأهلية والنزاعات العرقية أمرا داخليا فحسب، حيث إن بعض آثار هذه الأزمات قد ينعكس بصورة مباشرة على مناطق العالم المستقرة، وفى هذا الإطار أعلنت الولايات المتحدة أنها ستقوم بحماية حقول النفط فى نيجيريا من هجمات الإرهابيين هناك، وإن أجهزة المخابرات الأمريكية تعتقد أن منظمة القاعدة تتاجر فى الماس الذي تقوم بشرائه من الإسلاميين فى سيراليون، ثم الانتقال بعد ذلك إلى مناطق حروب الماس الأخرى فى الكونغو وأنجولا، كما عقدت الولايات المتحدة اتفاقية تعاون مشترك بين القوات الأمريكية وجيش أوزبكستان للقضاء على الحركات الإسلامية التي تهدد الحكومة وتطالب بإقالتها، وأعلنت الولايات المتحدة إزاء ذلك أنها مكلفة بحماية أمن دولة أوزبكستان بموجب اتفاق أبرم في أكتوبر (٢٠٠١م)[١٨] .

بيد أن اتباع الإدارة الأمريكية للإستراتيجية الموحدة سيجعلها عرضة للاستغلال من جانب الكثير من الأنظمة، فمنذ اعتداءات الحادي عشر من سبتمبر، استطاعت العديد

من الأنظمة الأوربية والآسيوية والإفريقية أن تقنع الإدارة الأمريكية بإمدادها بمزيد من المساعدات العسكرية بهدف مساعدتها فى محاربة المارقين من الجماعات والتنظيمات الإسلامية المتطرفة على أرضها، والخارجة عن الشرعية، بغض النظر عما إذا كانت تلك الخصوم لها علاقة بالقاعدة من عدمه.

ومن هنا يمكن القول : إن التوجه الاستعماري الأمريكى صوب العالم الإسلامى (أفغانستان — العراق — إيران — سوريا — الصومال — اليمن — ليبيا — السودان — الجمهوريات الإسلامية الروسية — وغيرها) إنما هو محصلة طبيعية لترتيب مواقع ومراكز القوة فى النظام العالمي الراهن، ومن ثم فإن إستراتيجية الولايات المتحدة العالم الإسلامى هى المقاومة والمواجهة، واختارت الإدارة الأمريكية الدول الأكثر ضعفاً، وهشاشة مثل (الصومال ١٩٩٢م) ، و (أفغانستان ٢٠٠٢م) ، و (العراق ٢٠٠٣م)، واختارت أن تبدأ بالأكثر ضعفاً مبنى على مبادئ وأسس وإستراتيجيات بعيدة المدى، ولا يعنى ذلك أنها سوف تعفى الآخرين من هيمنتها، إنما يعنى أن تبدأ بالممكن حتى تصل إلى ما هو أقوى وأصعب، وأرجأت معاركها مع الصين، وتتفادى الصدام مع كوريا الشمالية، وتكتم غيظها من الرفض الأوربى لسياساتها فى العالم، وتضع عيناً على إفريقيا ونشاط فرنسا هناك، وتنظر بأخرى تجاه آسيا الوسطى ونشاط الإسلاميين داخل الجمهوريات الإسلامية الروسية، وتهديد إيران والتلويح بضرب سوريا.

الولايات المتحدة الأمريكية والإرهاب الدولي

مرت على بعض الدول العربية والإسلامية تجارب مريرة، وهى تعانى من مشكلة العنف والإرهاب، وقد عاب الكثيرون ومنهم الإدارة الأمريكية ذاتها، على الإدارات الحاكمة فى هذه البلدان حصر مواجهة ظاهرة الإرهاب فى الإدارة الأمنية، وارتفعت الأصوات تنادى بتكامل الأدوات لاقتلاع الظاهرة من جذورها عبر معالجة الأسباب الموضوعية التي توفر دوما القابلية للإرهاب،فالإدارة الأمنية وإن نجحت في التعامل مع ظاهرة الإرهاب والتطرف من خلال الإجراءات الأمنية والعسكرية، فإن ذلك النجاح جرى على قاعدة تجرع العديد من المسكنات، فالخبرة العملية أكدت أن الأعمال الإرهابية تظل أسبابها الكامنة تتفاعل تحت السطح معرضة الكيان الاجتماعي للتوتر وعدم الاستقرار بين فترة و أخرى.

وبالتالى عندما جاءت أحداث ١١ سبتمبر توقع البعض أن تحتفظ الإدارة الأمريكية بمساحة تفصلها عن أن تظلم العالم الثالث ، وأن تشرع بعد الاستفاقة من الصدمة فى معالجة الحدث بموضوعية وعقلانية، ولكن كانت المفاجأة كبيرة عندما أدرك الجميع أن الإدارة الأمريكية لم تخرج فى تعاملها مع الأزمة عن الأسلوب والطريقة التي كانت تستخدمها حكومات دول العالم الثالث ، مع هذه الجماعات ، بل لقد ركزت الإدارة الأمريكية على البعد الأمني رافضة إجراء أي محاولات تقويمية لفهم الظروف والملابسات الموضوعية، وبدلا من أن تبحث حكومة "بوش" عن الأسباب التي دفعت – أي جماعة – للقيام بهذه العمليات الانتحارية ضد الولايات المتحدة، راحت تؤكد على حقد العالم الثالث على ما تنعم به الولايات المتحدة من قوة و استقرار وأمن وديمقراطية وحريات(١٩).

والاهتمام بموضوع الإرهاب يأخذ حيزا واضحا فى السياسة الخارجية الأمريكية ، وكان من بداية الثمانينيات فى عهد الرئيس الأسبق " رونالد ريجان "، وذلك عندما قال "ألكسندر هيج "وزير الخارجية آنذاك إن الإرهاب العالمي سيحل محل حقوق الإنسان فى الحقب القادمة، أما الرئيس الأمريكى بوش الأب فقد أكد فى فترة رئاسته على أن الإرهاب والمخدرات ستكونان على قائمة اهتماماته، بينما اعتبرت إدارة كلينتون الإرهاب العالمي إحدى همومها الرئيسية.

لكن أحداث الحادي عشر من سبتمبر (٢٠٠١م) أحدثت بالفعل تحولا نوعيا فى الموقف من الإرهاب، فقد أصبح المهدد الرئيسي الحالي للأمن القومي الأمريكى، وسبب هذا التحول هذا أن الإرهاب نفسه لم يعد هو الإرهاب الذي عرف قديما، أو بشكله التقليدي، وإنما طرأ عليه تحول نوعى، فقديما كان يستهدف بعض الشخصيات، واختطاف الرهائن، أو شخصيات مهمة فى النظام الحاكم، أو اغتيال بعض الرموز السياسية والدينية داخل الدولة من جانب بعض الساخطين عليهم.

فالإرهاب الجديد يستهدف شعوبا، وأفرادا، وتخريبا وتدميرا لبعض الأماكن ذات الدلالات الرمزية، مثل البنتاجون ومركز التجارة العالمي ، وضرب المنشآت السياحية، أو مقر البيت الأبيض ، ولعبت العولمة دورا في النقلة النوعية للإرهاب، حيث ضعفت من قدرة الدول على التحكم والسيطرة داخل حدودها التقليدية، وقللت من احتمالات نشوب الحروب التقليدية وضعفت تلك الدول أمام المؤسسات الدولية، والشركات عابرة القوميات ، والمنظمات غير الحكومية والمنظمات والجماعات الإرهابية والمتطرفة[٢٠] ، تنطلق هذه الجماعات من رؤى سياسية أو أفكار دينية، أو عصبيات ، أو عرقيات، وعبر الأفكار والمال والسلاح تنظم نفسها.

وفي أعقاب الأزمة نشرت معظم الصحف الأمريكية بيانات تتعلق بتصدير الإرهاب الإسلامى إلى أوربا، وأن الإسلام دين دموي — إرهابى، تخريبي، فهم يصفون العمليات الفدائية التي تقوم بها حماس، والمقاومات الإسلامية بكشمير والشيشان بأنها نوع من الإرهاب ، وذلك بعد أحداث التفجيرات التي شهدتها الولايات المتحدة (٢٠٠١م) ، ثم كانت العودة إلى أحداث أولمبياد الألعاب الرياضية العشرين بألمانيا ضد الوفد الإسرائيلى المشارك فى البطولة عام (١٩٧٢م) ، وكذلك العملية الانتحارية لحزب الله اللبناني ضد المقر الرئيسي للولايات المتحدة فى بيروت عام (١٩٨٣م) ، ثم عملية تفجير مرقص برلين (لابلا) ، واختطاف السفينة (اكيليى لاورو) عام (١٩٨٦م) ، ثم تفجير طائرة (إبان أوف أمريكا) على مدينة لوكيربى الإسكتلندية عام (١٩٨٨م) ، وتفجير مركز التجارة العالمي بنيويورك عام (١٩٩٥م) ، والعمليات الإرهابية- حسب التوصيف الأمريكى — هى مثل التي تقوم بها حماس منذ عام (١٩٨٦م) حتى الآن.

بيد أن هذه الأحداث لم تكن في محاورها إيجابية، فقد أدت عملية احتجاز الرهائن في طهران عام (١٩٧٩ -١٩٨١م) إلى عدم إعادة ترشيح الرئيس الأمريكي "كارتر" عام (١٩٨٠م) لفترة رئاسية ثانية،كما أدت عمليات حزب الله الفدائية عام (١٩٨٣م) إلى تعطيل خروج القوات الأمريكية من لبنان، وأدت عمليات حماس الفدائية في فبراير، مارس، أبريل (١٩٩٦م) إلى سقوط حكومة "شيمون بيريز" ، ونجاح " بنيامين نتنياهو " في الانتخابات الإسرائيلية في (٢٩ مايو ١٩٩٦ م) ، وأدت أحداث سبتمبر (٢٠٠١ م) إلى تعطيل مشروع استقلال إقليم كوسوفا عن صربيا، والشيشان عن روسيا وفق المعاهدات المبرمة بين الجانبين، والسعي نحو حل أزمة كشمير بين الهند وباكستان.

وعلى هذا وضعت دول أوربا الغربية على قائمة أولوياتها مكافحة الإرهاب الدولي منذ منتصف الثمانينيات ، وردا على عمليات حماس الفدائية في إسرائيل استجابت (٢٩) دولة ، مثلها فيها رؤساء الدول والحكومات والمنظمات الدولية في ١٣ مارس (١٩٩٦م) ثم أعقب ذلك تفجير القاعدة الأمريكية في مدينة الخبر بالسعودية يونيو (١٩٩٦م) ، وجاءت قمة الدول الصناعية السبع في اجتماعها بمدينة ليون الفرنسية في ٢٧ يونيو (١٩٩٦م) و انتهت الدول إلى إدانة الارهاب الذي تمارسه الفصائل الشيشانية ضد روسيا، واتفقت على تنفيذ برنامج يتكون من (٤٠) نقطة لمكافحة الإرهاب والجريمة في العالم، وبعد شهر من ختام قمة الدول الصناعية السبع تم تفجير طائرة شركة (تى – دبليو – أيه) في نيويورك في ١٧ يوليو (١٩٩٦م) ، تم انفجار قنبلة في افتتاح دورة الألعاب الأوليمبية السادسة والعشرين في أتلانتا بالولايات المتحدة في ٢٧ يوليو (١٩٩٦م)[٢١].

وفي أعقاب الحادث اجتمعت الدول الصناعية السبع الكبرى على مستوى وزراء الداخلية والخارجية بمدينة باريس في (٣٠ يوليو ١٩٩٦م) ، واتفقت على برنامج من (٢٥) نقطة لمكافحة الإرهاب، وجاءت دولتان إسلاميتان هما ليبيا، والسودان على قائمة الدول التي فرضت الأمم المتحدة عليها عقوبات رسمية ؛ لأنهما رفضتا تسليم الأفراد المتورطين في عمليات إرهابية دولية في الولايات المتحدة، وبريطانيا، وإثيوبيا، وخضعت سبع دول من بينها خمس دول إسلامية هي (العراق، إيران، ليبيا، السودان، سوريا، كوبا، كوريا الشمالية) للعقوبات الدولية المفروضة من الدول

الصناعية السبع منذ عام (١٩٩٦م) وتحت إشراف الولايات المتحدة المسؤولة عن مكافحة الإرهاب الدولي ، ومن هنا نستطيع القول : إن القراءة الإستراتيجية لتطورات الحرب ضد الإرهاب ، والتغير الذي طرأ على الفكر الإستراتيجي الأمريكي يكشفان أن الولايات المتحدة تمارس ضغوطا نفسية ضد ما تسميه الدول المارقة وأن هذه الحرب قد تشمل دولا عربية أخرى غير العراق وذلك من منطلق اعتبارين [٢٢] :

الأول: إن الولايات المتحدة تدرس سيناريوهات مختلفة لاحتمال استخدام السلاح النووي ضد دول غير نووية، بل إنها تضع الخطط لمثل هذا الاحتمال، ويبدو الأمر مخيفا بالفعل إذا ما وضعنا في الاعتبار أن إدارة بوش تعد لمواجهة تبدو قريبة مع إيران، وهي مواجهة قد يكون استخدام السلاح النووي التقليدي فيها أمرا واردا .

الثاني : إن التوتر الخطير في المنطقة بسبب تصاعد المواجهات بين الفلسطينيين والإسرائيليين ، وسياسات حكومة شارون المتطرفة يضع الدول العربية في دائرة الخطر النووي، خصوصا بعد تقرير (البنتاجون) الذي يؤكد احتمال استخدام السلاح النووي في الصراع العربي – الإسرائيلي.

كما جاء بتقرير (البنتاجون) حول " إعادة تقويم الوضع النووي الذي نشرته الصحف الأمريكية في مارس (٢٠٠٢م) والذي أشار إلى أن إدارة الرئيس جورج بوش طلبت من وزارة الدفاع (البنتاجون) إعداد خطط طوارئ لاستخدام الأسلحة النووية إذا دعت الضرورة إلى ذلك ضد سبع دول، منها ثلاث دول عربية هي (العراق، سوريا، ليبيا) وواحدة إسلامية وهي (إيران) وثلاث دول آسيوية هي الصين، روسيا، كوريا الشمالية.

وقد يتصور البعض أن تداعيات أحداث الحادي عشر من سبتمبر قد بدأت بحرب أفغانستان وإسقاط نظام طالبان، وتحرير العراق وإسقاط نظام "صدام حسين"، هي منتهى ما تسعى إليه الولايات المتحدة في العالم الإسلامى ، إنما الواقع يشير إلى عكس ذلك تماما، فالبعض يعتقد أنها حرب بين أمريكا والعالم الإسلامى، بينما يتصور آخرون أنها حرب بين أمريكا والإرهاب فى الدول الإسلامية ، ومن القراءات المستقبلية لنصوص الخطابات الأمريكية أن الحرب التي ستخوضها الولايات المتحدة،

والتي لم تحدد عددًا بذاته حتى بعد خوض حربين متتاليتين فهى تستهدف تغيير النظـــام الدولي بكامله.

وقد وقع اختيارها في البداية على العالم الإسلامى ؛ لأنها تقدر أن المعركة فيه أسهل من المعركة في غيره، وأن الانتصار عليه أقل كلفة من الانتصار على ما سواه، وأن من السهل تحريض القوى الأخرى أوعلى الأقل تحييدها إزاء هذه المعركة بدعوى أن هـــذا العالم هو موطن الإرهاب، ومرتع الديكتاتورية والاستبداد، ومصدر كل خطر يهـــدد العالم ويمس أمنه واستقراره ، وربما خططت الإدارة الأمريكية لتحســـين الاســـتفادة القوى من بعض النزاعات والخلافات التقليدية بين هذا الطرف الدولي أو ذاك، بحيـــث تقنع الجميع أن الخطر الإسلامي يقترب من كل منهم بلا استثناء، وأنه خطر مشـــترك يستدعي جهدا مشتركا أيضا .

و لم تجد الولايات المتحدة أمامها سوى التدخل لتغيير بعـــض الأنظمـــة خاصـــة الحكومات الضعيفة التي لم تنجح حتى الآن في تحجيم الإسلاميين والمتطرفين لـــديها، أوالدول غير المتعاونة معها، إلا إن مخاطر التدخل لا يجب أبدا تجاهلها حيث ســـيولد ذلك أعداء جداً للولايات المتحدة من قبل بعض التنظيمات المحلية، وبعـــض عناصـــر التنظيمات الإسلامية في الخارج[٢٣] .

وتنظيم القاعدة بالطبع ليست كل خلاياه داخل الدول المارقة، أو دول محور الشر، أو الدول الإسلامية فقط ، بل يتواجد العديد منها في عدد من الدول غير المسلمة والحليفة للولايات المتحدة مثل إسبانيا وإيطاليا ومصر والسعودية وتركيا وقبرص واليونان والفلبين والجمهوريات الإسلامية الروسية بل حتى في الولايات المتحدة ذاتها، ومن ثم تصبح الولايات المتحدة ملزمة بأن تتعرف على الأسباب الواقعية التي لا تجعل التطرف ينمو ويترعرع في المدارس الباكستانية،بل تجعله ينمو أيضا في مساجد بروكسل وبانكوك وفي أزقة برمنجهام وفي أحياء فرنسا، وهولندا وبلجيكا.

وبالتالى فالدول الإسلامية ليست هي الجهة الوحيدة التي تفـــرخ التنظيمـــات ذات الطابع العنيف أو التي تتبنى الإرهاب ، وإنما قد يأتى الخطر على الولايات المتحدة مـــن دول أوربية صديقة ، ففرنسا حسب ما تشير آخر الإحصائيات يصل عدد المسلمين بها (١٠ %) من إجمـــالى السكان و(٥%) في كـــل مـــن بريطانيا وألمانيا ، وحوالي (٢٠٠) مليون مسلم في الهند وكشمير ، و(١٥٠) مليـــون في الصـــين ، و(٢٠)

مليون في الفلبين، بل وتضم الولايات المتحدة ذاتها أكثر من (١٠) مليون مسلم من مختلف الانتماءات والتيارات والتنظيمات الإسلامية وغير الإسلامية[٢٤].

بيد أن المصالح الإستراتيجية الأمريكية في العالم الإسلامى قد تغيرت تغيرا جذريا بفعل أحداث الحادي عشر من سبتمبر (٢٠٠١ م) مما أدى إلى ظهور تحديات جديدة فرضها الإرهابيون على الوضع القائم بجانب أن الحكومات الإسلامية لم تعد هي الفاعل الوحيد أو صاحبة قراراتها كما كان في السابق، وإنما تتحكم الولايات المتحدة في بقاء نظام في الحكم من عدمه، ومن هنا لم يكن تقسيم الإدارة الأمريكية للعالم بعد أحداث سبتمبر من دول صديقة ودول معادية، أو محور التحالف والتأييد ومحور المارقين والأشرار اعتباطا.

فالجماعات الإسلامية مثل- الجهاد الإسلامى وتنظيم القاعدة والجماعة الإسلامية والتكفير والهجرة - أصرت على مدار تاريخ طويل من العنف مع الأنظمة الحاكمة على قلب نظام الحكم واستبداله بنظام إسلامى بديل ، حتى ولو كان على الحالة الإيرانية، أو حتى على هيئة وصورة ما كانت تقوم به طالبان في أفغانستان، وتصدت الحكومات لهذه الجماعات حتى تسرب أعضاؤها إلى الخارج، والبعض الآخر تم تصفيته داخل الوطن، إلا أن الذين هاجروا إلى الخارج كانوا يحملون بين أفكارهم الرغبة في الانتقام من الولايات المتحدة لكونها هي التي ترعى هذه الأنظمة ، وهي التي تقلبها على الإسلاميين، وبالتالي فالولايات المتحدة تحافظ على استمراريتها في إدارة البلدان الإسلامية[٢٥] .

والملاحظ أن الإدارة الأمريكية اعتبرت أن فضاء الحريات في المجتمع الأمريكى شكل مساحات مناسبة لتمدد الأنشطة الإرهابية، وحاولت الإدارة الأمريكية إقناع الشعب الأمريكى بأن الأمن ينبغي أن يكون الشاغل الأكبر في مرحلة استثنائية في حياة المجتمع الأمريكى .

وقد وفرت أجواء الفزع والرعب التي خلفتها أحداث سبتمبر ، وما أعقبها من كابوس آخر تمثل فيما عرف بالجمرة الخبيثة أجواء مواتية ، مكنت الإدارة الأمريكية من تمرير قوانين واتخاذ تدابير وقائية دفاعية غير مسبوقة في الخبرة الأمريكية، واتخذت الإدارة الأمريكية أولى قراراتها بإضافة وزارة جديدة هي وزارة الأمن الداخلي ، وكذلك القانون الذي اعتبره البعض خرقا لحرية الإنسان والمبادئ والقيم التي

كانت تلقى تشجيعا وتأييدا من الولايات المتحدة في الفترة ما قبل أحداث سبتمبر (٢٠٠١م) ، وهذا القانون هو الذى يعطى لجهاز المخابرات المركزية توقيف الأجانب من العرب والمسلمين والحق فى اعتقالهم دون تهم محددة، وكذلك التصنت على المكالمات التليفونية ورسائل البريد الإليكتروني لمدة ثلاثين دقيقة الخاصة بهم ، وتفتيش المنازل والاطلاع على سجلات الشركات والجمعيات الإسلامية، التي يملكونها (٢٦) .

وفوضت الإدارة الأمريكية بالإجماع من قبل الكونجرس بمجلسيه لمواجهة ما يهدد الأمة الأمريكية، ثم أعلنت وزارة الدفاع الأمريكية عن رؤيتها التي تتجاوز الدفاع عن الأمة، إلى السيطرة الكاملة للإمبراطورية، و ذلك في ورقة بعنوان تشكيل الجيش حيث أشار "رونالد رامسفيلد" وزير الدفاع الأمريكى إلى ضرورة الأخذ بإستراتيجية جديدة تتناسب والمستجدات ، وتتجاوز ما كان مطروحا عقب الحرب الباردة ، وكان يسمى مسرح حربين كبيرين، وكانت هذه الإستراتيجية تعطى الحق للولايات المتحدة أن تخوض قواتها حربين في موقعين مختلفين ضد عدو غير مرئى ومجهول في الوقت ذاته، فكانت حرب أفغانستان ثم الحرب على العراق.

كما سبق وأن أعلن "رامسفيلد" (٢٧) في ورقته إقرار إمكانية تنفيذ هجوم شامل كاسح في أي وقت ضد عدو محدد بما يشتمل عليه هذا الخيار من احتلال عاصمة ذلك العدو، وتغيير نظامه الحاكم ، ومن هنا فإن هذه الإستراتيجية تمحورت في مبادئها كما عبر عن ذلك وزير الدفاع الأمريكى إلى حماية الوطن الأمريكى وقواعده عبر البحار، وضمان تأمين القوة الأمريكية في مواقع العمليات البعيدة، وحرمان أعداء أمريكا من اللجوء لأي مكان في العالم، وحماية شبكة معلوماتنا من أي هجوم، واستخدام تكنولوجيا المعلومات لربط القوى الأمريكية المختلفة ببعضها البعض في العمليات الحربية.

فمنذ سنوات قليلة كانت الخطابات الأمريكية هي لغة حقوق الإنسان والديمقراطية، وحرية الرأي والتعبير، والتعددية السياسية لكن سرعان ما طرحتها جانبا بعد أحداث سبتمبر ، واستغنت عن اللغة القديمة بلغة الأمن ومكافحة الإرهاب، فاللغتان القديمة والجديدة هما ذرائع الولايات المتحدة إلى تحقيق مصالحها، وعندما ندقق النظر في أسس السياسة الخارجية الأمريكية يتضح أن غايتها أن تبقى هي القوة الأولى في العالم ، فالرسالة الأمريكية هي مصلحتها القومية وتحقيق المصلحة القومية إنما يحقق الرسالة الأمريكية بالقيم (الدين، القوة، التجارة) وهي استعادة للثلاثية القديمة

(العسكري، التاجر، المبشر) بيد أن الثلاثية الأوربية كانت تعبر عن قوى أوربية متعددة، أما في الحالة الأمريكية فإنها تعبر عن حالة قوة مطلقة ذات طابع إمبراطوري خارج لعبة التوازن الدولي(٢٨) .

كما لا يمكن في إطار ذلك إغفال أن أمريكا قد تأسس فيها المجتمع والدين في آن واحد ، وهو ما سيدفع إلى أن تتحرك مجموعات بشرية لتنظيم نفسها كحركة سياسية اجتماعية ذات مرجعية دينية، وأن تؤسس كيانات وتحالفات عدة في إطار المجتمع المدني لديها رؤية سياسية وهو ما اصطلح على تسميتهم باليمين الديني الذي عمل كجماعة ضغط حتى وصل " بوش الابن " إلى الحكم (٢٩) .

إن الإدارة الأمريكية بعد خوضها حربين في عامين متتالين (أفغانستان ٢٠٠٢م) والعراق (٢٠٠٣م) تجد نفسها محاصرة من قبل العديد من الإشكاليات المتباينة، فكيف تستطيع الإدارة الأمريكية تأييد إسرائيل ، ومعارضة استخدام العنف (الإرهاب) ضد المدنيين الإسرائيليين بدون تسوية علاقاتها مع الحكومات الإسلامية التي تلعب دورا حيويا في الحرب الأمريكية على القاعدة، بل كيف تؤيد تنامي الإعلام الحر المفتوح في العالم الإسلامي، مع علمها السابق بأنه قد يضر بجهودها وما تمارسه من سيطرة ونفوذ في المنطقة العربية والعالم الإسلامى ؛ لذلك لم تجد الولايات المتحدة حرجا من أن تضغط على الأنظمة السياسية في بعض الدول العربية والإسلامية ، لأن تخفف من حدة نقدها للولايات المتحدة ؛ لأن ذلك من شأنه أن يثير سخط العالم على ما تقوم به الولايات المتحدة أثناء تعقبها للإرهابيين وتنظيم القاعدة، وبالتالي عندما لم تجد الولايات المتحدة استجابة من معظم الأنظمة العربية ، قامت بضرب مقر قناة (الجزيرة) القطرية في أفغانستان، واقتحام فندق بغداد ومقتل مراسل (الجزيرة) و(أبوظبي) في آخر أيام الحرب على العراق ، أو إذا شئنا الدقة ليلة دخول القوات الأمريكية العاصمة العراقية.

أولاً : اللوبي الإسلامى الصامت في الولايات المتحدة إلى متى ؟

نجح المسلمون في الولايات المتحدة والبلدان الأوربية في مجال الدعوة للدين الإسلامى وسط الجنسيات والعرقيات بالولايات المتحدة ، فالمؤسسات الإسلامية من مساجد ومدارس إسلامية بالإضافة إلى المعاهد والمراكز الدعوية، ليست خافية على الإدارة الأمريكية، فعدد المؤسسات الموجودة حالياً على الأراضي الأمريكية وصل إلى ما يقرب من ألف مركز إسلامى، أما عدد المدارس الإسلامية فيقدر بالمئات ، بالإضافة إلى المؤسسات الإسلامية في أمريكا الشمالية مثل المجتمع الإسلامى في أمريكا الشمالية (ISNA) ، والدائرة الإسلامية في أمريكا الشمالية (ICNA) ، وليس معنى هذا إغفال دور المجتمعات الإسلامية في ترسيخ مبدأ الدعوة لحماية الهوية الإسلامية من الانسلاخ ، ويبرز هنا دور الدعوة في تدعيم أكثر المجتمعات الإسلامية نمواً في الغرب وهو المجتمع الأمريكى.

أما على مستوى السياسة الأمريكية فلا يوجد تأثير ملحوظ على الإدارة الأمريكية قبل ١١ سبتمبر ، وإن كانت الصورة الإجمالية لتلك العلاقة تكاد تكون محدودة التأثير، على الرغم من النمو المتزايد للمنظمات الإسلامية التي تعمل على توعية وإعداد المسلمين سياسيا، فإنها لم تنجح حتى الآن في قطف ثمار أية مكاسب أوانتصارات سياسية، وقد يرجع ذلك إلى طبيعة البيئة السياسية الأمريكية التي تتسم بالصلابة الشديدة، وتمنع اختراق الآخر إليها، هذا فضلا عن عدم مقدرة المجتمع الأمريكى المسلم على وضع أولويات لأهدافه السياسية يعتبر عائقا رئيسيا في تعثر اندماجه في داخل الحقل السياسي الأمريكى(٣٠).

في الوقت الذي يعتبر اللوبي المسلم الأمريكى واللوبي العربي الأمريكى حليفين طبيعين ، وكان يصعب حتى وقت قريب التمييز بينهما، لكن ومع نهاية التسعينيات أصبحت هناك إمكانية التمييز بين اللوبي العربي الذي يقود منظمات مثل المعهد العربي الأمريكى، واللجنة العربية لمكافحة التمييز، واللوبي المسلم الذي يقود تحالف المنظمات السياسية المسلمة الأمريكية الذي يضم أربع منظمات سياسية مسلمة كبرى هي :

مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية، والمجلس الإسلامى الأمريكى، ومجلس الشؤون العامة الإسلامية، والاتحاد الإسلامى الأمريكى.

ويتفوق اللوبي العربي الأمريكى بتاريخه الطويل عن اللوبى المسلم الأمريكى أو المنظمات السياسية المسلمة الأمريكية ، كما يتفوق أيضا بنجاحه في الدفع بعدد من العرب الأمريكيين في مواقع بارزة في أكبر المؤسسات الأمريكية ومنه الكونجرس، حيث يتواجد ستة نواب عرب أمريكين، وفي الإدارة الأمريكية الحالية يوجد وزير الطاقة وهو عربي من أصل لبناني ويدعى: "سبنسر أبراهام " .

في انتخابات (٢٠٠١م) لم يستطع اللوبيان المسلم والعربي توحيد صفوفهما خلف مرشــح رئاسي واحد، حيث مال العرب الأمريكيــون إلى مرشح الحزب الديمقراطي " آل جور" حيث يميل العرب الأمريكيون تقليديا للحزب الديمقراطي، بينمـــا ســـاند المسلمون الأمريكيون مرشح الحزب الجمهوري "جورج بوش" ، ويتميـــز المســـلمون الأمريكيون بارتباطاتهم الحزبية غير القوية، مما يساعدهم على المناورة السياسية بالتحرك بين الحزبين السياسيين الكبيرين في أمريكا لتأييد المرشحين المؤيدين لقضاياهم (٣١) .

ومن هنا يتضح أن اللوبي المسلم الأمريكى لعب دورا - ولو محدودا - في انتخابات الرئاسة الأمريكية (٢٠٠١م) ، وفى فوز "جورج دبليو بوش" حيث اتحد غالبية المسلمين الأمريكين خلف منظماتهم الكبرى للتصويت لمرشح الحزب الجمهوري ، وصوتوا كأول كتلة انتخابية مسلمة أمريكية موحدة في التاريخ وبالمثل فى إعادة انتخابه للمرة الثانية، والتى ينافسه فيها "جون كيرى" .

وقد مثل فوز "بوش" الذي لم يؤيده اللوبي اليهودي انتصارا مهمًا للـــوبي المســـلم الأمريكى ؛ إذ فتح الطريق واسعا للقوى السياسية الناشئة على العمل السياسي، ولكن وبعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر واجه اللوبي المسلم العديـــد مـــن الأزمـــات والتحديات شملت التضييق على حقوق وحريات أعداد كبيرة من المسلمين المقيمين في الولايات المتحدة، وإغلاق عدد من أكبر مؤسساتهم الإغاثية، وتعرض لحملة تشـــويه سياسية وإعلامية كبيرة شنها تحالف من اللوبي اليميني المتطرف واللوبي الإسرائيلى ضد القوى السياسية المسلمة الأمريكية الناشئة.

إلا أنه وفي انتخابات ولاية "الباما " في يونيه (٢٠٠٢م)، والتي تنافس فيها "هيلليارد" و "ديفيس" حيث أيد اللوبي المسلم "أريل هيلليارد" عضو مجلس النواب الأمريكي، بينما أيد اللوبي اليهودي " أرنولد ديفيس " المرشح اليهودى لمقعد الحزب الديمقراطي بدائرته الانتخابية، وجاءت النتائج بفوز "أريل هيلليارد" بنسبة (٤٥ %) من الأصوات بينما حصل " ديفيس " على (٤٤ %) من الأصوات، ونشرت جريدة نيويورك تايمز في عددها الصادر في ٣ يونيه (٢٠٠٢م) موضوعا تشير فيه إلى ظهور الأموال المسلمة والعربية في حملة مساندة "هيلليار" ، حيث نظم المسلمون أنفسهم ، وقاموا بجمع التبرعات من ولايات مثل كاليفورنيا وميتشجان "لهيلليارد" حتى تحقق له الفوز في الانتخابات [٣٢] .

ثانياً : تداعيات أحداث الحادي عشر من سبتمبر (٢٠٠١م) على الاقتصاد العالمى

قبل أحداث الحادي عشر من سبتمبر كان هناك بدايات كساد أو ركود في الولايات المتحدة، فبعد عشر سنوات من الرواج الاقتصادي الهائل طيلة فترة حكم الرئيس السابق "بيل كلينتون" خلال التسعينيات، تصور قطاع التكنولوجيا أنها قاطرة من النمو لن تتوقف، وتصور الجميع أنه رواج دائم ومستمر، وفجأة وبدون مقدمات حدثت انهيارات في البورصة الكبيرة ، وبدأ الاقتصاد الأمريكى يدخل دائرة الكساد والتباطؤ مثل الاقتصاد اليابانى، ثم جاءت أحداث الحادي عشر من سبتمبر لتزيد من التحديات التى تواجه الولايات المتحدة الأمريكية اقتصاديا فى المرحلة المستقبلية.

ومن أبرز تداعيات أحداث الحادي عشر من سبتمبر اقتصادياً، وأن كانت في معظمها تأخذ الشكل السياسي هي [٣٣] :

- **الأول:** ارتباك مسيرة العولمة، فبعد أن كانت مسيرة العولمة تخطو خطوات إيجابية وسريعة ، فمنذ نهاية الثمانينيات وأخذت دفعة كبيرة في أوائل التسعينيات بعد انهيار الاتحاد السوفيتي وفتح الأسواق في الكتلة الشرقية، وتحرير التجارة في الدول النامية بعد اتفاقية منظمة التجارة الدولية، بدأت هذه المسيرة ترتبك بفعل أحداث الحادي عشر من سبتمبر.
- **الثانية:** إن القطاعات المتضررة الأساسية هي حركة السياحة في العالم كله، وحركة الطيران التي أصبحت غير آمنة، وأدت إلى خسائر فادحة لشركات الطيران مما دفع الحكومات إلى تقديم معونات لهذه الشركات لتمكينها من الاستمرار بجانب ارتفاع تكلفة النقل والشحن والتأمين الجديدة.
- **الثالثة:** محاولة استخدام الحرب ضد الإرهاب لعودة ما سماه بعض السياسيين (المركب العسكري الصناعي) وتطوير الصناعات الحربية، وهذا الإنفاق العسكري الهائل غير المسبوق في تاريخ الولايات المتحدة سيؤدى إلى إنعاش الاقتصاد الأمريكى وإخراجه من أزمته .

إلا أنه وفي ظل تداعيات الأزمة ظهر عدد من التطورات على الصعيد الاقتصـــادي العالمي، أهمها ظهور اليورو كعملة نقدية ، وتداولها ابتداء من يناير (٢٠٠٢م) منافسا للدولار الأمريكي، وظهر نظام عالميّ به عملتا ارتكاز " اليورو – الـــدولار " وقـــد يرتفع الطلب على اليورو مع قوة أوربا الاقتصادية القادمة، وعلى الـــين اليابـــانى في المستقبل مع خروج اليابان من أزمتها الاقتصادية ، وعندئذ يضعف الـــدولار كعملـــة طلب، وبغض النظر عن الحالة المصرية التي لا تعرف سوى الدولار [٣٤] .

هذا بجانب دخول الولايات المتحدة في الاتحاد الأوربي في مشكلات سوف تتصاعد في المستقبل، فأوربا ضعيفة سياسيا ، وقد تكون مفككة كذلك، ولكن هناك مصـــالح اقتصادية أوربية، كان أبرز هذه المشكلات (معركة الصلب) التي كانـــت الســـبب المباشر في وجود حرب اقتصادية متبادلة بين أوربا والولايات المتحدة.

تداعيات أحداث سبتمبر (٢٠٠١م) على الاقتصاد الأمريكي

استطاعت أحداث سبتمبر أن تؤثر بشكل مباشر على الوضع السياسي والاجتماعي والاقتصادي للولايات المتحدة،وكان أبرز هذه التداعيات الخسائر الاقتصادية،والتي كان أهمها [٣٥] :

- خسائر إجمالية من جراء تدمير برجي مبنى التجارة العالمى قدرت بما يتراوح ما بين (١٠٠ – ١٥٠) مليار دولار تتمثل في تكلفة إعادة البناء وإزالة الركام والترميم وفقدان الوظائف ومختلف الأرباح الضائعة على كبرى الشركات العالمية التي هدمت مقارها داخل المبنى .
- إحداث خسائر ضخمة في قطاع الطيران والسياحة والسفر في الولايات المتحدة، حيث انخفضت أسهم شركات الطيران الأوربى لحوالي (٥٢ %) نتيجة الخسائر الكبيرة التي تكبدها نتيجة ارتباك حركة السفر بالطائرات حول العالم،وإصابة حركة الطيران بالشلل التام لأكثر من ثلاثة شهور وتم الاستغناء عن آلاف الموظفين والعمال بلغت حوالي (١٢٥) ألف موظف.
- تراجع قيمة الأسهم الأمريكية عقب إعادة فتح بورصة نيويورك في (٢٠٠١/٩/١٧م) حيث بلغت خسائر الأسهم في " وول ستريت " خلال الأسبوع الأول من التعامل بعد الهجمات بنحو (١,٣٨) تريليون دولار ، وسجل مؤشر " داو جونز " الصناعي هبوطا قياسيا بلغ نحو (١٤,٣%) ليصل الانخفاض منذ مطلع عام (٢٠٠١م) إلى نحو (٢٠%) فيما بلغ مؤشر "ناسداك " لشركات التكنولوجيات (١٩ %) خلال أسبوع، ونحو (٥٥ %) على مدار العامين السابقين.
- وشهدت العملة الأمريكية الدولار ضغوطا شديدة منذ نهاية (٢٠٠٠م) تزايدت حدتها مع تفجر الأحداث الأخيرة ، فيما خسر اليورو الأوربى نحو (٢٩ %) من قيمته خلال الفترة من (يناير ١٩٩٩م) وحتى (أكتوبر ٢٠٠٠م) .
- بلغت قيمة الخسائر الأولية التي تتحملها شركات إعادة التأمين في الولايات المتحدة والعالم من جراء الهجمات (٣٠) مليار دولار على أقل تقدير نتيجة

الأضرار الهائلة في الممتلكات (مبنى التجارة العالمي) إلى جانب تزايد تخليص القتلى والمفقودين من الركام والأنقاض إلى ما يقرب من (٧) آلاف شخص، ومن المتوقع أن ترتفع قيمة هذه الخسائر (٧٠) مليار دولار لتعد الكبرى في تاريخ شركات التأمين وإعادة التأمين. وأعلن " ألن جرينسبان " رئيس البنك المركزي الأمريكى أن التكلفة الإجمالية لحملة مواجهة الإرهاب قد تصل لحوالى (١٠٠) مليار دولار أمريكى ، فيما قدرها (نيويورك تايمز) بنحو (٢٠٠) مليار دولار، واستنادا لما سبق يتضح أن الهجوم الإرهابي المفاجئ الذي تعرضت له الأهداف الإستراتيجية الأمريكية في ١١ سبتمبر (٢٠٠١م) جاءت تداعياته لتؤثر بشكل كبير على الاقتصاد العالمي، حيث ساهمت الأحداث في تباطؤ اقتصادي، فـ (٥٠ %) من مختلف المعاملات الدولية توجه بالدولار، وتسعر الصادرات النفطية بالدولار في جميع دول العالم.

كما شهدت الولايات المتحدة واليابان ومعهم الدول الصناعية موجة من الركود أدت إلى انخفاض الطلب على النفط ، وانخفاض أسعاره في أعقاب أحداث سبتمبر، وهو ما أدى بدوره إلى انخفاض وتذبذب العائدات النفطية التي تمثل المحرك الرئيسي للتنمية في البلدان العربية والخليجية خصوصا.

ورغم أن الانخفاض في أسعار النفط خلال عام (٢٠٠١م) لم يكن ملموسا بالمقارنة بعام (٢٠٠٠م) حيث بلغ المتوسط لسعر البرميل من نوع برنت الخام نحو(٢٤,٥٢م) دولارا للبرميل في عام (٢٠٠١م) مقارنة مع (٢٥,١٠) دولاراً خلال عام (٢٠٠٠م) ولكن انخفاض السعر في أعقاب أحداث سبتمبر، بينما كان متوسط سعر البرميل في أغسطس (٢٠٠١م) (٢٥,٦٦) دولارا للبرميل لتصبح (٢٥,٦٢) دولارا للبرميل بعد شهر أغسطس ، ثم تنهار الأسعار لحوالى (٢٠,٦٢) دولاراً في شهر أكتوبر عام (٢٠٠١م) ، ثم إلى (١٨,٧٦) دولاراً خلال نوفمبر و (١٨,٧١) دولاراً خلال شهر ديسمبر من نفس العام، مما اضطر منظمة الأوبك ؛ لأن تخفض سقف إنتاجها بداية من يناير (٢٠٠٢م) بنحو (١,٥) مليون برميل يوميا ثم ارتفعت الأسعار قليلا بعد الحرب على العراق أبريل (٢٠٠٣م) [٣٦] .

تأثير أحداث سبتمبر (٢٠٠١م)
على اقتصاد الأقليات المسلمة فى الغرب

بعد اتهام الولايات المتحدة الأمريكية بعض الدول العربية والإسلامية بقيامها بتمويل العديد من المنظمات والجمعيات والجماعات الإرهابية في أوربا وأمريكا ، حيث تسعى هذه المنظمات إلى ضرب المصالح الأمريكية في مختلف دول العالم قبل أحداث مركـز التجارة العالمي والبنتاجون، كانت أحداث نيروبي ودار السلام، وتـدمير السـفارتين الأمريكيتين بهما ثم المدمرة كول بالقرب من السواحل اليمنية، ثم تفجيرات الريـاض ، والدار البيضاء التي استهدفت رعايا أمريكان بعد أحداث سبتمبر (٢٠٠١م) .

وأصبحت الولايات المتحدة أمام خيارين هما:

- الضغط على الدول التي تدعم هذه المنظمات بالتخلي عن هذه السياسـة، و إن كان بعضها دولا صديقة كالسعودية ومعظم دول الخليج و باكستان، و الكف عن تدعيم هذه التيارات التي تؤثر على الاستقرار الأمني في العالم.
- تعقب رجال الأعمال و المستثمرين المسلمين، الذين هاجروا إلى الغـرب منـذ سنوات عديدة، واستطاعوا أن يكون لهم في تلك البلدان اقتصـاد مسـتقل ، فأقاموا الشركات والمشروعات الضخمة التي عادت عليهم بالأموال الطائلة.

لذلك قامت الولايات المتحدة والعديد من الدول الأوربية المؤيدة للموقف الأمريكي بتجميد أرصدة المسلمين في البنوك الغربية، والتضييق على رأس المال الإسلامي بجانب محاصرة العمل الخيري الذي تقوم به المنظمات الإسلامية، والتشديد على التحاق المسلمين بسوق العمل بإيقاف عمليات الهجرة، واتخاذ إجراءات مشددة قبل الموافقة على ذلك(٣٧) :

١- تجميد أرصدة المسلمين في البنوك الأجنبية :

ليست أحداث سبتمبر هي المرة الأولى التي كانت سببا لتعرض الفوائض المالية المستثمـرة للدول البترولية في الغـرب لمعاملة متحيزة حادة تجعلها عرضه ربما للتلاشى ما بين لحظة وأخرى، وقد سبق وأن قامت الإدارة الأمريكية بتجميد الأصول الإيرانية

والليبية ثم العراقية، هذا علاوة على بعض المخاطر التي تتعرض لها هذه الاستثمارات بأنماط التوظيف التي تتم حاليا.

وبعد أحداث سبتمبر أسرعت الحكومة الأمريكية إلى اتخاذ سلسلة من الإجراءات في إطار حملتها ضد الإرهاب، في مقدمتها الإعلان عن تجميد أرصدة بنكية تابعة لأشخاص ومؤسسات وشركات عربية وإسلامية في الولايات المتحدة وخارجها بتهمة علاقة هؤلاء المباشرة أو غير المباشرة بتنظيم القاعدة، باعتبار أن " أسامة بن لادن" زعيم تنظيم القاعدة هو أحد كبار المستثمرين السعوديين خارج المملكة العربية السعودية، فإن العديد من الشركات والمؤسسات السعودية قد يشملها هذا التضييق، بالإضافة إلى قائمة لأشخاص وشركات أدرجتها الإدارة الأمريكية ضمن قائمة الأطراف الراعية للإرهاب، وعللت بذلك تجميد حساباتها في البنوك والمؤسسات المالية والبورصات وصارت على نفس النهج دول عربية وأوربية حيث وضعت قوائم جديدة أخرى لأفراد وشركات لها علاقة بتنظيم القاعدة، وفتحت بالتالي المجال واسعا إلى مصادرة هذه الأموال وإيقاف نشاطها.

هذا بجانب الأوراق المالية خاصة السندات الحكومية في الدول الغربية الكبرى كالولايات المتحدة وبريطانيا، وألمانيا ومن البلدان النفطية صاحبة الفوائض يقدر أن بلدان مجلس التعاون الخليجي ال (١٦) وظفتت في هذه القناة حتى نهاية عام (١٩٨٥م) ما يزيد على (٥٥) مليار دولار أمريكي منها (٦٠ %) في سندات الخزينة الأمريكية.

وقد كشفت التحقيقات التي أجرتها أجهزة المخابرات المركزية الأمريكية أنه وبعد أحداث سبتمبر تم تصفية الحسابات والخروقات القانونية في حق مؤسسات مالية وشركات تابعة لمواطنين مسلمين تحت زعم اشتراكها في تمويل تنظيم القاعدة،وهو ما أدى إلى تجميد أرصدتها البنكية ومعاملتها المالية، هذا فضلا عن مصادرة أموال المشكوك فيهم من المسلمين، ورغم صعوبة حصر الشركات والمؤسسات التي أضيرت بعد أحداث سبتمبر، إلا أن الثابت أن العدد كبير، وبرقم معاملات يقدر بمليارات الدولارات حيث أعلنت (٩٥ %) من دول أوربا عن شركات ومنظمات وجمعيات إسلامية تتلقى دعما وتمويلا من تنظيم القاعدة.

٢- التضييق على رأس مال المسلمين :

نظرا لتزايد مصادرة الولايات المتحدة والدول الأوربية لأموال رجال الأعمال المسلمين المهاجرين في الخارج، أسرعت بعض المؤسسات الإسلامية في العالم العربي والإسلامى إلى تحويل أموالها من الأسواق الغربية إلى الأسواق الإسلامية في بلدان العالم الإسلامى، أو دول الاتحاد الأوربي وعلى الرغم من اختلاف المصادر في تقدير حجم الأموال المسحوبة من السوق الأمريكى، حيث أشارت بعض الإحصائيات إلى أن الرقم ربما يصل لحوالى (٢٠٠) مليار دولار، وبالتالي فإن المستثمر المالي المسلم في الغرب أصبح يعيش حالة رعب وقلق على أمواله و مدخراته، كما لم يعد مستبعدا أن تقوم السلطات الأمريكية بمصادرة أموال أي جمعية، أو منظمة إسلامية تحت زعم انتماء بعض أفرادها إلى تنظيم القاعدة.

ويبدو مما سبق أنه لا يوجد تصور واضح وموحد أو مشترك لرؤوس الأموال العربية والإسلامية في الخارج، وكل ما هنالك مجموعات تعمل وتتخذ القرار بشكل فردى، بل إن لكل مجموعة تصورها الخاص، وبالتالي لا تكف المنظمات اليهودية العاملة في المجال الاقتصادي والتجاري عن حث السلطات السياسية الغربية على اتخاذ المزيد من إجراءات التضييق على رأس المال المسلم خاصة بعد أن كشفت الواشنطن بوست (وهي صحيفة أمريكية شهيرة) عن وجود رأس المال المسلم في الدعاية الانتخابية للرئيس "جورج دبليو بوش " ومرشحي بعض الولايات على مقاعد مجلس النواب والكونجرس الأمريكى.

٣- وقف الهجرة العربية والإسلامية الى الغرب:

كان من الظواهر الملحوظة بعد أحداث سبتمبر (٢٠٠١م) ظهور تيار معاد للوجود العربي والإسلامى في أوربا، وكانت فرنسا أبرز الأمثلة على ذلك حيث طلب (ليبوان) بطرد المسلمين من فرنسا، ومن أوربا كلها، حتى لا تتحول فرنسا بل والقارة الأوربية إلى شرق أوسط آخر.

وتشير الإحصائيات الرسمية حول الأقليات الإسلامية في العالم أن نصف المهاجرين واللاجئين إلى أوربا وأمريكا ينتمون إلى دول عربية وإسلامية، وهي ما يعزز بشكل سنوي حجم المعاملات المالية والاقتصادية لدى الأقلية المسلمة، ويرفع من التحولات

المالية إلى الدول الأصلية ، وذلك على الرغم من انتماء معظم المهاجرين المسلمين إلى طبقة محدودي الدخل.

وبالتالي يمكن القول : إن حياة أبناء الأقليات الإسلامية في العالم، وظروف معيشتهم قد أصبحت أكثر تأزما خلال السنوات الثلاث الماضية ، وتحديدا بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر (٢٠٠١م) ، ومن ناحية أخرى باتت جهود الدول الخليجية العربية نحو جذب مزيد من الاستثمارات الأجنبية إلى المنطقة باتت أكثر صعوبة خاصة في ظل ارتفاع معدلات المخاطر الأمنية والسياسية للاستثمارات في المنطقة ، بعد قيام الولايات المتحدة بشن حرب عسكرية بالقرب من حدود منطقة الخليج في أفغانستان والعراق، حيث قد يؤدى ذلك إلى تأجيل تنفيذ خطط التنمية ومشروعات الخصخصة وبيع شركات القطاع العام المملوكة للدولة، والتأثير على خطط الدول العربية الرامية إلى التوسع في مشروعات البنية الأساسية والاستثمار في حقول النفط والغاز [٣٨] .

٤- تشديد إجراءات الحصول على وظيفة لمسلم :

تأثرت الأقليات المسلمة في الخارج بأحداث الحادي عشر من سبتمبر في مجال العمل فى قلة الحصول على وظيفة ، وأصبحت ملامحهم العربية، وهويتهم الإسلامية عائقا أمام قبولهم في الشركات والمصانع بصرف النظر عن مؤهلاتهم وكفاءاتهم العلمية التي يتمتعون بها، ويتميزون بها عن غيرهم من الأقليات غير الإسلامية.

كما قامت حكومات الدول الأوربية بتشديد شروط قبول المسلمين في الشركات والمصالح التابعة للدولة، كما سجلـــت منظمة العمل الدولية انتهاكـــات عديدة ضد المسلمين والعرب في أمريكا وأوربا من حالات طرد، والمماطلة فى صرف المرتبات لأسباب عنصرية، بجانب حرمان الطـــلاب المسلمـــين من أبناء الأقليات الإسلامية الالتحـــاق ببعض الجامعات الأوربيـــة ذات التخصصات النادرة منها علوم الذرة، والصناعات الحربية [٣٩] ،وذلك لاحتمال تجنيد بعض هؤلاء الطلاب ضمن تنظيم القاعدة الذي يتزعمه أسامة بن لادن.

٥- التضييق على المؤسسات الخيرية الإسلامية في أوربا:

تتهم الإدارة الأمريكية والحكومات الأوربية منظمات وجمعيات العمل الخيري الإسلامى بالتغطية على أنشطة اقتصادية ومالية تابعة لتنظيم القاعدة ، وخاصة بعد نجاح الأقليات المسلمة في الغرب من تأسيس شبكة من المنظمات والمؤسسات الخيرية بلغ رقم

معاملاتها السنوية بمئات الملايين من الدولارات تقدم إعانات بشكل دوري للعديد من الدول الإسلامية الفقيرة مثل الصومال، والسودان، والشيشان، وكشمير، ومسلمي الفلبين، وإريتريا، بجانب دعمهم للأنشطة التي تقوم بها الجالية العربية والإسلامية في الغرب مثل بناء المساجد، وتشييد المدارس والمراكز الإسلامية والدعوية، إلا أنه وبعد أحداث سبتمبر تم مصادرة أموال معظم هذه المؤسسات والجمعيات بزعم ارتباطها بأنشطة مشتركة مع تنظيم القاعدة.

ثالثا : تداعيات أحداث سبتمبر (٢٠٠١م)
وتأثيراهًا على حقوق الإنسان في الغرب

كان من التحولات التي أعقبت الحرب الباردة، الاهتمام الكبير بحقوق الأقليات وحقوق الإنسان، و تبعت ذلك زيادة كبيرة في المنظمات التي تدافع عن حقوق الإنسان، وتهتم بأوضاعهم كما أن الولايات المتحدة جعلت حماية حقوق الإنسان شرطا أساسيا لتحسين علاقتها مع بعض الدول، لكن ضرورات الحادي عشر من سبتمبر الأمنية، والحاجة إلى تكوين تحالف إعلامي لمواجهة الإرهاب، جعلت الولايات المتحدة تتغاضى عن انتهاكات حقوق الإنسان لحلفائها الجدد، وتحويلها قضية حقوق الإنسان إلى درجة دنيا من الأهمية، حتى تنتهي معركتها مع الإرهاب، كما كان الحال في صراعها مع الشيوعية في السابق .

وقد أدت هذه الإجراءات إلى تزايد المخاوف من تأثيرها ليس على واقع حقوق الإنسان في العالم وإنما على حقوق الأقليات الإسلامية أيضا، هذه المخاوف عبرت عنها منظمة العفو الدولية في تقريرها الصادر في ١٨ يناير (٢٠٠٢م) بعنوان "الحقوق في خطر " حيث دعت كل الحكومات وخصوصا الولايات المتحدة والدول الأوربية إلى الإحجام عن أي خطوات مبالغ فيها لمكافحة الإرهاب قد تؤدى إلى انتهاك الحريات الأساسية و تقويض المعارضة الشرعية.

ففي أوزبكستان (حليف الولايات المتحدة بعد أحداث سبتمبر) قام الرئيس " إسلام كريموف " رئيس أوزبكستان باعتقال (٧) آلاف مسلم بسبب إطلاق لحاهم، وآخرين بتهمة توزيع منشور ديني يدعو لرفض الهيمنة الأمريكية على منطقة آسيا الوسطى[٤٠] ، كما تركت الولايات المتحدة شرذمة من الشعب العراقي ينهب ويسرق كل المنشآت الحكومية ويخربها دون أى تدخل بما فيها الآثار والمتاحف.

و لم تكن الولايات المتحدة التي فرضت تشريعات وقوانين جديدة، واتخذت إجراءات احترازية لمواجهة الإرهاب، واعتبرت في معظمها متناقضة مع معايير حقوق الإنسان بعيدة عن مصالحها، فقد سارت بريطانيا على نفس النهج، حيث طرح وزير الداخلية "ديفيد بلانكيت" في ١٢ نوفمبر (٢٠٠١م) مشروع قانون جديد لمكافحة الإرهاب على البرلمان — مجلس العموم البريطاني – أطلقت عليه ، الصحف البريطانية

اسم " قانون الطوارئ " يشتمل فى بنوده على احتجاز المشتبه في أنهم إرهابيون أو أن لهم علاقة بالإرهاب، وسجن المشتبه في أنهم إرهابيون دوليون إلى أجل غير مسمى عن طريق محاكم خاصة مغلقة أمام الجماهير والصحافة.

كما أعدت الحكومة الفرنسية قانونا مماثلا أطلقت عليه اسم قانون الأمن القومي الذي يتيح لرجال الشرطة اقتحام المنازل والمحلات التجارية للتفتيش وفحص السيارات من الداخل ، وتشديد المراقبة في المطارات والموانئ مع تفتيش الأشخاص والتأكد من بطاقة إقامتهم .

أما في ألمانيا فقد قامت الحكومة باقتراح عدة قوانين لمكافحة الإرهاب تهدف في معظمها إلى إعطاء الأجهزة الأمنية كافة الصلاحيات في القبض على بعض الأشخاص، وتفتيشهم، وإخضاعهم للتحقيقات، مع إجبار المصارف والخطوط الجوية وشركات الاتصالات على وضع معلوماتها حول عملائها تحت تصرف السلطات الأمنية ، وخاصة إذا كانوا من العرب والمسلمين(٤٢) ، وعلى نفس النهج أصدرت إيطاليا قانون مكافحة الإرهاب بهدف الحد من هجرة العرب والمسلمين إليها، وإخضاع المقيمين لديها لتحقيقات حول معلوماتهم عن التنظيمات الإسلامية في بلدانهم، أو علاقتهم بتنظيم القاعدة.

أما بالنسبة لحملة القبض على أشخاص من أصول شرق أوسطية في الولايات المتحدة فإن وزارة العدل قامت باعتقالهم واحتجازهم، على الرغم من عدم توافر دليل على تورطهم في أعمال إرهابية،وتم احتجازهم بناء على مخالفات ارتكبوها تتعلق بمخالفات مرورية، أو ما ترتبط منها باستكمال إجراءات الهجرة، واتخذ ذلك كمبرر لاستمرار احتجازهم وليس لوجود دليل على تورطهم في أعمال إرهابية.

وهذا ما عبر عنه صراحة "جون أشكروفت" المدعى العام الأمريكي بقوله :" لا يمكن أن ننتظر الإرهابيين ليقوموا بضربتهم ثم نقوم بإجراء التحقيقات وعمليات القبض عليهم، بل يجب أن نمنع أولا، ثم نحاكم ثانيا، وبالرغم من إعلان "أشكروفت" أن هذه الاعتقالات لم تمس مواطنين أمريكيين إلا أن المشكلة أن هناك (٢٠) مليون شخص غير مواطنين يقيمون بالولايات المتحدة، وعدد كبير منهم يقيم بشكل قانوني وينتظر الحصول على الجنسية ، وهؤلاء يمكن تطبيق قوانين مكافحة الإرهاب عليهم مما يعد انتهاكا لحرياتهم وحقوقهم المدنية، وإن لم يحصلوا على الجنسية بعد(٤٣) .

فالواضح أن الأمريكيين اكتشفوا فجأة مع تلك الأحداث أن نظامهم السياسي الذي صقلته التجربة منذ قيام الولايات المتحدة في الربع الأخير من القرن (١٨) نظام مثالي، ولكنه مهدد ومخترق، و لم يوفر الأمن للمواطنين، كما لم يترجم مصادر القوة إلى أمن داخلي، فأصبحت فوبيا الإرهاب هي التي تسيطر على الذات الأمريكية بشكل مقصود أو تلقائي، وارتفعت لافتة مكافحة الإرهاب محل إقرار حقوق الأقليات وحماية حقوق الإنسان ورعاية الديمقراطية في العالم.

الإخلال بمبدأ توازن القوى في العالم :

أدت أحداث سبتمبر (٢٠٠١م) إلى الإخلال بمبدأ التوازن بين السلطات في الولايات المتحدة وإلى تصاعد قوة السلطة التنفيذية على حساب السلطتين التشريعية والقضائية، فقد حول الكونجرس (السلطة التشريعية) العديد من صلاحياته للإدارة (السلطة التنفيذية) منها حق إعلان الحرب بإعطائه التصريح باستخدام القوة العسكرية وحتى قبل معرفة من الذي قام بتلك العمليات وهل هي قوى داخلية، أم قوى خارجية.

وصدر هذا التصريح من الكونجرس بأغلبية ساحقة عدا صوت واحد في مجلس النواب، كما وافق الكونجرس على قانون مكافحة الإرهاب الذي قدمته الإدارة بشكل سريع [٤٤] ، وبدون دراسة متأنية في الكونجرس، كما هو المعتاد في معظم مشاريع القوانين، حيث طلبت الإدارة من الكونجرس الموافقة على مشروع القانون خلال أسبوع من تقديمه، وبدون إدخال أي تعديلات عليه، ومن ثم فقد عقد الكونجرس جلسة استماع واحدة للنظر في القانون، و لم تعقد جلسات مماثلة في مجلس الشيوخ، ومارست الإدارة ضغوطا شديدة على الكونجرس للموافقة على القانون منها التحذير الذى أطلقه المدعى العام "أشكروفت "من أنه مازال هناك هجمات إرهابية محتملة، وأن اللوم سيقع على الكونجرس إذا لم تتم الموافقة على مشروع القانون بشكل سريع، وأطلقت الإدارة اسم " القانون الوطني الأمريكى " على مشروع هذا القانون .

كذلك تم إنشاء وكالة فيدرالية جديدة أطلق عليها اسم " وكالة أمن المطارات " تكون مهمتها ضمان الأمن في كل موانئ السفر سواء الجوى والبحري، وأعلنت وزارة الدفاع الأمريكية أن الولايات المتحدة وهي تستعد للرد على اعتداءات ١١

سبتمبر (٢٠٠١م) قامت بنشر أكثر من ربع مليون عسكري في قواعد خارج أراضيها خصوصا في أوربا والشرق الأوسط وشرق آسيا أو على سفن حربية.

وفي أواخر مارس (٢٠٠٢م) قدرت أعداد هذه القوات بحوالى (٣٦٥) ألفا من بينهم (٥٥) ألفا على سفن البحرية الأمريكية، ويتوزعون على الأسلحة المختلفة من قوات برية، ومشاة بحرية، والسلاح الجوى، كما يوجد في أوربا (١٢٠) ألف جندي أمريكى في ألمانيا وبريطانيا، وتوجد اثنتان من القواعد الجوية الرئيسية للولايات المتحدة في إيطاليا، الأولى هي قاعدة أفيانو شمال البلاد، والثانية من أكبر القواعد العسكرية الأمريكية في البحرالمتوسط في سيجونيلا (جزيرة صقلية) واستخدمت كقاعدة دعم لوجستى في نزاعات الشرق الأوسط والبوسنة، وقاعدة إنجرليك الجوية التي تستخدم كنقطة انطلاق للطائرات التي تراقب شمال العراق، والتي ساهمت بشكل كبير في الحرب على العراق .

وللولايات المتحدة أيضا حوالي (٣٣) ألف جندي في منطقة الخليج ينتشر معظمهم على السفن الحربية (الأسطول الخامس) و(٥٠) ألف جندي في اليابان في جزيرة أوكيناوا و(٣٦) ألف جندي أمريكى في كوريا الجنوبية ومعظمهم من القوات البرية [٤٥] ، وبعد أحداث سبتمبر تم فتح القاعدتين الأمريكتين السابقتين في الفلبين قاعدة كلارك الجوية،وسوبيك باى البحرية لمواجهة الإرهاب في جنوب الفلبين، هذا بجانب قاعدة دييجو جارسيا بالمحيط الهندي.

كما قامت الولايات المتحدة بعقد عدة تحالفات دولية لمواجهة الإرهاب مع دول لها سجل حافل بانتهاكات حقوق الإنسان ، وتدار بواسطة نظم سلطوية مثل جمهوريات آسيا الوسطى وخاصة أوزبكستان ، كازاخستان، قيرغيزستان والتي ما تزال تحكمها النخب التسلطية من العهد الشيوعي السابق ، وعقدت صفقات مع دول مثل روسيا والصين تقوم بمقتضاها هاتان الدولتان بتأييد حملة الولايات المتحدة ضد الإرهاب في مقابل تخلى الولايات المتحدة عن انتقاداتها للممارسات الروسية في الشيشان، وللممارسات الصينية في إقليم تركستان الشرقية أو سنكينانج ذي الأغلبية المسلمة، وهى ممارسات انتقدتها الولايات المتحدة في السابق بدعوى انتهاكات حقوق الأقليات أو حقوق الإنسان.

فى الوقت الذى دعمت فيه الولايات المتحدة بعض الأنظمة السياسية العربية الآسيوية والأوربية لتعقب الجماعات الإرهابية، أوالتنظيمات الإسلامية ذات الطابع العنيف على أراضيها ، واتخاذ كافة الإجراءات نحو تصفيتها، بغض النظر عن القوانين التي كانت محل اعتبار في السابق ، فالموقف من التعذيب تغير بصورة كبيرة بعد أحداث سبتمبر عندما ألمح مكتب التحقيقات الفيدرالية أنه قد يلجأ إلى تغيير أساليب التحقيق العادية من أجل انتزاع اعترافات من المعتقلين، بما فيها ترحيلهم إلى أماكن تستخدم فيها أساليب اعتقال قاسية.

وبدأت الولايات المتحدة تتراجع عن فكرة مهاجمة المحاكم العسكرية في العديد من دول العالم الثالث، وذلك لأنها هي ذاتها أنشأت هذا النوع من المحاكم، فتقرير الخارجية الأمريكية حول الديمقراطية وحقوق الإنسان أسقط عن مصر الشق الخاص بالهجوم على المحاكم العسكرية ، وكذلك رفع العقوبات عن برفيز مشرف رئيس باكستان الحالي.

الرد على الهجمات الأمريكية بحرب أفغانستان:

كان التفكير الأمنى قبل كارثة تفجير مركز التجارة العالمى ومقر البنتاجون منحصرا في الهجوم الصاروخي على الولايات المتحدة الأمريكية، وقد واجهته الإدارة الأمريكية بمجموعة سياسات تتفاوت ما بين منع انتشار أسلحة الدمار الشامل أو الحد منها وبين التصدي لمواجهة احتمال امتلاك بعض الدول لتكنولوجيا الصواريخ النووية، غير أن أحداث الحادي عشر من سبتمبر جعلت الإدارة توسع دائرة احتمالات الخطر، حيث وضعت في حساباتها صورتين من الهجوم، هما الهجوم المبطن والهجوم الإليكتروني، والتحسب للهجوم المبطن وهو المحرك الديناميكي لها في تدمير أسلحة الدمار الشامل التي تمتلكها ما تطلق عليه الدول المارقة.

إذ يمكن إلقاء جهاز نووي خام في مدينة كبرى، أو رش مادة الأعصاب الكيميائية في استاد رياضي مليء بالجمهور، أو نشر فيروس بيولوجى مثل الجمرة الخبيثة بين المسافرين بالمطار، وهي كانت توقعات ترددت في أوساط المفكرين والمحللين السياسيين في أمريكا قبل أحداث سبتمبر (٢٠٠١م) .

أما الهجوم الإليكتروني وهو سيناريو يطلق عليه المحللون الأمريكان " واترلو الإليكترونية " إشارة إلى معركة واترلو بين الإنجليز ونابليون، فهجوم بهذه الصورة على

شبكة المعلومات الإليكترونية في أمريكا من شأنه أن يشل الاقتصاد الأمريكى، ويمكن لفيروس يقتحم نظام المعلومات في البنتاجون أن يشل القدرة العسكرية، ويمكن نقل الفيروس عبر الإنترنت لأي جهة ولمواجهة هذه الأخطار المحتملة تم تخصيص (١٠) مليارات دولار من ميزانية (٢٠٠٢م) وتم تأسيس ما يشبه وزارة الداخلية الفيدرالية، وتم إصدار تشريعات مساندة أهمها قانون حماية الحدود[٤٦] .

ولعل الحرب على أفغانستان للقضاء على تنظيم القاعدة تمثل تحولا من الواجهة الإستراتيجية الأحادية المنقطعة عن فهم الثقافة المحلية، التي كانت تنظر بها الولايات المتحدة إلى الأوضاع في أفغانستان بقلق شديد ، فعندما أنشئت طالبان بمبادرة باكستانية ومباركة أمريكية ، كان البعد الإستراتيجي هو الدافع الأكبر وراء التأييد الأمريكي ، فطوال حكم طالبان كان هناك اتجاهان داخل الإدارة الأمريكية، أحدهما مؤيد لطالبان، والآخر معارض لها، وغلب التيار المؤيد الذي كان يرى أن البعد الإستراتيجي يجب أن يطغى في التعامل مع الطالبان فهي ضد إيران وروسيا ومع باكستان ، لذا يجب غض الطرف عنها، وعدم انتقادها، يضاف إلى ذلك طبيعة طالبان التقليدية المحافظة وعدم خبراتها في السياسة الإقليمية والدولية ستجعلها على عكس الإسلام السياسي الثوري ، فهي لا تملك الخبرة في تصدير ثورة إلى خارج أفغانستان، وتركز على أمور العقيدة والسلوكيات الإسلامية واعتمادها على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

وعلى الرغم من ذلك فإن أفغانستان بلد يحتل مرتبة ثانية في التفكير الإستراتيجي الأنجلو أمريكى فهي ليست بلدا ساحليا ينضوي ضمن الطرق التجارية التقليدية، ولا يمتلك ثروات نفطية تجعله ينضوي تحت إستراتيجيه الطاقة ، فضلا عن أنه لا يتمتع بمخزون ثقافي وحضاري يضع له ثقلا وحضورا سياسيا في النظام الإقليمي، وتكمن أهميتها في الحاجز بين الكنز النفطي في الخليج، والجيوش السوفيتية، فبعد مرحلة الحرب الباردة تحولت لميدان لتدريب عناصر المخابرات أمريكية هدفها إحداث حالات من التوتر في بعض الدول التي لا تتعاون مع الإدارة الأمريكية، لذلك تحولت أفغانستان إلى بؤرة ومستنقع يختلط فيه الإرهاب بالجهاد، والعمالة بالدعوة، والتعصب للإسلام، وصارت أفغانستان في العشر سنوات الأخيرة تحتل موقعا استراتيجيا بين الشرق

الأوسط ووسط آسيا، وشبه القارة الهندية، وتقع مباشرة بين تركمانستان وأسواق الهند والصين واليابان المربحة والمرغوبة والمتنامية، كما جاء هذا التغيير عندما أصبحت أفغانستان ما يشبه الخيار الوحيد لمشروع أنابيب النفط الأمريكية مع روسيا في تعزيز السيطرة على تدفق الغاز، فهي تتمتع بموقع جغرافي يجعلها ممر ترانزيت مهما لصادرات النفط والغاز الطبيعي من وسط آسيا إلى بحر العرب[٤٧] .

ورغم أن هناك اتجاها في بعض الكتابات الصحفية في الولايات المتحدة ترى أن الدافع الرئيسي الذي كان وراء حملة الولايات المتحدة على أفغانستان هو دافع اقتصادي ،للوصول إلى مناطق النفط في منطقة بحر قزوين ، إلا أن الواقع لا يساند هذا الاتجاه من منطق أن الخبراء يقدرون حجم بترول بحر قزوين بـ (١٥ مليار برميل) ، بينما احتياطي السعودية يقدر بـ (١٥) مليارا، والعراق (١٧ مليارا)، وإيران (١٣ مليارا) الأمر الذي يجعل منطقة الخليج هي محط الاهتمام الأمريكي الأول[٤٨] ، وبالتالي جاءت الحرب على العراق، ومحاولة الاستيلاء على بترول العراق فى أولويات السياسة الأمريكية بعد أحداث سبتمبر (٢٠٠١م) ، وأن هذا لن يتأتى إلا بحملة عسكرية تستهدف القضاء على نظام صدام حسين غير المتعاون مع الإدارة الأمريكية، وأن هذه الحرب ستقربها أكثر من إيران، الدولة الثانية في محور الشر الذي أعلنت عنه الإدارة الأمريكية، وبالتالي لا تكف الولايات المتحدة بعد إزاحة نظام صدام حسين من العراق عن تهديد إيران ، والتذرع بأى صورة للتدخل في شؤونها الداخلية .

فقبل حرب أفغانستان استعدت الولايات المتحدة جيدا عسكريا ودبلوماسيا وإعلاميا ، حتى لا تهتز صورتها أمام العالم مرة أخرى بعد كارثة الحادى عشر من سبتمبر (٢٠٠١م) .

وفي تمام الساعة العاشرة إلا الثلث من مساء الأحد السابع من أكتوبر (٢٠٠١م) بدأ الرد الأمريكى على الهجوم الإرهابي في ١١ سبتمبر عقب إنذار حكومة طالبان بتسليم أسامة بن لادن باستخدام طائرات (بى١، و بى٢) التي قلعت من قاعدة ميسوري بالولايات المتحدة و(بى٥٢) التي شاركت في حرب أفغانستان الحرب على العراق، وكان دورهما في حرب أفغانستان إطلاق صواريخ كروز بهدف شل القدرات الدفاعية الجوية ومنشآت الاتصالات قبل بدء العمليات الخاصة والإنزال ومطاردة

تنظيم القاعدة ، وقد هدف القصف الجوى والصاروخي إلى ضرب مطارات أفغانستان وضرب مواقع الدفاع الجوى، وضرب أجهزة الإنذار الجوى وتدمير معسكرات الإرهابيين - على حد زعمها - وقيادة قوات طالبان وضرب المخازن الإدارية الرئيسية، منها مخازن الوقود، بهدف إحكام السيطرة الجوية، وقد نجحت الولايات المتحدة في ذلك(٤٩) .

أما على المستوى الدبلوماسي فقد قام "دونالد رامسفيلد " وزير الدفاع الأمريكي بزيارة عدد من دول الشرق الأوسط في الفترة من (٣ – ٦ أكتوبر ٢٠٠١م) منها السعودية ، ومصر ، وسلطنة عمان وأوزبكستان ، والتقى خلالها بعناصر من المعارضة الأفغانية في طشقند قبل عودته لواشنطن.

على الجانب الآخر قام رئيس الوزراء البريطاني "تونى بلير" بزيارة مماثلة إلى روسيا والهند وباكستان لنفس الغرض السابق، ثم إعلان الولايات المتحدة عن تقديم مساعدات للشعب الأفغانى قدرها (٣٢٠) مليون دولار، وأن واشنطن تسعى إلى تحرير الشعب الأفغانى من سيطرة طالبان والمنظمات الإرهابية على أراضى أفغانستان ، وبعد انتهاء الحرب تم تعيين حكومة موالية للولايات المتحدة وهى حكومة حامد قرضاى ومطاردة الملا عمر، وأسامة بن لادن حيث تشير المصادر الأمريكية إلى وفاقما في إحدى الغارات الجوية على قندهار وفق تصريح وزير الدفاع الأمريكي فى القاعدة العسكرية الأمريكية في قطر أثناء الحرب على العراق.

إلا أن تنظيم القاعدة وأثناء احتفال الولايات المتحدة بذكرى أحداث الحادي عشر من سبتمبر والقضاء على تنظيم القاعدة وزعيمها أسامة بن لادن وذراعه الأيمن أيمن الظواهري وسحق الملا عمر على الحدود الباكستانية ، فوجئت بشريط جديد لزعيم تنظيم القاعدة تبثه قناة الجزيرة الفضائية القطرية يتوعد فيه أسامة بن لادن بالمزيد من الأعمال الجهادية ضد الولايات المتحدة ومصالحها فى مختلف دول العالم، حيث ظهر من خلال مادة الشريط الفيلمى أنهما فى حالة جيدة ، ورصدتهم الكاميرات وهم يتسلقون الجبال الوعرة وهم في هذا السن، هذا فضلا عن تحركهما في الهواء الطلق في غياب الأقمار الصناعية الأمريكية التي تقوم بمسح الكرة الأرضية مرة كل نصف ساعة حسب ما تشير إلى ذلك العديد من المصادرالأمريكية .

الأمر الذي أظهر للرأي العام في أمريكا والعالم عدم مصداقية الإدارة الأمريكيــة في التصريحات التي تعلن عنها بين الحين والآخر، وهى في حقيقتها معلومات تســتهدف تخفيف حدة الأزمة التي تمر بها الولايات المتحدة بعد التوغل في الأراضــي العراقيــة، وعدم تمكنها من توفيق الوضع هناك بعد مرور أكثر من عام كامل على نهاية الحــرب على العراق في الوقت الذي ينادى فيه البعض من العراقيين بعودة صدام حسين مــرة أخرى لتولى الحكم في العراق باعتبار أنه الوحيد القادر على أن يوحد بين الطوائــف والجماعات والعرقيات في العراق.

تداعيات حرب أفغانستان والعراق على العالم الإسلامى

الثابت من القراءات الإستراتيجية المستقبلية أن هزيمة فصيل من فصائل الحركة الإسلامية لم يعن بأي حال من الأحوال هزيمة أو انكسارًا موازياً لباقي الفصائل السلمية، بل العكس هو الأقرب للصواب، فهزيمة العنف الجهادى في معركة أفغانستان جاء أساسا بسبب حسابات السياسة وفروقات القوه الهائلة بين الجانب الطالبانى والأمريكانى وتفوق سلاح الجو الأمريكي بشكل كبير.

وكانت الولايات المتحدة قد اعتقدت مع بداية المعركة أن يقتل الأفغان بأنفسهم حلفاءهم العرب، الذين جاؤوا لمناصرة إخوانهم في الدين عند غزو السوفييت لأفغانستان، ونسوا أن الأفغان مسلمون ، وليسوا كفاراً أو صليبين كما تصوروا، وسارعت كل من الإمارات العربية المتحدة والسعودية بقطع علاقاهما الدبلوماسية مع حركة طالبان ، بسبب رفض طالبان تسليم " أسامة بن لادن " زعيم تنظيم القاعدة، واستدعت السعودية مواطنيها من أفغانستان، والبوسنة والشيشان والتحقيق معهم بشأن صلتهم بتنظيم القاعدة ، وتم وضع بعضهم على قوائم الممنوعين من السفر حال الإفراج عنهم.

وقامت السعودية كذلك بإسقاط الجنسية عن " أسامة بن لادن" في الوقت ذاته قامت الكويت بنفس الإجراء إزاء سليمان أبي غيث، ومصر إزاء أيمن الظواهري، ومصادرة أموال كل الجمعيات والمنظمات التي تتعامل مع تنظيم القاعدة أو مع إيران في مجتمعات الأقليات المسلمة في أوربا وأمريكا، ثم جاءت الحرب على العراق لتؤكد التفوق العسكري الأمريكي، وتنجح الحملتان العسكريتان في عامين متتالين .

أما إيران وكوريا الشمالية فقد تؤجل الولايات المتحدة عقاهما لحسابات أخرى(٥٠)، فرغم أن كل التوقعات السياسية التي تشير إلى احتمال توجيه ضربة عسكرية إلى إيران، في ظل وجود معارضة قوية للنظام الإيراني داخل وخارج إيران.

بيد أن الملاحظ أن الحملة الأمريكية ضد إيران لا تعكس إستراتيجية أمريكية ضد إيران بقدر ما تكشف عن اتجاه دعائي لمجرد الاستهلاك المحلى ، ذلك أن تكلفة استهداف إيران لن تكون سهلة، فإيران لديها القدرة على إلحاق الضرر بالمصالح الأمريكية في المنطقة وخاصةً الخليج العربي ومنطقة شمال القوقاز وآسيا الوسطي،وإن

ضرب إيران سوف يفقد الولايات المتحدة مصداقيتها، ومن الأرجح أن الهدف هو إعادة فرض طوق العزلة على إيران من جديد.

ويبدو أن إيران قد بدأت تشعر بعجز الاتحاد الأوروبي، وعبث الاعتماد عليها لموازنة الضغوط الأمريكية عليها، حيث رفضت طهران في فبراير (٢٠٠٢م) اقتراحا بريطانيا بتعيين سفير جديد لها في طهران ، ورغم أن بريطانيا لم تعلق على الصيغة التي أقرتها الولايات المتحدة وضم إيران ضمن دول محور الشر إلا أن الرفض الإيراني جاء بمثابة تحذير لبريطانيا والاتحاد الأوروبي معا من أن عجزهم عن الوقوف أمام التحرشات الأمريكية بإيران ، سيدفع إيران لعدم التعويل عليهم ، وهو ما يهدد الكثير من الاستثمارات الأوروبية في الخليج، بجانب التهديد برفع سعر النفط إذا ما أقدمت إيران على إيقاف صادراتها من النفط إلى أوربا ، ولجأت إلى ما سمته منع صادرات النفط من الخليج بأكمله ، إذا ما تعرضت إيران لأي إجراءات عدوانية من جانب واشنطن.

بيد أن كوريا الشمالية قد يتم استدراجها من خلال إحداث أزمة بينها وبين كوريا الجنوبية، حيث التحالف الأمريكي الكوري، وعندئذ تسعى الولايات المتحدة إلى توفير كافة المساعدات العسكرية لكوريا الجنوبية في حربها مع كوريا الشمالية، وهذا ما تتردد فيه كوريا الجنوبية حيث ترى أنها لن تكون رابحة فى ذلك ، وإنما ستكون الخاسرة إذا لم توفق في الحرب وتحقيق النصر على كوريا الشمالية.

أما المملكة العربية السعودية فقد كانت الأكثر استهدافا من بين الدول العربية والإسلامية التي اتهمت الإسلام بالإرهاب بالحملة الأمريكية والغربية، وفى المقابل كانت الأكثر حرصا على تبرئة الإسلام من هذه التهمة ذاتها، وذلك من منطلق عدة اعتبارات أهمها(٥١) :

- إن السعودية هي معقل الإسلام بما تضمه من مقدسات إسلامية، الأمر الذي ألقى على عاتقها مهمة الدفاع عن الإسلام كدين وحضارة في ظل الهجمة الشرسة التي تتعرض لها في أعقاب هذه الأحداث، وقد استتبع ذلك – منطقيا – رفضها الاشتراك في تحالف دولي تقوده واشنطن لضرب دولة إسلامية هي أفغانستان أو العراق.

- إن السعودية هي المتهم الأول والرئيسي في هذه الأحداث باعتبار أن أسامة بن لادن الذي دأبت وسائل الإعلام الغربية على تقديمه بوصفه إرهابيا سعوديا ثريا، مما أثر سلبا على سمعة المملكة والشعب السعودي في الخارج، وكانت أكثر تأثرا بالتناقض الشديد بين الالتزام بعلاقة الصداقة مع الولايات المتحدة من جانب، وبين مراعاة الاعتبارات المحلية والإقليمية التي تتعلق بالمصالح السعودية من جانب آخر، حيث لم تفلح محاولاتها للتوفيق بين الاعتبارات السابقة في الحيلولة دون تعمق الخلافات بين البلدين.
- شبت الخلافات بالفعل بين البلدين ، ودشنت الولايات المتحدة حملة إعلامية ضارية ضد المملكة للضغط عليها للتجاوب مع مطالبها التي تعددت وتنوعت ، حتى وصلت إلى حد المطالبة بتغيير بعض المناهج والمقررات الدراسية بالمدارس والجامعات السعودية، بزعم أنها تفرخ التطرف والإرهاب ، ومن هنا يمكن القول : إن الإجراءات التي اتخذتها واشنطن ومن بعدها العواصم الأوربية في هذا الصدد قد عكست العديد من الأمور أهمها:
- إن الولايات المتحدة تحدد ما يعد انتهاكا ، وما لا يعد كذلك لحقوق الإنسان على حسب مصالحها، ففي السابق كانت الدول الأوربية والولايات المتحدة يوجهون انتقادهم إلى الدول في العالم الثالث على استخدامهم لقوانين الطوارئ في قمع المعارضة السياسية، معتبرة أن ذلك ضد الديمقراطية وحقوق الإنسان، ولكن عندما تعلق الأمر بأمن أوربا وأمريكا أقدمت واشنطن ومن بعدها العواصم الأوربية على فرض قوانين للطوارئ أكثر شدة وصرامة ضد العرب والمسلمين وخاصة الأقليات المسلمة هناك.
- التناقض في السلوك الغربي فيما يتصل بحقوق الإنسان ، ولعل أبرز الأمثلة على ذلك اختلاف السلوك الأمريكى في معالجته لقضية " جون ووكر " الأمريكى الذي كان يحارب في صفوف القاعدة ضد بلاده مع غيره من غير الأمريكان، ففي الوقت الذي ترفض فيه واشنطن تطبيق بنود اتفاقية جنيف الخاصة بأسرى الحرب عليهم، وتصر على عرضهم على محاكم عسكرية على اعتبار أنهم "مقاتلون غير شرعيين " نجدها تقوم بترحيل "ووكر " إلى بلاده وتعرضه على محكمة مدنية [٥٢] .

وكان مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية "كير" قد عقد في مقـره الرئيسـي في واشنطن في ١٥ تموز نتائج التقرير السنوي لعام (٢٠٠٣م) عن أوضاع المسـلمين في الولايات المتحدة الأمريكية في عام (٢٠٠٢ م) ، والذي أشار فيه إلى تزايد حـوادث العنف والتميز ضد المسلمين والعرب بشكل ملحوظ ، وبصورة لم تكن موجودة قبل أحداث الحادي عشر من سبتمبر (٢٠٠١م) [٥٣] .

وقال المدير العام لمجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية "كير" "نهاد عـوض" : إنـه على الرغم "من أن الحكومة الأمريكية أصبحت تشكل المصدر الأول للتميـز ضـد المسلمين في أمريكا، إلا أن العمل مع الحكومة الأمريكية هو السبيل الأوحد لمواجهـة هذا التميز" .

وأضاف أن منظمة "كير" الإسلامية تعمل على تحقيق ذلك من خلال التعاون مـع مسؤولي الحكومة الأمريكية في واشنطن والولايات المتحدة الأميركية المختلفـة عـن طريق عقد لقاءات توعية للمسلمين في أمريكا بحقوقهم المدنية وتعريفهم بالمسـؤولين الأمريكيين، وتنظيم المؤتمرات والندوات المشتركة مع قيادات وزارة العـدل، وتنفيـذ القانون واحترام عادات ومفاهيم المسلمين في أمريكا، وكذلك تشجيع المسلمين علـى الانخراط بشكل أكبر في الحياة السياسية الأمريكية ، والاستعداد للانتخابات القادمة ؛ لأن الحقـوق المدنية سوف تكون قضية مركزيـة للمسـلمين والعـرب في هـذه الانتخابات .

كما دعا إلى إجراء مزيد من الدراسات للكشف عن الدوافع الاقتصادية والسياسية والثقافية المختلفة التي تقف وراء ظاهرة التميز ضد المسلمين في الولايـات المتحـدة، وأحصى التقرير (٩٠٢) شكوى من حوادث التميز تعرض لها المسلمون في أمريكـا خلال عام (٢٠٠٢م) ، بما يمثل زيادة قدرها (١٥%) مقارنـة بعـام (٢٠٠١م)، وزيادة قدرها (٦٤%) مقارنة بعام (٢٠٠٠م) .

وقد أرجع التقرير الارتفاع الملحوظ في حوادث التميز ضد المسلمين في أمريكـا خلال العامين السابقين إلى تداعيات أحداث الحادى عشر من سبتمبر السـلبية علـى حقوق وحريات المسلمين في أمريكا، والتي شهدت موجة اعتـداءات واسـعة ضـد المسلمين هناك وانتشارا غير مسبوق لخطاب العداء للإسلام والمسـلمين في وسـائل الإعلام ودوائر السياسة الأمريكية خاصة اليمينية المتطرفة منها، وأشـار التقريـر أن حوادث التميز ضد المسلمين في الولايات المتحدة زادت بنسبة قـدرها (٧٥,٢%)

منذ عـــام (١٩٩٥م) والذي بدأت فيه "كير" رصد حالات التميز ضد المسلمين في أمريكا .

ومن أهم النتائج التي توصل إليها التقرير أن عـــام (٢٠٠٢ م) شـــهد ارتفاعـــا ملحوظا ومضطردا في عدد حوادث العنف والتميز الواقعة في حق المسلمين في أمريكا من قبل المؤسسات الحكومية ، والتي احتلت نسبة ١٠% من حوادث التمييـــز الـــتي وقعت ضد المسلمين في أمريكا خلال عـــام ٢٠٠٠، ثم ارتفعـــت النســـبة في عـــام (٢٠٠١م) لتصل إلى نسبة (١٩%) ، وبلغت في عام (٢٠٠٢م) نســـبة ٢٣% مـــن إجمالي حوادث التمييز ضد المسلمين في أمريكا، مما رشحها لاحتلال الفئة الأولى مـــن فئات الأماكن التي شهدت حوادث التمييز ضد المسلمين في أمريكا خلال العام الماضي بالتساوي مع أماكن العمل والتي تعد تاريخيا المكان الأول لحـــوادث التمييـــز ضـــد المسلمين في أمريكا .

كما تضاعفت نسبة حوادث التمييز ضد المسلمين في المطارات الأمريكية خـــلال عام (٢٠٠٢م) ، فقد كانت تمثل في عام (٢٠٠٠م) نسبة ٢% فقط مـــن إجمـــالي حـــوادث التمييز، ثم قفـــزت في عـــام (٢٠٠١م) لتصـــل إلى (٣٦%) ، أمـــا في عام (٢٠٠٢م) ، فقد مثلت نسبة (٢٤%) من إجمالي حوادث التمييز التي تعرض لهـــا المسلمون في أمريكا خلال ذلك العام، وهي نسبة مرتفعة .

وفيما يتعلـــق بالولايات التي شهدت أكبر نسبة من حوادث التميز ضد المسلمين في أمريكا فقد احتلت ولاية كاليفورنيا المرتبة الأولى بنســـبه (١١%) مـــن إجمـــالي حوادث التمييز ضد المسلمين في أمريكا تليها ولاية فلوريدا (١٠%)، ثم ولاية فيرجينيا (٩%) .

كما رصد التقرير بعض السياسات الحكومية التي شكلت أكبر مصادر التمييز ضد المسلمين في أمريكا خلال العام الماضي، وأشار التقرير إلى أن بعض نصـــوص قـــانون مكافحة الإرهاب الذي أقر بعد أحداث سبتمبر (٢٠٠١م) والمعروف باسم (باتريوت آكت) سمحت للسلطات الأميركية بالتوسع في عمليات التفتيش والمراقبة بشكل غـــير مسبوق لمنازل ومساجد المسلمين ومن دون توافر أدلة على ضلوع الأشخاص المراقبين في أنشطة مشبوهة .

كما أشار التقرير إلى بعض السياسات فقد ذكر تقرير أعده المفتش العام بوزارة العدل الأمريكية ، أن السلطات اعتقلت ٨٣٨ مسلماً وعربياً في الفترة من أحداث أيلول وحتى أغسطس (٢٠٠٢م) ، وأن المعتقلين أخضعوا لمعاملة سيئة وتمييزية مثل منعهم من اتصالهم بمحامين يدافعون عنهم أو الاتصال بأسرهم، واعتقالهم بناء على أدلة سرية غير معروفة المصدر، والاعتداء عليهم لفظياً وجسدياً ، ثم قامت وزارة العدل بعقد مقابلات استجوابية مع حوالي ٨٠,٠٠٠ مسلم وعربي وإخضاع حوالي ٧٠ ألف مهاجر مسلم وعربي إلى عمليات تسجيل إجبارية لدى إدارة الهجرة الأمريكية وإخضاع ١١ ألف مهاجر عراقي إلى عمليات استجواب منذ بداية الحرب على العراق .

وأشار التقرير إلى عدد من حوادث الإساءة البالغة للإسلام والمسلمين خلال عام (٢٠٠٢م) والقادمة من بعض قيادات الحكومة الأمريكية وبعض القيادات اليمينة الأمريكية المتطرفة، بما في ذلك قيام بعض المنظمات المسلمة والعربية الأمريكية – في فبراير عام (٢٠٠٢م) ، بمطالبة لوزير العدل الأمريكي "جون أشكروفت"، بتوضيح موقفه من عبارات تسيء للإسلام نسبت إليه على صفحات أحد المواقع الإلكترونية، إذ نشر الصحفي "كال توماس" مقابلة مع وزير العدل الأمريكي "جون أشكروفت" على صفحات موقع يسمى (Crosswalk.com) نسب فيها إلى "جون أشكروفت" القول بأن : "الإسلام هو دين يطالبك فيه الرب أن ترسل ولدك ليموت من أجل الرب والمسيحية هي عقيدة يرسل فيها الرب ولده ليموت من أجلك" .

ويمكن القول : إن إهتزاز النموذج الليبرالى الغربي سواء على حقوق الإنسان أو الديمقراطي من شأنه أن يؤدى إلى فقدان الحركة الدولية لحقوق الإنسان للكثير من المكاسب التي حققتها طيلة العقود الماضية، وأن ذلك لم يكن لصالح التواجد الإسلامى للأقليات المسلمة في المجتمعات الغربية.

هوامش الفصل الثانى عشر

(١) حســن الحاج : حرب أفغانستان، التحول من الجيو إستراتيجي إلى الجيو ثقافى (بيروت: المستقبل العربي، عدد (٢٧٦)، فبراير٢٠٠٢م) ص١٢.

(٢) عصام عبد الشافى : البعد الديني للأقليات الإســلامية في الولايــات المتحــدة (ماجستير غير منشورة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ٢٠٠٢م) ص ٥- ٧.

(٣) نادية مصطفى: ١١ سبتمبر والتحول في السياسة الخارجية الأمريكية (إســلام أون لاين، شؤون سياسية في ٢٠٠٢/٩/١٢ م) ص ٢.

(٤) بشير عبد الفتاح : مستقبل الدور السياسي للأمريكيين العرب (جريدة الأهرام : عدد ٢٩ /٢٠٠١/١١ م) .

(٥) موسى السيد: الإعلام الصهيوني (الرباط: مجلة الوحدة، عدد أكتوبر ١٩٨٩م) ص ١٨٩ .

(٦) سمير مرقص: الإمبراطورية الأمريكية ثلاثية الثروة، الدين، القــوة (إســلام أون لاين، شؤون سياسية في ٢٩ / ٢٠٠٣/٣م) ص٤ .

(٧) عبد الله شادي : تداعيات ١١ سبتمبر (القاهرة: شؤون عربية، عدد (١١١) خريف ٢٠٠٢م) ص ١٦٠ .

(٨) محسن عوض : إشـ "الديمقراطية وحقوق الإنســان في ضــوء تــداعيات أحداث سبتمبر، (معهـ ـدراسات العربية، عدد أكتــوبر ٢٠٠٢م) الــدورة الثامنة ص ١٤٣.

(٩) علاء النادي : حقوق الإنسان ضــحية ١١ ســبتمبر (إســلام أون لايــن في ٢٠٠١/١١/٢م، شؤون سياسية) ص ٤ .

(١٠) محمد جمال عرفة : كشف حساب مسلمي أمريكا (إسلام أون لاين ، شؤون سياسية في ٢٠٠٢/٩/٥م) .

(١١) مجــدي الداغر : الإسلام في أمريكا (جريدة الرأي ، عدد ٢٠٠٣/٥/١٧م) ص ١٦ .

(١٢) أميمة عبد اللطيف : الإســلام والغــرب (إســلام أون لايــن أوروبــا) في ٢٠٠١/٩/١٩ م) ص١ .

(١٣) وليد فتيحى : بعد التفجيرات ، الإسلام ينتشر أكثر في أمريكــا (إســلام أون لاين، شؤون سياسية في ٢٠٠١/١٠/١٢م) .

(١٤) خالد عبد الله : السياسة الأمريكية ودورها في وضع القرار (القاهرة: شــؤون عربية ،عدد (١١١) خريف ٢٠٠٢ م) ص ٢٧، ٢٨) .

(١٥) الإسلام في أمريكا (مجلة فورين أفيرز، عدد يناير ٢٠٠١) ص ٧ .

(١٦) سمير مرقص : الإمبراطورية الأمريكية، مرجع سابق ، ص ٤ .

(١٧) حسن الحاج : حرب أفغانستان والتحول، مرجع سابق ، ص ١٧ .

(١٨) ب. سينجر : أمريكا والعالم الإسلامى ، علاقة متأزمة تنتظر الحسم (إســلام أون لاين في ٢٨ /٢٠٠٢/١١م) .

(١٩) علاء النادي : حقوق الإنسان ضحية ١١ سبتمبر، مرجع سابق ص١٤ .

(٢٠) حسن الحاج : حرب أفغانستان والتحول، مرجع سابق ، ص١٨ .

(٢١) كاى حافظ : الإسلام والغرب ، مرجع سابق ، ص٧٨ .

(٢٢) محمود خليل : مأزق الأمن القومى العربى بعد أحداث سبتمبر(السياسة الدولية: عدد١٤٩ يوليو ٢٠٠٢م) ص٣٧ .

(٢٣) أنور الهوارى : أمريكا والإسلام (جريدة الأهرام : فى ٢٠٠٣/٣/٢٤م) .

(٢٤) ب.سينجر : أمريكا والعالم ، مرجع سابق ، ص١ .

(٢٥) أمريكا والعالم الإسلامى، مرجع سابق، ص ٣ .

(٢٦) علاء النادي: حقوق الإنسان ضحية ١١ سبتمبر، مرجع سابق ،ص٥ .

(٢٧) سمير مرقص : الإمبراطورية الأمريكية، مرجع سابق ،ص ٤ .

(٢٨) خالد عبــد الله : السياسة الأمريكية ودورها في صنع القرار، مرجع ســابق، ص ٣٧ .

(٢٩) سمير مرقص: الإمبراطورية الأمريكية، مرجع سابق ،ص ٤ .

(٣٠) مقتـــدر خان: المسلمون الأمريكـــان ، نجـــاح في الدعوة، فشل في السياســـة (إسلام أون لاين ، قضايا سياسية ، مارس ٢٠٠٢م) .

(٣١) عـــلاء بيومي : أحداث سبتمبر زادت نشاط مسلمي أمريكـــا :اســـلام أون لاين / مقالات /سياسة/٩/٩/٢٠٠٢م) .

(٣٢) تقرير عن المسلمين في أمريكا (نيويورك تايمز، عدد ٣ يونيو ٢٠٠٢م) .

(٣٣) محمود أبو الفضل : التداعيات الاقتصادية لأحداث سبتمبر (أعمـــال الموســـم الثقافي لمعهد البحوث والدراسات العربية، أكتوبر ٢٠٠٢م) العدد (٨) .

(٣٤) التداعيات الاقتصادية لأحداث سبتمبر، المرجع السابق، ص ١٧٥ .

(٣٥) مجدي صبحي : أموالنا رهينة ١١ ســـبتمبر:إســـلام أون لايـــن /مقـــالات / سياسة/٣/٩/٢٠٠٢م .

(٣٦) أموالنا رهينة ١١ سبتمبر، مرجع سابق ، ص ٥ .

(٣٧) خالد شوكت : مسلمو الغرب اقتصاد محاصر :إسلام أون لايـــن /مقـــالات / اقتصاد /سياسة/٩/٩/٢٠٠٢م.

(٣٨) حسنى الحفنى : الأبعاد الاقتصادية لأحداث ١١ سبتمبر (شـــؤون خليجيـــة: مركز دراسات الخليج العدد (٢٨) شتاء ٢٠٠٢) ص ٧٦ .

(٣٩) خالد شوكت : مسلمو الغرب اقتصاد محاصر، مرجع سابق ، ص ٦ .

(٤٠) حسن الحاج : حرب أفغانستان والتحول، مرجع سابق ،ص ٢٦ .

(٤١) حرب أفغانستان والتحول، مرجع سابق ،ص ٢٧ .

(٤٢) تقرير مركز الخليج للدراسات حول أحداث سبتمبر ٢٠٠٢م ، ص ٩٠ .

(٤٣) محمـــد كمال: أثر أحداث ١١ سبتمبر على النموذج الديمقـــراطي الأمريكى (شؤون خليجية، العدد (٢٩) ربيع ٢٠٠٢) ص ٩٣ .

(٤٤) عماد جاد: أثر أحداث ١١ سبتمبر على الديمقراطية وحقوق الإنسان (شؤون خليجية، العدد ٢٩ ربيع ٢٠٠٢ م) ص ٩٨ .

(٤٥) محمد كمال : أثر أحداث ١١ سبتمبر على النموذج الديمقراطي الأمريكـــى، مرجع سابق ، ص ٩١ .

(٤٦) إسماعيل الشطي: تحديات إستراتيجية بعد أحداث سبتمبر (بيروت : المستقبل العربي ، العدد ٢٨٣ سبتمبر ٢٠٠٢م) ص ٣٧ .

(٤٧) إسماعيل الشطـــي: تحديات إستراتيجية بعد أحداث سبتمبر، المرجع السابق ص ٤٤ .

(٤٨) حسن الحاج : حرب أفغانستان والتحول، مرجع سابق ، ص ٢٥ .

(٤٩) جمال مظلوم : التداعيات العسكرية لأحداث الولايـــات المتحـــدة (شـــؤون خليجية : العدد (٣٨) شتاء ٢٠٠٢م) ص ٨٥ .

(٥٠) صـــلاح سالم : الخليج العربي، ضغوط من كل اتجاه (السياسة الدولية ، عدد (١٤٨) أبريل ٢٠٠٢م) ص ٧١، ٧٢ .

(٥١) صلاح سالم : الخليج العربي، ضغوط من كل اتجاه، مرجع سابق ص ٧٠ .

(٥٢) تقرير حول الديمقراطية وحقوق الإنسان (شؤون خليجية : العدد ٣٨، شـــتاء ٢٠٠٢م) ص ٩١ .

(٥٣) تقرير منظمة (كير الإسلامية) بالولايات المتحدة عن عام (٢٠٠٢م) حـــــول حوادث التمييز والعنف ضد المسلمين فى المدن الأمريكية.

الفصل الثالث عشر

مستقبل الأقليات الإسلامية في العالم

بعد أحداث ١١ سبتمبر (٢٠٠١م)

الفصل الثالث عشر
مستقبل الأقليات الإسلامية فى العالم
بعد أحداث ١١ سبتمبر (٢٠٠١م)

رفعت الولايات المتحدة وحلفاؤهـا بعد تفجيرات الحادي عشـر مـن سـبتمبر (٢٠٠١ م)، التي ضربت برجي مركز التجارة العالمي في نيويورك وأحد أجزاء مـبنى وزارة الدفاع في واشنطن، شعار "تجفيف المنابع المالية للإرهاب" بغرض حرمـان مـا سمتهم بـ "الإرهابيين" من مصادرهم المالية التي يستخدمونها في تنفيذ عملياتهم حـول العالم، مركزة بشكل خاص على تتبع الشبكة المالية لـ " أسامة بـن لادن " زعـيم تنظيم القاعدة الذي تتهمه بالتفجيرات، وبأنه الممول الرئيسي للإرهاب في العالم.

وفي سبيل ذلك أصدرت الولايات المتحدة القوانين، واتخذت الإجـراءات علـى المستويين الداخلي والخارجي، ووجهت أصابع الاتهام هنا وهناك، وطلبت مـن دول العالم المختلفة الاشتراك في هذه الحملة ، وأخذت الاتهامات الأمريكية لبعض الـدول بـ "تمويل الإرهاب" وبعض الأشخاص والمؤسسات بالتورط في هذا الأمـر، بعـدًا جديدًا أكثر خطورة وجدية، حتى إن الكثير من البنوك والشـركات والجمعيـات في الدول العربية والإسلامية خصوصًا وضعت في دائرة الاتهام، وأصبح عليهـا أن تقـدم أدلة براءتها وإلا خضعت للعقاب والحصار .

وبالتالى كانت الأقليات الإسلامية في الغرب ولا تزال معرضـة لأحـد خطـرين يستهدفان هويتها : الأول هو التذويب في مجتمعات غير إسلامية قد لا تحترم أصـول الدين الإسلامى، وقد لا تعترف به من الأساس، والثانى : هو شن الحـروب وتـدبير المؤامرات والدسائس التي تستهدف الدول والأقليات الإسلامية وكل ما يخالف الغرب في الفكر والعقيدة.

وقديما وفي ظل المنظومة الشيوعية كان المسلمون يجبرون على ترك دينهم ولغتـهم حتى أسمائهم الإسلامية التي كانوا يعشون بها بين الناس، وكان عليهم أن يسـتبدلوها بأسماء روسية أو غربية في محاولة للقضاء التام على الإسلام حتى في المسميات، كمـا كانوا يمنعونهم من نصب شاهد على قبورهم يشير إلى أن هذا قبرًا لمسـلم ، وكـان

تداول المصحف أو قراءة آيات من القرآن عملا يجرمه القانون الروسي حتى إن عقوبتها وصلت في بعض الأوقات إلى القتل أو الحبس مدى الحياة.

أما في زمن الديمقراطية الغربية قبل أحداث الحادي عشر من سبتمبر فكان ضغط المجتمع؛ ومحاصرة الفساد للأسرة المسلمة في الغرب ؛ عوامل ضاغطة من أجل تذويب الأقليات المسلمة في مجتمعات تتنافى سلوكياتها مع ما ينادى به الإسلام ويحث المسلمون على اتباعه من قيم ومبادئ ، وأحيانا كان القانون يقف في أوربا أمام استعلاء أو ظهور أى تمييز إسلامى عن المجتمع – الذي هو عند بعض الدول إرهاب.

ويؤكد هذه الحقيقة أزمة الحجاب في فرنسا وبريطانيا وأزمة الذبح على الطريقة الإسلامية في بلجيكا، وهولندا، ومشكلات الدفن على الطريقة الشرعية كما في ألمانيا وسويسرا والصين واليابان، وكان التصريح بالهوية الإسلامية تهمة في الولايات المتحدة وكندا، وخاصة بعد التفجيرات الأخيرة بنيويورك وواشنطن التى أطاحت بمسلمات كانت راسخة في الفكر الأمريكى يأتى على قائمة الدلالات الإستراتيجية لأحداث سبتمبر أنها عكست تطورا ثوريا في ظاهرة الإرهاب الدولي ، والذي نادت به مصر وقادتها منذ عام (١٩٨٠م) وحتى مؤتمر السلام في شرم الشيخ (١٩٩٨م) حيث أصبح الإرهاب يشكل خطورة عن الحروب التقليدية التي تعودت الشعوب عليها فى عصور مضت.

هذا بالطبع لا يقلل من قصور أجهزة الأمن القومي الأمريكى التي فشلت في تدارك الحدث قبل وقوعه على الرغم من العلم المسبق بأن حادثا قد يطرأ على الوضع في الولايات المتحدة الأمريكية ، وقد تتعرض لعمل تخريبى محتمل ومتوقع القيام به من خلال عناصر تابعين لجماعة "أسامة بن لادن" أو تنظيم القاعدة في وقت قريب كما أشارت إلى ذلك تقارير الكونجرس بعد الكارثة، إلا أن الصورة التي تم تنفيذ العملية الإرهابية بها، لم تكن تطرأ على خيال قاده الفكر العسكري بالبنتاجون،أو الخبراء العسكريين في سلاح المشاة الأمريكى أنفسهم ونسب الحادث بمجرد حدوثه ومنذ لحظته الأولى لتنظيم القاعدة والثرى السعودي "أسامة بن لادن" .

أعقب ذلك حملة إعلامية عنيفة على الإسلام والمسلمين، وخاصة الأقليات الإسلامية في أوربا وأمريكا، ومطالبة العديد من المنظمات والتيارات والجماعات

والأحزاب بالعديد من الدول الأوربية بطرد المسلمين ، وكل من ينتمي إلى الإسلام بما فيهم أبناء البلد الأصليين الذين تحولوا عن عقيدقم إلى الإســلام إلى بلــدان الشــرق الأوسط ، وتخريب مقدساهم والاستيلاء على ما جمعوه من أموال ومدخرات فى دول الغرب على مدار سنوات عديدة مضت، بل وصل الأمر ببعض المفكرين المتعصبين إلى القول بضرورة هدم البيت الحرام بمكة المكرمة مقابل ما كان من الإسلام علــى يــد السعودي "أسامة بن لادن " وقد جاءت الصحف وهى تحمل العناوين التالية:

١٥٠ مليار دولار أموالا عربية مشتبه في مشاركتها في تمويل عمليات إرهابيــة فى أوربا وأمريكا.

- "بيان ليما" لمكافحة الإرهاب يشدد على تجميد أموال المنظمات "الإرهابيــة" فى أمريكا .

١٤٩دولة تؤيد الاتفاقية الدولية لمنع تمويل الإرهاب فى العالم وخاصة للجماعــات فى الخارج .

- مجموعة السبع الصناعية الكبرى : إنشاء هيئة لتعقب مصادر تمويل الجماعــات الإرهابية.

- لجنة العمل المالي في الدول الغربية تخطط لوقف تــدفق الأمــوال للجماعــات الإرهابية .

- مجموعة الدول الــ (٢٠) تدرس سبل مكافحة تمويــل الإرهــاب والتطــرف الإسلامى فى العالم .

- إجراءات لمجموعة العشرين لمكافحة عمليات تمويل "الإرهاب العالمي".

- الأمم المتحدة تأمر بتجميد أموال (٦٦) منظمة متهمة بالإرهاب فى العالم .

- الدول الصناعية الكبرى : تجميد أكثر من (١٠٠) مليون دولار من أموال تمويل الإرهاب .

وجاء في إطار تداعيات الحدث أيضا إعلان الحرب الصليبية على العالم الإســلامى كما جاء على لسان الرئيس الأمريكى " جورج دبليو بوش " عند أول ظهور له على شاشة التليفزيون الأمريكى بعد التفجيرات ؛ وأشار خلال حديثه إلى ضرورة تقســيم العالم إلى دول مع الولايات المتحدة ، ودول أخرى ضد الولايات المتحدة ومن يرفض

تأييد السياسة الأمريكية والإجراءات التي تعتزم القيام بها ضد بعض الأنظمة والحكومات والجماعات الإسلامية أيا كان تواجدها تصبح دولاً معادية للولايات المتحدة الأمريكية ، بل أصبح هناك دول مارقة أو ما يعرف أمريكيا بمحور الشر ، فالمجموعة الأولى تمثل الدول التي ترعى الخلايا الإرهابية مثل : أفغانستان والسودان وسوريا ، والمجموعة الثانية هي الدول المتهمة بحيازة أسلحة الدمار الشامل والتي تقوم بتمويل هذه الجماعات بالسلاح والقنابل اليدوية والتي كان منها : العراق وإيران وكوريا الشمالية.

ومع أن كل دول العالم أدانت الحدث لبشاعته والدمار والخراب والقلق والرعب والفزع الذي تعرض له المواطن الأمريكى ، وتعاطف الجميع مع الأسر الأمريكية بغض النظر عن الدين أو العرق أو حتى لون البشرة، إلا أن الولايات المتحدة لم تنتظر حتى تتضح الرؤية حول مرتكبي الحدث وراحت تتهم الإسلام والعقيدة الإسلامية بأن نصوصها المقدسة هى التى تحث المسلمين على كراهية الغرب ومحاربة بلاد الكفر، ووضعت في سجلاتها وصفا إرهابيا على كل مسلم يعيش في الولايات المتحدة أو في أوربا ، وبدأت المخابرات والأجهزه الأمنية في تعقب المسلمين والقبض عليهم وإخضاعهم لتحقيقات مطولة حول قضايا لا يعلمون عنها شيئا وحدث لم يشاركوا فى صنعه، ولم تراع الإدارة الأمريكية بالا، أو اهتماما بمبادئ كانت تنادى بها فى السابق من الديمقراطية والإنسانية وحقوق الإنسان والحيوان والقطط والكلاب بما فى ذلك من حقوق الشواذ والمدمنين.

وهذا ما يعيد إلى الأذهان التصور القديم الذى سبق وأن طرحه الأمريكى "صموئيل هنتنجتون " من أن الصراع القادم سيكون بين الإسلام والغرب وكان تعقيبه على الحدث مؤيدا للسياسة الأمريكية وقال: إن الولايات المتحدة بعد الأزمة كان من حقها أن تفعل أى شيء مخترقة في ذلك كل القوانين والأعراف والمثل التي كانت تؤمن بها في السابق، ومن حقها أيضا أن تتعامل مع الأزمة بشكل إمبريالى – استعماري وهي إما أن تكون دولة إمبريالية بكل ما تحمله الكلمة من معنى، أو تكون دولة عظمى أو قطبا أوحد.

كما أن أطروحة الغرب العلماني والشرق المتدين استحوذت وتستحوذ على مخيلة الكثيرين من المثقفين وعامة الناس فى أوربا وأمريكا ، وأن تمايزهما مسؤول إلى درجة

كبيرة عن درجة تطورهما وقدرتهما على مواجهة قضايا التنمية والتعاطي معها بفعالية، ويربط بعض المراقبين الغربيين ضمنيا بين فشل المجتمعات العربية والإسلامية في عملية التنمية الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وعدم قدرتهم على تحديد أطر العلاقة بين الدين والسلطة، فالاستقرار السياسي والرخاء الاقتصادي الذي ينعم به الغرب ما هو إلا نتيجة طبيعية لتحجيم دور الكنيسة في المجتمع والدولة.

فالمفكرون في العالم الغربي يطالبون بضرورة عزل وفصل الدين عن السلطة في الشرق لتمكينه من تحقيق تنمية شاملة ، والنهوض حضاريا دون الاعتبار للتمايز والاختلاف في النمو والتطور التاريخي لكلتا الحضارتين وتنوعهما ، ويزعمون أن ثمة علاقة سببية بين الشرق المتدين ونمو تيارات أصولية متطرفة تسيس الدين وتستغله لمصالح سياسية ولا تتورع عن استعمال العنف والإرهاب للاستيلاء على السلطة وينشأ من جراء ذلك صراع بين الحركات الأصولية والنظم السلطوية التي لا تتورع بدورها عن المزايدة في استغلال الدين للبقاء في الحكم .

وبالتالي كان تعامل الولايات المتحدة مع الأحداث من منطلق أنها دولة عظمى وإمبراطورية كبرى يجب أن يخشاها الجميع ومن حقها أن تفعل ما تشاء ، ويسجل التاريخ القديم لأمريكا العديد من الصفحات السوداء في الحروب والدسائس والمؤامرات في الكثير من البلدان العربية والعالمية.

ويذكر الراهب البوذى " تيتش ثين ماو" وهو أحد الرهبان العظام في فيتنام أنه وبحلول منتصف عام ١٩٦٣م تسببت الحرب التي شنتها الولايات المتحدة على فيتنام في مقتل (١٦٠) ألف شخص، وتشويه (٧٠٠) ألف آخرين ، واغتصاب (٣١) ألف فتاة،ونزع أحشاء ثلاثة آلاف أسير ،وإحراق أربعة آلاف جندي فيتنامي حتى الموت ، وتدمير ألف معبد و(٤٦) قرية بالمواد الكيماوية والذرية .

أما في حربها مع اليابان فقد قامت (٣٣٤) طائرة أمريكية مقاتلة بتدمير(١٦) ميلا مربعا من طوكيو ، وإسقاط القنابل الحارقة عليها وقتلت (١٠٠) ألف يابانى وشردت ملايين آخرين ، ويصف أحد الجنرالات العسكريين في اليابان ويدعى " كريتس لوماى " أن الجزيرة التى تعرضت للقصف الذرى الأمريكى كانت شديدة الحرارة حتى إن الماء وصل لدرجة الغليان في المسطحات المائية المجاورة وانصهرت الهياكل المعدنية في المصانع والكباري، وتفجر الناس من شدة اللهب وتعرضت (٦٤) مدينة

يابانية فضلا عن هيروشيما ونجازاكى لقذف ذرى أسفر عن مقتل (٤٠٠) ألف يابانى لا ذنب لهم فيما يحدث من حروب وصراعات.

وفى الحادى عشر من سبتمبر تجرعت الولايات المتحدة من نفس الكأس التى أذاقتها لشعوب سابقة وشعوب منتظر الهجوم عليها بعد أفغانستان والحرب على العراق والقضاء على نظام صدام حسين مثل إيران وكوريا الشمالية، وقد تكون سوريا والسودان في حاجة إلى عمليات عسكرية سريعة لتحقيق ما تريده الولايات المتحدة وهو تأديب هذه الأنظمة ، وقد تكتفي بالتهديد إذا ما تحسنت العلاقة بين الولايات المتحدة وسوريا ونظام البشير في السودان.

أما كوريا الشمالية فهي وضع مختلف عن سابقيها حيث ماتزال العقلية هناك تتذكر ما فعلته الولايات المتحدة بها في فترة من عـــام (١٩٥٢م) إلى (١٩٧٣م) حيـــث تسببت الولايات المتحدة في مقتل مليون كوري في بيونج يانج ، وبالتالي فقد ترجـــئ الولايات المتحدة تصعيد حملتها الإعلامية والعسكرية ضد كوريا الشمالية إلى ما بعـــد القضاء على النظام الشيعي في إيران الإسلامية أو نظام البشير في السودان، وقد تفكـــر أكثر من مرة قبل الهجوم العسكري أيضا على إيران، وهى على ما يبدو ليست هـــي إيران القديمة، أو إيران الصفوية، أو إيران القاجارية، أو البهلوية، أو الدولة الملحقة بهذا القطب الدولي أو ذاك وإنما هي إيران الإسلام، فلا تكاد تذكر إيران إلا ويذكر معهـــا الإسلام السياسى الذي بات يشكل جوهرها وقوام وجودها.

وعلى الرغم من تلك الحقائق إلا أن طبول الحرب ما تزال تـــدق تجـــاه الشـــعب الإيرانى حينا والسوري حينا آخر ، وزادت درجة التصعيد بعد أن انتهت الولايـــات المتحدة من الحرب على العراق والتي استمرت ليست لثلاثة أسابيع كما أعلنت ذلـــك الإدارة الأمريكية ، وإنما هي في حسابات الحروب تعد من أطول الحروب التي شهدها القرن الماضي، فقد استمرت الحرب (١٢) عاما منذ حرب الخليج الثانيـــة (١٩٩٠م) وهى تستعد لهذا المشهد، واستطاعت خلالها الولايات المتحدة أن تلعب دور الحـــاكم العسكري في منطقة الخليج فكان الحصار بالتجويع والترويع حـــتى كـــان الاحـــتلال الفعلي في أبريل (٢٠٠٣ م) .

بيد أن الملاحظ أيضا أن طبول الحرب المدوية فى المنطقة العربية تريد بها الولايات المتحدة وقوى التحالف بث الرهبة والهيبة في نفوس الدول الحليفة والغير حليفة علـــى

حد سواء، فهي تضغط على دول حلف الأطلنطى ودول الخليج وفى مقدمتهم المملكة العربية السعودية بعد الإشارة إلى تورط نظامها في تقرير المخابرات الأمريكية حـــول أحداث سبتمبر (٢٠٠١م) ، ثم ابتزاز السودان لكى تقدم المزيد من التنازلات لصـــالح مجموعة المتمردين فى جنوب السودان بزعامة "جون جارانج" ، وتقوم بتخويف إيران من خلال دعم المقاومة الإيرانية في الخارج، وحركـــة الطـــلاب الـــذين يطـــالبون بإصلاحات جديدة لم تتمكن الحكومة الإيرانية من تحقيقها فى السنوات السابقة، كما تهدد سوريا التي لا تملك من القوه العسكرية ما يدفعها إلى الوقوف أمـــام الصـــواريخ الأمريكية الموجهة بالأقمار الصناعية إن لم تستجب لمطالب البيت الأبيض مـــن طـــرد عناصر حزب الله الموالى لإيران من أراضيها ، وهذا لا علاقة له بالشعور القومى ولكن تلك إمكانات دولة عظمى يطلق عليها الولايات المتحدة لم تستطع رغم قوتها وعقليتها العسكرية تفادى حادث مثل تفجيرات سبتمبر (٢٠٠١م) .

ومع أن الولايات المتحدة دولة لا يوجد لها تاريخ معروف، ولا جذور يتغنى بهـــا الطفل الأمريكي فى طابور الصباح بالمدارس ودور الحضانة، أو حتى ضمير حي يوحد شعبها، إلا أن الواقع يؤكد أنها الدولة العظمـــى الوحيـــدة في العـــالم الآن، بـــل إن استطلاعات الرأى التى تنشرها وسائل الإعلام الصهيونية فى الولايات المتحـــدة عـــن الولاء ومدى التوحد مع السياسة الأمريكية هى فى حقيقتها أرقام غير صـــحيحة، وأن الشعب الأمريكى لا يرى فى الكون إلا نفسه ، بل إن القاسم المشترك بين فئاته هـــي المصلحة المادية والمنفعة التي تعود عليهم من وراء السياسة التى تتبناها الإدارة الأمريكية، ويدون التاريخ في صفحاته ما قام به الأمريكان من إباده الهنود الأصليين والذين تقلص عددهم نتيجة أعمال القتل والتشريد من عشرة ملايين قبل أن يكون هناك ما يعـــرف الآن بأمريكا إلى (٢٠٠) ألف فقط.

وبالتالي لم تكن هناك مشكلة في أن تتعايش داخل الولايات المتحـــدة الأمريكيـــة أجناس الأرض جميعها الأبيض مع الأسود، والمسلم مع المســـيحي، واليهـــودي مـــع الهندوسي، والكاثوليكي مع البروتستانتى والشيعي مع السني والقاديانى مع الصـــوفي، والهندي مع اليابانى، والإيرانى مع السعودي والباكستاني مع الهندي، فالكـــل يـــدخل تحت مظلة واحدة فى إطار ما يعرف بالسياسة الأمريكية.

بل إن أوزبكستان وهى إحدى الجمهوريات الإسلامية الروسية التى كانت محل نقد من الولايات المتحدة تحولت بين يوم وليلة من دولة لا تحتـــرم حقـــوق الإنســـان ولا القانون الدولى ، ودولة ترعى أحد الأحزاب السياسية الإسلامية على أرضها وتعترف به رسميا، إلى دولة حليفة وصديقة للولايات المتحدة والاعتداء عليها يعنى الاعتداء على الولايات المتحدة ذاتها، وذلك بعدما أدركت الإدارة الأمريكية أهميتها ومصـــالحها في المنطقة ومع أوزبكستان تحديدا.

أما في الحالة السعودية والمصرية فالأمر يكاد يكون مختلفا، فقد ركـــزت وســـائل الإعلام الأمريكية على السعودية باعتبارها هي التي تقوم على تمويل الجماعات المتطرفة فى العالم ، وأن منها زعيم تنظيم القاعدة "أسامة بن لادن" ، أما مصر–حليفة الولايات المتحدة– فهى الأخرى متهمة بأنها هي التي فرخت خلايا الإرهاب وصدرته إلى غيرها من الدول ، وأنها لم تتعاون بالقدر الكافي مع الحملة الدولية لمكافحة الإرهـــاب الـــتي تقودها الولايات المتحدة ضد الدول التى تساند الإرهابيين،ونفت الحكومـــة المصـــرية بقوة هذه التهم مؤكدة أنها كانت الضحية الأولى للإرهاب قبل أن تتعرض له الولايات المتحدة ذاتها، وأنها وجهت النصح للعواصم الأوربية التي تأوى الإرهابيين على أراضيها وخاصة أعضاء الجماعات الإسلامية الهاربة من مصر ، وتمنحهم حق اللجوء السياسي إلا أن هذه الدول كانت ترفض مجرد الاستجابة للمطالب المصرية وتحتمى بقوانينـــها التي ترعى حقوق الإنسان ومبادئ الديمقراطية.

وعلى هذا فقد تخلت أوربا عن مبادئها السابقة وراحت تشن أعنف هجماتها على الأقليات المسلمة التى تتواجد على أراضيها وكشفت مجلة (النيوزويك) الأمريكيـــة في عددها الصادر في (٢٧) أغسطس (٢٠٠٢م) أن أكثر من ثلاثة آلاف أســـير مـــن أفغانستان لقوا حتفهم تحت وطأة التعذيب الذي تعرضو له فى قاعـــدة (جوانتانـــامو) الأمريكية فى كوبا، وأعلنت وزارة الدفاع الأمريكيـــة في تقريرهـــا الصـــادر عـــام (٢٠٠٠ م) أنها أطلقت (٣١) ألف قذيفة تحتوى على مادة اليورانيوم المخصب أثنـــاء حرب حلف الأطلنطى ضد صربيا، في حين أفاد الحلف أن عشرة آلاف قذيفة من هذا النوع استعملت في حرب البوسنة والهرسك، وأن معظمها كانـــت تســـقط علـــى معسكرات اللاجئين من مسلمى البوسنة والهرسك .

كما أدت أحداث الحادي عشر من سبتمبر إلى تنامي الذرائع والحجج التي مكنت بعض دول العالم من استغلالها لما تقوم به الولايات المتحدة في تصفية حسابات داخلية ضد معارضين لسياستها من السياسيين والإسلاميين ، ومن أبناء الأقليات الإسلامية التي تسعى إلى الاستقلال والانفصال والتعبير عن هويتها وولائها الكامل لعقيدتها، ومن الأمثلة على ذلك ما قامت به الصين ضد مسلمي إقليم (سنكينانج) أو تركستان الشرقية ذات الأغلبية المسلمة ، وما قامت به الهند ضد مسلمي جامو وكشمير، وما قامت به روسيا ضد مسلمي الشيشان وأنجوشيا ، وما تقوم به القوات الفلبينية ضد مسلمي الجنوب فى مندناو، وإثيوبيا ضد مسلمي الصومال بزعم وجود جماعات إسلامية متطرفة لها امتداد داخل إثيوبيا، تسبب للحكومة الإثيوبية كثيرا من القلق والرعب وأن لها علاقة بتنظيم القاعدة.

وفى إطار ذلك أيضا قامت إسرائيل بهدم البنية الأساسية للسلطة الفلسطينية بحثا عن أعضاء من تنظيم القاعدة في القدس المحتلة، هذا بجانب السماح لقوات المارينز الأمريكية من تفتيش بعض المناطق باليمن بحثا عن تنظيم القاعدة أيضا ، بل قامت القوات الأمريكية بتدريب وحدات من الجيش اليمنى على مكافحة الإرهاب، الأمر الذي اعتبره بعض الخبراء العسكريين فى العالم العربى خطوة على طريق التواجد الأمريكى في اليمن لتأمين مصالحها عبر مضيق باب المندب وخليج عدن.

يقابل ذلك سلسلة من المقالات كتبها أمريكى - يعد من أكثر الكتاب الأمريكيين تطرفا ضد الإسلام والمسلمين — يدعى " توماس فريد مان " تحمل في كل سطورها كل معاني الحقد والكراهية للعرب والمسلمين وتبث أفكارا مسمومة تقتل كل فكرة جيدة نحو تحسين صورة العرب والمسلمين فى الغرب باسم صدام الحضارات تلك الأطروحة التى فجرها حليفه صموئيل هنتنجتون ، أعقب ذلك سلسلة من الكتابات وعقد المؤتمرات والندوات واللقاءات والأوراق البحثية التي اهتمت بتحليل ظاهرة الإسلام السياسي ووصفها بمسمياتها المختلفة مثل الصحوة الإسلامية أو الأصولية الإسلامية أو التجديد الديني أو الإصلاحى أو تطوير الخطاب الديني إلا أن الظاهرة الإسلامية تظل بحاجة إلى قدر كبير من التعمق والتركيز والتنويع فى دراسة الجوانب المختلفة، والمتعددة للمكونات الفكرية والحركية للظاهرة.

كما كان من العوامل التي ساعدت على نمو حركات الإصلاح السياسي والديني في الشرق والغرب معا المبالغة في مكافحة هذه الحركات أمنيا ، وبالتالي خلق أجواء من القمع والعنف والملاحقة والقهر نالت من الكثيرين من الأبرياء، وكان ذلك ذريعة لإحكام قبضة الدولة على السلطة ومقاليد الحكم في وجه كل المعارضين والساخطين من كل التيارات السياسية والفكرية والدينية المختلفة، وبخلاف هذه الصورة التى تبدو قاتمة عن وضع الإسلام فى الغرب ارتبط الإسلام بطريقه أو بأخرى بكثير من الأحداث المهمة والمؤثرة التي شدت انتباه العالم وقت حدوثها مثل حرب أكتوبر(١٩٧٣م) ونداء الله أكبر أثناء لحظات العبور، وارتفاع سعر النفط الخليجي وقت الحرب، وقيام الثورة الإسلامية في إيران بزعامة الإمام الخميني، وغزو صدام حسين للكويت عام (١٩٩٠م) وتنظيم القاعدة ، وأحداث الحادي عشر من سبتمبر.

ولعبت إسرائيل وأصدقاؤها فى ظل الأزمة دورا حيويا في تعبئة القلوب والعقول خوفا، في الغرب عامة إزاء صعود ظاهرة الإسلام السياسي أو الأصولي ، ونجحت في تهيئة مناخ معاد للظاهرة الدينية والإحياء الإسلامى وتعميم أطروحة الغرب العلماني، الديمقراطى ، العقلاني والنامي من جهة، والشرق المتدين، المتطرف، المتخلف، واللاعقلاني والسلطوي من جهة أخرى، وتم تصوير الدين الإسلامىعلى أنه السبب الرئيسي والمباشر لفشل العالم الإسلامي في تحقيق التنمية وساعد على ترسيخ هذا التصور سلوك بعض التيارات الإسلامية، بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، ليتم تسويق وترويج أطروحة الشرق المتدين والمتشدد والغرب العلماني المتسامح عبر وسائل الإعلام التابعة للصهيونية العالمية.

والثابت أن الصراع بين الإسلام والغرب القائم في أكثر من مكان بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر لن يتوقف طالما أن هناك تمايزا بين الثقافات ، فالصراع في آسيا على ما يبدو هو صراع فكرى سياسي حضاري يرتبط بالتبشير الصليبي الذى تحركه العقيدة في هذه البقعة من العالم ،وفى الهند قامت الهندوكية والبوذية بالعمل على إباده المسلمين على أراضيها والمثال ما حدث ومازال يحدث في بورما، وتايلاند ، وسيرلانكا، وسنغافورة، وفى الفلبين حيث تسيطر الكنيسة على مقاليد الحكم هناك، واستطاعت الكنيسة الكاثوليكية إسقاط الرئيس "إستيردادا "وإجباره على التنازل عن السلطة، وكان "جيمي سين كاردينال" هو صاحب فكرة تولى "جلوريا "رئاسة

الفلبين حاليا والتي أقسمت على الإنجيل بعد توليها الحكم، وتعهدت القضـــاء علـــى الجماعات الإسلامية في جنوب الفلبين.

ماذا بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر (٢٠٠١م)

الواضح مما سبق أن هناك ظاهرة تميز العمل السياسى فى كل مكان تقريبا من العالم ، تتمثل فى عدم القدرة على التكيف مع المتغيرات التى حدثت فى العالم فى مطلع عقد التسعينيات وحتى الآن، لا سيما بعد انتهاء الحرب الباردة ، وانهيار الاتحاد السوفيتى القديم ، وظهور ما يعرف بمسألة الأقليات والأصولية الإسلامية في العالم العربى والغربى، وزادت الأمور تعقيدا بعد التفجيرات التى أصابت الولايات المتحدة فى الحادى عشر من سبتمبر (٢٠٠١ م) .

وقبل عقد التسعينيات من القرن العشرين، كانت مشكلات العالم – قوميات وأقليات، دولا وجماعات – أفرادا ومنظمات موزعة على المعسكرين (الشرقى، والغربى) فما كان يؤيده الأول يعارضه الآخر والعكس، الأمر الذى كان يحدث نوعا من التوازن إلى حد ما فى ميزان السياسة الدولية، ولكن وبعد سقوط أحدهما ظل الآخر وهو الولايات المتحدة الأمريكية هو المكلف بحل جميع مشكلات العالم من (حدود، وصراعات طائفية، وتطرف، وإرهاب، وأعمال تخريبية هنا وهناك).

وأصبح الهدف الأول للولايات المتحدة بعد أن استقرت كل الأوضاع لصالحها، الحد من منع استحداث المجتمعات العربية أو الإسلامية لقدرات عسكرية قد تهدد المصالح الغربية في المرحلة القادمة وتنامي ما يعرف بالصحوة الإسلامية وظاهرة الإسلام السياسي، وقد حاول الغرب الوصول إلى هذا الهدف المنشود عن طريق الاتفاقيات الدولية والقيود المفروضة على نقل تكنولوجيا السلاح النووي إلى الدول الإسلامية وخاصة إيران والعراق وسوريا وليبيا ومصر والسودان ولكن لم يستطع .

فأوربا قبلت التدخل الأمريكي في يوغوسلافيا السابقة مع وجود كيان دولي منافس وهو الاتحاد الأوربى، بل سعت أوربا إلى ذلك جاهدة وذلك لإنقاذها من الأصولية الإسلامية ، وبسبب العجز الذي أصابها في كيانها كاتحاد أوربي اعتقد أنه قادر على حل مشاكله دون الحاجة إلى الولايات المتحدة؛ نظرا لكونه يضم جميع الدول الأوربية في حلف واحد، في الوقت الذي طالبت فيه الطوائف المسيحية في الولايات المتحدة وألمانيا المجموعة الأوربية بالتوقف عن تسليح – أعداء إسرائيل – من العرب والمسلمين، حتى إن المواطن الغربي نفسه أصبح لديه معتقد عدائي ضد الإسلام والمسلمين من خلال المضامين التي تقدمها له وسائل إعلامه في الليل والنهار وتشويه

الصورة العامة عن الإسلام، وقد يفهم المواطن الغربي الآخر المسلم المقيم في بلاد الغرب، على أنه مواطن قادم من منطقة تضم عشرات المتناقضات حيث النفط والجماعات الإسلامية المتطرفة، والفن والرقص، والليل والسهر، وشبكات الدعارة، والمجلات المخلة بالآداب والذوق العام، والمدنية الحديثة، والإرهاب والتزمت الديني، والإسلام السياسي ، أو قد يفهمه من منطلق أنه مهاجر جاء ليزاحمه في العمل أو الوظيفة وبالتالي يتعدى على حقوق ليست من حقه بل من حق المواطن الغربي المسيحي فقط.

أخيرا يبدو أن المخرج من محنة الأقليات الإسلامية في العالم لم يأت بمعونات تقدم أو مؤتمرات أو ندوات تعقد في هذا البلد أو ذاك ثم تنفض، أو توصيات يصرح بها مسؤولون أو غيرهم دون أن تكون ملزمة على الإطلاق لأي طرف من أطراف الصراع، وبالتالي يظل الوضع كما هو عليه ولا تتقدم القضية نقطة واحدة على طريق الحل.

ولكن المخرج يأتى عن طريق واحد ليس بالطبع طريق المنظمات والهيئات الدولية أو الخيرية أو الإغاثية ، وإنما عن طريق الأنظمة السياسة في البلدان الإسلامية، بمعنى أن تتبنى الدول الإسلامية القضية والسعي نحو إيجاد حلول لها مع الدول الكبرى، فالبلدان الإسلامية بإمكانها تقديم الكثير من الدعم المعنوي للأقليات الإسلامية في الوقت الراهن، والعمل من أجل تبنى قضايا هؤلاء من منطلق أنهم امتداد طبيعي للعالم الإسلامى خارج أراضيه وذلك من خلال إستراتيجية ناجحة وخطط وبرامج مكثفة لرفع الوعي الثقافي والسياسي والاجتماعي لهم، واستيعاب كل القضايا المطروحة في مجتمع الأقليات الإسلامية.

واجب المسلمين فى العالم نحو الأقليات المسلمة فى الغرب

وبعد تناولنا لطبيعة المشكلات والقضايا التي تعوق فعالية الأقليات الإسلامية في الخارج قبل وبعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر (٢٠٠١م)، ومعالجة الخطاب العالمى لها والنتائج التي توصل إليها سواء التي تتعلق منها بالوضع السياسي أو الاجتماعي للأقليات المسلمة والملاحظات التي سجلها الباحث عليها من خلال الإطار النظري يأتي في النهاية الدور لطرح عدد من المقترحات أهمها:

١- العمل على دعم الأقليات الإسلامية في الخارج مادياً ومعنوياً فالأقليات الإسلامية في إفريقيا مثلاً تعاني من الفقر والجوع في الوقت الذي بلغ فيه حجم الأموال العربية الإسلامية المهربة إلى الخارج فقط (٣٥٠ مليار دولار) ورأس المال العربي الذي يعمل داخل البنوك الأجنبية الأوربية بلغ (٧٥٠ مليار دولار) في الوقت الذي يموت فيه آلاف الأطفال المسلمين من شدة الجوع في كل من البوسنة، وكوسوفا،وكشمير،والشيشان .

٢- إن الأقليات الإسلامية في حاجة ماسة إلى منظمات ومؤسسات واعية ينطلق عملها الإسلامي من أسس علمية وأساليب عصرية تحقق للأقليات تعميق انتمائهم للإسلام واعتزازهم به حيث ما تزال توجد تجمعات إسلامية كبيرة في دول الاتحاد السوفيتي السابق لا تعرف أن شرب الخمر أو الزنا من أكبر الكبائر التي يحرمها الدين الإسلامي.

٣- تجنب الخلافات القومية والمذهبية بين أبناء الأقليات الإسلامية في الخارج وليكن الحكم في مختلف الأمور كتاب الله والسنة المطهرة والاجتهاد الصحيح.

٤- توفير قنوات مفتوحة للاتصال واستقاء الأخبار والآراء من سفارات الدول العربية والإسلامية في الخارج بما يتفق مع حاجات العمل المهني الإعلامي والمتابعة لأحوال الأقليات الإسلامية في الخارج.

٥- ضرورة وجود حماية حقيقية من غزو الأفكار الهدامة التي تؤثر بشكل أو بآخر على مدى مساهمة المسلم في الخارج مع مجتمع الأقليات المسلمة هناك.

٦- المطالبة بمنع الاختلاط بين البنين والبنات في التعليم وخاصة في مرحلة المراهقة في الدول الإسلامية وفى أوساط الأقليات الإسلامية في الخارج.

٧- تشجيع رجال الأعمال المسلمين على استثمار بعض أموالهم في مجال الإعلام الإسلامي الهادف، وإعداد البرامج التي تنقى الدين من الشوائب التي علقت به وتحسين صورة الإسلام والمسلمين لدى الغرب.

٨- تشجيع التعليم باللغة العربية لأبناء المسلمين المقيمين بالخارج وذلك من منطلق الحرص على ارتباطهم بالعقيدة الإسلامية وباللغة العربية التي كُتبَ بها القرآن الكريم.

٩- الاهتمام بإعداد الدعاة المؤهلين علمياً لمخاطبة أبناء الأقليات الإسلامية بالخارج ودعمهم الدعم الكامل من الحكومات والمنظمات الإسلامية المختلفة.

١٠- إنشاء هيئة متخصصة للتعليم الإسلامي تكون مهمتها وضع الخطط والمناهج المناسبة لأبناء الأقليات الإسلامية في المراحل التعليمية المختلفة بما في ذلك الجامعات والمعاهد.

١١- المحافظة على أطفال المسلمين في أوربا وإقامة دور الحضانة والمدارس التي تقوم على رعايتهم والتنشئة السليمة لهم وإيجاد الكوادر الصالحة للتدريس.

١٢- مناشدة الحكومات الإسلامية والعربية بالاهتمام بقضايا المسلمين بالخارج ومناصرتهم

١٣- إنشاء مراكز إعلامية متخصصة للرد على الأكاذيب التي يقوم الإعلام الغربي على لصقها بالإسلام بما في ذلك وصفه بالإرهاب والأصولية والتطرف والدموية.

١٤- الاستفادة من التكنولوجيات الحديثة والأقمار الصناعية العربية لتحقيق الترابط بين المسلمين في المجتمعات الإسلامية ومناطق تواجد الأقليات الإسلامية في الخارج.

١٥- دعوة أجهزة الإعلام بالدول العربية والإسلامية إلى توجيه عناية خاصة لنشر الموضوعات التي تستهدف التواصل المعرفي بين أبناء المسلمين في العالم.

١٦- الاهتمام بقضايا ومشكلات الأقليات الإسلامية والتعريف بها لدى أبناء الدول الإسلامية لإيجاد روح من التعاطف تجاه ما يتعرضون له من عنف واضطهاد.

١٧- دعوة المنظمات والتيارات الإسلامية في الخارج إلى التوحد والعمل المشترك من منطلق خدمة الدين وليس لأهداف مذهبية أو وطنية أو حتى أهداف سياسية.

١٨- دعوة العلماء والمفكرين إلى إعداد قوانين الإسلام وشرحها بصورة سهلة حتى يسهل على أبناء الأقليات الإسلامية فهمها وتطبيقها دون عناء أو تعب .

١٩- إصدار جريدة أسبوعية أو شهرية تتولاها بعض المنظمات أو الهيئات التي تعمل على خدمة الدعوة الإسلامية ويكون من أهدافها متابعة أحوال المسلمين في الخارج .

٢٠- إنشاء أقسام للإعلام الإسلامي بالجامعات العربية والإسلامية لاستخراج الكوادر التي بجانب اهتمامها بالحصول على الخبر يكون هناك اهتمام مماثل بمصداقية الخبر بعيدا عن الإثارة أو التهويل .

٢١- إفساح المجال في الصحف العربية للموضوعات الدينية ، ومنح هذا المجال المساحة التي يعبر بها عن تواجده ورؤيته لمختلف القضايا من منطلق أن هناك عودة جامحة لدى الشباب إلى الدين والفضائل والقيم التي يتسم بها الإسلام .

٢٢- جعل قضية الأقليات الإسلامية في الغرب ضمن جدول أعمال المباحثات بين كل من الجانب الإسلامي ، والجانب الغربي مثلما يفعل الغرب عندما يطرح في مباحثاته دائما قضايا الأقليات غير الإسلامية ، وتحديدا الأقباط في الدول العربية والإسلامية .

٢٣- إعادة تنظيم الدور الذي من المفترض أن يقوم به الأزهر الشريف تجاه الأقليات الإسلامية والعمل على إعداد كوادر علمية مؤهلة بحق للدعوة في أوساط هذه المجتمعات وبمختلف اللغات وأن تكون الدعوة شغلهم الشاغل .

٢٤- مساندة الأقليات الإسلامية التي تتعرض لضغوط لتغيير الأسماء الإسلامية ، والحفاظ على هوية المسلمين في الخارج ، وكذلك حقهم في العمل والارتقاء في الوظائف مثل غيرهم من أبناء المعتقدات والأديان الأخرى .

٢٥- دعوة المؤرخين من أساتذة الإعلام والتاريخ والجغرافيا والسياسة لإعداد إحصائيات حقيقية عن الأقليات الإسلامية في الخارج والوقوف على ما يحتاجون إليه وكذلك الوقوف على طبيعة المشكلات في كل بيئة على حدة .

٢٦- دعوة الدول الإسلامية إلى التكافل الاجتماعي وذلك بدعوة أصحاب الأموال والاستثمارات الكبرى بالدول العربية والإسلامية إلى توجيه أموال الزكاة لدعم الأنشطة التي يقوم بها أبناء الأقليات الإسلامية في الخارج .

٢٧- إصدار دائرة معارف إسلامية باللغة العربية وباللغات الأجنبية ومراكز لشؤون الأقليات الإسلامية ، مع وضع أطلس جغرافي وتاريخي لرصد تجمعات الأقليات الإسلامية في الخارج والقضايا والمشكلات التي تعوق ما يمارسونه من أنشطة.

٢٨- تفعيل دور اتحاد الإذاعات الإسلامية ووكالة الأنباء الإسلامية والعمل على إعداد البرامج التي من شأنها توضيح حقيقة الإسلام لدى الغرب، وتبنى قضايا الأقليات الإسلامية والعمل على إبراز ما يقوم به أبناء الأقليات الإسلامية.

٢٩- مد جسور التعاون بين أبناء الأمة الإسلامية والأقليات المسلمة فى الخارج والعمل على جعل كل المسلمين (أقليات وأغلبيات) كيانا واحدا حيث لا فرق بين المسلم العربي وغير العربي إلا بالتقوى والعمل الصالح.

٣٠- القيام بدور إعلامي ناجح وذلك عن طريق فتح قنوات اتصالية مع المؤسسات الغربية وإصدار النشرات والدوريات باللغات المختلفة عن الأقليات المسلمة والأنشطة التي يقومون بها.

٣١- العمل على حل مشكلة اللاجئين من أبناء الأقليات الإسلامية والمطالبة بعودتهم إلى أراضيهم بعد أن هدأت الأوضاع نسبياً في البلقان وبعض الدول التي ساد فيها صراع ضد الأقليات الإسلامية مثل : بورما، وبلغاريا، وإريتريا، والبوسنة، وكوسوفا، وكشمير .

٣٢- دعوة الحكومات العربية والإسلامية إلى إقامة " أمم متحدة إسلامية " على غرار منظمة الأمم المتحدة وخاصة في ظل تهميش الولايات المتحدة لدورها فى العشر سنوات الأخيرة وذلك حفاظاً على الأراضي الإسلامية من الاغتصاب، والأقليات الإسلامية من الاضطهاد والبلدان العربية من استنزاف ثرواتها الطبيعية بدون وجه حق، وبالتالي يصبح للمسلمين أقليات وأغلبيات الكيان العالمي الذي يهابه الغرب ويصبح بحق المارد الذي تخشاه الولايات المتحدة وبلدان أوربا المختلفة، منذ أن توارت أسطورة الاتحاد السوفيتي القديم والأيديولوجية الشيوعية في آسيا وأوربا مع مطلع التسعينيات من القرن العشرين، وضرورة تجاوز الخلافات المذهبية (سنة وشيعة) والعمل لصالح الدين طالماً أن مصدر التشريع واحد، وهو الله سبحانه.

٣٣- إبراز سلاح المقاطعة السياسية والاقتصادية تجاه الدول التي تضطهد المسلمين على أراضيها، والبعد عن الشعارات والنعرات القومية، وأن تتوحد الأنظمة لصالح الدين الإسلامي والاعتقاد الكامل بأن في الإسلام حلولاً لكافة الأزمات التي تواجه المجتمعات العربية والإسلامية من ناحية وشعوب العالم أجمع من ناحية أخرى.

ومن هذا يصبح من الضروري العمل على بعث روح الأمة الواحدة والجسد الواحد في جميع المسلمين والتركيز على عقيدة الولاء لكل مسلم في كل موقع، والبراء من كل كافر في أى موقع مع تعزيز الانتماء إلى الأمة الإسلامية باعتبارها خير أمة أخرجت للناس وضرورة أن تكون هناك هيئات علمية وشرعية متخصصة تعنى بفقه الأقليات وحل المشكلات التي تواجههم في ضوء الكتاب والسنة.

الخاتمــة

تنطلق هذه الدراسة ومنذ البداية من تحيزات معلنة لا يمكن إخفاؤهـا أو إنكارهـا ليس من باب انتماء الكاتب للأغلبية المسلمة، وإنما نظرا لارتبـاط القضـية بوضـع المسلمين في العالم – أقليات وأغلبيات– و (مليار ومائتا مليون) مسلم – متـهمون في دينهم وعقيدتهم من جراء ما قام به تنظيم القاعدة بزعامة "أسـامة بـن لادن " مـن تفجيرات في الحادي عشر من سبتمبر(٢٠٠١م) هزت الكيان الأمريكـي ، ودفعتـه كالوحش الجائع ينهش في جسد المسلمين هنا وهناك دون تعقل أو تدبر لما يقوم به؛ إذ إن الدين الإسلامى ليس بهذه الصورة المعروضـة الآن في الإعـلام الغـربي المـوالى للصهيونية العالمية التي أدارت الحادث لصالحها، يساندها في ذلك العديد مـن الـدول الأوربية التي اعتبرت أن ما قام به "ابن لادن " كان ضد المسيحية والحضارة الغربيـة ، ونابعا من الكره الذي يملأ قلوب المسلمين تجاه أوربا المسيحية منذ أن شـن الغـرب المسيحي حروبه الصليبية الشهيرة ضد المسلمين في الشرق ومنطقة آسيا الوسطى وبلاد ما وراء النهر.

والواجب الإسلامى الذي تفرضه العقيدة هو واجب التأييد والنصرة، ولكن كان علينا أيضا وتجاه أنفسنا واجب حسن الفهم من ناحية وواجب النصرة مـن ناحيـة أخرى، حيث كان لزاما على الكاتب أن يتعدى اهتمامـه الحماسـة والانفعـال إلى ضرورة التمكن من فقه الواقع، أي فقه السياق المحيط بهذه القضايا والمشكلات الـتي أفرزها، وما يفرضه أو يتطلبه هذا الفقه من مهام ومواقف تتعدى الإشـادة بأعمـال الإغاثة الإنسانية، أو التسطيح والإجادة في التغطية والتناول والتحليل، وتتعدى مجـرد توجيه الاتهامات لطرف أو التهليل لطرف آخر .

كما ترتب على إغفالنا للدراسات السوسيولوجية للشخصية الإسلامية بوجه عـام في البلاد غير الإسلامية– الأقليات المسلمة– أن أصبح بين أيدينا كما ضـخما مـن الدراسات والمؤلفات الموجهة ضدنا، دون أن نعرف بموضوعية عـن حقيقـة هـذه الأقليات شـيئا – مالها وما عليها – وما يحاك حولها وماذا تريد، دون وضوح لمنـهج أو خطوات تحدد ملامح الطريق ؟ الأمر الذي دفع هذه النوعية من القضايا لأن تظهر مرة واحدة داخل بنية الخطاب الإعلامي العربي والإسلامى.

وكان من المفروض أن يجد حلولا لهذه المشكلات قبل تفاقمها إلا أنه وفى معالجته للكثير من القضايا كان مكتفيا بدوره الذي لم يخرج عن إطار نقل أحداث الصراع والمتابعة اليومية لكل ما يحدث للأقليات الإسلامية فى بلدان العالم المختلفة، وأعمال العنف التي تشن هنا وهناك ضد الأقلية المسلمة فى أمريكا ، والاضطهاد الذي تمارسه أوربا ضد مسلمي البلقان ، وما تقوم به الهند ضد المسلمين الأكثر عددا فى شبه القارة الهندية (٢٠٠) مليون مسلم ، مثله فى ذلك مثل غيره من الخطابات الإعلامية الغربية، وذلك وفق ما يعرف بنظرية التبعية الإعلامية للغرب .

وفى هذا الصدد يجب أن نعترف شئنا أم أبينا من باب نقد النفس إلى النفس أن ما يبدو من سلبيات وخلل في سلوك بعض أفراد الأقليات المسلمة هو نتاج لأزمة الفكر في الأمة الإسلامية،بشكل عام وقصور في وعى العقل بتعاليم الإسلام الصحيح، يقابل ذلك كله الجهل بالآخرين والتهوين منهم والتهويل لهم،مع أن الآخرين يعرفون الكثير من ثقافتنا،وعن العادات والتقاليد الإسلامية ما لا يعرفه الكثير من المسلمين،كما أن مراكز بحوثهم العلمية لا تكف عن دراسة الظاهرة الإسلامية في مختلف دول العالم .

ومن هنا يجب أن نضع في الاعتبار أنه لا توجد معايير ديمقراطية مطلقة لا على المستوى العربي أو العالمي، حيث توجد دراسات نقدية عديدة تؤكد أن وسائل الإعلام الأوربية والأمريكية ذاتها لا تتمتع بالحرية الكاملة في التناول والمعالجة كما يعتقد البعض ويظن ،وإنما تقوم بمهمة أحادية أساسية وهى تختص بصناعة الرأي العام المساند،والمؤيد لما تراه النخبة الحاكمة التي تملك المال والنفوذ والسيطرة في الولايات المتحدة.

وبالتالي فإن وسائل الإعلام العربية والإسلامية سواء التي يصدر منها داخل المنطقة العربية أو خارجها ، كلها أنساق يتحكم في إنتاج خطاباتها عامل السلطة من منطلق أن السلطة متواجدة في أي عمل إعلامي ، وليس شرطا أن ترتبط السلطة بالحكومة أو بالصحف القومية وإنما بالجهة التي تقوم بالتمويل وطبيعة الجهات المنافسة .

وهكذا فإن سياسة تصوير الإسلام في الخطاب السياسي الأمريكي في الفترة الراهنة إنما تكشف عن علاقة جدلية بين تصورات الغرب للمسلمين، وصورة الذات عند المسلمين أنفسهم وسوء الفهم المترسب في الذهن الغربي حول عداوة الإسلام له باعتبار أنه يؤمن بدين آخر وهو المسيحية،وأن المسلمين في الشرق لم ينسوا الحروب

الصليبية التي شنتها أوربا على العالم الإسلامى، حيث قد تتحكم الاعتبارات السياسية في عملية إنتاج الخطاب الإسلامي وذلك عندما تكون هنـــاك علاقـــات سياســـية أو اقتصادية بين دولتين، تختلف الأولى في ديانتها عن الأخرى، فتقوم إحداهما باضـــطهاد الأقليات الدينية التي تتبع الدولة الأخرى وفى هذه الحالة تصبح الدولة في مأزق كـــبير، وهو هل تعلى من شأن خطابها الديني على خطابها السياسي وتحتج على مـــا يحـــدث لأبناء عقيدتها من المسلمين أم تمسك على خطابها السياسي، وتعتبر الدين والعقيدة شيئا آخر لا علاقة له بالأمور السياسية،وهذا ما حدث تقريبا للخطاب السياسي والإعلامى العربي والإسلامي إزاء موقفه من أحداث الحادي عشر من سبتمبر (٢٠٠١م) .

وكأن الذين يتعرضون للعنف والاضطهاد والتصفية وحروب الإبادة ليســـوا مـــن المسلمين وليسوا امتدادا للعالم الإسلامى في المجتمعات الأوربية، مع أن الخطاب القرآني قد حث المسلمين أقليات وأغلبيات على الوحدة والاتحاد والكيان الواحـــد ووصـــف جموع المسلمين "بالأمة الواحدة والمتماسكة" حيث ورد ذكر الأمة لتدل على الكيـــان الإسلامي المتكامل (٦٤) مرة وبمعان تحمل دلالات كثيرة .

وقد وردت كلمـــة " أمـــة " للدلالـــة على أية مجموعـــة من البشر أو غـــير البشر، فقـــال تعالـــى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ﴾ [الأنعام : ٣٨] ، ووردت للدلالة علـــى الجماعـــة المتفقـــة علـــى شريعـــة واحـــدة أو منهج واحد فقال تعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ [المائدة :٤٨] ، كما وردت للدلالة على جماعة جزئية من أهل شريعـــة معينة فقال تعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ﴾ [آل عمران : ١٠٤] ، ووردت للدلالة على أتباع شريعة محمد ﷺ فقال تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [آل عمران :١١٠] .

ومن هنا يتضح أن الخطاب الإسلامي يتصف بالشمولية ولا يفرق بين (أغلبيـــات وأقليات)، بل الجميع يشكلون عنده أمة واحدة، إلا أن هذا لا يمنع من أن الخطـــاب الإسلامي وعلى مدار تاريخه الطويل والمديد قد أصابه بعض نقاط الضعف في آلياتـــه ومنظماته ومؤسساته وعملية إنتاجه على المدى البعيد ، والتوظيف السياسي له من قبل الحكام المسلمين وتأويل النصوص المقدسة لتحقيق مصالح شخصية وليست من الإسلام

في شيء، مما أدى إلى تفوق الخطاب العلماني الغربي حتى أصبح هو الأكثر سيطرة والأقوى نفوذا، كما يعد هو المتحكم في كل الخطابات المطروحة في هذه الحقبة والحقب القادمة، خاصة على مستوى السياسات والأيديولوجيات بعد سقوط الاتحاد السوفيتي القديم وإن كان الخطاب العلماني هو في الأساس خطابا عقائديا مسيحيا غربيا .

بيد أن المراحل الأولى من الدعوة الإسلامية كان الخطاب القرآني فيها هو الدافع وراء تحول المجتمع العربي من مجتمع جاهلي " همجي " إلى مجتمع متحضر منظم، واستطاع أن يقود البشرية، قروناً من الزمان إلى طريق الخير والتسامح والسلام، وظل الخطاب القرآني فعالاً قادراً على تعبئة الجماهير المسلمة ودفعها إلى البذل والعطاء بالنفس والمال والوقت، حيث كان نداء حي على الجهاد النصر أو الشهادة تدفعهم إلى الغزو والقتال في سبيل الله ولنشر الإسلام في كل موقع من ناحية، والدفاع عن البلدان الإسلامية إذا تعرضت للغزو والاحتلال من ناحية أخرى.

وإذا كان هناك ما يشبه الإجماع الإسلامي على دعم القضية الفلسطينية وتأييد الحق الفلسطيني، فمن باب الإنصاف أن يكون هناك تأييد مماثل تجاه القضايا الإسلامية الأخرى، مثل الموقف التركي من القضية القبرصية وقضيتي إقليم كشمير وإقليم كوسوفا والقضية الشيشانية أو مناصرة الأقليات الإسلامية المضطهدة في كل من : الفلبين وسنغافورة وهولندا وبريطانيا وفرنسا وألمانيا واليونان والهند والصين وإثيوبيا وأريتريا وأوغندا وجنوب إفريقيا، والولايات المتحدة وكندا وأستراليا.

والأمثلة على المستوى العربي والإسلامي عديدة منها على سبيل المثال قيام إيران في عام (١٩٩٣م) ببيع أسلحة ومعدات حربية إلى صربيا ذات التوجه المسيحي الأرثوذكسي أثناء حربها مع مسلمي البوسنة والهرسك الذين هم على المذهب السني وليس الشيعي، كما أنها تقوم بتأييد الموقف الهندي من قضية كشمير ولا تؤيد الموقف الباكستاني من منطلق أنها دولة ذات أغلبية مسلمة وذات توجه سني أيضا، هذا بجانب وقوفها مع أرمينيا ذات التوجه المسيحي بالنسبة لإقليم ناجورنو كاراباخ الأذربيجاني ذات التوجه السني كذلك .

كما قامت مصر بعقد المزيد من الاتفاقيات التجارية والتكنولوجية مع دولتي الصرب وكرواتيا وقت أن كانت صربيا وكرواتيا تقومان بذبح المسلمين في شوارع سربينتشا وإطلاق الرصاص عليهم وهم يؤدون الصلوات في المساجد، واغتصاب المئات من المسلمات أمام كاميرات الفضائيات العربية والعالمية، ودفن المئات منهن في مقابر جماعية وهن أحياء.

كما أن اضطهاد المسلمين في الصين وتحديدا في إقليم تركستان ذات الأغلبية المسلمة لا يشغل البال العربي والإسلامي، ولا يؤثر في المسلم العربي ما يحدث من مذابح وقتل وتمثيل بجثث المسلمين في الهند، على اعتبار أن الهند تربطها بمعظم الدول العربية والإسلامية علاقات اقتصادية ممتدة من عشرات السنين وتحديدا من عهد الرئيس الهندي الأسبق نهرو، وبالتالي فهي تمعن في القتل وفي معتقدها أنها لن تسمع صوتا ولا حسا من الدول الصديقة- المسلمة - بشأن ما تقوم به ضد أبناء عقيدتها من المسلمين ، واعتبار أن ذلك يدخل في إطار المسائل الداخلية التي لا يجوز لأي دولة من دول العالم الاعتراض على ما تقوم به حتى وان كانت من الدول التي لها علاقات وصداقات مع الهند.

وقد يرجع ذلك إلى أنه لا توجد في العالم المعاصر الآن دولة عربية أو إسلامية تعلى من شأن خطابها الديني على حساب خطابها السياسي وتعلن قطع علاقاتها مع الدول التي تضطهد الأقليات المسلمة على أراضيها، ومن هنا يمكن القول إن قضايا ومشكلات العالم الإسلامي من المشكلات المعقدة التي قد يكون من الصعب التوصل إلى حل بشأنها لا على المستوى الشعبي الذي يكتفي بالمظاهرات والنداءات والكتيبات وشرائط الكاسيت، أو على مستوى الحكام والرؤساء والقادة أو منظمات وجمعيات المجتمع المدني.

وبالتالي فقد أدت التنوعات والتباينات في الخطابات العربية والإسلامية إلى فشل الإعلام العربي والإسلامي في إيجاد خطاب إعلامي موحد تجاه القضايا ذات الطابع المشترك في العقيدة ، أو القضايا ذات الطابع السياسي والاجتماعي في الأحداث عموماً، فالإعلام العربي والإسلامي ما يزال يردد أن المجاهدين في كشمير انفصاليون ومتمردون، وأن المسلمين في كوسوفا منحدرون من أصل ألباني، دون أن يحدد الإعلام الإسلامي هوية هؤلاء الألبان هل هم من المسلمين أم من غير المسلمين.

ويطلق على جبهة مورو الإسلامية فى جنوب الفلبين وصف متمردين وإرهـابيين، وغيرها من التعبيرات التي نقلها الإعلام العربي والإسلامى- عن جهل أو قصد- عـن الإعلام الغربى دون مراعاة أن الذين يوصفون بأنهم أصوليون ، وإرهابيون ومتمردون، ومخربون ، وانفصاليون ، هم مسلمون هاجروا من مناطق عديدة من الـدول العربيـة والإسلامية ولكن يعيشون كأقليات خارج المنطقة العربية وخارج الدول الإسـلامية المشاركة فى منظمة المؤتمر الإسلامي ، وأن على هذه الشعوب العربيـة والإسـلامية مناصرتهم حتى على المستوى الإعلامي إذا كانت المصالح السياسية لا تتطلب الوقوف بجانبهم فى تلك المرحلة العصيبة من بدايات القرن الحادي والعشـرين فمـتى تكـون المناصرة وكيف ؟

ونستطيع القول في النهاية : إن النظام السياسي والاجتماعي المـرن والمتسـامح، يتمكن من توظيف الشعور بالتميز لدى المجموعات البشرية ، في بناء الوطن وإزالة كل عناصر التوتر، أي أن الديمقراطية تجعل دور التميز دورا وحدويا ، اندماجيا ، بعيدا عن كل أشكال التقوقع والدوائر المغلقة . فالمساواة في الحقوق السياسية والمدنية ، يجعـل كل المجموعات البشرية، تباشر دورها الإيجابي في الحفاظ على أمن الوطن ومكتسـباته السياسية والاقتصادية والحضارية ، وهذه المساواة لا تتـأتى إلا بتحقيـق المشـروعية الدستورية والمؤسسية للاختلاف والتنوع والتعدد في الوطن الواحد .

وبالتالي فإنه كلما قلت وتضاءلت مستويات الاندماج ، كلما برزت في المجتمع مسألة الأقليات وتداعياتها السياسية والاجتماعية والثقافية، بمعنى أن وجود الأقليات في أي فضاء اجتماعي،يتحول إلى مشكلة حينما يفشل هذا الفضاء ولعوامل سياسية واجتماعية وثقافية عديدة في تكريس قيم التسامح واحترام الآخر وصيانة حقوق الإنسان والمزيد من الاندماج والانصهار الوطني ، حينذاك تبدأ المشكلة ، وتبرز الخصوصيات الذاتية ، وتنمو الأطر التقليدية لكى تستوعب جماعتها البشرية بعيدا عن تأثيرات المحيط وإستراتيجياته المتجهة صوب فـرض الانصهار وقهر الخصوصيات الذاتية.

واتسم الخطاب الإعلامي الغربي إزاء الإسلام والمسلمين بالخوف من عدو وهمـى حل محل المنظومة الشيوعية، يحمل العنف والإرهاب بين جنباته، فالإسـلام المقاتـل، وانفجار الإسلام، والخطر الإسلامي، والإرهاب الإسـلامي، والمـارد الإسـلامي،

والأصوليون الإسلاميون ، وتنظيم القاعدة، وحركة طالبان، وصدام حسين، وحزب الله، وحماس ، والمقاتلون الفلبينيون ، كل هذه العبارات والتركيبات لم يتم تكوينها اعتباطاً أو بصورة عشوائية، بل لقد كانت عناوين مثيرة تناولتها الصحف الأوربية في أعقاب الانهيار السوفيتي ، والتفجيرات الأمريكية الأخيرة في واشنطن ونيويورك واتجهت النية بعدها إلى محاصرة الظاهرة الإسلامية بالاضطهاد تارة، والتمييز العنصري تارة أخرى، ومحاولات القضاء على الهوية الإسلامية للأقليات تارة ثالثة .

ساعد على تحقيق هذا كله حالة الضعف التي تمر بها الأنظمة العربية والإسلامية الآن ، بجانب حالة ضعف مماثلة من جانب المسلمين أنفسهم أغلبيات وأقليات مسلمة ، ومن أبرز هذه الحالات التي أدت إلى التراجع الإسلامى في بلاد الغرب والتي لو تم التغلب عليها لأصبح للإسلام والأقليات الإسلامية الشأن الأكبر والمؤثر في أوربا وأمريكا وهى:

- العصبيات العرقية والإقليمية الأمر الذي جعل المسلمين منقسمين فيما بينهم إلى قوميات تعتز كل منها بقوميتها، على حساب الانتماء للمجتمع الأكبر وهو الأمة الإسلامية، أو العمل على وحدة المسلمين أغلبيات وأقليات .
- اختلاف المذاهب والاتجاهات والأيديولوجيات المستوردة من ديمقراطيات وقوميات وغيرها، واستبعاد الإسلام من أي طرح بديل .
- اختلاف الولاءات ما بين بلد وآخر، فهذه الدولة ولاؤها لأمريكا، وأخرى ولاؤها لبريطانيا، وثالثة لباريس، أما رابطة الدين فنادراً ما تطرح في المسائل السياسية، وقد تلعب الدول الكبرى بورقة الدين عند الحاجة إليها .
- اختلاف المصالح الإقليمية والمحلية وتجزئة الأمة الإسلامية إلى فرق وتيارات مختلفة بجانب حرص كل دولة على التفرد بمكان خاص بها في علاقاتها مع الدول الكبرى.
- المكائد الصهيونية المتربصة للعالم الإسلامي من حركات ومنظمات هدامة مثل (الماسونية، والعلمانية ، والصهيونية) الهدف منها ألا يقوم للإسلام قائمة وإظهاره على أنه دين تخلف وعجز ولا يتفق وتطورات العصر الحديث.

وبالتالي يجب إضافة بعض التعديلات على العديد من نصوصه المقدسة لتتماشى مع مجريات الألفية الثالثة بداية من المقررات الدراسية على الطلاب في المدارس والجامعات والمعاهد المختلفة بما في ذلك الجامعات ذات الصبغة الإسلامية مثل جامعة الأزهـــر في مصر، والجامعة الإسلامية في باكستان، وجامعة الإمام محمد بن ســعود الإســلامية في الرياض، وتحجيم الهيئات والمنظمات الإسلامية في دول الخليج والأفرع التابعة لهـــا في العديد من دول العالم، ومصادرة كافة الأموال التابعة لها إذا ما ثبت أن هذه المنظمات على علاقة من قريب أو بعيد بتنظيم القاعدة الذي يتزعمه "أسامة بن لادن"، و "أيمـــن الظواهري" ، و "الملا عمر" ، بجانب القيام بمضاربة البنوك الإسلامية في العالم العـــربي والإسلامي حتى يظل المسلمون في حاجة دائمة ومستمرة إلى الغرب في مختلف مجالات الحياة.

والحقيقة التي لا يستطيع التاريخ إنكارها أن الإسلام لم يحمـــل خطـــة لترهيـــب أصحاب المعتقدات الأخرى، أو لأسلمة الشعوب التي انضمت إليـــه، بـــل احتـــرم خصائصها، والدين الذي تؤمن به، بل لقد جاء الإسلام ودخل هذه الأقطـــار ليرفـــع عنها الظلم والاضطهاد والتمييز الذي كانت تتعرض له، ومن هنا فإن حق المساواة في الإسلام مكفول للمسلم وغير المسلم وفق القاعدة الشرعية التي تقول : "لهـــم مالنـــا، وعليهم ما علينا ".

وبالتالي فإن أبناء الدين المسيحي لم يتم تقطيعهم إرباً بالسيف عندما كان الإسلام يمتد بعقيدته شرقاً وغرباً، وفى كل اتجاه، معرباً عن سماحته وقدسية المنهج الذي يدعو إليه ؛ إذ يقوم الفكر الإسلامي على مبدأ التسامح مع أصحاب الديانات السماوية الأخرى، وحدد الدين الإسلامي أسس العلاقة بين الإسلام وغيره من العقائد السابقة عليه كما يوصى النص القـــرآني بعـــدم الاعتداء على الغير، وإن كان من غير العقيدة التـــي يدين بها المسلم فقال تعـــالى: ﴿ لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ ﴾ [الممتحنة] والسؤال : لماذا كل الأديان والمعتقدات والأيديولوجيات المعاصرة ضد الإسلام والمسلمين ؟ والإجابة فى قراءة الكتاب مرة أخرى .

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

التعريف بالمؤلف

- الاسم:د.مجدي محمد عبد الجواد عبد الفتاح الداغر
- محل الميلاد: قرية دموه،مركز دكرنس،محافظة الدقهلية.
- الوظيفة:مدرس الإعلام والصحافة بكلية الآداب،جامعة المنصورة.
- محاضر في قسم الإعلام التربوي.بكلية التربية النوعية بالمنصورة ١٩٩٤م.
- رئيس تحرير جريدة العرب اليوم الأسبوعية بالقاهرة من عام ١٩٩٦م وحتى الآن.
- صحفي سابق بجريدة الأخبار والأحرار اليومية وجريدة الحقيقة الأسبوعية.
- الأول في إلقاء الشعر على مستوى المدارس الثانوية بالمنصورة والثالث على مستوى الجمهورية ١٩٨٩م .
- نائب رئيس تحرير جريدة النور الإسلامية،مراسل صحفي لجريدة العالم الإسلامى السعودية.
- مدير تحرير مجلة الموزعين العرب بجامعة الدول العربية .
- مراسل صحفي لمجلة الوعي الإسلامى الكويتية،مراسل صحفي للمجلة العربية السعودية.
- نائب رئيس تحرير جريدة الحرية وصوت الإسلام.
- الأول على قسم الإعلام والصحافة بجامعة الزقازيق ٨٥٠ طالب وطالبة عام ١٩٩٣م.
- حاصل على جائزة وزارة الأوقاف في البحوث والدراسات الإسلامية عام١٩٩٢ .
- نائب رئيس تحرير جريدة الأمة التي يصدرها حزب الأمة بالقاهرة.
- مدير تحرير جريدة صوت قنا التي تصدرها محافظة قنا سابقا.
- معد برامج تليفزيونية بالقنوات الفضائية المصرية المتخصصة.
- حاصل على جائزة أحمد بهاء الدين الصحفية ٢٠٠٢م.
- مدير عام النشر بدار الزهراء للإعلام العربي (أحمد رائف وشركاه).
- مدير تحرير مجلة شمس الإسلام (المتخصصة فى قضايا مسلمي آسيا الوسطى والقوقاز).
- حاصل على أول رسالة ماجستير في الإعلام السياسي والديني والصراعات الدينية والعرقية في الجامعات المصرية والعربية،والدكتوراه في الطباعة والتصميم والإخراج الصحفي.
- رئيس تحرير جريدة أخبار الجامعة،ورئيس التحرير التنفيذى لجريدة أخبار الدقهلية .

رقم الإيداع : ٤٨٨٥ / ٢٠٠٥م

I.S.B.N : 977-15-0505-X


الهدى للتجليد الفني


الهدى للتجليد الفني

هذا الكتاب

* قد كان الغرب – في الماضي – يغض الطرف عن العالم الإسلامي . نظرا لأن الإتحاد السوفيتي – قبل انهياره – يعتبر العدو الأول للغرب وبالأخص أمريكا التي عملت على تقويضه وانهياره حتى تحقق حلمها بتفردها بقيادة العالم وفرض ما تشاء على من تشاء . سعيا وراء مصلحتها حتى ولو كانت على حساب الآخرين !!

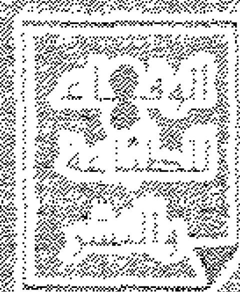
* ولما كانت أمريكا ترى – مع من يدور في فلكها – أن العالم الإسلامي ربما يستعصي على فرض سطوتها وهيمنتها عليه . فقد اعتبرته – بل وصرحت بذلك – العدو بعد الاتحاد السوفيتي . فعملت أيضا – ولاتزال – على بذر الفرقة بين دوله . وخلق المبررات لمعاقبته وبخاصة من لايعطي الولاء والطاعة لأمريكا – وما أكثرهم – إلا أن ما جرى من تفجيرات في ١١ سبتمبر ٢٠٠١ أعطاها مبررا قويا لإعلان الحرب على العالم الإسلامي – حربا صليبية كما قالوا فشنت حربا على أفغانستان ثم العراق . ثم تهديدات لبقية دول المنطقة .

* فكان من الطبيعي أن تجد الأقليات الإسلامية – في دول غير العالم الإسلامي وبالأخص أوربا – نفسها هدفا من قبل حكومات العالم الغربي باعتبارها جماعات إرهابية تمثل خطرا على الدول التي تعيش فيها . ونسيت هذه الدول ما كانت تتغنى به من حرية وديمقراطية وحقوق الإنسان وغير ذلك من الدعاوى التي ظهر زيفها عندهم . وهي منهم براء .

* والكتاب يلقي الضوء على ما تتعرض له الجاليات والأقليات الإسلامية – في أمريكا وأوربا وبقية المجتمعات غير الإسلامية – من عنت واضطهاد بكل أشكاله . بدون ذنب أو جريرة ارتكبوها إلا أنهم مسلمون !!

* **ودار الوفاء** يسرها أن تقدم هذا الكتاب للقراء . والمعنيين بحقوق الإنسان . دفاعا عن الحق . ونشرا للعدل . والله من وراء القصد .

الناشر



دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ج.م.ع - المنصورة
الإدارة: ش الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب
ص.ب ٢٣٠ ت / ٢٢٥٦٢٣٠ فاكس ٢٢٥٩٧٦ / ٠٥٠
E-MAIL:darelwafa@HOTMAIL.COM
WWW.EL-WAFAA.COM



